جامعة دمشق
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
قسم التاريخ

الأيوبيون في اليمن
٥٦٩ ـ ٦٢٦ هـ
١١٧٤ ـ ١٢٢٩ م

أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في تاريخ العرب والإسلام

إعداد الطالب
عبد الله حاتم خالد المخلافي

إشراف

الأستاذة الدكتوره وفاء جوني

ومشاركة

الأستاذ الدكتور عبد الرحمن الشجاع

دمشق ٢٠٠٩م

إهـــداء

إلى أم صابرة ما عرفت غير العطاء

إلى من قدمت لي ولإخوتي الحنان كله

إلى أخ مكافحٍ في سبيل إخوانه

إلى من أعطى وقدم بلا حدود الأخ عبده حاتم

إلى زوجتي الغالية

إلى أولادي شهاب وعمار ورشاء ووفاء

الذين صبروا عليّ في حلي وترحالي

شكر وعرفان

إنه لمن دواعي سروري أن اقدم خالص شكري واعترافي بالجميل والامتنان إلى الأستاذة الدكتورة وفاء جوني التي تكرمت بقبول الإشراف على هذه الرسالة ، على الرغم من مشاغلها الكثيرة في التدريس ، والتي لم تبخل علي بشيء من الوقت والجهد والرعاية والتوجيه ، وتفضلت مشكورة بمتابعة هذا الموضوع منذ أن كان فكرة تدور في الذهن ، حتى أصبح عملا متكاملا مكتوبا ، فقد كانت تتابع البحث فصلاً فصلاً ، وكذلك لما قدمته لي من إرشاد وتوجيه قيمين لولاهما لما خرج هذا البحث بهذه الصورة ، كما أنوه بتواضعها واحترامها لوجهات نظر تلامذتها، حيث كانت لي نعم الأستاذ المعلم بصدرها الرحب وقلبها الصبور ، وأفقها الواسع ، وبصيرتها النيرة ، وخلقها الجم. فلها مني خالص الشكر والتقدير، ومن الله العلي القدير حسن المثوبة وخير الجزاء.

كما لا يفوتني أن أتقدم بالإقرار بالفضل والاحترام والتقدير إلى الأستاذ الدكتور عبد الرحمن عبد الواحد الشجاع على ما أولاني من رعاية ومتابعة، وعلى ما منحني من جهده وعلمه ووقته الشيء الكثير، فله مني جزيل الشكر والتقدير.

تقديم

الحمد الله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ـ وبعد:

فإن تاريخ اليمن يعد موضوع دراسة جديدة ومهمة في تاريخ العرب والإسلامعامةً ، والبحث في تاريخ مثل هذا الجزء المهم من العالم العربي الذي لم لينحظاً وافراً من الدراسة بعد، يمثل اتجاهاً جديداً في الدراسات التاريخية ، للتعرف على ماضي اليمن وتأثيرها في المجرى العام لتيار تاريخ العرب والإسلام ، وهو في الوقت نفسه ضرورة أملتها الحاجة الملحة إلى إعادة كتابة تاريخ العرب والإسلام على أسس علمية سليمة ، وتخليصه مما علق به من شوائب.

ودراسة الماضي تفيدنا في معالجة مشاكل الحاضر ، ذلك أن أحداث الحاضر وثيقة الصلة بأحداث الماضي ، ولن يتيسر لنا التعرف على ما نحن عليه اليوم إلا بمعرفة جذورنا التاريخية فنتخذ منها خبرة وعظة.

ومما لفت نظري إلى موضوع البحث (الأيوبيون في اليمن (٥٦٩ـ٦٢٦هـ/ ١١٧٤ـ١٢٢٩م) (وقد اقتصرت الدراسة على الناحية السياسية والإدارية) أنه يعبر عن مرحلة مهمة من مراحل الكفاح من أجل توحيد الأمة العربية والإسلامية في مواجهة الحركة الصليبية التي احتلت واقتطعت جزءاً كبيراً ورئيسياً من الوطن العربي والاسلامي.

من جانب أخر أردت التعرف على أهمية اليمن بالنسبة للجبهة العربية الإسلامية ، التي لفتت نظر صلاح الدين إليها ، ودفعته إلى الاستيلاء عليها وضمها إلى الجبهة العربية الإسلامية الموحدة ، من أجل بناء قاعدة كبيرة للوحدة العربية الإسلامية لكي ينطلق منها لمجابهة القوى الصليبية في بلاد الشام.

ومما لاشك فيه أن استيلاء الأيوبيين على اليمن يعد أكبر عمل عسكري شهدته اليمن في العصور الاسلامية ، وهو جدير بالدراسة من الباحثين للتعرف على أسبابه ودوافعه ونتائجه ، بالإضافة على الوقوف على الأوضاع السائدة في

اليمن في ظل الحكم الأيوبي من جميع نواحيه السياسية والاقتصادية والحضارية والثقافية ، حتى يمكن التعرف على الإمكانيات المتعددة لليمن ،وإلى أي مدى استفاد منها الأيوبيون في دعم الجبهة العربية الإسلامية.

وفي بداية هذه المقدمة أود أن أذكر الدوافع والمسوغات التى كانت وراء اختيار موضوع بحثي هذا، حيث كانت البداية في الجامعة عندما كنت أقوم بالتدريس فيها ، ومن خلال اطلاعي على بعض المصادر المتعلقة بالدولة الأيوبية ، وبعد استشارة بعض أساتذة الجامعة المتخصصين في تاريخ العرب والإسلام ، وجدت الموضوع جديراً بالدراسة .

إضافة إلى ذلك اهتمامي بهذه المدة ـ موضوع البحث ـ ازداد كثيراً لما يكتنفها من الغموض في بعض الجوانب ، ولتشابك الأحداث فيها ، وأنها في حاجة إلى تسليط الضوء عليها .

يضاف إلى ذلك أن الجامعة التي أوفدتني ـ لاسيما قسم التاريخ ـ كان محتاجٌ وما يزال إلى من يقوم بتدريس مادة الأيوبيين في اليمن ، وهذا مما زاد في تحمسي لدراسة هذه الفترة التاريخية ، من أجل هذه العوامل الثلاث . واذا اردت أن أكون منصفاً فهي لم تفرض على من قبل الجامعة ـ قسم التاريخ ـ ، بل كانت برغبة شخصية مني، كما سبق أن أشرت. ثم وجدت التشجيع من هيئة التدريس في قسم التاريخ لدراسة هذه الفترة لما لمسوه منى من ميل لدراستها.

لهذه الأسباب أردت أن أقحم نفسي في هذا الغموض لعلي أستجليه ، وأرجو أن أكون قد وفقت في هذا.

وقد واجهت عدة صعوبات أولها ندرة المعلومات وخاصة المعلومات التي تتعلق بالجوانب الادارية والأقتصادية والحضارية ، وذلك عائد لعدم اهتمام المؤرخين في تلك الفترة بتدوينها ، مما استلزم قراءة المصادر بكاملها للبحث عن الاشارات المتناثرة بين ثنايا الكتب ، مما يفيد موضوع البحث في جوانبه المذكورة . فالجهاز الإداري في الدولة الأيوبية في اليمن لا نجد له إلا إشارات نادرة ، كما لا نجد أسماء الدواوين مثل ديوان الخراج وديوان الجند وديوان الرسائل وغيرها ، فقد

تركز الحديث عند المؤرخين اليمنيين على الملوك الأيوبيين ووولاة المدن ، كما نجد أن كتب التراجم ركزت على القضاة وذلك ضمن حديثها عن العلماء.

كما نجد أن المعلومات شبه متكررة في كثير من المصادر وكأنها منقولة بالحرف مما يجعل الباحث أمام معلومات متكررة في كثير من المصادر ، يضاف إلى ذلك وجود اختلاف كبير في أسماء الحكام والولاة الأيوبيين فعلى سبيل المثال نجد أن المؤرخين انقسموا إلى قسمين فالبعض يطلق على حاكم زبيد خطاب والبعض الآخر يطلق عليه حطان ، من جانب آخر نجد اختلافهم في حاكم صنعاء فمنهم من أطلق عليه أبو ريا والبعض الآخر أطلق عليه أبو زبا، وهذا التداخل في الأسماء يجعل الباحث في حيرة في اعتماد أي من الأسمين في البحث.

ومن الصعوبات أن البحث المتعلق باليمن وتاريخه يكتنفه بعض الغموض عامة ، ولهذا فان الباحث يحتاج إلى جهد كبير لإبراز معالمه ، ولاسيما وأن الاعتماد في مثل هذه الدراسات يقوم على الأدب التاريخي بما يحتويه من وقائع وتتطلب من الباحث جهداً كبير وإعمال الفكر فيها ونقدها وتحليلها ومقابلاتها بالروايات المختلفة، وأعادتها إلى مصادرها الأصلية بقدر الإمكان.

وقد تأثر المؤرخون اليمنيون بعدة عوامل منها : أن الطبيعة الجبلية لليمن قد أدت إلى صعوبة الانتقال بين مناطقها ، وقد ساعد ذلك على اكتفاء كثير أو اغلب المؤرخين على ذكر الأحداث المتعلقة بالمناطق التي يقيمون فيها ، وربما كان ذلك عائدٌ إلى عدم تمكنهم من التعرف على أخبار المناطق الأخرى . كما أن التعدد المذهبي في اليمن له أثره في تمزيق وحدة اليمن السياسية خلال كثير من العصور، وذلك نتيجة للصراع المذهبي بين القوى الزيدية والشيعية - الإسماعيلية - وبين القوى السنية الحاكمة ، مما كان له اكبر الأثر في كتابات كثير من المؤرخين ليمنيين طبقاً لميولهم المذهبية أو الطائفية ، فبرز التحيز في كثير من كتاباتهم ، وأهملوا ذكر الدويلات المعادية ، أولجؤوا إلىتصويرها تصويراً مجانبا للواقع.

كما لجأ البعض إلى إخفاء ما لديهم من المؤلفات التاريخية وتستروا عليها لاعتبارات سياسية أو مذهبية أو خشية تعرضها للضياع ، فكان ذلك سبباً في عدم انتشار تلك المؤلفات وتعرضها للضياع أو التلف بفعل عامل الزمن ، أو انتقال ملكيتها بالوراثة إلى من لا يعرف قيمتها. وهكذا فإن هذه الأسباب وغيرها تجعل البحث في تاريخ اليمن أمراً غير ميسور.

وإذا كان ذلك الحال بالنسبة لتاريخ اليمن عامة ، فان الأمر يصبح أكثر صعوبة بالنسبة لتاريخ الأيوبيين في اليمن ، وذلك عائد إلى أن مؤرخي الزيدية وبعض الطوائف الأخرى ، نظروا إلى الأيوبيين كغزاة ، ولهذا أهملوا ذكرهم ، واهتموا خاصة بتدوين سير الأئمة ، وجعلوا منها ملاحم لتصوير بطولاتهم وإبراز مكانتهم وكراماتهم بطريقة تختلط فيها الحقيقة التاريخية بالخيال الأسطوري وكذلك فعل بعض مؤرخي السنة وألصقوا ذلك حتى عند حديثهم عن العلماء والفقهاء.

ومما زاد في صعوبة البحث أن بعض مصادر تاريخ اليمن لا تزال مخطوطة وحبيسة المكتبات الخاصة والعامة ولم تر النور بعد ، ولكن من حسن الحظ أن هناك عدداً لا بأس به من مصادر البحث مطبوعة ، وقد كانت هذه المصادر في عداد المخطوطات إلى وقت قريب ثم حققت ونشرت فاستفدت منها فائدة كبيرة ، لأنها مصادر أصيلة في موضوع البحث.

والخلاصة أن هذه الدراسة أسهمت في إلقاء الضوء على الحياة السياسية وعلى مظاهر الحضارة في العصر الأيوبي باليمن، وهي بهذا تعطي فكرة واضحة عن الاستمرارية والحيوية لهذا الشعب اليمني العريق.

من جانب آخر فقد قسمت موضوع الرسالة إلى مقدمة، وخمسة فصول، وخاتمة.

الفصل الأول: ويشتمل على تعريف باليمن وتقسيماتها ، مع نبذه عن اليمن منذ دخول الإسلام اليها حتى قبيل الوجود الأيوبي ثم تحدثت عن الدويلات التى كانت ثم قضى عليها الأيوبيون أثناء دخولهم اليمن.

الفصل الثاني : خصصته لبسط النفوذ الأيوبي على اليمن ويتناول : دراسة أقوال المؤرخين حول أسباب ودوافع حملة توران شاه على اليمن وما هو هدف صلاح الدين من الاستيلاء على اليمن.

الفصل الثالث: وقد تناولت فيه تفاصيل الإعداد لحملة توران شاه وخط سيرها من مصر إلى اليمن وما قامت به من أعمال حربية في اليمن ، ثم تحدثت عن عوامل نجاح حملة توران شاه ، وما حققته من نتائج حتى مغادرة توران شاه اليمن سنة٥٧١هـ/١١٧٦م. ثم تتبعت أعمال نواب توران شاه في اليمن ، وكذلك حملة الملك طغتكين بن أيوب سنة٥٧٩هـ/ ١١٨٣م وما قام به من اجل توحيد اليمن ، وتوطيد نفوذ الأيوبيين فيها، وكذلك حروبه مع الزيدية . كما تناولت فيه فترة حكم الملك المعز اسماعيل بن طغتكين والانشقاقات التي حدثت في عهده من قبل قادة الجند بل ذهابهم إلى الإمام عبد الله بن حمزة ، ثم مقتله على يد جنده ، ثم تولية الملك الناصر وما شهده الوجود الأيوبي في اليمن من الضعف بسبب الصراع بين القوى الأيوبية ثم مقتل الملك الناصر ، ثم حملة الملك المسعود إلى اليمن ومحاولتها إعادة الاستقرار إلى اليمن ، ثم استعرضت فيه عوامل ضعف الدولة الأيوبية في اليمن وانتقال الحكم من الأيوبيين إلى بني رسول.

الفصل الرابع: تناولت فيه اختيار العاصمة ، كما استعرضت في هذا الفصل السياسة الإدارية في اليمن من حيث إدارة المناطق أو المدن ، وتقسيماتها الإدارية ، وتحديد الولاة وصلاحيتهم ومعاونيهم ، ومراقبتهم ومتابعتهم ، وكذلك أسباب عزلهم ، بالإضافة إلى القضاء وما كان يتمتع به القضاء من المكانة عند ملوك بني أيوب ، وكذلك موقف ملوك بني أيوب من كل ذلك ، بالإضافة إلى الجوانب الإدارية لميناء عدن وكذلك الصادرات والواردات ، إلى جانب العملة الأيوبية في اليمن.

الفصل الخامس: تناولت فيه الجوانب الحضارية واهتمام الأيوبيين بها، والمتمثل في بناء الأسوار والقصور والمدن والمساجد والمدارس.

دراسة في مصادر البحث:

اعتمدت في إنجاز هذا البحث على العديد من المصادر والمراجع العربية وكتب التراجم والرحلات.

كما أنه من الصعب نقد المصادر والمراجع التى اعتمدت في البحث لذلك فقد اقتصر الأمر على نقد بعض النماذج لأنهاأكثر دقة وتقويماً للأحداث ولا سيما ما يسمى الموسوعات التاريخية.

ولكي نتعرف على قيمة المصادر في الرسالة لابد من تقسيمها إلى قسمين رئيسين: مصادر يمنية، ومصادر شامية جزرية مصرية.

ابن الأثير: (ت. ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م)

عز الدين أبو الحسن ولد في جزيرة ابن عمر سنة ٥٥٥هـ/ ١١٦٠م وتوفي بالموصل.اعتمد ابن الأثير في كتابه **(الكامل في التاريخ)** أسلوباسلسا بسيطاً ،

واتبع طريقة الحوليات وحاول ذكر اغلب الأحداث، وغالباً ما ابتعد عن نقد الخبر وتحليله ، ولكن ذلك لا يمنع كونه من أهم المصادر ، وقد استفدت منه في الفصلين الثاني والثالث.

ابن شداد (ت:٦٣٢هـ/ ١٢٣٥م)

بهاء الدين أبو المحاسن يوسف بن رافع بن تميم، شهر بابن شداد نسبة إلى أخواله ولد في الموصل سنة ٥٣٩هـ/ ١١٤٤٥م يعد أحد أبرز أعلام مدينة الموصل، وتوفي في حلب، ونكتفي بالإشارة إلىأن مورخاً معاصراً مثل ابن شداد لم يذكر في كتابه **(سيرة صلاح الدين)** سوى إشارات سريعة عن أسباب حملة توران شاه على اليمن.ومع ذلك استفدت منه في الفصل الثاني.

ابو شامة (ت:٦٦٥هـ/١٢٦٧م)

عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم بن عثمان المقدسي ولد في دمشق سنة ٥٩٩هـ/١٢٠٢م ومات. وتأتي أهمية كتاب(**الروضتين في أخبار الدولتين)** لأبي شامة لاشتماله على عدد غير قليل من المكاتبات الرسمية التي جاءت في ثنايا الكتاب على شكل رسائل من صلاح الدين الأيوبي إلى الخليفة العباسي في بغداد ، أو إلى أعوانه وأمرائه في أنحاء الدولة ، ونقلها أبو شامة من مصادر موثوقة معاصرة له . ومن هذه الوثائق الكتاب لذي أرسله صلاح الدين الأيوبي إلى الخليفة العباسي يعدد فيه فتوحاته وأعماله ومن بينها فتح اليمن ، وقد شرح في هذا الكتاب أهدافه وطموحاته، وقد استفدت منه في الفصل الثاني والفصل الثالث.

ابن واصل الحموي(ت:٦٩٧هـ/ ١٢٩٨م)

جمال الدين أبو عبد الله محمد بن سالم بن واصل ولد في حماة سنة ٦٠٤هـ/١٢٠٨م وتوفي فيها. وقد انتهج ابن واصل في كتابه **(مفرج الكروب في أخبار بنى أيوب)** طريقه عرض الإخبار بحسب تسلسلها الزمني ، وقد نقل عن عدد من المؤرخين الذين سبقوه أو عاصروه مثل ابن شداد أو العماد الأصفهاني ، وغيرهما. وقد استفدت من أجزائه الثلاثة في الفصول الثاني والثالث والرابع.

وعلى الرغم من كثرة هذه المصادر وأهمية المعلومات التي وردت فيها لكونها لمؤرخين معاصرين للدولة الأيوبية أو متأخرين عنها ، إلا أن الحقائق التي وردت فيها لا تكاد تشفي غلة الباحث في هذا الموضوع ، لأن هؤلاء المؤرخين قد تركزت كتابتهم على تاريخ الدولة الأيوبية في مصر والشام ، وعلى الأحداث المتعلقة بالصراع بين الأيوبيين والصليبيين ، ولم تحظ أخبار اليمن في العصر الأيوبي إلا بالنزر اليسير من كتابتهم ، لا يتعدى ذكر قيام الحملات والإمدادات الأيوبية من مصر إلى اليمن أو من الشام إلى اليمن ، دون تتبع أخبارها بعد إرسالها إلى اليمن ، وإن كانت هناك بعض الإشارات في بعض هذه الكتب عن الأيوبيين في اليمن فهي قليلة والمعلومات فيها مشوشة ، ولعل السبب في ذلك يرجع إلى بعد اليمن عن مسرح الأحداث في مصر والشام.

أبو الفداء(ت:٧٣٢هـ/١٣٣١م)(المختصر في أخبار البشر).

عماد الدين اسماعيل بن علي بن محمود بن محمد بن أيوب ، ولد في دمشق سنة ٦٧٢هـ/١٢٧٣م ونشا في حماة وتدرج في المناصب السياسية والعسكرية حتى وصل إلى سلطنه حماة وملكها سنة ٧١٢هـ/١٣١٢م ، وظل في منصبه حتى وفاته . كتابه المختصر اختصر فيه بشكل اساسى ما ألفه ابن الأثير في كتابه الكامل في التاريخ ثم واصل إخباره حتى عصره واكتفى بالسرد ونهج طريق الحوليات في تدوين كتابه ، وابتعد عن التحليل ، وقد استفدت منه في الفصل الثاني .

ابن كثير (٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م)

هو إسماعيل بن عمر بن كثير ، صاحب كتاب: (**البداية والنهاية**) وهو من كتب الحوليات المهمة بالنسبة للبحث في الدراسات الأيوبية ، وذلك لما يحويه من معلومات قيمة عن الأحداث التاريخية المختلفة فضلا عن تراجم الوفيات التي أوردها في نهاية كل سنة ، والمؤلف ـ ابن كثيرـ استمد معلوماته من مؤرخين سبقوه مثل أبي شامة.وقد استفدت منه في فصول الرسالة كلها.

القلقشندي(ت:٨١٢هـ/١٤١٨م)

من المعروف أن تقي الدين بن أحمد القلقشندى هو صاحب مؤلف مؤسوعى اسمه (**صبح الأعشى في صناعة الإنشاء**) وهو من خمسة عشرجزءاً وقد ألفه على أساس التعريف بالمصطلحات ، وقد استفدت منه في الفصل الثالث وخاصة فيما يتعلق بالوظائف الإدارية ومصطلحاتها.

المقريزي (ت:٨٤٥هـ/١٤٤١م)

ولد في القاهرة سنة ٧٦٦هـ/ ١٣٦٥م وتوفي فيها.التحق بعدد من الوظائف وقام بزيارة عدد من المدن، ومن المعروف أن المقريزي لم يكن معاصراً للفترة الأيوبية ، بل عاش في الدولة المملوكية ، وكانت كتابته عنهم في بعض الأحيان موجزة وقصيرة وخاصة ما يخص اليمن ، ولقد استفدت من كتابه (**السلوك لمعرفة دول الملوك**) في الفصلين الثاني والثالث كذلك استفدت من كتابه (**والخطط المقريزية**) ، وهو يتعرض في كتابيه إلى الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية وقد استفدت منه في بعض التعريفات في الفصل الثالث وفيه معلومات مهمة عن الفترة الأيوبية في اليمن وقد أفادني في كثير من جوانب الرسالة.

ابن تغرى بردي (ت:٨٧٤ هـ/١٤٦٩م)

جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي في كتابه:« **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة** » ويعد من أكبر الموسوعات التاريخية والأدبية، أرخ فيه لمصر من الفتح الإسلامي لها سنة٢٠ه ٦٤١م إلى سنة ٨٧٢ه/١٤٦٧م. وقد أفدت منهقليلاً في فصول الرسالة وخاصة الفصل الثاني ،ونلاحظ أن كتابته على طريقة الحوليات.

أما بالنسبة للمصادر اليمنية ، فنقصد بها تلك المؤلفات التى كتبها مؤرخون يمنيون وخصصوها لتاريخ اليمن ، هي تعد تاريخ محلي وهى كثيرة ومتنوعة، ومنها.

عمارة اليمني: (ت:٥٦٩هـ / ١١٧٤م)(تاريخ اليمن)

نجم الدين عمارة بن علي بن زيدان اليمني ، ويعدكتاب عمارة مصدراًرئيسياً للنواحي السياسية والإدارية لدويلات اليمن وأهمها آل نجاح الزريعيين وآل مهدي وغيرهم لذلك يعتبر من أهم المصادر في تاريخ اليمن ، نقل عنه العديد من المؤرخين، وقد استفدت منه ولاسيما في الفصل الأول.

ابن سمرة : (ت:٥٨٦هـ /١١٩٠م)(طبقات فقهاء اليمن)

أبو حفص عمر بن علي بن سمرة الجعدي الجندي، وقد تولى القضاء في أكثر من مدينة في عصر الدولة الأيوبية. ويعد كتابه من التراجم المفيدة في الرسالة وقد تضمن الكلام على أشهر قضاة وفقهاء اليمن منذ دخولها في الإسلام وتحدث عن أخبارهم وأهم الأحداث في عهدهم معتمداً في ذلك على كتب الحديث والفقه والتاريخ كما تحدث عن الفترة التي عاصرها مع الأيوبيين، فهو قد عاصر حكم الزريعيين وآل مهدي ، وقد استفدت منه في الفصل الرابع وخاصة ما يتصل بالقضاء.

ابن المجاور : (ت: ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م) (تاريخ المستبصر)

ويسمى **(صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز)** . وهو للرحالة محمد ابن مسعود بن علي بن أحمد البغدادي النيسابوري المعروف بابن المجاور(ت٦٢٦هـ/١٢٢٩م) وهو رحالة فارسي زار اليمن أثناء رحلته في بلاد العرب في الربع الأول من القرن السابع الهجري ، وكتابه عبارة عن وصف بلاد اليمن وحضرموت وعمان ومدن الحجاز ، وتتمثل قيمة الكتاب وأهميته بالنسبة لموضوع البحث أنه معاصر للحكم الأيوبي في اليمن (٥٦٩-٦٢٦هـ/١١٧٤-١٢٢٩م) .

والمعلومات التي يتضمنها الكتاب عن الحياة في المدن اليمنية ، تعد وصفاً حياً للحياة في هذه المدن من جميع النواحي بما فيها الاقتصادية ، حيث إن المؤلف اعتمد في وصفه للحياة في هذه المدن على المشاهدة بنفسه أثناء تجواله في البلاد ، وعلى أقوال المخبرين الثقات عن المدن والجهات التي لم يتيسر له الوصول إليها بنفسه.

كما يجد الباحث فيه الكثير من المعلومات القيمة فقد أفاض في الحديث عن الحركة التجارية في عدن والمكوس المفروضة على بعض السلع الصادرة والواردة ، وعدد بعض السلع المستوردة والمعفاة من الضرائب ، وعلاوة على حديثه عن

الصادرات والواردات ، فقد تناول المعاملات التجارية الأخرى من نقد ومقاييس وموازين ومكاييل.

وقد خصص ابن المجاور ما يزيد على ثلث الكتاب لوصف مدينة عدن كبرى المراكز التجارية في شبه الجزيرة العربية في ذلك الوقت، فأجاد في ذلك كل الإجادة، وزودنا بمعلومات حية عن هذا المركز التجاري المهم.

ابن حاتم : (ت:٧٠٢هـ / ١٣٠٢م)

كتاب **(السمط الغالي الثمن في أخبار الملوك من الغز باليمن)** للأمير بدر الدين محمد بن حاتم بن عمران بن علي بن حاتم بن أحمد بن الفضل اليامي الهمداني حفيد السلطان علي بن حاتم وحفيد السلطان حاتم بن أحمد ، وهو من سلاطين بني حاتم الذين كانوا يحكمون صنعاء قبل قدوم الأيوبيين إلى اليمن . وترجع أهمية هذا الكتاب بالنسبة لموضوع البحث أنه يعد من أقدم المصادر اليمنية التي تناولت تاريخ الأيوبيين في اليمن.

وتغطى مادة الكتاب العلمية أخبار الأيوبيين في اليمن منذ دخولهم اليمن سنة ٥٦٩هـ/١١٧٤م إلى نهاية حكمهم سنة ٦٢٦هـ/١٢٢٩م ، وقد استقى ابن حاتم معلوماته من الثقات وأورد في كتابه ما أمكنه الحصول عليه من أخبار الأيوبيين في اليمن، معتمداً على ما أمده به الرواة ، وكثيرا ما كان يناقش الروايات المتعارضة ويرجح إحداها على الأخرى أو يوفق بينها ، وكان في بعض الأحيان يمسك عن الترجيح أو التوفيق بين الروايات تاركاً الأمر للقارىء، أما الروايات التي يثق في صحتها ، فكان يأتي بها بعد أن يسبقها بقوله (أخبرني من أثق به)أو حدثني من أثق به). وقد نقل عن ابن حاتم كثير من المؤرخين الذين جاؤا بعده ، ومنهم الجندي وابن عبد المجيد وابن الديبع ويحيى بن الحسين والخزرجي وبامخرمة وغيره.

وقد أفدت مما زخر به الكتاب من معلومات جمة ومادة كثيرة عن الحكم الأيوبي في اليمن ، فقد تناول فيه المؤلف بالتفصيل سيرة الحكام الأيوبيين في اليمن وأعمالهم والحوادث التي وقعت في عصرهم ، وبذلك يكون قد غطى معظم جوانب

الرسالة ، وهو المصدر الأصلي الأول الذي اعتمدت عليه ، وتناول ابن حاتم بالتفصيل الإقطاع الأيوبي ، وبين مدى قوة الأمراء الإقطاعيين ونفوذهم في الدولة ، وابرز الكثير من جوانب الصراع بين الأمراء في الدولة الأيوبية في اليمن ـ من العنصرين الكردي والتركي ـ على السلطة والنفوذ بعد وفاة الملك المعز إسماعيل بن طغتكين سنة ٥٩٨هـ/١٢٠٢م.

الجندي: (ت:٧٣٢هـ/١٣٢٢م)(السلوك في طبقات العلماء والملوك)

بهاء الدين محمد بن يوسف بن يعقوب الجندي ولد في مدينة زبيد ، ثم انتقل إلى مدينة الجند وقضى بقية حياته هناك ، وتولى عدداً من المناصب التي شغلها ، حيث كان ملوك بني رسول وقضاتهم يضعون ثقتهم به لما اشتمل عليه من التقوى الصادقة والأمانة المتفوقة والاستقامة الحقة ، فقد تولى التدريس بمدارس عدن وزبيد وتعز وبلده الجند ، كما تولى وظيفة الحسبة ، والقضاء . واسم الكتاب يدل عليه فهو تاريخ عام لعلماء اليمن وملوكها بدأه من ظهور الإسلام إلى زمن المؤلف ورتبه على الطبقات.

ويعد كتاب السلوك في طبقات العلماء والملوك ، من أهم كتب التواريخ اليمنية فقد تناول فيه المؤلف تراجم لأكثر علماء الشافعية ، وبعض فقهاء الزيدية ، وهو مصدر موثوق فيما يشتمل عليه من معلومات نظراً لأمانة صاحبه وتحريه في النقل ، فقد كان يزور بيوت العلماء في أنحاء اليمن ويسأل عمن مات منهم ، ويطلع على كتبهم ومؤلفاتهم بنفسه ولا يعتمد على المخبرين إلا قليلاً ، ويمتاز الكتاب باهتمامه بضبط الأعلام والأماكن والبلدان ، وقد اعتمد على هذا الكتاب ونقل منه بعض المؤرخين اليمنيين الذين جاؤا بعده ومنهم بامخرمة في كتابه (تأريخ ثغر عدن) وكتابه (قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر) وكذلك الأهدل في كتابه(تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن) وأحياناً كانوا يشيرون إليه وأحياناً اخرى كانوا ينقلون عنه دون إشارة.

وقد أمدني هذا الكتاب بمعلومات مفيدة عن كثير من علماء اليمن وأدبائها وشعرائها في هذه الفترة وأشهر مؤلفاتهم في جميع الفنون، وتناول في حديثه عن العلماء الحركة الثقافية في بلاد اليمن في عصر الأيوبيين ومراكز العلم المشهورة فيها آنذاك.

الوصابي : (ت ٧٨٢هـ/١٣٧٠م) (تاريخ وصاب)

(المسمى الاعتبار في ذكر التواريخ والأخبار) لمؤلفه وجيه الدين عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن عمر الوصابي الحبشي . وترجع أهميته إلى أنه قد تناول بالتفصيل منطقة وصاب في اليمن أخبار أمراء بنى رسول الذين تولوا الإمارة في هذه المنطقة لمدة طويلة ، ونشأتهم فيها وبداية ظهورهم على مسرح الأحداث في اليمن ، وكشف أطماعهم وتطلعهم إلى ملك اليمن في هذه الفترة المبكرة.

الخزرجى :(ت:٨١٢هـ / ١٤٠٩م) (العسجد المسبوك فيمن ولى اليمن من الملوك) لأبى الحسن علي بن الحسن بن أبى بكر بن الحسن الخزرجى وهو من المصادر المهمة في الرسالة وكتاب (**العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية**).فقد تناول الخزرجى في الكتاب الأول تاريخ اليمن العام منذ ظهور الإسلام إلى وقته ورتبه بحسب السنوات ، وقد فصل الخزرجى في هذا الكتاب جهود الأيوبيين في سبيل توحيد اليمن ، ولاسيما في عهد الملك الأيوبي طغتكين ابن أيوب (٥٧٩ـ٥٩٣هـ/١١٨٣ـ١١٩٧م) وصراعه مع القوى اليمنية المختلفة و في مقدمتها سلاطين بنى حاتم ، وبين كيف أن هذه الجهود قد انتهت بوحدة اليمن واستقرار الأحوال فيها في الفترة الأخيرة من حكم الملك طغتكين بن أيوب.

ولم يخل كتاب (**العسجد المسبوك فيمن ولي اليمن من الملوك**) من بعض الإشارات الحضارية في هذه الفترة المتمثلة في بعض المنشآت العمرانية للأيوبيين ، مثل إشارته إلى بناء المدارس في اليمن في عهد الملك المعز إسماعيل ابن طغتكين (٥٩٣ـ٥٩٨هـ/١١٩٧ـ١٢٠٢م) وعهد الأمير سيف الدين سنقر بن عبد الله وزير الملك الناصر أيوب بن طغتكين(٥٩٨ـ٦١١هـ/١٢٠٢ـ١٢١٤م) ومثل حديثه عن

بناء الملك طغتكين بن أيوب لمدينة المنصورة شمال مدينة الجند على أميال منها ، لتكون بمنزلة مدينة عسكرية ومركز لجنوده ، علاوة على اهتمام الأيوبيين ببناء المساجد وترميم القديم منها. حيث تم الاستفادة منه في الفصل الثالث، والفصل الخامس

أما كتاب (**العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية**) فقد خصصه لتاريخ الدولة الرسولية في اليمن ، وقدم لنا في بداية الكتاب معلومات غزيرة عن أصول الرسولين ونسبهم ونشأتهم في مصر ، ثم قدومهم إلى اليمن ومشاركتهم في قيام الدولة الأيوبية فيها ثم تحدث عن المناصب التي تولوها في اليمن في عهد الأيوبيين وكيف تطورت الأمور ، حتى آل الحكم في اليمن إلى واحد منهم هو الأمير نور الدين عمر بن علي بن رسول.وقد استفدت منه في الفصل الثالث ، عن انتقال الحكم من الأيوبيين إلى الرسوليين.

ـ الأهدل : (ت. ٨٥٥هـ/ ١٤٥١م)

بدرالدين أبي عبد الله الحسين بن عبد الله الحسين بن عبد الرحمن بن محمد الأهدل وكتابه اسمه(**تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن**)، وقد اعتمد في تأليفه على منوال الجندي ، بل يعد مختصراً له. ثم أضاف اليه ترجمة العلماء منذ وفاة الجندي إلى عصره ، وقد استفدت منه في بعض الفصول وخاصة الفصلين الرابع والخامس.

ابن الديبع : (ت:٩٤٤هـ /١٥٣٧م) (قرة العيون بأخبار اليمن الميمون)

عبد الرحمن بن علي بن محمد بن عمر بن علي بن يوسف بن أحمد بن عمر الشيباني المعروف بالديبع. ولد في زبيد سنة ٨٦٦هـ/١٤٦٢م) وحفظ القر آن ، ودرس في زبيد ومكة ، واشتغل في علم الحساب والجبر والمقابلة والهندسة ، وغيرها من العلوم ، وصنف في التاريخ الكتاب السابق الذكر ، وكتاب آخر هو

(بغية المستفيد بأخبار مدينة زبيد والفضل المزيد) وكان السلطان عامر بن عبد الوهاب قد عظمه وولاه التدريس، وكان له شهرة على مستوى اليمن، وتوفي بزبيد. وكتابه (بغية المستفيد بأخبار مدينة زبيد) هو عبارة عن تاريخ عام لمدينة زبيد ، وكتابه (قرة العيون في أخبار اليمن الميمون) وهو عبارة عن تاريخ عام لليمن منذ فجر الإسلام حتى عصره . والكتابان أفادا البحث في النواحي السياسية والإدارية وبعض الإشارات عن النواحي العسكرية والمالية والحضارية، حيث استفدت منهما في هذا الجانب في الفصول الثالث،و الرابع والخامس.

بامخرمة : (ت:٩٤٧هـ /١٥٤٠م) (تاريخ ثغر عدن)

أبو محمد الطيب بن عبد الله بن أحمد بن علي بن مخرمة ، ويعد كتابه من الكتب المهمة وهو عبارة عن تراجم لكثير من العلماء والساسة الذين دخلوا عدن ، بالإضافة إلى كتابه**(قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر)** الذي يعد من كتب التراجم وقد ترجم فيه لعلماء وسياسيين من أهل اليمن وغير اليمن ،وقد استفدت من الكتابين في الحياة السياسية والحضارية ، في الفصلين الثالث والرابع .

يحيى بن الحسين(ت ١١٠٠هـ/١٦٨٩م)(غاية الأماني في أخبار القطر اليماني)

للمؤرخ اليمني يحيى بن الحسين بن القاسم بن محمد بن علي وهو من المصادر المهمة التي استفدت منها في الرسالة وأهمية هذا الكتاب ترجع إلى أنه لمؤلف زيدي ، فهو يمثل وجهة نظر الزيدية فيما يتعلق بالصراع بين الأيوبيين والزيدية في اليمن ، وقد أفاض في ذلك كثيراً ، وأبرز في هذا الكتاب مدى ما وصل إليه النفوذ الأيوبي في اليمن من الضعف في بعض الفترات ، مثل الفترة التي أعقبت وفاة الملك الناصر أيوب بن طغتكين سنة ٦١١هـ/١٢١٤م إلى قدوم الملك المسعود يوسف بن الكامل إلى اليمن سنة ٦١٢هـ/١٢١٥م. وقد استفدت منه ولاسيما في الفصل الثالث.

كما استفاد البحث من الكتب الجغرافية مثل المسالك والممالك لكل من بن خردانبة والاصطخري، وأحسن التقاسيم للمقدسي، فقد أوردت هذه الكتب الجغرافية معلومات مهمة عن النواحي الاقتصادية في اليمن ، وبعض الصناعات والسلع المستوردة والمصدرة. كما استفاد البحث من كتب الرحالة مثل كتاب رحلة ابن جبير، الذي تحدث عن كيفية انتقال التجارة عبر البحار وصعوبتها وعلاقات البلدان التجارية باليمن.

هذا إلى جانب الكثير من المراجع والمصادر المذكورة في قائمة المراجع.
وبذلك أمل أن أكون وفقت في إعطاء صورة واضحة عن الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في اليمن.

مقدمة في جغرافية اليمن

من الضروري ـ قبل الشروع في فصول الرسالة ـ أن نلم بمقدمة جغرافية عن اليمن للوقوف على طبيعة بلاد اليمن ومدى تأثيرها في الأحوال السياسية والحياة العامة.

اليمن : اختلف النسابة والجغرافيون والمؤرخون في سبب تسمية اليمن بهذا الاسم.

فقيل : سمي اليمن يمناً لوقوعه يمين الكعبة أو ليمنه وبركته وخصبه أو سمي بأيمن بن الهميسع بن حمير ، وسماه قدماء الحميريين (اليمن الخضراء) لاخضرار جبالها وكثرة أشجارها وثمارها وفواكهها وزروعها.

وأسماها الرومان واليونان Arabia Felix (أي العربية السعيدة) لخصوبة أرضه واختلاف مناخه عن مناخ الجزيرة العربية، وفي التوراة (الأرض الغنية) واسماه قدماء المصريين (الأرض المقدسة) كما كان يقال لها : اليمن مهد الحضارة القديمة ، وأسماها بعض المستشرقين : بلاد الغرائب وبلاد القصور ، كما سماها الإخباريون مثل استرابون : بلاد الطيب([1]).

موقعه وحدوده

تقع اليمن في الجنوب الغربي من جزيرة العرب وحدوده الطبيعية باختصار : شمالا أعراض نجد والعروض: بيشة ويبرين منعطفاً نحو الشمال الغربي ، وأم جحدم في بطن تهامة ، وغرباً البحر الأحمر ، وجنوباً خليج عدن والبحر العربي ، وشرقاً رمال وبار والخليج العربي([2]).

أقسام اليمن الطبيعية

وقد أختلف في تقسيم اليمن في الفترة التي نحن بصدد دراستها، فالبعض يقول تنقسم إلى ثلاثة أقسام رئيسية وهي:

---

[1]) الأكوع : محمد بن علي الأكوع : اليمن الخضراء مهد الحضارة ، إصدارات وزارة الثقافة والسياحة ، صنعاء ، ط١، سنة ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م ، ص ٣١.

[2]) الأكوع : اليمن الخضراء : ص ٣٢.

تهامة في الغرب والمنطقة الجبلية الوسطى والهضبة الشرقية . ويشتمل كل قسم منهاعدداً من المخاليف.

والبعض الأخر قسمها إلى أربعة أقسام هي:

السهل الساحلي (تهامة) والمرتفعات الغربية (السراة) والهضبة الشرقية (نجد اليمن) والسهل الساحلي الجنوبي والمرتفعات الجنوبية.

١ـ السهل الساحلي الغربي (تهامة):

فتهامة اليمن ، هي السهل الساحلى الممتد بمحاذاة البحر الأحمر ابتدأ من السرينشمالاً إلىنهاية البحر الأحمر جنوباً ، ومنها بمحاذاة خليج عدن والمحيط الهندي(البحر العربي) في الجنوب. ويختلف هذا السهل اختلافاً بيناً في أماكن متعددة ، فيتراوح عرضه في المنطقة المطلة على البحر الأحمر مابين ستين وسبعين كيلو متر([١]).

وتشكل تهامة ثلاث مناطق رئيسية إحداها: المنطقة الجنوبية وقصبتها (عدن) ومن مخاليفها لحج ومخلاف أبين ، ومخلاف أحور بالإضافة إلى بيحان

المنطقة الثانية : وهي التيتمتد من باب المندب جنوباً إلىحرض شمالاً ومركزها (الحديدة).

المنطقة الثالثة : المخلاف السليماني المسمى قديماً مخلاف حكم بن سعد العشيرة ، وهو من تعشر المتاخم لوادي حرض إلى نهاية حدود اليمن الطبيعية ، ومركز هذا المخلاف اليوم (مدينة جازان) جيزان ، وكان في القديم مدينة (عثر)([٢]).

٢ـ الهضبة الشرقية: (نجد اليمن)

وهي منطقة منبسطة موازية لتهامة وسلسلة الجبال وتقع في شرق اليمن ، وتمتد إلى حدود صحراء الربع الخالي شرقاً، ومن حدود الأحقاف جنوباً إلى نجران شمالاً ، وهى أيضا سراة إلا أن هذه يتدرج الارتفاعشيئاً فشيئاً ، فيميل إلى

---

١) الأكوع : اليمن الخضراء : ص ٣٦،

٢) الأكوع : اليمن الخضراء : ص ٣٧،٣٨.

آكاموربوات ، وتنحدر رويداً رويداً نحو الشرق حتى تضيع بين فلاة اليمن : الربع الخالي.

كما أنه يفرق بينها وبين الهضبة الغربية فارق طبيعي يدركه المرء عندما ينتقل من النجد إلى السروات أو العكس ، فيحس باختلاف ملموس من الجفاف الذي هو طبيعة نجد اليمن إلى الرطوبة التي هي طبيعة السروات ، ومن الخشونة إلى اللين ، ومن الجدب إلى الخصب ، ومن مروج داكنة إلى يبوسة قاحلة ، ومن كثرة الحشائش إلى صخور جرداء([١]).

٣- السهل الساحلي الجنوبي والمرتفعات الجنوبية:

نقصد بالسهل الساحلي الجنوبي الأراضي السهلية المطلة على خليج عدن والبحر العربي ، ويبدأ من باب المندب غرباً إلىظفار شرقاً ، ويحده من الشمال المرتفعات الجنوبية الساحليةغرباً وهضبة حضرموت شرقاً ، وهذا السهل يضيق أحياناً حتى تصل المرتفعات إلى البحر ويتسع حتى يصل في بعض المناطق إلى ستين كيلو متراً .

ويتكون هذا السهل الجنوبي من الحصى والرمال والصخور الناتئة، وأمطاره قليلة ، وتقوم الزراعة فيه على مصبات الوديان القادمة من المرتفعات الواقعة في الشمال.

والمرتفعات الجنوبية فهي تكون جزاء من المرتفعات الغربية في اليمن(والتي سنتحدث عنها والمعروفة باسم السرات).وتميزت المرتفعات الجنوبية الساحلية بوعورة تضاريسها نتيجة لما أصابها من انكسارات عديدة ، وان وعورة التضاريس تأخذ في القلة من الغرب إلى الشرق ، كما يقل عرض هذه المرتفعات وارتفاعها من الغرب إلى الشرق أيضاً.

---

١) الأكوع : اليمن الخضراء : ص ٣٥،٣٤.

وطول هذه الهضبة تبتدئ من جنوب اليمن بالجبال المطلة على مخلاف لحج وتيه أبين ، وهى جبال حرير وجحاف وردفان والصهيب والحواشب ، وبلاد العوالق والعواذلي ، ويافع وسر مذحج : بلاد البيضاء(1).

٤ـ سلسة المرتفعات الغربية (السروات)

وهي المرتفعات المطلة على تهامة من جهة الشرق وهي كتلة جبلية ضخمة تسير بمحاذاة الساحل الشرقي للبحر الأحمر وراء تهامة.

وسلسلة المرتفعات الغربية (السروات) تنحدر بشدة وبشكل مفاجيء نحو السهل الساحلى (تهامة) وتتكون في بعض جهات هذه المرتفعات المطلة على تهامة حافات شديدة الانحدار ، حيث توجد الصخور الجيرية.

وتفصل هذه المرتفعات بعضها عن بعض بواسطة الأودية التى حفرت لها مجاري عميقة قطعتها إلى أجزاء عدة ، وتمتاز هذه الأودية بخصوبتها ووفرة أنتاجها الزراعي ، ومياه هذه الأودية تنحدر إلى سهل تهامة الساحلى.

وتعد هذه المرتفعات الغربية من أهم مناطق زراعة البن والموز والفواكه الحمضية ، وتمتاز باعتدال هوائها وجمال مناظرها من جبال زرق تتدرج فيها المزارع من القمة إلى السفح ، وتطرزها القرى المتناثرة ، وتتخللها جداول المياه.

ويربط بين هذه الجبالسلسلة من القفار هي عبارة عن أراضٍ منبسطة تصلح للزراعة عندما تتوافر لها كمية المياه اللازمة للزراعة ، وتسمى حقول (جمع حقل) وقيعان (جمع قاع) مثل قاع الحقل في كتاب ، ويسمى صعيد ويسمى سهل أيضاً.

ويعد جبل حضور (جبل النبي شعيب) الواقع غرب صنعاء أعلى جبال المرتفعات الغربية وأكثرهاارتفاعاً حيث يبلغ ارتفاعه (٧٦٠٠) قدم عن سطح البحر وهو أعلى جبل في اليمن بل في شبه الجزيرة العربية قاطبة(2). ويمكن اعتباره حداً للمرتفعات الغربية من جهة الشرق، ليكون فاصلاً بينها وبين الهضبة

---

١) الأكوع : اليمن الخضراء : ص ٣٥.

٢) الأكوع : اليمن الخضراء : ص ٤٠.

الشرقية وهناك بعض القمم والجبال العلية في المرتفعات الغربية ، نذكر منها جبل صبر وارتفاعه (٢٥٠٠) متر وجبل ذخر (جبل حبشي) وارتفاعه (٢٠٠٠) متر وهما في محافظة تعز ، وجبل وحصن حب وارتفاعه(٣٥٠٠) متر وجبل ريمان وارتفاعه (٣٢٠٠) متر، وجبل التعكر (٣٠٠٠) متر وهي في محافظة إب ، وجبل الجبين وارتفاعه (٣٢٠٠) متر وهو في محافظة ريمة ، وجبل شبام وارتفاعه (٢٩٣٠) متر وهو في حراز ، وجبل نعمان وارتفاعه(٢٥٠٠) متر وهو في وصاب ، وهناك عدد كبير من الجبال ، ولكن نكتفي بما ذكرناه من تلك الجبال([١]).

ونظراً لكثرة المظاهر الطبيعية في هذه الجبال من الأودية والهضاب والقيعان والقمم العالية ، فقد قسمت إلى مناطق معزولة يصعب الوصول إليها وهذا مما ساعد على عزلة بلاد اليمن وكثرة الانقسامات فيها.

كما كانت هذه الكتل الجبلية الضخمة بمظاهرها المختلفة عقبة كؤودا في وجه المحاولات التى بذلتها الدول المختلفة التي حكمت اليمن ، من أجل توحيد هذه البلاد ، ولقد عانى الأيوبيون في اليمن كثيراً من صعوبة هذه الكتل الجبلية ، وصعوبة مسالكها في سبيل السيطرة على اليمن أولا ثم توحيدهاثانياً ، فقد كانت الجيوش الأيوبية لا تقوى على الحركة السريعة بقواتها الثقيلة بسبب هذه المرتفعات ، كما كانت تواجه مقاومة شديدة من الحصون المتناثرة على قمم الجبال الحصينة ، وكثيرا ما تستغرق القوات الأيوبية وقتاً طويلاً في حصار حصن من هذه الحصون المنيعة ، وضاع كثير من جهود الأيوبيين الحربية في اليمن من أجل السيطرة على هذه الحصون. كما سنلاحظ ذلك في الفصل الثالث أثناء محاولة الأيوبيين توحيد اليمن.

---

١) الأكوع : اليمن الخضراء : ص ٤٠.

دخلت اليمن في الإسلام منذ عصر الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأصبحت تابعة للعاصمة الإسلامية الجديدة في المدينة ، وأصبح ولاة اليمن يتم تعيينهم من المدينة ، فقد ولى الرسول صلى الله عليه وسلم عماله على اليمن (١).

وفي عصر الخلافة الراشدة بقيت اليمن تابعة للدولة الإسلامية وبقي العمال يتم تعيينهم من المدينة(٢) وكانت اليمن تتكون من ثلاثة مخاليف هم مخلاف الجند ومخلاف صنعاء ومخلاف حضرموت وكان كل مخلاف من المخاليف يتولى حكمه احد العمال(٣).

وفي عصر الدولة الأموية بقيت اليمن تابعة للخلافة الأموية بدمشق حيث كان يتم تعيين عمال اليمن من عاصمة الخلافة الأموية بدمشق(٤). ومنذ خلافة هشام ابن عبد الملك أصبح يتولى على اليمنوال واحد على مخالفيه الثلاثة(٥).

ولما انتقلت الخلافة إلى بنى العباس وأصبحت بغداد هي عاصمة الخلافة العباسية ظلت اليمن ولاية تابعة للخلافة العباسية في بغداد حيث كان يتم تعيين عمال اليمن من بغداد. وأصبحت اليمن والحجاز ولاية واحده حيث كان يعينوال على اليمن والحجاز(٦) وفي خلافة هارون الرشيد، ولى على اليمن محمد بن خالد ابن برمك حيث خرج عن طاعته أهل تهامة فشكاهم للرشيد ـ وهذا أول خروج لأهل تهامة على الحاكم العباسي(٧). وفي خلافة محمد الأمين ولى محمد بن زياد

---

١) ابن الديبع : عبد الرحمن بن علي بن الديبع الشيباني (ت٩٤٤هـ /١٥٣٧م) قرة العيون بإخبار اليمن الميمون ، تحقيق محمد الأكوع ، ط٢، بيروت ، سنة ١٤٠٩هـ /١٩٨٨م) ص: ٣٩،٤٠.

٢) الجندي : بها الدين محمد بن يوسف بن يعقوب الكندي (ت ٧٣٢هـ/ ١٣٢٢م) تحقيق محمد بن على الأكوع ، الناشر مكتبة الإرشاد صنعاء ، ط١، سنة ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م ، ج١، ص ١٦٥.١٦٧، ابن الديبع : قرة العيون : ص ٦٦.

٣) ابن الديبع : قرة العيون : ص ٥٧،٥٨.

٤) الجندي : السلوك : ج١، ص ١٧٤،١٧٥، بن الديبع : قرة العيون : ص ٧٢.٧٤.

٥) ابن الديبع : قرة العيون : ص ٨٤، الجندي : السلوك : ج١، ص ١٧٩.

٦) الجندي : السلوك : ج١، ص ١٨١، ابن الديبع : قرة العيون : ٩١.

٧) ابن الديبع : قرة العيون : ٩٦. ٩٩، الجندي : السلوك : ج١، ص ١٨٥. ١٨٧.

على الأعمال التهامية(1).وعلى يدية قامت دولة بنى زياد في تهامة واختط فيها مدينة زبيد وجعلها عاصمة لدولته(2)

انتشار الدعوة الإسماعيلية:

قامت الدعوة الإسماعيلية في اليمن سنة ٢٦٨هـ/ ٨٨١ م على يد منصور اليمن (أبو القاسم الحسن بن حوشب) وعلي بن الفضل الجدني ، فقد خرجا نهاية سنة ٢٦٧هـ/ ٨٨٠ م من الكوفة إلى القادسية ومنها إلى مكة ثم إلى اليمن(3) ثم افترقا بعد أن اتفقا على أن يتصل كل منهما بصاحبه ليتعرف أحواله ، فاتجه منصور اليمن إلى مدينة الجند وكانت غايته عدن لاعة (منطقة من أعمال حجة في جنوبها) فوصلها بصحبة بعض التجار، أما علي بن الفضل فقد تنقل إلى أن بلغ بلاد يافع الجبلية حيث استقربها(4).

وقد نهج الداعيان منهجاً واحداً في نشر دعوتهما في البلاد وأقبلا على العبادة ، وأظهرا التفقه في الدين والتضلع في المذاهب السنية ، وأظهرا الزهد والتقشف والصلاح ، فمال إليهما خلق كثير(5).

حيث أبدى الرجلان من التعاون والتنسيق ما جعلهما ينجحان في نشر الدعوة. وكانت سياستهما واحدة فاتخذ كل منهما حصناً لحفظ المال فيه والاحتماء به.

وقد كان لضعف الدولة العباسية وعجزها عن توجيه الجيوش إلى اليمن لبعدها ووعورة طرقها وطبيعة البلاد الجغرافية المعقدة ، وكذلك كان لضعف دولة بنى زياد في اليمن ، ومقتل محمد بن يعفر صاحب صنعاء ، واختلاف بنى يعفر من

---

١) الجندي أ السلوك : ج١، ص ١٨٨، ابن الديبع : قرة العيون : ص ١٠٢. ١١٠.

٢) ابن الديبع : قرة العيون : ص ٢٢٩.

٣) الجندي : السلوك : ج١، ص ١٠١،١٠٢، ابن الديبع : قرة العيون : ص ١٣٣.

٤) ابن الديبع : قرة العيون : ص ١٣٤، الجندي : السلوك : ج١، ص ٢٠٣. ٢٠٥.

٥) الجندي : السلوك : ج١، ص ٢٠٢، ابن الديبع : قرة العيون : ص ١٣٤،١٣٥.

بعده ، كل هذه الأمور هيأت الظروف لانتشار عقائد المذهب الإسماعيلي بين أهل اليمن([1]).

وقد اتخذ الداعيان من معقليهما قاعدة ينطلقان منها ويتوسعان على حساب المناطق المجاورة لهما ، فقد تمكن منصور اليمن من الاستيلاء على جبل مسور ، وقام بتحصينه وأعلن منه مذهبه . ثم قام بالاستيلاء على جميع مخاليف مغرب اليمن ، فجاءه الناس طوعاً وكرها([2]).

أما علي بن الفضل فقد هاجم المناطق المجاورة له ، ثم استولى سنة ٢٩٤هـ/ ٩٠٦ م على مدينة المذيخرة وجعلها دار ملكه ، وأظهر بها مذهبه ، ثم استولى على مخلاف جعفر ومخلاف الجند([3])، وكان قد استولى على صنعاء سنة ٢٩٣هـ/ ٩٠٥م من أسعد بن يعفر ، ولم يستقر أمره فيها نهائياً إلا سنة ٢٩٩هـ/ ٩١١م([4]) .

ولما اتسع ملك علي بن الفضل وقويت شوكته في اليمن دعا إلى نفسه وبقي مرتبط بفرع من الدعوة الاسماعيلية وتسبب هذا بذهاب المهدي إلى المغرب ومن ثم تأسيس الخلافة ، ثم تطور الأمر بين منصور اليمن وعلي بن الفضل حتى وصل الأمر إلى القتال سنة ٢٩٩هـ/ ٩١١م مما دفع منصور اليمن إلى الدخول في طاعة علي بن الفضل بعد أن حاصره علي بن الفضل([5]) ، وكان لهذا الصراع بين أطراف الدعوة أثره في ضعف تلك الدعوة وانقسامها وتفرق أتباعها ، خاصة بعد وفاة منصور اليمن سنة ٣٠٢هـ/ ٩١٤م ، ثم انتهاء تلك الحقبة بوفاة علي بن الفضل مسموماً سنة ٣٠٣هـ/٩١٥م([6]).

انتهز أعداء الدعوة تلك الأزمات ، فبادر أسعد بن يعفر بالخروج من صنعاء في رجب سنة ٣٠٣هـ/ كانون ثاني ٩١٦م فقام بالهجوم على حصون علي

١) ابن الديبع : قرة العيون : ص ١٢٠، الجندي : السلوك : ج١، ص ٢٠٠.
٢) الجندي : السلوك : ج١، ص ٢٠٤،٢٠٣، ابن الديبع : قرة العيون : ص ١٣٦.١٣٤.
٣) الجندي : السلوك : ج١، ص ٢٠٦،٢٠٥، ابن الديبع : قرة العيون : ص ١٣٩،١٣٨.
٤) ابن الديبع : قرة العيون : ص ١٤١، ١٤٢، الجندي : السلوك :ج١، ص ٢٠٧،٢٠٦.
٥) الجندي : السلوك : ج١، ص ٢٠٩، ابن الديبع : قرة العيون : ص ١٤٨.
٦) ابن الديبع : قرة العيون : ص ١٤٩،١٥٠، الجندي : السلوك : ج١، ص ٢١٢،٢١١.

بن الفضل فشتت شملهم وأخرجهم من حصونهم بغية التخلص منهم([1]) ، ثم تعرض الإسماعيلية للقتل من قبل عبد الله بن عباس الشاورى الذي ترك مذهب الإسماعيلية وتحول لمذهب أهل السنة([2]) ، حتى لجأ البعض منهم إلى التستر.

استمر إسماعيلية اليمن فترة القرن(٤هـ/١٠م) على حال من التمزق إلى أن تولى أمر الدعوة فيهم الداعي سليمان بن عبد الله الزواحى ، وكان صاحب مال كثير، وكثر أتباع المذهب الإسماعيلي في عهده ، كما أنه استطاع أن يستميل علي ابن محمد الصليحي إلى مذهبه وهو الذي سيقوم بأمر الدعوة من بعده([3]).

استغل الداعي علي بن محمد الصليحى الانقسام والتصدع الذي اعقب سقوط دولة بني زيادفي نشر الدعوة الإسماعيلية سراً ـ وكان على اتصال بمركز الدعوة في مصر ـ فلما كثر أتباعه ، كون منهم جيشاً ثم بعث إلى الخليفة الفاطمي بمصر يستأذنه في إظهار الدعوة ، فلما أذن له استولى على جبل مسار في منطقة حراز في جمادى الأولى سنة ٤٣٩ هـ/تشرين أول ١٠٤٧م ، ثم بدأ التوسع على حساب المناطق المجاورة ، حيث ساءت العلاقة بينه وبين صاحب صنعاء من بنى يعفر ، فحاربه الصليحى واستولى على صنعاء واتخذها عاصمة لدولته . وبذلك تمكن علي بن محمد الصليحي من إقامة الدولة الصليحية الإسماعيلية التي امتدت من صنعاء شمالاً إلى عدن في أقصى الجنوب، واستمرت قرابة قرن من الزمن من سنة ٤٣٩ـ٥٣٢هـ/١٠٤٧ـ١١٣٧م.

كان علي الصليحي يخشى نجاحً صاحب تهامة ، وكان يرى فيه خطراً كبيراً على دعوته ، لذلك عمد إلى مهادنته في الظاهر حتى يكتسب وده ، ولكنه كان يعمل في الخفاء على التخلص منه ويتحين الفرص لتنفيذ ذلك ولما استولى علي بن محمد الصليحي على صنعاء من بنى يعفر أحس الإمام الزيدي أبو الفتح بالخطر يتهدده من علي الصليحي ، فأرسل إلى نجاح صاحب زبيد السني يحذره من خطر الصليحي ويدفعه لمحاربته وامتلاك صنعاء منه . فكانت تلك المراسلات سببا في

١) الجندي : السلوك : ج١، ص ٢١٢، ابن الديبع : قرة العيون : ص ١٥١،١٥٠.

٢) ابن الديبع : قرة العيون : ص ١٥٦،١٥٥، الجندي : السلوك : ج١، ص ٢١٤،٢١٣.

٣) ابن الديبع : قرة العيون : ص ١٧٤.

وقوع الحرب بين الصليحى والإمام ، وانتهت بمقتل الإمام سنة ٤٤٠هـ/١٠٤٨م . من جانب آخر فقد أفسدت تلك الاتصالات العلاقة بين الصليحي ونجاح ، ولجا الصليحي إلى الحيلة للقضاء على نجاح ودولته ، وذلك بانْ هدا إليه جارية حسناء سقته السم سنة ٤٥٢هـ/١٠٦٠م ، مما أدى إلى اختلال دولة بني نجاح وتمكن الصليحي من الاستيلاء عليها سنة ٤٥٥هـ/١٠٦٣م([١]) وفر بنو نجاح إلى جزيرة دهلك في البحر الأحمر.

إلا أن ذلك لم ينه الصراع بين الدولتين الصليحية والنجاحية ، فقد تربص سعيد وجياش ابنا نجاح للصليحي ، وتمكنا من اغتياله عندما كان في طريقه للحج سنة ٤٥٩ههـ/١٠٦٧م وأسرا زوجته ، واستعادا ملك أبيهما([٢]) ، ولما تولى المكرم بن علي الصليحي تجهز في جيش كبير واستولى به على ملك بني نجاح ، وخلص أمه من الأسر ، وفر بنو نجاح مرة ثانية إلى جزيرة دهلك ، وظلوا يتحينون الفرصة حتى تمكنوا من استعادة دولتهم سنة ٤٧٩هـ/١٠٨٦م([٣]) .

وظل الصراع بين الصليحيين والنجاحين مستمرا ، وأخذ كل من الطرفين يدبر للقضاء عل الطرف الأخر، ونجحت الملكة أروى الصليحية من التخلص من سعيد بن نجاح ، وذلك بقتله سنة ٤٨١هـ/١٠٨٨م واستولت على دولته([٤]) ، وكالمعتاد توجه أخوه جياش إلى جزيرة دهلك ، ثم عاد إلى زبيد متخفياً وأعاد تنظيم صفوفه وحظي بتأييد أهل زبيد وما أن قوي أمره تمكن من طرد والي الصليحيين من زبيد ، وظل جياش قائماً بأمر الملك وأخفقت كل المحاولات التي بذلها الصليحيون للقضاء عليه([٥]).

---

١) الجندي : أبو عبد الله بها الدين محمد بن يوسف بن يعقوب الجندي (٧٣٢هـ/١٣٢٢م) السلوك في طبقات العلماء والملوك ، ج٢، تحقيق محمد بن علي الأكوع ، نشر وزارة الأعلام اليمنية ١/٢٠، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت ، ط١، سنة ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م ، ج٢، ص ٤٨٦، ابن الديبع : قرة العيون : ص ١٨٠.

٢) ابن الديبع : قرة العيون : ص ١٨١. ١٨٣، الجندي: السلوك: ج٢، ص ٤٨٧.

٣) الجندي: السلوك: ج٢، ص ٤٨٨،٤٨٩، ابن الديبع : قرة العيون : ص ١٨٥.

٤) ابن الديبع : قرة العيون : ص ١٨٨،١٨٩الجندي : السلوك : ج٢، ص ٤٩٠.

٥) الجندي : السلوك : ج٢، ص ٤٩٢، ابن الديبع : قرة العيون : ص ١٨٧.

ولما توفي جياش بن نجاح سنة ٤٩٨هـ/ ١١٠٤م خلفه ابنه فاتك ، ولما توفي فاتك سنة ٥٠٣هـ/ ١١٠٩م خلفه ابنه منصور - وكان صغيرا - مما جعل عمه إبراهيم بن جياش يسرع بجيشه للاستيلاء على مقاليد الحكم منه . وفي خضم تلك الحوادث استغل عبد الواحد بن جياش الموقف - وكان موجوداً في زبيد - فاستولى على المدينة . ولم يستطع منصور بن فاتك بن جياش من العودة إلى ملكه ، ولم يجد بداً من الاستنجاد بالملكة الصليحية أروى بنت أحمد ضد عمه عبد الواحد ، وتعهد لها بربع خراج بلاده ، فاستجابت الملكة الصليحية له ، وأمدته بجيش بقيادة نائبها على حصن التعكر المفضل بن أبي البركات ، الذي استطاع دخول زبيد سنة ٥٠٤ هـ/١١١٠م([1]) .

حافظت الدولة الصليحية على الولاء للفاطميين بمصر ، وكانوا على اتصال بمركز الدعوة فيها ، فلما حل الضعف في الدولة الصليحية في اليمن ولم يكن يوجد قائد تعتمد عليه السيدة أروى بنت أحمد الصليحي ، أرسلت الملكة أروى إلى الخليفة الفاطمي الآمر بالله بن المستعلي تخبره بأحوال البلاد ، فأرسل إليها الموفق علي بن إبراهيم بن نجيب الدولة سنة ٥١٣هـ/١١١٩م لمساعدتها في تدبير شئون دولتها ، والعمل على استعادة نشاط الدعوة الإسماعيلية فيها . وتقلد ابن نجيب الدولة قيادة الجيش الصليحى([2]) ، لكنه فشل في القضاء على منافسة الدولة النجاحية.

ونتيجة لمقتل الخليفة الآمر سنة ٥٢٤هـ/١١٣٠م واختفاء ابنه الصغير الطيب استقلت الدولة الصليحية وانفصلت عن سيطرة الفاطميين في مصر ، وأصبحت الدعوة عند الصلحيين للإمام المستور الطيب ابن الآمر ، ورفضت الملكة الصليحية الدعوة للخليفة الحافظ لأنها اعتبرته مغتصباً للخلافة . فلما زالت الدولة الصليحية بوفاة الملكة أروى بنت أحمد سنة ٥٣٢هـ/١١٣٧م ([3])، انتقلت الدعوة الطيبة إلى بنى حاتم في صنعاء . أما بنو زريع في عدن ، فقد تمسكوا بالتبيعية لمصر

---

١) ابن الديبع : قرة العيون : ص ١٩٥.

٢) الجندي : السلوك : ج٢، ص ٤٩٤ ، ابن الديبع : قرة العيون : ص ١٩٦.

٣) ابن الديبع : قرة العيون : ص ١٩٩، الجندي : السلوك : ج٢، ص ٤٩٤.

وأصبحت الدعوة فيها للحافظ لدين الله عبد المجيد بن محمد بن المستنصر([1]) ، وهكذا انقسمت الدعوة الإسماعيلية في اليمن

دولة الأئمة الزيديين في صعدة:

الزيدية فرقة من الشيعة تنتسب إلى زيد بن علي زين العابدين ابن الحسين عليهم السلام ، وهى أقرب فرق الشيعة إلى أهل السنة. ويرجع السبب في انتشار هذا المذهب في اليمن إلى انحراف الداعي علي بن الفضل ، مما حمل قبائل منطقة صعدة إلى البحث عمن يتولى حكمهم ويبصرهم بأمور دينهم ويدفع عنهم أخطار علي بن الفضل ، وكان ممن أعتنق هذا المذهب الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين وكان مقيماً بجبل الرس قرب المدينة المنورة في الحجاز ، فاستقر رأي قبائل صعدة عليه ، حيث توجه إليه وفد منهم لدعوته فاستجاب لهم وسار إلى صعدة سنة٢٨٠هـ/٨٩٣ م فكان أول أئمة الزيدية في اليمن([2]).

ومع ذلك لم يستقر يحيىبن الحسين طويلاً في اليمن ، فقد خذله أهل صعدة ، فاضطر للعودة إلى الحجاز، وبعد أن ترك أهل صعدة استشرت الفتن والخلافات بينهم وأحسوا بحاجتهم إلى من يصلح شانهم ويوحد كلمتهم ، لذلك سعوا من جديد لاقناع يحيى بن الحسين بالعودة إليهم ، فاستجاب لهم بعد إلحاح منهم ، وبعد أن تعهدوا له بالطاعة المطلقة ، ثم عاد معهم إلى صعدة للمرة الثانية في صفر٢٨٤هـ/ أذار٨٩٧م واتخذ من صعدة مركزاً لدعوته ([3])، وعمل منذ اللحظة الأولى على تنظيم صفوف أتباعه ، ثم أخذ يعمل على ضم مناطق الجبال الشمالية حيث تمكن من الاستيلاء على المناطق المحيطة بصعدة ، وأسس الدولة الزيدية ، واتخذ من مدينة صعدة عاصمة لدولته ، وقام بتعيين ولاته على المناطق التي فتحها ، وبعد عامين تمكن من الاستيلاء على المناطق الواقعة شمال صنعاء ، ثم جمع جموعه وزحف على صنعاء سنة ٢٨٨هـ/ ٩٠١ م واستولى عليها من بني يعفر ، ولكن بني

---

١) الجندي: السلوك: ج٢، ص ٤٩٤.

٢) ابن الديبع : قرة العيون : ص ١٢٢،١٢٣.

٣) ابن الديبع : قرة العيون : ص ١٢٤.

يعفر تمكنوا من استعادتها ، فعاد هو بدوره إلى صعدة ، ثم أنه تمكن من دخول صنعاء في العام نفسه مرة أخرى ، ولكنه وجد فيها مقاومة شديدة ، وفقد فيها كثيراً من رجاله ، وتمكن بنو يعفر من استعادة صنعاء منه سنة ٢٨٩هـ/ ٩٠٢م(١) .

وعلى الرغم من الصراع بين الإمام الزيدي وبين بنى يعفر السنيين ، إلا أن العداء المشترك لابن الفضل الإسماعيلي وحد بينهما ، حيث أنه لما استولى ابن الفضل على صنعاء ولم يتمكن بنو يعفر من الصمود أمامه، استنجدوا بالإمام يحيى ابن الحسين وتحالفوا معه لمساعدتهم ضد ابن الفضل ، واستجاب الإمام لبنى يعفر واسترد لهم صنعاء من ابن الفضل ، ثم عاد إلى صعدة واستقر بها حتى مات في ذي الحجة سنة٢٩٨هـ/أب ٩١١م(٢) ، بعد أن نشر المذهب الزيدي في الجبال وتمكن من تأسيس الدولة الزيدية في اليمن.

وقد ترك الإمام يحي بن الحسين ثلاثة أبناء تولوا الإمامة من بعده ، ثم تتابع أئمة الزيدية على حكم دولتهم في اليمن إلى أن قام الإمام أحمد بن سليمان بأمر الإمامة سنة ٥٣٢هـ/ ١١٣٧م.

وعندما قام علي بن مهدي يريد الاستيلاء على دولة بني نجاح في زبيد استنجد حاكم زبيد بالإمام الزيدي أحمد بن سليمان سنة ٥٥٤هـ/١١٥٩م الذى لم يتمكن من منع علي بن مهدي من دخول زبيد(٣). بعد ذلك نجد أن الدولة الزيدية تقوقعت في صعدة ولم يكن لها دور ملموس على الساحة السياسية اليمنية حتى بويع الإمام عبد الله بن حمزة الذى بدأ بمحاربة الأيوبيين. وسوف نتحدث عن ذلك في الفصل الثالث.

الحالة السياسية لليمن قبيل مجيء الأيوبيين:

كانت بلاد اليمن قبل وصول الأيوبيين مجزأة ومفككه سياسياً ، فظهرت بها وحدات سياسية متعددة ، مختلفة فيما بينها مذهبياً ومتعادية سياسياً ومتحاربة

١) ابن الديبع : قرة العيون : ص ١٢٨.

٢) ابن الديبع : قرة العيون : ص ١٤٦، ١٤٧.

٣) ابن الديبع : قرة العيون : ص٢٥٨.

عسكرياً، وكان أهمها ثلاث دول متنازعة هي : دولة بني زريع ، ودولة بني حاتم ودولة بني مهدي٠

دولة بني زريع
٤٧٠-٥٦٩ هـ / ١٠٧٨- ١١٧٤م

قامت هذه الدولة في عدن وما حولها من المقاطعات ثم امتد نفوذها إلى ذي جبلة(١) ومخلاف جعفر(٢) وكانت منطقة عدن والشحر(٣) وحضر موت ولحج(٤) وأبين(٥) في يد بني معن ـ كان بو معن عمالاً لبني زياد على عدن ـ الذين استقلوا بها أثر الضعف الذي دب في الدولة النجاحية ومزق أطرافها، فلما استولى الملك علي بن محمد الصليحي على الحكم باليمن، وامتد نفوذه إلى عدن، تركها تحت أيديهم وجعلهم نوابا له فيها(٦) فكانوا يؤدون خراجها إليه . ولما قتل الملك علي بن محمد الصليحي على يد بني نجاح سنة ٤٥٩هـ / ١٠٦٧م طمع بنو معن بالاستقلال عن الصليحيين ومنعوا الخراج فقصدهم ابنه المكرم أحمد بن علي الصليحي وأخرجهم من عدن وأناب عنه في مدينة عدن وما حولها العباس والمسعود ابني المكرم الهمداني ـ جد الزريعيين ـ المعروفين بابني الزريع لثقته فيهما لمساعدتهما

---

١) ذي جبلة : هي من أحسن مدن اليمن وأطيبها قال عماره "جبلة اسم رجل يهودي كان يبيع الفخار في الموضع الذي بنت فيه الحرة الصليحية دار العروبة وسميت باسمه وكان أول من اختطها عبد الله بن محمد الصليحي سنة٤٥٨هـ/١٠٦٦م (ياقوت الحموي : شهاب الدين بن عبد الله بن ياقوت الحموي (٦٢٦هـ/١٢٢٩م)(معجم البلدان) قدم لها محمد عبد الرحمن المرعشلي ، دار إحياء التراث العربي بيروت ، سنة١٤١٦هـ/١٩٩٦م ، مج ٢، ج٣، ص٣٢ .

٢) مخلاف جعفر : يطلق هذا الاسم على بلاد آب والعدين : الحجري : مجموع بلدان اليمن وقبائلها:مج١ ج١ ص٤٨ .

٣)الشحر : الشط وهو صقع على ساحل بحر الهند (البحر العربي) من ناحية اليمن : ياقوت الحموي : معجم البلدان : مج٣، ج٥، ص ١٢٨.

٤) لحج : مخلاف باليمن ينسب إلى لحج بن وائل بن الغوث بن قطن بن عريب بن زهير بن أيمن بن الهميسع بن حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان . ومن مدن تهائم اليمن لحج وبها الاصابح وهم ولد أصبح بن عمرو بن الحارث بن أصبح بن مالك بن زيد بن الغوث بن سعد بن عوف بن عدي بن مالك بن زيد بن سداد بن زرعه، وهو حمير الأصغر .(ياقوت: معجم البلدان: مج٤، ج٧، ص١٧٥.)

٥) أبين مخلاف مشهور على ساحل المحيط الهندي(البحر العربي) شرقي عدن إليه نسب عدن أبين للفرق بينها وبين عدن لأعه، (الحجري :محمد بن أحمد: مجموع بلدان اليمن وقبائلها)،تحقيق إسماعيل الأكوع، مكتبة الإرشاد صنعاء، ط٣، سنة١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م ، مج١، ج١ ص ٥٥ .

٦) الخزرجي : شمس الدين أبو الحسن علي بن الحسن بن أبي بكر (ت ٨١٢هـ / ١٤٠٩م) العسجد المسبوك فيمن ولى اليمن من الملوك . مخطوط مصور، دار الفكر، دمشق، صورة ثانية ، ١٤٠١هـ/١٩٨١م نشر في ج.ع.ي. وزارة الأعلام ، مشروع الكتاب ١/٦. ص٨٣.

والده علي بن محمد الصليحي في نشر المذهب الإسماعيلي في اليمن[١] فجعل للأول حصن التعكر[٢] وما يتبعه من جهة البر ولأخيه حصن الخضراء[٣] وما يتبعه من جهة البحر وفوض إليه أمر المدينة ، وألزمهما بدفع الخراج إلى الملكة السيدة أروى بنت أحمد وقدره مائة ألف دينار في العام[٤]،وقد استمرا على ذلك مدة ولكن خلفاءهما لما أحسوا بضعف الدولة الصليحية منعوا الخراج أكثر من مرة في كل مرة ينقص إلى النصف ثم إلى الربع، وأخيرا استقلوا بحكمها واستبدوا بخراجها[٥] وتمكن ابنا زريع من التغلب على أبناء عمهم المسعود في النزاع الذي دب بينهم واستقلوا بحكم المنطقة كاملة فنسبت الدولة إليهم[٦].

وقد قويت دولة بني زريع على إثر الضعف الذي أصاب الدولة الصليحية، وبلغت الدولة الزريعية أقصى امتداد لها في عهد الداعي محمد بن سبأ الزريعي الذي تولى الحكم سنة ٥٣٤هـ / ١١٣٩م حيث اشترى حصون بني الصليحي ومدنهم وهي ثمانية وعشرون حصناً ومدينة ومنها مدينة ذي جبلة اشتراها بمائة ألف دينار سنة ٥٤٧هـ / ١١٥٢م من المنصور بن المفضل بن أبي البركات[٧] ولكن لم تطل به الحياة فقد مات على الأرجح سنة ٥٥٠هـ / ١١٥٥م فخلفه ابنه الداعي عمران

---

١) عمارة اليمني : نجم الدين عمارة بن علي بن زيدان اليمني (ت ٥٦٩هـ / ١١٧٤م) تاريخ اليمن : تحقيق (كاي) ترجمة د/ حسن سليمان محمود، الناشر مكتبة الإرشاد صنعاء ، ط١ ، سنة ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م ، ص ٩٩، الخزرجي : العسجد : ص ٨٣، ٨٤.

٢) التعكر : تعكر عدن هو المسمى جبل شمسان وهو المسيطر على ميناء عدن اليوم من الشمال (ابن الديبع : ص ٢١٧.

٣) حصن الخضراء : هو المسمى (جبل صيرة) المطل على البحر من الجنوب المسمى بحر حقات ، وكان المرفأ القديم لعدن :(ابن الديبع : قرة العيون : ص ٢١٧.

٤) عمارة: تاريخ اليمن : ص ١٠٠، الخزرجي : العسجد : ص ٨٤.

٥) الخزرجي : العسجد : ص ٨٤، عمارة : تاريخ اليمن ص ١٠٠.

٦) عمارة: تاريخ اليمن: ص: ١٠١، .الحداد : محمد يحيى الحداد : التاريخ العام لليمن: (اليمن في موكب الإسلام) اصدارات وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء،ط١، سنة ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م ،ج٢، ص ٢٩٦.

٧) ابن الديبع : قرة العيون: ص ٢٢٥، عمارة : تاريخ اليمن: ص ١٠٩.

الذي استمر يخطب للفاطميين ويقيم الدعوة الاسماعيلية في بلاده حتى وفاته سنة ٥٦٠هـ/١١٦٥م .(١)

وبعد وفاته بدأ الضعف يدب في أوصال الدولة الزريعية إذ خلفه ثلاثة أولاد صغار هم محمد وأبو الدر ومنصور . وتولى الوصاية عليهم الأستاذ جوهر المعظمي وأقاموا في حصن الدملوة(٢) وولى على عدن ياسر بن بلال بن جرير المحمدي (وزير الدولة الزريعية) وظل الوضع كذلك حتى قامت دولة بني مهدي في زبيد فحاربوا بني زريع واستولوا على بلادهم في ذي جبله ومخلاف جعفر ولم يبق لبني زريع إلا عدن والدملوة (٣).

ولما حاول علي بن مهدي الاستيلاء على عدن سنة ٥٦٨هـ / ١١٧٣م استنجد الداعي عمران بن محمد بن سبأ الزريعي بالسلطان علي بن حاتم اليامي سلطان صنعاء فأنجده بقوة كبيرة ونجح الداعي أيضاً في اجتذاب قبائل جنب(٤) ومذحج(٥) إلى هذا الحلف وهجم قادة هذا الحلف الكبير على عبد النبي بن مهدي وهو في حصن تعز(٦) فكانت بينه وبينهم معركة في ذي عدنية -ضاحية من

---

١) بامخرمة : أبو الطيب عبد الله الطيب بن عبد الله بن احمد أبي مخرمة (ت ٩٤٧هـ /١٥٤٠م) تاريخ ثغر عدن ، دار الجيل ، بيروت ، دار عمار عمان ، ط٢، سنة ١٤٠٨هـ /١٩٨٧م ، ص ٢١٧، الحداد : التاريخ العام : مج٢، ص ٣٠٥.

٢) الدملوة : بضم الدال واللام . قلعة حصينة منيعة مشهورة فوق قرية المنصورة من جبل الصلو ، على بعد نحو (٦٠) كيلو متراً جنوب شرق مدينة تعز ، اشتهرت بحصانتها ومناعتها ولعبت أدواراً في الحروب التي شهدتها المنطقة أيام بني أيوب ومن بعدهم بني رسول . وهي اليوم خراب وفيها آثار قديمة (المقحفي : معجم البلدان والقبائل اليمنية ،ج١، ص ٦٢١).

٣) بامخرمة : ثغر عدن ص ٢١٨ ، الخزرجي : العسجد : ص ٩٥.

٤) جنب : جنب باليمن ينسب إلى القبيلة وهي منبه والحارث والعلي وسنحان وشمران وهفان يقال لهؤلاء الستة جنب . وهم بنو يزيد بن حرب بن علة بن جلد بن مالك بن أدد. (ياقوت : معجم البلدان : مج٢،ج٣، ص ٧٩.)

٥) مذحج: بطن من كهلان بن سبأ واسم مذحج مالك بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ الأكبر، وقبائل مذحج كثيرة (الحجري : مجموع بلدان اليمن وقبائلها : مج٢، ج ٤، ص ٦٩٩.

٦) حصن تعز: قلعة عظيمة من قلاع اليمن المشهورات: (ياقوت: معجم البلدان: مج١، ج٢، ص ٤٤٦.

ضواحي تعز – في ربيع الآخر سنة ٥٦٩هـ / ١١٧٤م فانهزم جيش ابن مهدي وقتل منهم عدد كبير ثم عاد إلى ([1]) مدينة زبيد([2]) .

ولكن بني زريع لم يكسبوا شيئاً من هذه المعركة إذ لم يلبث أن قدم توران شاه وقضى على دولتهم كما قضى على دولة بني مهدي قبلهم([3]) .

دولة بني حاتم

٤٩٢-٥٦٩هـ/١٠٩٩-١١٧٤م

كانت صنعاء وأعمالها في إمارة الهمدانيين بالنيابة عن السلطان سبأ بن أحمد الصليحي ، ولما توفي السلطان سبأ سنة ٤٩١هـ/١٠٩٨م استولى على صنعاء حاتم بن الغشيم المغلسي وعلى يده استقلت هذه المنطقة عن الدولة الصليحية، ولم تحاول الملكة أروى بنت أحمد استرجاعها منه بل قبلت بالأمر الواقع واتجهت إلى تدعيم ما بقي تحت يدها من الدولة الصليحية (٤) ولما توفى السلطان حاتم سنة٥٠١هـ/١١٠٨م خلفه ابنه عبد الله بن حاتم، ولكنه توفى عقب ذلك بسنتين، وخلفه أخوه معن ولما لم تستقر الأحوال في عهده اجتمعت همدان([5]) وعلى رأسهم القاضي محمد بن أحمد بن عمران وخلعوا معن بن حاتم سنة ٥١٠هـ/١١١٧م وولوا مكانه هشام بن القبيب الهمداني وظلت الإمارة في بني القبيب الهمدانيين حتى دب الاختلاف في خلفائهم وتمزقت آراؤهم فاعتزلهم الناس، ثم اجتمعت همدان

---

١) ابن الديبع : عبد الرحمن بن علي بن الديبع الشيباني (ت ٩٤٤هـ / ١٥٣٧م) الفضل المزيد على بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد : تحقيق د/ يوسف شلحد ، مركز الدراسات والبحوث اليمني ، صنعاء ، دار العودة ، بيروت ، سنة ١٩٨٣م ، ص ٧٧.

٢) زبيد : بفتح أوله وكسر ثانيه ثم يا مثناه من تحت ، اسم واد به مدينة يقال لها الحصيب ، ثم غلب عليها اسم الوادي فلا تعرف إلا به ، وهى مدينة مشهورة باليمن (ياقوت : معجم البلدان : مج٢،ج٤، ص ٤٦٨.)

٣) بامخرمة : ثغر عدن : ص ٢١٨، ابن الديبع : بغية : ص ٧٧.

٤) حسين بن فيض الله الهمداني: الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن ، اصدارات وزارة الثقافة والسياحة ، صنعاء، ط١، سنة ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤م ، ص١٦٢،١٦١،

٥) همدان : أشهر قبائل اليمن وهم ولد همدان بن مالك بن زيد بن أوسلة بن ربيعة بن النبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ، وتنحصر قبائل همدان في البطنين حاشد وبكيل.(الحجري : مجموع بلدان اليمن وقبائلها : مج ٢ ، ج٤، ص ٧٥٢.

واختارت حاتم بن أحمد بن عمران بن الفضل اليامي الهمداني سلطانا على صنعاء سنة ٥٣٣هـ ١١٣٨م فوافق بعد تردد(١) ٠

وفي عهده ظهر الإمام الزيدي المتوكل أحمد بن سليمان ، ونشر دعوته في شمال اليمن، والتفت حوله قبائل هذه المنطقة فتعاظمت قوته، ثم تقدم إلى صنعاء واستطاع أن يشتري ولاء القبائل المحيطة بصنعاء بالمال، وبذلك نجح في عزل بني حاتم في صنعاء، بحيث لم يبق مع السلطان حاتم بن أحمد إلا عدداً قليلاً من همدان فلم يستطيعوا الوقوف أمام قوة الإمام، فانهزموا واضطر السلطان إلى طلب الأمان ، ودخل في طاعة الإمام ثم خرج من صنعاء فدخلها الإمام(٢) إلا إن القبائل اليمنية التي التفت حول الإمام سرعان ما تفرقت عنه وخذلته، مما اضطره إلى الانسحاب من صنعاء فعاد إليها السلطان حاتم بن أحمد ، ويبدو أن السلطان قد عرف حب القبائل للمال، وعرف أن بذله لهم معناه إحراز النصر،ومالبث السلطان أن تفوق على الإمام بعطائه وبذله ، فانضمت إليه قبائل عديدة ومن بينها قبيلة جنب الكبيرة وتمكن بمساعدتهم من هزيمة الإمام الذي عاد(٣) إلى صعدة ، ودخل السلطان صنعاء منتصراً. ثم استولى بعد ذلك على حصن ذمرمر(٤) في نواحي صنعاء ، وحصن بكر(٥) وظفر في بلاد كوكبان(٦) إحدى النواحي التابعة لصنعاء.

---

١) يحيى بن الحسين : يحي بن الحسين بن القاسم بن محمد بن علي (ت ١١٠٠هـ / ١٦٨٩م) غاية الأماني في أخبار القطر اليماني ، تحقيق د/ سعيد عبد الفتاح عاشور، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة ، ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م . ج١: ص ٢٩٤. ٢٩٧، الخزرجي : العسجد، ص :٧٣ .

٢) ابن الديبع: قرة العيون: ص ٢٠٨، ٢٠٩، يحي بن الحسين: غاية الأماني ،ج١، ص ٣٠٢، ٣٠٣.

٣) يحيى بن الحسين : غاية الأماني ،ج١:ص ٣٠٥ ، ابن الديبع : قرة العيون : ص ٢٠٩.

٤) ذمرمر : من حصون ناحية بني حشيش قبلي صنعاء بشمال على مسافة أربع ساعات (الحجري : مجموع بلدان اليمن وقبائلها : مج١، ج٢، ص ٣٥٠.

٥) حصن بكر: بكر. بضمتين ، من مشهور قلاع صنعاء وبالقرب منها قلعة يقال لها : ظفر وهما ابعد قلاع صنعاء عنها.(ياقوت : معجم البلدان : مج١، ج٢، ص ٣٧٥.)

٦) كوكبان : جبل قرب صنعاء واليه يضاف شبام كوكبان وقصر كوكبان ، وقيل : إنما سمي كوكبان لأن قصره كان مبنياً بالفضة ، والحجارة وداخله بالياقوت والجوهر ، وكان ذلك الدر، والجوهر يلمع بالليل كما يلمع الكوكب فسمي بذلك ، وقيل : انه من بناء الجن .(ياقوت : معجم البلدان : مج٤، ج٧، ص ١٦٣.)

توفى السلطان حاتم في رمضان سنة ٥٥٦هـ/ آب ١١٦١م وتولى السلطة في صنعاء ابنه علي بن حاتم(١) وتابعته همدان وأذعنت له بقية القبائل في اليمن الأعلى، ويظهر أن بعض القبائل من همدان لم تكن راضية عن زعامة آل حاتم وتميل إلى زعامة آل القبيب الهمدانيين ، وقد اغتنمت هذه القبائل فرصة غياب علي بن حاتم عن مقره في وادي ضهر(٢) ، فثارت عليه في صنعاء بزعامة رجل من آل القبيب الهمدانيين، فاتجه السلطان علي بن حاتم إليه ، ومعه عدد كبير من القبائل فاخمد ثورتهم داخل صنعاء، ثم عفا عن الثوار وسامحهم بدم أخيه الذي قتل عندما كان يطارد فلول بعض المتمردين في شوارع صنعاء، وبذلك كسبهم إلى جانبه فأطاعوه(٣) ٠

وكانت دولة بني حاتم اسماعيلية ، ويجمع بينها وبين دولة بني زريع الولاء للمذهب الاسماعيلي، لذلك فقد قام بينهم تحالف في محاربة عبد النبي بن مهدي الذي ظهر بتهامة واخذ يهدد الدول المجاورة له في اليمن٠ وقد سبق أن أشرنا إلى حروبهم مع بني مهدي في الحديث عن دولة بني زريع٠ وقد بقى السلطان علي ابن حاتم سلطانا على صنعاء حتى قدم الأيوبيون إلى اليمن بقيادة توران شاه فاستولى عليها سنة٥٧٠هـ/ ١٢٧٥م مما اضطره إلى اللجوء إلى حصن براش(٤)
بعد أن هدم سور صنعاء(٥).

١) ابن الديبع : قرة العيون: ص ٢١٢، يحي بن الحسين : غاية الأماني : ج١، ص ٣١٤.

٢) وادي ضهر : واد مشهور من ناحية همدان على مقربة من صنعاء كثير الفواكه كالعنب والرمان والاترج والليمون الحلو والحامض والبرتقال والخوخ والتين والسفرجل وغير ذلك، وفيه عين جارية تسقي مزارعه .(الحجري : مجموع بلدان اليمن وقبائلها: مج٢، ج٣ ، ص ٥٥٤.

٣) الكبسي : محمد بن اسماعيل ألكبسي : اللطائف السنية في اخبار الممالك اليمنية ، تحقيق ، (أبو حسان) خالد أبا يزيد الأذرعي ، الناشر ، مكتبة الجيل الجديد ، صنعاء ، ط١سنة ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م ، ص ٩٣.

٤) حصن براش : حصن مشهور بصنعاء متصل بجبل نقم من شرقيه (الحجري : مجموع بلدان اليمن وقبائلها : مج١، ج١، ص ١٠٥.

٥) ابن حاتم : بدر الدين محمد بن حاتم بن أحمد اليامي الهمداني ت.بعد سنة ٧٠٢هـ / ١٣٠٢م) السمط الغالي الثمن في أخبار الملوك من الغز باليمن ، تحقيق د / ركس سمث ، طبع لندن ، سنة ١٩٧٤م ، ص ١٨.

دولة بني مهدي

٥٥٤-٥٦٩هـ / ١١٥٩-١١٧٤م

تنسب دولة بني مهدي إلى مؤسسها علي بن مهدي الرعيني الحميري(١) وقد أقام دولته على أنقاض دولة بني نجاح الأحباش في زبيد، وكان في بداية أمره ناسكا منقطعا للعبادة والوعظ، وفي الوقت نفسه كان لديه طموح إلى الملك، وقد سخر مواهبه في سبيل تحقيق أهدافه حيث بدأ دعوته للناس إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والزهد في الدنيا والابتعاد عن خدمة الملوك من بني نجاح حتى تجمع حوله عدد كبير من العامة، حيث كانت هذه المبادئ التي دعا إليها مما يجتذب الناس وقد ساعده على الظهور ما جمعه من الأموال، بسبب كسب عطف أم فاتك النجاحي التي أعجبت بمعتقداته وصلاحه فأعفته من خراج أرضه(٢) وأرض أقاربه ومن يلوذ بهم من أهل بلدة العنبرة(٣) فتحسنت أحوالهم المادية واقتنوا الخيل(٤)، ولم يظهر له خطر في البداية لذلك لم تهتم به حكومة آل نجاح في زبيد، بل على العكس من ذلك رأت (الحرة علم) أم فاتك في حركته تلك ما يدعو إلى الإصلاح ومحاربة الفساد .

وقد استغل ابن مهدي فرصة انشغال موالي بني نجاح في التنافس على منصب الإمارة بعد مقتل سرور الفاتكي، في تكوين قوة كبيرة من أهل بلده وانتقل بهم إلى منطقة الجبال(٥) وهناك انضم إليه عدد كبير من أهل الجبال وسماهم الأنصار وعين لهم رئيسا سماه شيخ الإسلام في حين سمى أصحابه، الذين طلع بهم بالمهاجرين

---

١) ابن الديبع : قرة العيون : ص ٢٥٥، زامباور : إدوارد فون : معجم الأنساب والأسرات الحاكمة ، ترجمة د/ زكي محمد حسن ، حسن أحمد محمود ، دار الرائد العربي ، بيروت ، سنة ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م ،ص ١٨٢، العرشي : حسين بن أحمد العرشي : بلوغ المرام في شرح مسك الختام في من تولى اليمن من ملك وإمام ، عني بنشره الأب انستاس ماري الكرملي ، دار إحياء التراث العربي، بيروت (بدون تاريخ) ص ١٧ .

٢) ابن عبد المجيد : تاج الدين عبد الباقي بن عبد المجيد (ت. ٧٤٣هـ / ١٣٤٢م) بهجة الزمن في تاريخ اليمن ، تحقيق عبد الله الحبشي ، محمد السنباني ، نشر دار الحكمة اليمانية صنعاء ، طبع دار الفكر المعاصر ، بيروت ، ط١ ، سنة ١٤٠٨هـ /١٩٨٨م ، ص ١١٩.

٣) العنبرة : قرية بسواحل زبيد . منها علي بن مهدي الحميري الخارج بزبيد والمستولي على نواح كثيرة من اليمن. (ياقوت : معجم البلدان : مج٣، ج٦، ص ٣٥٧).

٤) عمارة : تاريخ اليمن : ص١٠٦، يحي بن الحسين : غاية الأماني : ج١، ص٢٩٩.

٥) ابن الديبع : بغية : ص ٧٥، ألكبسي : اللطائف السنية : ص ٩٠.

وعين عليهم رئيسا سماه شيخ[1] الإسلام أيضاً. ومن منطقة الجبال المطلة على زبيد أعلن ثورته على دولة آل نجاح وركز أقدامه في بلاد وصاب[2] باحتلال بعض الحصون المنيعة فيها مثل الشرف([3]) والد اشر([4]) . ثم أطلق يد أتباعه في البوادي التي حول زبيد حتى أضعفها وهرب أهلها منها، مما سهل له السيطرة عليها ولم يبقَ أمامه إلا مدينة زبيد([5]).

وعلى أثر ذلك قرر الاستيلاء على زبيد فزحف عليها سنة ٥٥٣هـ/١١٥٨م وحاصرها حصاراً شديداً،ورغم دفاع أهلها عنهادفاعاً مستميتاً،إلا أن حكام زبيد لم يتمكنوا من فك الحصار[6]، وبسبب الحصار الشديد اضطر حكام زبيد إلى الاستعانة بالإمام الزيدي أحمد بن سليمان . وكان من أقوى الحكام في اليمن آنذاك.

اشترط عليهم قتل قائدهم فاتك بن جياش مقابل ذلك لأنه بقتله يتخلص من قائد قوي يعدّه حجر عثرة في سبيل تحقيق أطماعه في السيطرة على زبيد فأجابوه إلى ذلك وقتلوه سنة ٥٥٣هـ / ١١٥٨م، فحاول فك الحصار عن المدينة ولكنه لم يستطع فتركهم وعاد إلى صعدة[7] عندئذ ضيق عليها الحصار حتى سقطت المدينة في يد علي بن مهدي في الرابع عشر من رجب سنة ٥٥٤هـ / تموز١١٥٩م بعد أن

---

١) عمارة : تاريخ اليمن: ص : ١٠٦،ابن الديبع : قرة العيون : ص ٢٥٦.

٢) وصاب : اسم جبل يحاذي زبيد باليمن وفيه عدة بلاد وقرى وحصون وأهله عصاة لا طاعة عليهم لسلطان اليمن إلا عنوة معاناةً من السلطان لذلك (ياقوت : معجم البلدان : مج٤، ج٨، ص ٤٥٨).

٣) الشرف : سلسلة جبلية في الشمال الغربي من مدينة حجة ، تشمل المحابشة والشاهل والقفل وكحلان الشرف والمفتاح واسلم . وهي حصون منيعة ، ومعدل ارتفاعها ٢٥٠٠متر من سطح البحر، وتتخلل هذه الجبال عدد من الأودية ، يزرع فيها الأهالي البن والفواكه والحبوب على اختلاف أنواعها.(المقحفي : إبراهيم أحمد المقحفي :معجم البلدان والقبائل اليمنية، الناشران ، دار الكلمة صنعاء ، المؤسسة الجامعية للدراسات بيروت ،ط ٤، سنة ١٤٢٢هـ /٢٠٠٢م ، ج١، ص ٨٦٠.

٤) الداشر: جبل في وصاب السافل يطل على مدينة زبيد من شرقها ، ويشمل عدد من القرى والحصون أشهرها حصن قوارير وحصن الشرف وبنو ألغتان.(المقحفي : معجم البلدان والقبائل اليمنية : ج١، ص ٥٩٧، ٥٩٨.)

٥) ابن الديبع : بغية : ص ٧٥ ، عمارة : تاريخ اليمن : ص ١٥٢.

٦) الكبسي : اللطائف السنية : ص ٩٢، عمارة : تاريخ اليمن : ص ١٠٦ .

٧) عمارة تاريخ اليمن، ص١٨٠، الكبسي : اللطائف السنية : ص ٩٢، ٩٣.

صمدت مدة طويلة(١) وبذلك قضى علي بن مهدي على دولة بني نجاح الأحباش في زبيد ومنطقة تهامة، وقتل فاتك بن محمد آخر ملوكهم وعدد كبير من جنده وانتقم من العلماء والفقهاء السنيين بقتلهم وتشريدهم فهاجروا إلى الجبال والحصون، وأقام ملكه على أنقاض ملكهم وأسقط الخطبة للخليفة العباسي ودعا لنفسه في الخطبة(٢) ذكر ابن خلدون (كان يخطب له بالإمام المهدي أمير المؤمنين وقاطع الكفرة والمعتدين)(٣)، ومع ذلك فإنه لم يعمر طويلاً إذ لم يلبث أن توفي في زبيد في السادس من شوال سنة ٥٥٥ هـ / ١١٥٩م ودفن بالمشهد بالقرب من زبيد وبنى عليه أولاده بعد ذلك مسجداً جامعاً بالقرب من المدرسة المعروفة بالميلين كما بنوا على قبره قبة(٤).

مذهبه وعقيدته :

كان ابن مهدي على مذهب الإمام أبي حنيفة في الفقه، ولكنه كان على مذهب الخوارج في العقيدة يتبرأ من عثمان وعلي رضي الله عنهما، ويكفر بالذنوب، والمعاصي، ويقتل صاحبها(٥) كما كان يقتل مخالفي مبادئه ويستبيح أموالهم ووطء نسائهم واسترقاق أطفالهم(٦)،وقد ألزم نفسه بهذه المبادئ وتمسك بها

---

١) يحيى بن الحسين : غاية الأماني : ج١، ص ٣١٢، ٣١٣، ألكبسي : اللطائف السنية : ص ٩٣، عمارة : تاريخ اليمن ص ١٠٦ .

٢) أبو شامة : شهاب الدين أبو محمد عبد الرحمن بن اسماعيل المقدسي (ت ٦٦٥هـ /١٢٦٧م) الروضتين في اخبار الدولتين : تحقيق إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية، بيروت ،ط١، سنة ١٤٢٢هـ /٢٠٠٢م ، مج١، ج٢، ص ١٧٨ ، ابن سمرة : عمر بن علي بن سمرة الجعدي (ت ٥٨٦هـ / ١١٩٠م) طبقات فقهاء اليمن : تحقيق فؤاد سيد ، دار القلم ، بيروت ، (بدون تاريخ) ص١٨٧. ١٩٤.

٣) الفرح: محمد حسين الفرح: اليمن في تاريخ ابن خلدون، الناشر الهيئة العامة للكتاب . الجمهورية اليمنية، صنعاء، ط١، سنة ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م، ص٦٠٢.

٤) ابن الديبع : قرة العيون : ص ٢٥٩، الحداد : التاريخ العام لليمن، مج٢، ص٣٤٧ .

٥) عمارة: تاريخ اليمن: ص ١٥٥، الفرح: اليمن في تاريخ ابن خلدون، ص٦٠٢.

٦) ابن عبد المجيد: بهجة الزمن: ص ٧٥، عمارة: تاريخ اليمن: ص ١٥٥.

أشد التمسك مما أكسبه احترام أتباعه بل وتقديسهم قال عمارة[١] :(أما اعتقاد أصحابه فيه فهو فوق ما يعتقده الناس في الأنبياء عليهم السلام وإذا غضب على رجل منهم حبس نفسه في الشمس ولم يطعم ولم يشرب ولم يصل إليه ولد ولا زوجه، ولا يستطيع أحد يشفع فيه حتى يرضى عنه) .

وقد أخذ أتباعه بالشدة في بداية أمره فكان يضرب عنق المنهزم من جنده ويقتل شارب الخمر ومن يسمع الغناء ومن يزني كما يقتل من يتأخر عن صلاة الجمعة أو من يتأخر عن مجالس وعظه يومي الاثنين والخميس من كل أسبوع، أو من يتأخر فيهما عن زيارة قبر والده[٢] .

وقد أخذ أمره بالحزم منذ البداية حتى ذكر أنه أساء ظنه بكل أحد وبث الرقباء بين أتباعه وأكثر من الاحتجاب إلا عن الرقباء باستثناء يومي الاثنين والخميس حيث كان يخصصهما للمقابلة العامة والوعظ، ولم يتح لأحد من أتباعه فرصة لتكوين قوة منافسة، حيث كان يخشى على نفسه وملكه منهم فكان يأخذ من كل واحد من أتباعه ما تغزله ابنته وزوجته ويكون هو الذي يكسو أهله من عنده[٣]، ولم يكن مع أحد من جنده فرس مرتبطة في داره ولا عدة من سلاح أو عتاد بل الخيل في إسطبلاتها والسلاح في مستودعاته ومتى ما حدث ما يوجب تجهيز الجيش أخرج من السلاح والخيل ما يحتاج إليه[٤].

خلفاء علي بن مهدي :

خلف علي بن مهدي في الحكم ابناه مهدي بن علي وعبد النبي بن علي حيث تولى مهدي قيادة الجيش وتولى عبد النبي إدارة شؤون الدولة. وقد غزا مهدي بن علي إقليم لحج التابع لإمارة بني زريع مرتين الأولى عام ٥٥٦هـ / ١١٦١م والمرة الثانية عام ٥٥٨هـ / ١١٦٣م وقتل أعداداً كبيرة من أهلها كما استولى على مدينة

---

١) عمارة : تاريخ اليمن ص : ١٥٦، ابن عبد المجيد : بهجة الزمن : ص ١٢٦، ابن الديبع : بغية : ص ٧٦.

٢) يحيى بن الحسين : غاية الأماني : ج١، ص ٣٢٢, عمارة : تاريخ اليمن ص ١٥٦.

٣) الخزرجي : العسجد ، ص ٢١٤، ابن عبد المجيد : بهجة الزمن : ص ١٢٦.

٤) عمارة تاريخ اليمن، ص١٥٦ ،الخزرجي : المسجد، ص ١٤٢:

الجند([1]) في العام نفسه وكانت ضمن إمارة آل زريع واستباحها وقتل كثيراً من العلماء ورمى جثثهم في بئر المسجد واستولى عليها وأحرق مسجدها([2]).

ولما توفى مهدي بن علي في مستهل شهر ذي الحجة من عام ٥٥٨هـ / ١١٦٣م استقل بالأمر أخوه عبد النبي بن مهدي، وكان يعرف بالسيد الإمام على السنة العوام وقد كانت له أطماع تفوق أسلافه، واستغل قوته في توسيع رقعة دولته على حساب جيرانه، ومن جانب آخر فإنه فاق أسلافه في التدمير، والتخريب، والقتل، والنهب والسلب فاحرق (أبين)([3])سنة ٥٥٩هـ / ١١٥٤م وأغار على المخلاف السليماني([4]) في عام ٥٦١هـ / ١١٦٦م التابع لأشراف بني سليمان وفاجأتهم غزوته حتى نلهم لم يأخذوا استعدادهم لذلك فقتل منهم عدداً كبيراً من الأشراف وعلى رأسهم الشريف وهاس بن غانم السليماني زعيم المخلاف([5]).

وغزا أيضاً البلاد التابعة لإمارة بني زريع وكرر الغزو لها حتى استولى على مخلاف جعفر بما فيه من القلاع والحصون والمدن وأزال نفوذ الدولة الزريعية عنه([6])

---

١) الجند : احد مخاليف اليمن وهو أعظمها ، والجند مسماه بجند بن شهران بطن من المعافر والجند من ارض السكاسك. (ياقوت: معجم البلدان: مج٢، ج٣، ص ٨٠.)

٢) ابن سمرة : طبقات فقها اليمن ص ١٨٢، ابن الديبع : قرة العيون : ص ٢٦٠.

٣) ابن الديبع: بغية : ص ٧٦، يحيى بن الحسين : غاية الأماني : ج١ ، ص ٣١٦.

٤) المخلاف السليماني : ينسب المخلاف السليماني إلى سليمان بن طرف الحكمي حيث تولى في البداية رئاسة قبيلة (حكم) ثم استطاع أن يوحد مخلاف حكم وعثر سنة ٣٧٣هـ/٩٨٣م في مخلاف واحد عرف فيما بعد باسم المخلاف السليماني ، وقد استقل سليمان بن طرف بحكم المخلاف حتى وفاته سنة ٣٩٣هـ/١٠٠٣م . ثم عاد المخلاف السليماني إلى التبعية المباشرة لحكومة زبيد ، وظل كذلك حتى قدم إليه الإشراف السليمانيون سنة ٤٦٢هـ/١٠٧٠م نازحين من مكة تحت ضغط الهواشم ، فحكموا المخلاف تابعين لزبيد وظلوا يتوارثون الحكم فيه حتى قضى ابن مهدي على حكومة زبيد وهاجم المخلاف السليماني ، وقتل وهاس بن غانم ، في المار ة الشريف قاسم بن غانم السليماني (العقيلي : محمد بن أحمد العقيلي : تاريخ المخلاف السليماني ، الناشر شركة العقيلي جازان ، مطابع الوليد ، ط٣، سنة ١٤١٠هـ/١٩٨٩م ، ص ٧١،٧٢،١٧٤،١٩٩،٢٠٣،٢٠٥.) عمارة : تاريخ اليمن : ص ١٨٢.

٥) بامخرمة : أبو محمد الطيب بن عبد الله بن أحمد بن علي بن مخرمة (ت٩٤٧هـ /١٥٤٠م) قلادة النحر ، تحقيق، عبد الرحمن محمد جيلان الصغير، الناشر ، وزارة الثقافة والسياحة ، صنعاء، ط١، سنة ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م، مج٢، ص ٢٤٧٣.، ابن الديبع : بغية: ٧٧ .

٦) ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن، ص ١٨٣، يحي بن الحسين : غاية الأماني : ج١، ص ٣١٧.

كما استولى على جبل صبر([1]) المطل على تعز ودانت له معظم اليمن ما عدا عدن([2]).

وقد ارتكب عبد النبي بن مهدي في غزواته تلك أعمالاً منكرة من التخريب والإحراق وهدم المساجد وسفك دماء المسلمين واسترقاق ذراريهم حتى خافه الناس ودانت له البلاد([3]).

ويبدو أنه قرر القضاء على دولة بني زريع فهاجم مدينة عدن للمرة الثانية ولكنه لم يتمكن من الاستيلاء عليها لمناعتها ولأن قواته قد أنهكتها الحروب المتواصلة التي خاضها . وقد دفع ذلك الداعي عمران بن محمد بن سبأ الزريعي إلى الاستنجاد بالسلطان علي بن حاتم من صنعاء وسلاطين قبيلة جنب([4]) ضد عبد النبي بن مهدي فأجابوه إلى ذلك، وقد جمع بينهم الخوف من حركات عبد النبي التوسعية، وتمكنوا من هزيمته واضطروه إلى الانسحاب من مخلاف جعفر ثم مدينة تعز كما سبق تفصيله في دولة بني زريع، ولم يلبث بعد ذلك إلا مدة يسيرة حتى قدم توران شاه فقضى على دولة بني مهدي كما سيأتي تفصيله ٠

مما سبق يتضح لنا أن الأوضاع السياسية في اليمن كانت مضطربة للغاية والدول القائمة فيها كانت ضعيفة بسبب الحروب والعداوات المستمرة فيما بينها مما اطمع القوى الخارجية فيها.

ولعل وجود بعض البقايا للنفوذ الفاطمي في اليمن ممثلا في دولة بني زريع في عدن ودولة بني حاتم في صنعاء قد أثار اهتمام صلاح الدين الأيوبي بهذه

---

١) جبل صبر : جبل مشهور تقع في سفح منحدره الشمالي مدينة تعز. وهو جبل هرمي على ارتفاع (٣٠٠٠) متر من سطح البحر. تحيط به المنحدرات السحيقة وفي أعلاه حصن (العروس).(المقحفي : معجم البلدان والقبائل اليمنية :ج١، ص ٨٩٤.)

٢) عمارة : تاريخ اليمن ص١٠٨، الحداد : التاريخ العام لليمن ج٢ ص ٣٥٠.

٣) ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن، ص١٨٣، ١٨٤، يحيى بن الحسين : غاية الأماني : ج١، ص ٣١٥.

٤) ابن الديبع : قرة العيون : ٢٦١، يحيى بن الحسين : غاية الأماني : ج١، ص ٣١٩، الحداد : التاريخ العام لليمن، ج٢ ص ٣٥٠.

المنطقة لاسيما بعد أن أصبحت مركزا للدعوة الشيعية عقب القضاء على الخلافة الفاطمية في مصر ٠

ومما لفت الأنظار إلى هذه المنطقة قيام دولة بني مهدي في زبيد على أنقاض دولة بني نجاح سنة ٥٥٤هـ/١١٥٩م، وما حققته من انتصارات سريعة وتوسعات كبيرة على حساب الدول الأخرى القائمة في اليمن آنذاك ، مع ما عرف عن مؤسسها علي بن مهدي من الطموح الشديد الذي لا يقف عند حدود اليمن ، ومع ذلك فهو خارجي المذهب، وقد قطع الخطبة للخليفة العباسي٠

ومن هذا يتضح أيضا أن اليمن لم يكن بمعزل عن العالم الخارجي في هذه الفترة ، وأن الأحداث الجارية فيها كانت موضع اهتمام القوى الخارجية ولاسيما الأيوبيين في مصر ، ولابد أن ينجم عن هذا الاهتمام نوع من الاحتكاك٠وقد ترجم ذلك الاحتكاك بالفعل في حملة توران شاه على اليمن ٠

وقد ربط بعض المورخين بين الأحداث التي كانت جارية في اليمن وبين حملة توران شاه كما سيتضح ذلك من أقوال المورخين عن أسباب الحملة٠

دوافع الأيوبيين لبسط سيطرتهم على اليمن

تعد حملة توران شاه على اليمن حدثاً تاريخياً مهماً في العصور الوسطى ، لفتت أنظار المورخين وحملتهم على تسجيله والتباري في البحث عن أسبابه ودوافعه ، وقد اختلف المورخون اختلافا كبيراً في أسباب هذه الحملة ، ولا تزال هذه الأسباب مجال دراسة ومناقشة واسعة بين الباحثين.

ومما أثار الجدل بين المورخين حول أسباب حملة الملك توران شاه على اليمن اختلافهم في فهم دوافع هذه الحملة وخلفياتها تبعاً لاختلاف الظروف والأوضاع السائدة في مناطقهم ، لذلك سنضيف ما ذكره المورخون حول الأسباب التي دعت صلاح الدين إلى إرسال حملة إلى اليمن بقيادة أخيه توران شاه.

ذكر ابن شداد : ((أن صلاح الدين رأى من قوة عسكره وكثرة عدد إخوته وقوة باسهم ، بالإضافة إلى أنه بلغه أن باليمن إنسانا استولى عليها وملك حصونها ، ويخطب لنفسه يسمى عبد النبي بن مهدي ، ويزعم أن ملكه ينتشر في الأرض كلها ويستتب الامر له ، فرأى صلاح الدين أن يسير إليها أخاه توران شاه))([١]). وذكر أبو شامة رواية ابن شداد نفسها ثم أضاف ((أن الذي كان يحث توران شاه على المسير إلى اليمن هو عمارة اليمني([٢]) شاعر القصر وكان كثير المدح

---

١) ابن شداد : بهاء الدين أبو عبد الله محمد الأنصاري (ت. ٦٣٢هـ/١٢٣٥م) النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية (سيرة صلاح الدين) تحقيق د/ جمال الدين الشيال ، نشر وزارة الثقافة والإرشاد ، مصر ، ط١، سنة ١٩٦٤م ، ص ٤٦.

٢) هو عمارة بن علي بن زيدان الحكمي شاعر يمني وأديب مرموق قدم مصر سنة ٥٥٠هـ /١١١٥م في سفارة مع قاسم بن هاشم ابن فليته شريف مكة إلى الخليفة الفاطمي الفائز بن الظافر ، فأعجبته مصر فأقام بها ، ونال مكانة كبيرة لدى الفاطميين حتى أصبح من أعيان الدولة الفاطمية . ولمآ زالت الدولة الفاطمية على يد صلاح الدين لم يجد عمارة عنده مثلما كان يتمتع به عند الفاطميين من الجاه والمكانة ، فاخذ يتقرب من توران شاه ويمدحه ويحثه على الاستيلاء على اليمن ، وكان يهدف من وراء ذلك إلى إضعاف قوة صلاح الدين بإبعاد أخيه عنه تمهيداً لتنفيذ المؤامرة التي اشترك فيها مع بعض المصريين الذين كانوا يعملون سراً على إعادة الخلافة الفاطمية ، ولكن المؤامرة اكتشفت بعد وقت قصير من قيام حملة توران شاه إلى اليمن . وتمكن صلاح الدين من القبض على المشاركين وصلبهم وعلى رأسهم عمارة في رمضان سنة ٥٦٩هـ / نيسان ١١٧٤م (ابن خلكان : أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان (ت. ٦٨١هـ/١٢٨٢م) وفيات الأعيان، تحقيق د/ أحسان عباس، دار الفكر، ودار صادر، بيروت، سنة ١٩٧٠م، مج٣، ص ٤٣٦.٤٣١.)(ابن واصل: جمال الدين محمد بن سالم بن واصل (ت. ٦٩٧هـ/ ١٢٩٧م) مفرج

لتوران شاه ، وكان إذا خلا به يصف له بلاد اليمن وكثرة أموالها وخيرها وضعف من فيها ، وإنها قريبة المأخذ لمن طلبها)) . ومن جملة شعره في ذلك القصيدة التي أولها .

العلم مذ كان محتاج إلى العلم   وشفرة السيف تستغني عن القلم

وقد لقي إغراء عمارة اليمنى وتحريضه لتوران شاه قبولاً في نفسه ورأى فيه تحقيقاً لرغبته في توسيع دخله لأنه على حد قول أبي شامة([1]) كان ((جوادا ، كريماً ، وكان إقطاعه بمصر لا يقوم بفتوته ولا ينهض بمروته))

ووافق كلام عمارة اليمني ((أنه كاتبه رجل من أهل اليمن يقال له الشريف قاسم بن غانم وأطمعه في المعاونة لأن صاحب اليمن عبد النبي بن مهدي قد تعدى على هذا الشريف وقتل أخاه وهاس بن غانم ، فأعلم توران شاه أصحابه بعزمه على اليمن فأجابوه ، واستأذن أخاه صلاح الدين في دخول اليمن فأذن له))([2]) . وذكر ابن كثير((أنه لما بلغ مسامع صلاح الدين أن باليمن رجلاً يقال له عبد النبي بن مهدي وقد تغلب عليها ، ودعا إلى نفسه ، وتسمى بالإمام ، وزعم أنه سيملك الأرض كلها ، فعزم صلاح الدين لكثرة جيشه وقوته على إرسال حملة إلى اليمن ، وكان أخوه توران شاه شجاعاً مهيباً وكان ممن يجالس عمارة اليمني الشاعر ، وكان عمارة ينعت له بلاد اليمن وحسنها وكثرة خيرها، فحداه ذلك على أن خرج بحملة إلى اليمن))([3]) وذكر ابن خلكان ((أن صلاح الدين بلغه أن إنسلاً يسمى عبد النبي بن مهدي يزعم أن ملكه ينتشر حتى يملك الأرض كلها ، وكان قد ملك أغلب

الكروب في أخبار بني أيوب ، نشر د/ جمال الدين الشيال ، وزارة المعارف المصرية ، مطبوعات إدارة إحياء التراث القديم ، مطبعة جامعة فؤاد الأول ، القاهرة ، سنة ١٩٥٣م ، ج١، ص ٢٤٣،٢٤٦،٢٥١،٢٥٧) (أبو شامة : الروضتين : مج١، ج٢، ص ١٩٥. ٢٠٠).

١) الروضتين : مج١، ج١، ص٢١٦.

٢) أبو شامة : الروضتين : مج١، ج٢، ص ١٧٧،١٨٠.

٣) ابن كثير: أبو الفداء. عماد الدين إسماعيل بن عمران الدمشقي (ت.٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م) البداية والنهاية ، اعتنى بهذه الطبعة ووثقها عبد الرحمن اللادقي ومحمد غازي بيضون ، دار المعرفة ، بيروت ، ط٩، سنة ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م : ج١٢، ص ٧٩٤،٧٩٥.

بلاد اليمن ، وكان صلاح الدين قد ثبت قواعده وقوى عسكره فجهز أخاه توران شاه بجيش اختاره وتوجه إلى اليمن من الديار المصرية))([1]) .

وقال أبو المحاسن ((أن توران شاه أكبر من صلاح الدين في السن وكان يرى نفسه أنه أحق بالملك من صلاح الدين وكانت تبدو منه كلمات في سكره في حق صلاح الدين وبلغ ذلك صلاح الدين فأبعده وبعثه إلى اليمن))([2]) بعد أن استأذن صلاح الدين نور الدين في إنفاذ جيش إلى اليمن فإذن له([3]).

وقال ابن الأثير((أنه في سنة ٥٦٨هـ/ ١١٧٣م سار توران شاه إلى بلاد النوبة([4]) وكان السبب أن صلاح الدين وأهله كانوا يعلمون أن نور الدين كان مصمماً على دخول مصر وأخذها منهم فاستقر الرأي بينهم أن يمتلكوا إما بلاد النوبة أو بلاد اليمن حتى إذا وصل إليهم نور الدين لقوه وصدوه عن البلاد فان قدروا على منعه أقاموا بمصر وأن عجزوا عن منعه ركبوا البحر ولحقوا بالبلاد التي فتحوها فسار توران شاه إلى بلاد النوبة وملكها ولم تعجبه فعاد إلى مصر))([5]) وبعد أن عاد توران شاه من بلاد النوبة ،استأذن صلاح الدين نور الدين في أن يسير إلى اليمن لقصد عبد النبي بن مهدي صاحب زبيد وأخذ بلده لأنه قطع الخطبة العباسية فأذن بذلك. وكان بمصر شاعر اسمه عمارة من أهل اليمن فكان يحسن لتوران شاه قصد اليمن ويصف البلاد له ويعظم ذلك في عينيه فزاده قوله رغبة فيها فشرع يتجهز بالأزواد والسلاح وسار من مصر إلى زبيد([6]).

---

١) ابن خلكان : وفيات الأعيان : ج١، ص٣٠٦.

٢) ابن تغري بردي: جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي (ت. ٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م): النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط٢، سنة ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م: ج٦، ص٨٧.

٣) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة : ج٦، ص ٦٩.

٤) النوبة : بلاد واسعة عريضة في جنوبي مصر ، وهم نصارى يعاقبة ، أهل شدة في العيش أول بلادهم بعد أسوان ، ومدينة النوبة اسمها دمقلة ، وهى منزل الملك على ساحل النيل ، وبلدهم أشبه شيء باليمن (ياقوت : معجم البلدان : مج٤، ج٨، ص ٤٠٥،٤٠٦.)

٥) ابن الأثير : عز الدين أبو الحسن علي بن محمد الشيباني(ت. ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م) الكامل في التاريخ، تحقيق د/ عمر عبد السلام تدمري، الناشر دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، سنة ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، ج ٩، ص ٣٨٠، ٣٧٩.

٦) ابن الأثير : الكامل في التاريخ : ج٩، ص ٣٨٨.

ذكر ابن واصل((انه في سنة ٥٦٩هـ/ ١١٧٤م سير صلاح الدين أخاه توران شاه إلى اليمن ليمتلكها ، وكان السبب أن صلاح الدين هو وأهله من حين ملكوا مصر خائفين من نور الدين أن يدخل مصر فيأخذها منهم فشرعوا في تحصيل مملكة يقصدونها ويملكونها وتكون لهم عدة ، فان أخرجهم نور الدين من مصر ساروا إليها وأقاموا بها ، فاقتضى رأي صلاح الدين أن يسير أخاه إلى النوبة ليملكها فسار إليها ولم تعجبه ، فلما عاد إلى مصر اقتضى رأي صلاح الدين أن يسير إلى اليمن وكان بها خارجي اسمه عبد النبي بن مهدي وقد ملك زبيد وقطع الخطبة العباسية وخطب لنفسه ، فاستأذن صلاح الدين نور الدين في أن يسير عسكر إلى اليمن ويفتحها فأذن له. وكان بمصر عمارة بن علي اليمني فحسن للملك توران شاه قصد اليمن ووصف بلادها وعظمها في عينيه فزاده في ذلك رغبة فيها فشرع يتجهز ويعد السلاح ، وكان عمارة له مدائح في توران شاه))([١]).

وفي الموضوع نفسه ذكر أبو الفداء ((أنه في سنة ٥٦٩هـ/ ١١٧٤م كان صلاح الدين وأهله خائفين من نور الدين فاتفق رأيهم على تحصيل مملكة غير مصر بحيث إن قصدهم نور الدين قاتلوه فإن هزمهم التجؤوا إلى تلك المملكة فجهز صلاح الدين أخاه تورا ن شاه إلى بلاد النوبة فلم تعجبهم بلادها ، ثم سيره في هذه السنة بجنود إلى اليمن فملكها))([٢]).

وذكر المقريزي أنه في سنة ٥٦٩هـ / ١١٧٤م ((سار توران شاه بأمر أخيه صلاح الدين إلى اليمن وذلك لشدة خوف صلاح الدين وأهله من الملك العادل نور الدين أن يدخل مصر وينتزعهم منها ، فأحبوا أن يكون لهم مملكة يصيرون إليها، وكان اختيارهم قد وقع على النوبة فلما سار إليها لم تعجبه وعاد ، وكان الفقيه عمارة اليماني قد انقطع إلى الأمير شمس الدولة ومدحه واختص به وحدثه عن بلاد اليمن وكثرة الأموال بها ، وهون عليه أمرها عنده وأغراه بأن يستبد بملك اليمن ، وتعرض لذلك في قصيدته التي أولها:

---

١) ابن واصل : مفرج الكروب : ج١، ص ١٣٧،١٣٨.

٢) أبو الفداء : عماد الدين إسماعيل أبوا لفداء (ت ٧٣٢هـ / ١٣٣١م) المختصر في أخبار البشر ، علق عليه ووضع حواشيه محمود ديوب ، الناشر دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١، سنة ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م ، ج٢، ١٣٣.

العلم مذ كان محتاج إلى العلم وشفرة السيف تستغني عن القلم

ومنها.

فخلف لنفسك ملكا لا تضاف به إلى سواك وأورد النار في العلم

هذا ابن تومرت قد كانت بدايته كما يقول الورى لحماً على وضم

ومع ذلك كان شمس الدولة جواداً كثير الإنفاق فلم يقنع بما له من الإقطاع بمصر وأحب التوسع فاستأذن صلاح الدين في المسير إلى اليمن فأذن له))([1]).

أما البدر العيني فذكر ((أن خروج شمس الدولة إلى اليمن أنه كان كريماً جوادا وكان إقطاعه بمصر لا يقوم بفتوته ولا ينهض بمروته وكان قد انتظم في سلكه عمارة الشاعر وكان من أهل اليمن ، ومدح توران شاه وكان إذا خلا به يصف له بلاد اليمن وكثرة أموالها وخيرها وضعف من فيها وإنها قريبة المأخذ لمن طلبها. ووافق ذلك أن كاتبه رجل من أهل اليمن يقال له ابن وهاس (وهاس بن غانم) وأطمعه في المعاونة لأن صاحب اليمن عبد النبي بن مهدي كان قد تعدى على هذا الشريف ، فأعلم شمس الدولة أصحابه بعزمه على اليمن فأجابوه وتجهز ثم دخل على أخيه صلاح الدين واستأذنه في دخول اليمن فأذن له))([2]).

أما بالنسبة إلى المؤرخين اليمنيين فإنهم يختلفون عن المؤرخين الأيوبيين في أسباب حملة توران شاه على اليمن ، ذكر الجندي وهو أقدم المورخين اليمنيين ((أن السبب في إرسال صلاح الدين حملة إلى اليمن أن ابن النساخ([3]) كان فقيهاً فاضلاً وأنه هو الذي كتب إلى صاحب بغداد قصيدة يشكو فيها من فعال ابن مهدي

---

١) المقريزي : تقي الدين أحمد بن علي المقريزي(ت ٨٤٥هـ / ١٤٤١م) السلوك لمعرفة دول الملوك : تحقيق محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط١، سنة ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م ، ج١، ص ١٦١،١٦٢.

٢) العيني : بدر الدين محمود العينى (ت. ٨٥٥هـ/ ١٤٥١م) عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، تحقيق د/ محمود رزق محمود، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط١، سنة ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م، ج١، ص ١٣٦. ١٣٨.

٣) ابن النساخ : اسمه الحسن بن محمد النساخ كان نابغة دهره ونادرة عصره متفوقاً في النظم والنثر وفنون الأدب مشاركاً في سائر الفنون والعلوم ورسالته المذكورة تدل على علو باعه وتقدمه في فن الإنشا ، وكون هذه الرسالة كانت هي الحافز للسلطان صلاح الدين لبعث أخيه لفتح اليمن غير صحيح وأن رواها الجندي فلعله واهم وإنما كانت هذه الرسالة سببا لخروج الملك المسعود الأيوبي الآتي الذكر لما قام ودعا الإمام عبد الله بن حمزة واشتدت وطأته باليمن الأعلى وأفرط في القتل والنهب والتخريب خاصة على الفرقة المطرفية الذين منهم ابن النساخ المذكور. (ابن الديبع : قرة العيون : ص ٢٦٦.)

وأن الخليفة العباسي حين بلغه ذلك كتب إلى صلاح الدين يأمره أن يجهز حملة إلى اليمن فوجه صلاح الدين أخاه توران شاه)) ، وذكر أيضا ((أن صلاح الدين خشي من نور الدين وكان من خدمه وهو الذي جهزه إلى مصر نجدة للمسلمين من الفرنج ، وعزم على الهرب فبعث أخاه يتجسس له أحوال اليمن ليجعلها ملجأ له))([1]). وذكر الأهدل ما ذكره الجندي ويضيف ((أن ابن النساخ المذكور من أصحاب الجبال بقرب صنعاء([2]) وهو من الفرقة المطرفية))([3]).

أما يحيى بن الحسين فقال ((أن صلاح الدين لما بلغه أن رجلاً باليمن يسمى عبد النبي بن مهدي أوغل في سفك الدماء ونهب الأموال ، وتطاول حتى زعم أن ملكه يطبق الأرض ويسير فيها مسير الشمس فغضب لذلك وأرسل أخاه توران شاه . ويقول أن أهل تهامة رفعوا أمر عبد النبي بن مهدي إلى صلاح الدين وشكوا ما نالهم منه وقيل أن الشريف قاسم بن غانم السليماني شكا إلى الخليفة العباسي ما فعله

---

١) الجندي: السلوك، ج٢، ص ٥٢٦، ٥٢٥.

٢) الاهدل : بدر الدين أبو عبد الله الحسين بن عبد الله الحسين بن عبد الرحمن بن محمد الأهدل (ت. ٨٥٥هـ/ ١٤٥١م) تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن ، تحقيق عبد الله الحبشي ، منشورات المجمع الثقافي أبو ظبي ، الإمارات العربية المتحدة ، ط١ ، سنة١٤٢٥ه/ ٢٠٠٤م ، ج٢، ص ٤٧١،٤٧٢.

٣) المطرفية : سميت هذه الفرقة بهذا الاسم نسبة إلى مطرف بن شهاب من أهل اليمن وفي سنة ٦٠٣ه/١٢٠٥م جرت مراسلات كثيرة بينهم وبين الإمام عبد الله بن حمزة وحكم بكفرهم وسبيهم واستباحة أموالهم . وفي سنة ٦١٠ه/١٢١٢م قام رجل من المطرفية يدعى محمد بن منصور ابن مفضل بن حجاج من أهل وقش مدافعاً عنهم منكراً على الإمام عبد الله بن حمزة ما وقع منه من تكفير المطرفية ، فحارب أهل عران والمصنعة . وهما حصنان للإمام . وأجابه كثير من حمير ، فجهز الإمام عبد الله بن حمزة لمحاربته جيشاً جعل على رأسه أخاه يحيى بن حمزة تمكن من هزيمتهم وقتلهم وسبى عدداً كبيراً منهم . وذلك لأنهم لم يقولوا بإمامة عبد الله بن حمزة، فاستحل الإمام عبد الله بن حمزة حرمتهم وجعل حكمهم حكم الكفار المحاربين. وفي السنة التالية قام الإمام عبد الله بن حمزة بإخراب مسجد المطرفية بسناع وإخراب مدينة وقش . دورها ومساجدها . فأخربت ، وحملت أخشابه إلى حصن ظفار . فخرج أهل وقش إلى بلاد أنس وخولان ، وذهبوا كل مذهب. فلما عظمت البلية على المطرفية أنشأ رجل منهم يعرف بابن النساخ رسالة إلى خليفة بغداد الناصر أحمد يحرضه على محاربة الإمام عبد الله بن حمزة ويحثه على إرسال الجند إلى اليمن (يحي بن الحسين : غاية الأماني : ج١، ص ٣٨٩،٣٩٠، ٣٩٧ . ٤٠١) (د/ أيمن فؤاد سيد : تاريخ المذاهب الدينية في بلاد اليمن حتى نهاية القرن السادس الهجري ، الدار المصرية اللبنانية ، ط١، القاهرة ، سنة ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م ، ص ٢٦٨،٢٦٩).

عبد النبي بن مهدي من قتل أخيه الشريف وهاس بن غانم وطلب منه النصرة ، فأمر صلاح الدين بالتجهز وإرسال حملة إلى اليمن))([1]).

وذكر بامخرمة ((انه لما قتل الشريف وهاس بن غانم خرج أحد إخوته مستصرخاً الخليفة ببغداد مستنصراً به على ابن مهدي فيقال أن الخليفة كتب إلى صلاح الدين أن يجرد في نصرته عسكراً ضد ابن مهدي فبعث صلاح الدين أخاه توران شاه إلى اليمن))([2]).

وذكر ابن الديبع ((أن صلاح الدين بلغه أن باليمن أنسانا يسمى عبد النبي بن مهدي قد استولى على اليمن وزعم انه ينتشر ملكه حتى يملك الأرض كلها ، فجهز له أخاه توران شاه)).

وقيل ((لما قتل الشريف وهاس بن غانم وعجز أخاه قاسم بن غانم عن حرب ابن مهدي رحل إلى مصر واستنجد بصلاح الدين على ابن مهدي فأرسل أخاه توران شاه))([3]).

أما الكبسي فقال((أن الشريف قاسم بن غانم بعد مقتل أخيه الشريف وهاس بن غانم وما فعله ابن مهدي في مخلافهم من القتل والسبي والنهب ذهب الشريف قاسم بن غانم إلى الخليفة الناصر في بغداد ، فكتب الخليفة إلى صلاح الدين وأمره بالتجهز على ابن مهدي فأرسل أخاه توران شاه))([4]). وذكر ألعرشي((أن قدوم بني أيوب لليمن هو بسبب استنصار الشريف قاسم بن غانم بالسلطان صلاح الدين على ابن مهدي فبعث معه أخاه توران شاه))([5]).

وذكر الفرح ((أن عمارة اليمني شاعر الفاطميين وصاحب ابن رزيك وكان من أمرائهم واصله من اليمن ، وكان في خدمة شمس الدولة وكان يغريه بالذهاب إلى

---

١) يحي بن الحسين : غاية الاماني : ج١، ص ٣٢٢.

٢) بامخرمة : قلادة النحر ، مج٢، ص ٢٤٧٤، ٢٤٧٣.

٣) ابن الديبع : قرة العيون : ٢٦٥. ٢٦٧.

٤) الكبسي : اللطائف السنية : ص٩٦.

٥) العرشي : بلوغ المرام : ص ٤١.

اليمن فسار توران شاه بعد أن تجهز وأزاح العلل واستعد بالمال))([1]). أما الوصابي فقال((أنه لما جار عبد النبي بن مهدي وأظهر البدع وفعل القبائح خرج عليه قاسم بن غانم واستنجد بالملك توران شاه فغزا توران شاه اليمن))([2]).

وذكر ابن حاتم وهو من أقدم المصادر اليمنية عن الأيوبيين في اليمن((أن صلاح الدين فرق على إخوته البلاد لكل منهم بلدٌ ماخلا توران شاه فإنه ندبه لليمن وجهزه بالعسكر الجم والمال الكثير ، وذلك أن اليمن كانت تعيش شبه حالة فوضى فليس فيها ملك مستقل فيها في وعرها وسهلها وعلوها وسفلها ، وإنها كانت مقسومة بين العرب فكل موضع فيه ملك مستقيم بذاته والأمر فيها كما قال الشاعر:

وتفرقوا فرقاً فكل قبيلة فيها أمير المؤمنين ومنبر

فلما بلغه ذلك بادر بتجهيز أخيه توران شاه فلما وصل إلى اليمن سنة ٥٦٩هـ/ ١١٧٤م فأول من لقيه من أهل اليمن الأمير قاسم بن غانم جاءه إلى حرض))([3])

وشكا عبد النبي بن مهدي وهو يومئذ صاحب التهائم والجبال من تعز إلى ذخر([4]) ما خلا عدن والدملوة([5]) وصنعاء فإنها كانت بأيدي أهلها . وكان عبد النبي قد أغار على حرض ونهبها ونهب قراها ونهب المحل الذي للشريف (المخلاف السليماني)([6]) وقتل أخاه وهاس بن غانم فسأل الأمير قاسم الملك المعظم أن يكون أول دخوله اليمن إنجادٌ له على ابن مهدي فأجابه إلى ذلك ونهضوا بالعساكر من

---

١) الفرح : اليمن في تاريخ ابن خلدون : ص ٦٠٧.

٢) الوصابي : وجيه الدين عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن عمر الوصابي الحبشي (ت ٧٨٢هـ/م) تاريخ وصاب المسمى الاعتبار في التواريخ والأثار ن تحقيق عبد الله محمد الحبشي ، الناشر مكتبة الأرشاد ، صنعاء ، ط٢، سنة ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م : ص ١٣٩،١٤٠.

٣) حرض : بفتحتين وهو في اللغة الذي أذابه الحزن ، وهو بلد في أوائل اليمن من جهة مكة نزله حرض بن خولان بن عمرو بن مالك بن حمير فسمي به وهو اليوم بين خولان وهمدان :(ياقوت : معجم البلدان : مج٢، ج٣، ص ١٣٦).

٤) ذخر: بفتح فكسر فسكون. جبل مشهور في الحجرية ، غربي تعز بمسافة ٣٥كيلاً ، يعرف اليوم بجبل حبشي . وهو معاند لجبل(صبر) من الغرب ، وفيه قلاع وحصون‌أثرية منها حصن عز ان والتالبة وشرياف وكلها خراب ويشكل الجبل في عمله الإداري (مديرية) من أعمال محافظة تعز (المقحفي : معجم البلدان والقبائل اليمنية : ج١، ص ٦٤٤،٦٤٥).

٥) سبق التعريف به.

٦) سبق التعريف به.

حرض ووصلا إلى زبيد ودخلاها ونهبا جميع ما فيها من أموال والخيل وسبوا الحريم وقبضوا على عبد النبي وإخوته وعاد الأمير قاسم بن غانم إلى بلاده وأقام توران شاه في زبيد([1]).

وفي ضوء ما تقدم نستطيع أن نستنتج الأسباب والدوافع الحقيقية لبسط الأيوبيين سيطرتهم على اليمن:

١ـ حرص صلاح الدين الايوبي على تحقيق نشر المذهب الشافعي في اليمن وذلك بالقضاء على بقايا النفوذ الشيعي في اليمن وخاصة في عدن وصنعاء بعد أن أصبحت اليمن مركزاً للدعوة الشيعية عقب القضاء على الخلافة الفاطمية في مصر([2]).

---

١) ابن حاتم : السمط : ص ١٦،١٧.

٢) أصبحت اليمن مركزاً مهماً من مراكز الدعوة الفاطمية في العالم الإسلامي في عهد الملك علي بن محمد الصليحي (٤٣٩. ٤٥٩هـ / ١٠٣٩. ١٠٦٧م) وقد أسند إليه الفاطميون أمر الإشراف علي الدعوة في البحرين والإحساء والهند والسند (حسين الهمداني : الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن : ص ٢٢١) . كما قام الداعي المؤيد الشيرازي باب الأبواب سنة ٤٧٠هـ /١٠٧٧ م) بنقل تراث الدعوة العلمي والديني إلى اليمن لان الدعوة الفاطمية قد استقرت بها أكثر من غيرها من البلاد التابعة للفاطميين ، وقد تم هذا التحول على يد القاضي مالك بن لمك لحمادي في عهد المكرم أحمد بن علي الصليحي (الهمداني : الصليحيون : ص ٢٦١، ٢٦٢).

على أن الدعوة الفاطمية في اليمن مالبثت أن انقسمت على نفسها عقب مقتل الخليفة الفاطمي الآمر سنة ٥٢٤هـ /١١٣٠م) فقد قامت السيدة الحرة أروى الصليحية بالتمسك بالدعوة للطيب بن الامر (المستور) ، وقامت السيدة بالدعوة له في اليمن الأعلى وسمى أتباعها بالطيبية . ومن جانب أخر نجح الخليفة الفاطمي (الحافظ عبد المجيد) في اجتذاب الزريعيين في عدن إليه وتقبلوا دعوته وقاموا بنشرها في بعض مدن اليمن الأسفل وسمى أتباع هذه الدعوة بالمجيدية ، وضعفت الدعوة الطيبية في اليمن بعد وفاة السيدة الحرة أروى الصليحية سنة ٥٣٢هـ / ١١٣٨م وقوى أمر بني زريع الذين ظلوا موالين للخلافة الفاطمية (د/ محمد جمال الدين سرور : النفوذ الفاطمي في جزيرة العرب : ص ١٠٠. ١٠٣م) وربما أن أنظار أنصار الدعوة الشيعية قد توجهت إلى اليمن بعد سقوط الخلافة الفاطمية في مصر وهذا الامر دفع صلاح الدين الايوبي إلى الإسراع في إرسال حملة توران شاه إلى اليمن للقضاء على ما تبقى من النفوذ الشيعي فيه قبل أن يستفحل أمره ويجد متنفساً له في اليمن .

٢ـ رغبة صلاح الدين الايوبي في التضييق على أنصار الفاطميين وفي القضاء على دولة ابن مهدي الخارجي الذي قطع الخطبة العباسية ، وزعم أن ملكه سوف ينتشر حتى يشمل الأرض كلها([1]).

وكان صلاح الدين الايوبي يهدف من وراء القضاء على دولة بني مهدي إلى إعادة النفوذ العباسي في اليمن الذي أنهاه ابن مهدي بقضائه على الدولة النجاحية في زبيد سنة٥٥٤هـ /١١٥٩ م ،التي كانت الممثل الوحيد للنفوذ العباسي في اليمن ، وهذا ما جعل نور الدين محمود يوافق على إرسال حملة توران شاه إلى اليمن.

٣ـ كان الاستيلاء على بلاد اليمن ضرورة اقتضتها عملية توحيد الجبهة العربية الإسلامية وتقويتها نظراً للأهمية الكبرى لبلاد اليمن في استكمال بناء الجبهة العربية الإسلامية، تلك الأهمية التي اكتسبتها اليمن من موقعها الاستراتيجي المهم في المدخل الجنوبي للبحر الأحمر ، وسيطرتها على الملاحة البحرية فيه([2]).

ثم أن قرب بلاد اليمن من الأماكن الإسلامية المقدسة (مكة والمدينة) يلقى عليها تبعة كبيرة في الدفاع عنها ، والوقوف في وجه كل محاولة صليبية للاعتداء عليها، ولتحقيق هذا الهدف رأى صلاح الدين الايوبي أنه لابد من السيطرة على اليمن ، وتخليصها من عوامل الضعف وذلك بالقضاء على القوى المتناحرة فيها وتقويتها بالجيش والأسطول([3]).

---

١) ابن خلكان : أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت ٦٨١هـ / ١٢٨٢م) وفيات الأعيان : تحقيق د/ إحسان عباس ، نشر دار الفكر. ودار صادر بيروت ، سنة ١٩٦٨م ، مج١، ص ٣٠٦ ، ابن عبد المجيد : بهجة الزمن : ص ١٢٧.

٢) كان صلاح الدين الايوبي حريصاً على أن يظل البحر الأحمر بحيرة عربية إسلامية نظراً لأهميته في المواصلات البحرية والتجارية ، وقد رأى صلاح الدين في الاستيلاء على اليمن. بعد أن استولى على ثغر آيلة. تأكيدا للسيطرة الإسلامية على هذا الشريان الملاحي والتجاري الهام .. بهدف محاربة الصليبيين اقتصادياً بمنع وصول التجارة الشرقية إليهم عبر هذا الطريق المختصر ، والحيلولة دون تسرب الفكرة الصليبية أو التعاون مع الحبشة عبر البحر الأحمر.

٣) كان من المفترض أن تقوم القوة الأيوبية في اليمن. باعتبارها اقرب إلى الأماكن الإسلامية المقدسة. بالتصدي لحملة أرناط في البحر الأحمر سنة ٥٧٧هـ /١١٨٢م بقصد الإغارة والاعتداء على الأماكن الإسلامية المقدسة (مكة والمدينة) ولكن الخلافات التي كانت قائمة بين نواب توران شاه في اليمن ومحاولة كل واحد منهم السيطرة على الأخر حالت دون القيام بهذه المهمة ، مما دفع صلاح الدين الايوبي إلى إرسال حملة بقيادة أخيه طغتكين ابن أيوب إلى اليمن للقضاء على نواب توران شاه وتولي الحكم فيها.

ومما يزيد من أهمية اليمن من الناحية الإستراتيجية وقوعها في مواجهة دولة مسيحية كبيرة هي دولة الحبشة، وهى وأن كانت بعيدة عن الصراع بين المسلمين والصليبيين إلا أنها كانت ستشكل خطراً كبيراً على الجبهة الإسلامية لو نجح الصليبيون في الوصول إليها ، وبث الروح الصليبية فيها، أو فى حال انضمامها إلى الصليبين في حربهم مع المسلمين([1]).

٤- رأى صلاح الدين الايوبي أن المرحلة القادمة ، وهي مرحلة الجهاد ضد القوى الصليبية التي تقف من ورائها دول أوربا مجتمعة بما تقدمه لها من الدعم المادي والمعنوي ،وأن هذه المرحلة تتطلب حشد القوى العربية الإسلامية بجميع إمكانياتها المادية والبشرية ، واليمن بثرائهاالواسع وخيراتها الوفيرة تعتبر رافداً حيوياً للجبهة الإسلامية بما يمكن أن تقدمه من الدعم المادي الذي سوف يساعد على تخفيف الأعباء المالية عن الجبهة الإسلامية ، وكان صلاح الدين يعاني من ضائقة مالية في مصر بسبب كثرة نفقات الجيش الصلاحى ، ويتضح ذلك من العرض العسكري لجيوش صلاح الدين في سنتى٥٦٧هـ و٥٧٧هـ/ ١١٧٢ -١١٨٢م ([2]). لذلك فكر في تخفيف هذه الضائقة المالية بإرسال قسم من جيشه إلى اليمن حتى إذا تمت السيطرة عليها أمكن الاستعانة بالأموال المجلوبة منها في نفقات الجهاد ضد الصليبيين ، يوضح ذلك ماورد في كتاب أرسله صلاح الدين الايوبي - فيما بعد - إلي عثمان الزنجيلى نائب توران شاه على عدن جاء فيه:(البلاد لك فيها عدة سنين وأنت فيها مؤتمن على مال الله فأده إلى من يجاهد به أعداء الله ، ويقيم كلمة الله ،

١) محمد عبد العال أحمد : دراسة حول أقوال المورخين عن أسباب الفتح الايوبي لليمن (مقال) مجلة معهد المخطوطات العربية : سنة ١٩٦٧م ، ج١٣، ص ٣٣٠، ٣٣١.

٢) بلغ عدد جيش صلاح الدين في عرض سنة ٥٧٧هـ /١١٨٢م: ٨٦٤٠ فارساً، بلغت النفقة عليهم حوالي ٣'٦٧٠'٥٠٠ ديناراً ، ثم زادت نفقات الجيش حتى بلغت سنة ٥٨٥هـ / ١١٨٩ م حوالي ٤'٦٥٣'٠١٩ ديناراً (المقريزي : تقي الدين أحمد بن على المقريزي ت ٨٤٥هـ / ١٤٤١م : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار . المعروف بالخطط المقريزية : تحقيق د/ محمد زينهم ، مديحه الشرقاوي ، نشر مكتبة مدبولي ، ط١ ، سنة ١٩٩٨م ، القاهرة ، ج١، ص٢٥٠، ٢٥١.). وبلغت حاجة صلاح الدين إلى المال في هذه المرحلة درجة دفعته إلى لخذ خراج أراضي أسفل الدلتا نقداً لحاجته الماسة إلى المال (المقريزي : السلوك : ج١ ، ص ١٨٦).

ويحفظ به البيضة ، ويذب عن الملة ، ويقابل به أعداء القبلة، ويضرب بالاسداد بين الكفر والإسلام ، وينصب وجهه بين الهجير والزمهرير عاماً في أثر عام ، وما نطلب منك الباطل الذي لايجوز لنا أن نطلبه ، ولا لك أن تدفعه ، ولانريد إلا الحق الذي لايحل لنا أن نتركه ، ولا لك أن تمنعه)([1]).

مما سبق يتضح بجلاء أن من أهداف صلاح الدين من السيطرة على اليمن هو الاستعانة بإمكانياتها المادية في تقوية الجبهة العربية الإسلامية ودعم صمودها.

وربما كان من أهداف صلاح الدين الايوبي في التوسعات التي قام بها في اليمن أو (كل من النوبة والمغرب) هو تقوية مركز مصر ولتوسيع مجالها الحيوي لتقوم بدورها كاملاً في الجبهة الإسلامية لمقاومة الصليبيين.

وأخيرا فان صلاح الدين الايوبي كان على علم بالمزايا العديدة التي تكسبها الجبهة الإسلامية من ارتباط اليمن بها ، لذلك فقد حرص على ضمها إليها وتقويتها ، تماماً كما حرص سلفه نور الدين محمود على إدخال مصر في الجبهة الإسلامية تقديراً منه لعظيم أهميتها.

علاقة صلاح الدين بنور الدين وأثرها في ضم اليمن

تحدث المؤرخون عن علاقة صلاح الدين بنور الدين وما أصاب تلك العلاقة من الجفوة بسبب بعض المآخذ التي أخذها نور الدين على صلاح الدين ومن تلك المآخذ أنه في سنة ٥٦٧هـ /١١٧١م كتب نور الدين كتب إلى صلاح الدين يأمره بالمسير على رأس جيش مصر والنزول بها على الكرك([2]) ومحاصرته ، فخرج صلاح الدين من القاهرة في المحرم سنة ٥٦٧هـ / كانون الثاني ١١٧١م وكتب إلى نور الدين أن رحيله لا يتأخر ، وكان نور الدين قد جمع الجند وتجهز وأقام ينتظر

---

١) أبو شامة : الروضتين : مج٢ ،ج٣، ص ٦٥.

٢) الكرك : بفتح الراء ، قلعة حصينة جداً في طرف الشام من نواحي البلقاء في جبالها بين أيلة وبحر القلزم (البحر الأحمر) وبيت المقدس ، وهي على سن جبل عال تحيط بها أودية إلا من جهة الربض. (ياقوت : معجم البلدان :مج٤، ج٧، ص ١٣١).

وصول الخبر من صلاح الدين ورحيله ليرحل هو ، فلما أتاه الخبر برحيل صلاح الدين رحل من دمشق عازماً على قصد الكرك فوصل إليه وأقام ينتظر وصول صلاح الدين فأتاه كتابه يعتذر فيه عن الوصول باختلال أحوال مصر وأنه يخاف عليها من البعد عنها فعاد إليها ، فلم يقبل نور الدين عذره([1]) وهناك من يذكر بأن صلاح الدين وصل إلى حصن الشوبك ([2]) وبينه وبين الكرك يوم وأن صلاح الدين حاصر الشوبك وضيق الحصار على من به من الفرنج واستمر الحصار فطلب الفرنج الأمان واستمهلوه عشرة أيام فأجابهم إلى ذلك ، فقيل لصلاح الدين إن دخل نور الدين بلاد الفرنج وهم على هذه الحال ، فأنت من جانب ونور الدين من جانب ملكها ومتى زال الفرنج عن الطريق وأخذ ملكهم لم يبق لك مقام مع نور الدين ، وإن جاء نور الدين إليك وأنت هاهنا فلا بد لك من الاجتماع به وحينئذ يكون هو المتحكم فيك إن شاء تركك وإن شاء عزلك ولا تقدر على الامتناع عليه ، والمصلحة الرجوع إلى مصر ، فرحل عن الشوبك وكتب إلى نور الدين يعتذر لأمور بلغته عن الشيعة وأنهم عازمون على الوثوب بمصر ، فلم يقبل نور الدين عذره([3]).

وكان سبب تقاعده أن أصحابه وخواصه خوفوه من الاجتماع بنور الدين، فحيث لم يتمثل أمر نور الدين شق ذلك عليه وعظم عنده([4]) وعزم نور الدين على الدخول إلى مصر وإخراج صلاح الدين عنها([5]).

---

١) ابن واصل : مفرج الكروب : ج١، ص ٢٢٢، أبو شامة : الروضتين : مج١، ج٢، ص١٤٨، ابن كثير : البداية والنهاية : ج١٢، ص٧٨٨، العيني : عقد الجمان : ج١، ص ٩٨.

٢) الشوبك : بالفتح ثم السكون ثم الباء الموحدة المفتوحة وأخره كاف ، قلعة حصينة في أطراف الشام بين عمان وآيلة والقلزم (البحر ألأحمر) قرب الكرك (ياقوت : معجم البلدان : مج٣، ج٥، ص ١٦١.)

٣) ابن الأثير: الكامل في التاريخ: ج٩، ص ٣٦٨، ٣٦٧، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة: ج٦، ص ٢١-٢٣، أبو الفداء: المختصر في أخبار البشر: ج٢، ص ١٣٢.

٤) زكار : د/ سهيل زكار : حطين مسيرة التحرير من دمشق إلى القدس ، دار حسان للطباعة والنشر ، دمشق ، ط١، سنة ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م ، ص ٩٥.

٥) ، اليافعي : عبد الله بن أسعد بن علي (ت. ٧٦٨هـ/ ١٣٦٦م) مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان ، وضع حواشيه خليل المنصور ، منشورات دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١، سنة ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م ،ج٣، ص ٢٨٦، العامري : يحيى بن أبي بكر بن محمد العامري (ت. ٨٩٣هـ/) غربال الزمان في وفيات الأعيان ، صححه

وبلغ الخبر صلاح الدين فعقد مجلس استشارة ضم أهله وعلى رأسهم والده نجم الدين أيوب وخاله شهاب الدين الحارمي ومعهم سائر الأمراء وأعلمهم بما قد عزم عليه نور الدين من دخول مصر ، واستشارهم فلم يجبه أحد منهم بشيء فقام ابن أخيه تقي الدين عمر وقال : إذا جاء قاتلناه وصددناه عن البلاد ووافقه غيره من أهله ، فشتمهم نجم الدين ، وأنكر عليهم ذلك غاية الإنكار ، وقال لصلاح الدين : أنا أبوك وهذا شهاب الدين خالك أتظن في هؤلاء كلهم من يحبك ويريد لك الخير مثلنا فقال :لا. فقال : والله لو رأيت أنا وهذا خالك نور الدين لم يمكننا إلا أن نترجل إليه ولو أمرنا بضرب عنقك بالسيف لفعلنا ، فإذا كنا نحن هكذا فما ظنك بغيرنا ، وكل من تراه عندك من هؤلاء الأمراء والعساكر لو رأوا نور الدين وحده لم يتجاسروا على الثبات على سروجهم ولا وسعهم إلا النزول وتقبيل الأرض بين يديه ، وهذه البلاد له ونحن مماليكه ونوابه فيها فإن أراد عزلك سمعنا وأطعنا ، وأي حاجة إلى المجيء ، يأمر بكتاب مع نجاب حتى تقصد خدمته ويولى بلاده من يريد . وقال للجماعة كلهم : قوموا فنحن مماليك نور الدين وعبيده يفعل بنا ما يريد، وتفرقوا على هذا الحال وكتب أكثرهم إلى نور الدين بالخبر ، ولما خلا نجم الدين أيوب بابنه صلاح الدين قال له : أنت جاهل قليل المعرفة تجمع هذا الجمع الكثير وتطلعهم على مافي نفسك فإذا سمع نور الدين أنك عازم على منعه من البلاد جعلك من أهم أموره وأولاها بالقصد ، ولو قصدك لم تر معك من هذه العساكر أحد وكانوا يسلمونك إليه ، وأما الآن بعد هذا المجلس فسيكتبون إليه يعرفونه قولي ، فكاتب إليه في هذا المعنى وتقول له : اى حاجة إلى قصدي ، نجاب يأخذني بحبل يضعه في

محمد ناجي زعبي العمر ، دار الخير للنشر والتوزيع ، دمشق ، مطبعة زيد بن ثابت ، دمشق ، ط١، سنة ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م ، ص٤٤٦ ، ابن واصل : مفرج الكروب : ج١، ص ٢٢٢، أبو شامة : الروضتين : مج١، ج٢، ص ١٤٨، ابن كثير : البداية والنهاية : ج١٢، ص ٢٨٨،أبو المحاسن : النجوم الزاهرة : ج٦، ص ٢١-٢٣،ابن الأثير : الكامل في التاريخ : ج٩، ٣٦٧،٣٦٨، العيني : عقد الجمان : ج١، ص ٩٨ ، بامخرمة : قلادة النحر: ج٢، ص٢٤٧٨،٢٤٧٩ .

عنقي . فهو إذا سمع هذا عدل عن قصدك واشتغل بما هو أهم عنده ، ففعل صلاح الدين ما أمر به أبوه ، فلما رأى نور الدين الأمر هكذا عدل عنه(١).

وفي شوال سنة ٥٦٨هـ / تشرين أول ١١٧٢م رحل صلاح الدين من مصر بجنوده قاصداً الكرك والاجتماع بنور الدين والاتفاق على قصد بلاد الفرنج من جهتين كل واحد منهما في جهة بعسكره والسبب في ذلك أن نور الدين لما أنكر على صلاح الدين الرجوع إلى مصر العام الماضي وأراد نور الدين الذهاب إلى مصر وأخذها من صلاح الدين أرسل صلاح الدين يعتذر واستقر الراى بينهما أن صلاح الدين يخرج من مصر ويسير نور الدين من دمشق فأيهما سبق صاحبه يقيم إلى أن يصل الآخر إليه وتواعدا على يوم معلوم يكون وصولهما فيه فسار صلاح الدين من مصر لأن طريقه أصعب وأبعد وأشق ووصل إلى الكرك وقام بمحاصرته ، أما نور الدين فانه لما وصل إليه كتاب صلاح الدين برحيله من مصر توجه نور الدين من دمشق نحو الكرك فوصل إلى الرقيم (وسط الأردن) فلما سمع صلاح الدين بقربه خافه وقرر العودة إلى مصر وترك الاجتماع بنور الدين ، ولما عاد أرسل إلى نور الدين يعتذر عن رحيله بأنه قد استخلف أباه نجم الدين أيوب على ديار مصر وأنه مريض شديد المرض ويخاف أن يحدث له حادث الموت فتخرج مصر عن أيديهم ، وأرسل صلاح الدين إلى نور الدين بعض التحف والهدايا من مصادرات قصر خلافة القاهرة ، فعظم ذلك على نور الدين وعلم المراد من العودة إلا انه لم يظهر للرسول تأثراً بل قال : حفظ مصر أهم عندنا من غيرها(٢) وأضاف ابن واصل أن نور الدين قال : ما كان بنا حاجة إلى هذا المال وهو يعلم ـ أي صلاح الدين ـ أنا ما أنفقنا الذهب فى ملك مصر وبنا فقر إلى الذهب ، وما لهذا المحمول فى مقابلة ما جدنا به مقدار، وتمثل بقول أبي تمام:

---

١) أبو شامة : الروضتين : مج١، ج٢، ص ١٤٩، ابن واصل : مفرج الكروب : ج١، ص ٢٢٣،٢٢٢، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة : ج٦، ص ٢٢،٢٣، ابن الأثير : الكامل في التاريخ : ج٩، ٣٦٨، ابن كثير : البداية والنهاية : ج١٢، ص ٧٨٨،العيني : عقد الجمان : ج١، ص ٩٨.

٢) ابن كثير : البداية والنهاية : ج١٢، ص ٧٩٠، ابن شداد : النوادر السلطانية : ص ٤٥، ابن الأثير : الكامل : ج٩، ص ٣٩٣، أبو الفداء : المختصر في اخبار البشر : ج٢، ص ١٣٢.

لم ينفق الذهب المربى بكثرته   على الحصا وبه فقر إلى الذهب

لكنه يعلم أن ثغور الشام مفتقرة إلى وفود العدد من الجند ، وقد عم البلاء بالفرنج فينبغي أن تقع المساعدة والمعاونة بالإمداد([1]).

وكان نور الدين يريد أن يمده صلاح الدين بالمال من مصر وكان يود أن يفعل صلاح الدين ذلك من تلقاء نفسه ، فلما حملت إليه هدية صلاح الدين ومعها الاموال استقلها ولم تعجبه ، لذلك كلف وزيره موفق الدين القيسراني مسؤول ديوان الاستيفاء بالذهاب إلى مصر لإحصاء مواردها المالية وتقرير حصة مالية يدفعها صلاح الدين سنوياً إلى نور الدين([2]) وفي سنة ٥٦٩هـ / ١١٧٣م وصل موفق الدين القيسرانى إلى مصر وسلم رسالة نور الدين إلى صلاح الدين فأطلعه صلاح الدين على أحوال البلاد وقال : هؤلاء الأجناد فأعرضهم وأثبت أخبارهم ، وما يضبط مثل هذا الإقليم العظيم إلا بالمال العظيم ، ثم أنت تعرف مصر وعظماءها وإنهم معتادون النعمة الواسعة ، وقد تصرفوا في أماكن لايمكن انتزاعها منهم ولا يسمحون بأن ينقص من ارتفاعها ، وأمر جماعة الدواوين والحساب والكتاب بالتعاون مع موفق الدين القيسراني ، ثم جهز صلاح الدين مع الوزير القيسراني ما تحصل عنده من مال وأصحبه هدية إلى نور الدين([3]) .

وفي سنة ٥٦٩هـ / ١١٧٣م صمم نور الدين على الدخول إلى الديار المصرية لأنه رأى أن هناك تقاعساً من جانب صلاح الدين في قصد الفرنج من ناحيته ، وكان يعلم أنه إنما يمتنع صلاح الدين من الغزو خوفا منه والاجتماع به ، وأنه يوثر كون الفرنج في الطريق ليمتنع بهم على نور الدين ، فأرسل نور الدين إلى الموصل وبلاد الجزيرة وديار بكر وغيرها يطلب الجند ليكونوا في بلاد الشام مع ابن أخيه سيف الدين غازي حفظاً لها من الفرنج أثناء غيبته ، ويسير هو بجنده

---

١) ابن واصل : مفرج الكروب : ج١، ص ٢٢٦،

٢) ابن كثير : البداية والنهاية : ج١٢، ٧٩٠، ابن واصل : مفرج الكروب : ج١، ص ٢٣٢، المقريزي : السلوك : ج١، ص ١٥٨.

٣) ابن واصل : مفرج الكروب : ج١، ص ٢٥٨،٢٥٧، ابن كثير : البداية والنهاية : ج١٢، ٧٩٥، المقريزي : السلوك : ج١، ص١٦٣.

إلى مصر ، فعاقه القدر المحتوم حيث توفى في ١١شوال سنة ٥٦٩هـ / ١٥ أيار سنة ١١٧٤م([١]).

وربما الجفوة التي أصابت العلاقة بين نور الدين وصلاح الدين كانت قد اتسعت وأصبح العام والخاص يعلم مدى الاختلاف بين الرجلين وان نور الدين قد صمم على دخول مصر لأخذها من صلاح الدين ، وان سوء العلاقة بين القائدين العظيمين كان أحد أهم الأسباب لضم اليمن إلى دولة صلاح الدين ، وربما كان - أحد العوامل - التي دعت صلاح الدين إلى إرسال عسكره إلى اليمن للاستيلاء عليها لتكون مقراً له يلجأ إليه في حالة دخول نور الدين مصر وإخراجه منها.

سياسة الأيوبيين في البحر الأحمر والتجارة فى البحر العربي وأثرها في ضم اليمن

أرناط ومهاجمة الحرمين الشريفين:

تولى رينو دى شاتيون (رينالد) المعروف بالمصادر العربية باسم أرناط حكم أنطاكية بعد زواجه من وارثتها الأميرة كونستانس ، سنة ٥٤٨هـ/١١٥٣م ، وكان أرناط هذا فارساً فرنسياً إلا أنه لم يكن من طراز الفرسان الذين مجدتهم العصور الوسطى لحرصهم على التمسك بمبادئ الشرف ، وإنما اشتهر بحبه للسلب والنهب والاعتداء على الأبرياء المسالمين([٢]) لذلك فهو لا يختلف في أصله عن كثير من الفرسان المغمورين الذين لفظهم الغرب الأوروبي إلى بلاد الشام في

١) ابن كثير : البداية والنهاية : ج١٢، ص ٨٠٦، ابن واصل : مفرج الكروب : ج١، ص ٢٥٩،٢٥٨، المقريزي : السلوك : ج١، ص ١٦٤،١٦٣، ابن الأثير : الكامل في التاريخ : ج٩، ص ٣٩٣، المرتضى الزبيدى : ترويح القلوب بذكر ملوك بني أيوب ، تحقيق مديحة الشرقاوى ، الناشر مكتبة الثقافة الدينية ، دار المصرى للطباعة ، القاهرة ، د.ت ، ص ١٤،١٣، د/ سهيل زكار : حطين مسيرة التحرير : ص ٩٦،٩٥.

٢) عاشور : د/ سعيد عبد الفتاح عاشور : مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك : الناشر ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ص ٥٤.

عصر الحروب الصليبية ، لذلك نجده متهوراً ، ومغامراً ، عديم القيم والأخلاق ، لم يرع للعهود والمواثيق التي يوقعها ويلزم نفسه بها، ولم يكن سياسياً محنكاً ، لذلك جر على نفسه وعلى الصليبين الكثير من المتاعب ببلاد الشام([1]).

وكانت سياسة أرناط المتهورة قد أدت إلى وقوعه فى أسر الأمير مجد الدين أبي بكر بن الداية نائب الأمير نور الدين فى حلب سنة ٥٥٥هـ / ١١٦٠م عندما حاول الإغارة على بلاد الجزيرة([2]) للسلب والنهب وبقى فى الأسر ستة عشر عاماً ، من سنة (٥٥٥ ـ ٥٧٢ هـ /١١٦٠ـ١١٧٧م) دون أن يحاول إنقاذه أو يكترث له أحد من الصليبيين([3]) حتى أطلق سراحه الأمير كمشتكين حاكم

حلب([4]) تعبيراً عن اعترافه بالجميل للصليبين سنة ٥٧٢هـ / ١١٧٧م([5]).

وبعد إطلاق سراحه تزوج بالأميرة إتينت دى ميلى وارثة ملك الأردن طمعاً فى إقطاعها ، وبعد الزواج منها اصبح حاكماً على الأردن، ويتبع له حصن الكرك والشوبك ـ اللذين امتلكهما أرناط ـ وكانا لا يتحكمان في طريق حجاج المسلمين إلى الحرمين الشريفين فحسب ، بل أيضا في الطريق البرى الرئيسي بين شطرى الدولة الأيوبية فى مصر والشام([6]).

---

١) عاشور : د/ سعيد عبد الفتاح عاشور : الحركة الصليبية حركة مشرقة في تاريخ الجهاد الاسلامى فى العصور الوسطى ، الناشر ،مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، سنة ٢٠٠٥م ، ج١، ص ٥١٤.

٢) الجزيرة : وهي التي بين دجلة والفرات مجاورة الشام تشتمل على ديار مضر وديار بكر. سميت الجزيرة لأنها بين دجلة والفرات وهما يقبلان من بلاد الروم ، حتى يلتقيا قرب البصرة .(ياقوت : معجم البلدان : مج٢، ج٣، ص٥٤.)

٣) عاشور : الحركة الصليبية : ج١، ص ٥٣٥.

٤) حلب : بالتحريك . مدينة عظيمة واسعة كثيرة الخيرات طيبة الهواء صحيحة الأديم والماء وهي قصبة جند قنسرين. (ياقوت : معجم البلدان : مج٢، ج٣، ص ١٦٦.)

٥) عاشور : د/ سعيد عبد الفتاح عاشور : الحركة الصليبية حركة مشرقة في تاريخ الجهاد الاسلامى في العصور الوسطى : الناشر : مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، ط٧، سنة ١٩٩٧م ، ج٢، ص ٥٨٦.

٦) عاشور : الحركة الصليبية : ج٢، ص ٦٠٥.

ويقول الدكتور عاشور([١])(لم يكن صلاح الدين الرجل الذي يقبل السكوت عن اعتداءات وهجمات يقوم بها أمير صليبي متهوس ـ مثل أرناط ـ ضد قوافل الحجاج والتجار بين مصر والشام والحجاز.

ومع ذلك لم يدرك أرناط عواقب حماقاته لاسيما فى ذلك الوقت العصيب الذي تمر به الحركة الصليبية بعد أن تمكن صلاح الدين من توحيد مصر والشام، وقد جرت تلك السياسة عواقب وخيمة على أرناط والوجود الصليبي في بلاد الشام . حتى لقد خسروا تأييد المتعاطفين معهم من المسلمين المعادين لصلاح الدين مثل اتابك الموصل([٢]).

فقد قام أرناط الذي وصفه بعض مؤرخي المسلمين بأنه كان من (شياطين الفرنج ومردتهم ، وأشدهم عداوة للمسلمين)([٣]) حيث نسى أرناط ـ أو تناسى ـ أمر الهدنة المعقودة بين صلاح الدين ومملكة بيت المقدس ، فقد خرج أرناط في صيف سنة ٥٧٧هـ/ ١١٨١م على رأس قوة من رجاله وأوغل فى الصحراء فقام بمهاجمة تيماء([٤]) التي كانت عبارة عن واحة فى قلب الصحراء بين المدينة المنورة والأردن . والتي كان لها أهمية خاصة بالنسبة للمسلمين لأنها كما وصفها صلاح

---

١) عاشور : الحركة الصليبية : ج٢، ص ٦٠٥.

٢) الموصل : بالفتح وكسر الصاد : المدينة المشهورة العظيمة أحد قواعد بلاد الإسلام قليلة النظير كبراً وعظماً وكثرة خلق وسعة رقعة فهي محط رحال الركبان ومنها يقصد إلى جميع البلدان فهي باب العراق ومفتاح خرسان ومنها يقصد إلى أذربيجان ، وكثيراً ما سمعت أن بلاد الدنيا العظام ثلاث : نيسابور لأنها باب الشرق ، ودمشق لأنها باب الغرب ، والموصل لأن القاصد إلى الجهتين قل ما لا يمر بها .(ياقوت : معجم البلدان : مج٤، ج٨، ص ٣٣٩.)

٣) ابن الأثير : الكامل : ج٩، ص ٤٥٢، أبو شامة : الروضتين : مج٢، ج٣، ص ٥٥.

٤) تيماء : حصن أعمر من تبوك وهى فى شمالي تبوك وبها نخيل وهى ممتار البادية ، وبينها وبين أول الشام ثلاثة أيام . (الاصطخري : أبو إسحاق ابراهيم بن محمد القاسي (ت. فى النصف الأول من القرن الرابع الهجري) المسالك والممالك ، مطبعة بريل ، مدينة ليدن ، سنة ١٩٢٧م ، ص ٢٢.) (تيماء : بالفتح والمد. بليد فى إطراف الشام بين الشام ووادي القرى على طريق حاج الشام ودمشق.(ياقوت : معجم البلدان : مج١، ج٢، ص ٤٧١.)

الدين فى رسالة للخليفة الناصر العباسي بأنها (دهليز المدينة)([1]) حيث كان ينوى أن يسير منها براً للاستيلاء على المدينة المنورة([2]).

وكان أرناط يهدف من وراء ذلك إلى تحقيق عدة أهداف هي :

١ـ ضرب المسلمين فى أعز شيء لديهم ، وأقدس أماكنهم وذلك بمهاجمة الحرمين الشريفين.

٢ـ السيطرة على البحر الأحمر بالوصول إلىاليمن جنوباً بعد الاستيلاء على الحجاز([3]) فتصبح لهم (الصليبين) السيطرة على منافذه الشمالية والجنوبية ، وبذلك يسيطرون على موانئه الرئيسية مثل جدة([4]) والجار([5]) وينبع([6]) وعدن وغيرها وبذلك يتحكمون بالتجارة فى هذا البحر لما له من المكانة المهمة بين الشرق والغرب ، مما يعود عليهم بالأموال الكثيرة ويزيد فى قوتهم ،ويحرم الأيوبيين من مورد رئيسي من مواردهم.

٣ـ كان أرناط يريد أن يظهر على أنه قادر على الرد على الحملات التي يقوم بها صلاح الدين على إمارته أو الإمارات الصليبية فى بلاد الشام بغارات على المدن التابعة له.

---

١) أبو شامة : الروضتين :مج٢، ج٣، ص ٥٥.

٢) ابن واصل: جمال الدين محمد بن سالم بن واصل (ت. ٦٩٧هـ/ ١٢٩٧م) مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ،ج٢، نشر د/ جمال الدين الشيال ، المطبعة الأميرية ، القاهرة ، سنة ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م ، ج٢، ص ١٠١،١٠٢، ابن كثير : البداية والنهاية : ج١٢، ص ٨٣٧، المقريزي : السلوك : ج١، ص ١٨٧.

٣) الحجاز : بالكسر وآخره زاي . جبل ممتد بين غور تهامة ونجد فكأنه منع كل واحد منهما أن يختلط بالآخر فهو حاجز بينهما. وقيل سمي الحجاز حجازاً لأنه فصل بين الغور والشام وبين البادية.(ياقوت : معجم البلدان : مج٢، ج٣، ص ١١٨.).

٤) جدة : بالضم والتشديد . وهي بلد على ساحل بحر اليمن (البحر الأحمر) وهي فرضة مكة بينها وبين مكة ثلاث ليال .(ياقوت : معجم البلدان : مج٢، ج٣، ص ٣٩.).

٥) الجار :بتخفيف الراء : وهي مدينة على بحر القلزم (الأحمر) بينها وبين المدينة يوم وليلة وبينها وبين آيلة نحو من عشر مراحل ، وهي فرضة ترفا إليها السفن من أرض الحبش ومصر وعدن والصين وسائر بلاد الهند ، ونصف الجار في جزيرة من البحر ونصفها على الساحل.(ياقوت : معجم البلدان : مج٢، ج٣، ص ٢٢.).

٦) ينبع بالفتح ثم السكون والباء الموحدة مضمومة وعين مهملة : وهي بين مكة والمدينة ، وهي قريبة من طريق الحاج الشامي ، وهي قرية غناء وبها نخيل وماء وزرع .(ياقوت : معجم البلدان : مج٤، ج٨، ص ٥١١.).

ولما علم فرخ شاه ـ ابن أخي صلاح الدين ونائبه فى دمشق ـ جمع الجند الدمشقية وتوجه إلى الكرك ، فنهبها وحرق نواحيها ، مما جعل أرناط يعجل بالعودة إلى إمارته للدفاع عنها. وأقام فرخ شاه فى مقابلة أرناط الذي تراجع عن عزمه وفرق جنده ، مما دفع فرخ شاه إلى العودة إلى دمشق([١]) وبذلك فشلت محاولة أرناط الأولى.

ورغم ذلك لم يستقر أرناط حيث عمل على تحقيق الفكرة التي اختمرت في رأسه إلا وهيمهاجمة الحجاز والسيطرة عليه ناسياً أو متناسياً أن مثل ذلك العمل سيثير عليه كل المسلمين فى كل إنحاء العالم لأن محاولته تلك تعد ضربة قاصمة موجهة إلى صميم معتقداتهم ، ونسى - أو تناسى - تغيير الأوضاع بالنسبة للمسلمين والصليبيين جميعا فتحول المسلمون من التفكك والدفاع إلى الوحدة والهجوم ، وتحول الصليبيون من قوة وتماسك إلى ضعف وانحلال ، ومن حالة الهجوم إلى حالة الدفاع([٢]).

وبعد عام على محاولته الأولى سنة ٥٧٨هـ / ١١٨٢م قام بمحاولته الثانية فقد شرع فى بناء عدة سفن ، حملت أجزاؤها مفككه على ظهور الجمال حتى خليج العقبة حيث قام بتجميعها وركبت وشحنت بالمقاتلين والأسلحة والمؤن([٣]) وقسمها إلى فرقتين : الفرقة الأولى وهى مكونة من مركبين حيث أرسلهما إلى حصن آيلة([٤]) فقامت بمحاصرته ومنع عنها الماء فعانى أهلها من شدة العطش الشيء الكثير([٥]) أما الفرقة الثانية فسارت فى البحر الأحمر للإغارة على الموانى حيث

---

١) ابن الأثير : الكامل : ج٩، ص ٤٥٢، أبو شامة : الروضتين : مج٢، ج٣، ص ٥٥.

٢) د/ عاشور : الحركة الصليبية : ج٢ ، ص٦١٧.

٣) أبو شامة : الروضتين :مج٢، ج٣، ص ٨٨، المقريزي: السلوك : ج١، ص ١٩٠، ابن الأثير : الكامل : ج٩، ص٤٦٨ .

٤) آيلة : بالفتح . مدينة على ساحل بحر القلزم (البحر الأحمر) مما يلي الشام . وقيل هي أخر الحجاز وأول الشام ، وآيلة مدينة صغيرة عامرة بها زرع يسير .(ياقوت : معجم البلدان : مج١، ج١، ص ٢٣٢).

٥) أبو شامة : الروضتين : مج٢، ج٣، ص ٨٨،٨٩، ابن واصل : مفرج الكروب : ج٢، ص ١٢٧، ابن الأثير : الكامل : ج٩، ص ٤٦٨.

أغارت على ميناء عيذاب(1) فقتلوا وأسروا أعداداً كبيرة ، وأخذوا مركبين فيهما بضائع جاءت من اليمن ، وأخذوا أطعمة كثيرة من الساحل كانت معدة لميرة الحرمين ، وأحرقوا فى البحر نحو ستة عشر مركباً(2) .

ثم توجهوا إلى الشاطئ المقابل للبحر الأحمر - أي شاطئ الحجاز - وأثاروا الرعب في قلوب الناس لأنهم باغتوهم حيث لم يسبق لهم أن وصل الصليبيون إلى هذا الموضع ، حيث أصبح أهل المدينة على خطر عظيم منهم(3) بل إن الصليبيين صاروا على مسيرة يوم واحد من المدينة(4).

وذكر ابن واصل وأبو شامة ، أن الصليبيين نزلوا على ساحل الحوراء(5) قرب ينبع حيث أغاروا على القوافل ، واستخدموا بعض الخونة من الأعراب فى إرشادهم إلى داخلية البلاد(6).

وفى رسالة للقاضي الفاضل أوردها أبو شامة وابن واصل أن الصليبيين استهدفوا من وراء تلك العملية الحربية تحقيق هدفين خطيرين أولهما (قطع الحاج عن حجه) وضرب العالم الاسلامى فى قلبه وطعن المسلمين فى قبلتهم. وثانيهما أن الصليبيين كانوا يزمعون الاستيلاء على عدن فى جنوب البحر الأحمر ، لأخذ

---

1) عيذاب : بالفتح ثم السكون وذال معجمه وأخره با موحدة: بليدة على ضفة بحر القلزم (البحر الأحمر) هي مرسى المراكب التي تقدم من عدن إلى الصعيد(ياقوت معجم البلدان : مج3، ج6، ص 365.)

2) المقريزي : السلوك : ج1، ص 190.

3) ابن الأثير : الكامل : ج9، ص 468، أبو الفداء : المختصر فى اخبار البشر : ج2، ص 147،المقريزي : السلوك :ج1، ص 190.

4) ابن جبير : أبو الحسن محمد بن أحمد بن جبير الكناني (ت.614هـ / 1217م) رحلة ابن جبير ، دار الشرق العربي ، بيروت ، حلب سورية ، د.ت. ، ص 30 ، السلوك : ج1، ص 190.

5) الحوراء : هي ساحل خيبر لها حصن وربض عامر فيه سوق من نحو البحر (المقدسي : شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر(ت. 380هـ/ 990م) ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، طبع ليدن ، مطبعة بريل ، ط2، سنة 1909م ، ص83.). الحوراء : جهة الحجاز وهي على البحر في شرقي القلزم (البحر ألأحمر) وهي مرفأ سفن مصر إلى المدينة (ياقوت : معجم البلدان :مج2، ج3، ص 192.).

6) مفرج الكروب : ج2، ص 130 ، الروضتين : مج2، ج3، ص 90،91 .

(تجار اليمن) وبذلك يتمكنون بفضل السيطرة على آيلة فى الشمال وعدن فى الجنوب من إغلاق البحر الأحمر فى وجه أعدائهم ، واحتكار تجارة الشرق والمحيط الهندي(البحر العربي)([1]).

ومهما يكن من أمر ، فإن المسلمين لم يسكتوا عن تهديد الصليبيين للحرمين فقد أسرع الملك العادل أبو بكر بن أيوب الذي كان ينوب عن صلاح الدين في حكم مصر، سارع على الفور إلى إعداد أسطول قوى فى البحر الأحمر شحنه بالمقاتلين ، تحت قيادة الحاجب حسام الدين لؤلؤ متولي الأسطول بديار مصر ، وكان معروفاً بالشجاعة والإقدام ، وقد بدأ حسام الدين لؤلؤ بحصار أيلة وظفر بمراكب الفرنج فحرقها وأسر من فيها ، ثم أسرع بعد ذلك بتعقب بقية السفن الصليبية عند عيذاب ثم شواطئ الحجاز([2]) وبلغ رابغ([3]) ، وكان الجزء الأكبر من تلك السفن الصليبية موجوداً على ساحل الحوراء ، عندما دهمها حسام الدين لؤلؤ ليدمرها ويستولى عليها بعد أن أطلق من فيها من التجار المأسورين ورد لهم ما اخذ لهم. وبما أن الصليبيين أخذوا على غفلة ، فقد ترك بعضهم السفن ولاذوا بالجبال ، أو أنهم تركوا سفنهم وساروا لمهاجمة المدينة ، أو ربما عندما شعروا بوصول قوات حسام الدين لؤلؤ لجأوا إلى الجبال علهم يجدون فيها المأوى والخلاص، ما كان من حسام الدين ورجاله الا أن قاموا بمطاردة الصليبيين مدة خمسة أيام فقتلوا من قتلوا وأسروا منهم مائة وسبعين أسيرا ، وذلك فى شوال سنة ٥٧٨هـ/ تشرين الأول ١١٨٣م([4]).

وكان موسم الحج قد أزف فأرسل حسام الدين أسيرين من الصليبيين إلى منى ، حيث نحرا كما تنحر الأضحية ، في حين عاد هو ومعه بقية الأسرى إلى القاهرة

---

١) أبو شامة : الروضتين : مج٢، ج٣، ص ٩١، ابن واصل : مفرج الكروب : ج٢، ص ١٣٠، د/ عاشور : الحركة الصليبية : ج٢، ص ٦١٩.

٢) ابن الأثير : الكامل : ج٩، ص ٤٦٨، أبو شامة : الروضتين : مج٢، ج٣، ص ٨٩،٨٨، المقريزي : السلوك : ج١، ص ١٩٠، ابن واصل : مفرج الكروب : ج٢، ص ١٢٨ ، أبو الفداء : المختصر : ج٢، ص ١٤٧.

٣) رابغ : بعد الألف باء موحدة وآخره غين معجمة ، واد يقطعه الحاج بين البزوراء والجحفة دون عزور (ياقوت : معجم البلدان : مج٢، ج٤،ص ٣٧٨.)

٤) أبو شامة : الروضتين : مج٢،ج٣، ص ٩٢، ابن واصل : مفرج الكروب : ج٢، ص١٣١، المقريزي : السلوك : ج١، ص ١٩٠.

وكان يوم دخولهم القاهرة يوماً مشهوداً([1]) وقد أمر صلاح الدين أخاه الملك العادل بقتل أولئك الأسرى ليكونوا عبرة لكل من تحدثه نفسه بالاعتداء على (حرم الله ورسوله) ولمعرفتهم عورات المسلمين ومناطق الضعف في الحجاز ، وتم قتلهم جميعاً بعد استعراضهم في شوارع القاهرة والإسكندرية وكان الرحالة ابن جبير في زيارة الإسكندرية في ذلك الوقت فذكر وصفاً طريفاً لموكب أولئك الأسرى([2]).

وهكذا باءت بالإخفاق الذريع محاولة الصليبيين في البحر الأحمر الاعتداء على الحرمين الشريفين واحتكار تجارة المحيط الهندي(البحر العربي) ، وكانت نتيجة تلك المحاولة هي اضطرام نار العداء بين صلاح الدين وأرناط ، ولفت نظر صلاح الدين إلى الخطر الذي يهدد دولته من ناحية الكرك، وهي المنطقة التي تقع بين شقي دولته في الشام ومصر ، فضلاً عن الحجاز. وكان حصن الكرك بالذات يمثل ضرراً كبيراً على المسلمين ، بحيث كانت القوافل لا يمكنها الخروج إلا مع العساكر الجمة([3])، لذلك فقد اهتم صلاح الدين بقلعة الكرك لأنها ، كانت في الطريق تمنع من يقصد الديار المصرية ، وكان صلاح الدين يخرج بنفسه لاستقبال قوافل الحجاج عندما تقترب من حدود الشام لحمايتهم من اعتداءات أرناط بحيث لا يمكن أن تصل قافلة حتى يخرج هو بنفسه يعبرها بلاد العدو.([4]).

إما من حيث التجارة في عدن فيكفي أن نشير إلى مقدار الضرائب التي كان يقوم بتحصيلها الأفراد الأيوبيون بعد دخولهم اليمن سنة (٥٦٩هـ / ١١٧٣م) في ميناء عدن فيفهم مما ورد لدى ابن المجاور أن عدد المراكب التي كانت تصل إلى ميناء عدن زمن الزريعيين استمرت في الوصول إليها زمن الأيوبيين و كانت تصل

---

١) ابن واصل : مفرج الكروب : ج٢، ص ١٣١، المقريزي : السلوك : ج١، ص ١٩٠، أبو شامة : الروضتين :مج٢، ج٣، ص ٨٩.

٢) ابن جبير :رحلة ابن جبير , ص ٣٠.

٣) ابن شداد : النوادر السلطانية : ص ٦٦.

٤) ابن واصل : مفرج الكروب : ج٢، ص ١٨٦، ابن شداد : النوادر السلطانية : ص ٦٦ ، ابن الأثير : الكامل : ج١٠، ص ٢٠.

إلى ثمانين مركباً في كل عام[١] وكان في ميناء عدن أربع ضرائب تجارية رئيسة وهي ضريبة المراكب الواصلة من الهند وضريبة دخول الفوة[٢] إلى عدن وضريبة خروج الخيل من عدن إلى الهند وضريبة سفر المراكب إلى الهند وأن كل ضريبة من هذه الضرائب كان مبلغها مائة وخمسين ألف دينار قد يزيد هذا المبلغ ولا ينقص[٣]. وبذا يبلغ إجمالي ضرائب ميناء عدن في العام ستمائة ألف دينار[٤].

كما اهتم الملوك الأيوبيون في اليمن بحماية التجارة البحرية فقد قام الملك طغتكين ابن أيوب بإرسال السفن الحربية إلى المحيط الهندي (البحر العربي) وذلك لحماية السفن التجارية التي تعرضت إلى هجمات لصوص البحر[٥].

كما نجد في عهد الملك الناصر بن طغتكين سنة ٦٠٢هـ /١٢٠٥م عادت السفن الحربية إلى البحر بعد أن توقفت مراكب الهند لمدة سنة بسبب القراصنة ، ووصلت السفن إلى عرض البحر وقضت على اللصوص من البحر[٦] واستمرت السفن في عملها حتى سنة (٠٦١٣هـ / ١٢١٦م).

وسوف نتحدث عن الجوانب التجارية بالتفصيل في الفصل الرابع.

---

١) ابن المجاور : محمد بن مسعود بن علي بن أحمد البغدادي النيسابوري المعروف بابن المجاور (ت. ٦٣٠ه / ١٢٣٢م) صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز (المسمى تاريخ المستبصر) راجعه ووضع حواشيه ممدوح حسن محمد ، الناشر مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، ط١، سنة ١٩٩٦م ، ج١، ص ١٦٣.

٢) الفوة : هي عروق نبات لونها أحمر ، يستعملها الصباغون ، وطعمها مر ، وتعرف بفوة الصباغين ، ولها استعمالات طبية كثيرة . (المظفر الرسولي : الملك المظفر يوسف بن عمر بن علي بن رسول (ت ٦٩٤ه / ١٢٩٤م) المعتمد في الأدوية المفردة ، تحقيق ، محمد رضوان مهنا ، منشورات مكتبة جزيرة الورد ، المنصورة ، مصر، ط١، سنة١٤٢٥ه/ ٢٠٠٤م : ص ٣٤٢،٣٤١.)

٣) ابن المجاور : تاريخ المستبصر :ج١، ص ١٦٤،١٦٣ .

٤) ابن المجاور : تاريخ المستبصر : ج١، ص ١٦٤،١٦٣، د/ شوقي ضيف : تاريخ الأدب العربي : عصر الإمارات . الجزيرة العربية . العراق. إيران. دار المعارف، القاهرة، ط١، سنة ١٩٨٠م، ج٥، ص ٢٥، ٢٤.

٥) ابن المجاور : تاريخ المستبصر : ج١، ص ١٦١،١٦٠.

٦) ابن حاتم : السمط : ص ١٣١.

توران شاه والاستيلاء على اليمن
(٥٦٩- ٥٧٩ هـ / ١١٧٤- ١١٨٤م)

توافر لدى صلاح الدين الأيوبي من الأسباب ما رآها كافية لإرسال حملة إلى اليمن، فبعث إلى نور الدين محمود في دمشق يستأذنه في إرسال حملة إلى اليمن فأذن له ، واختار لفتحها أخاه الأكبر شمس الدولة توران شاه ، الملقب بفخر الدين ، والذي اتصف بأنه كان (ملكاً ضخماً شجاعاً شهماً فارساً مقداماً) (١) وأمره بالإعداد للحملة وتجهيزها ، (وأطلق له مغل قوص سنة كاملة ـ ومقداره مائة ألف دينار ـ للإنفاق منه على تجهيز الحملة وزوده فوق ما كان في نفسه(٢) وجهزه بحملة عسكرية كبيرة فيها العديد من الأمراء والقادة ، وجمع كبير من العساكر بلغ عددهم ثلاثة آلاف فارس وراجل(٣) ٠

استغرق الإعداد للحملة سنة كاملة تم في أثنائها ما يتم عادة في مدة الإعداد لحملة كبيرة ، من توزيع الأسلحة والدروع على الجنود وإعطاء كل واحد منهم عطاءه لينفقه في متطلبات الحملة ،وفي حملة طويلة مثل هذه غالباً ما يصطحب الأمراء والجنود معهم كميات كبيرة من المؤن والعلوفات (٤) ، هذا فضلاً عما يشتريه قائد الحملة من المؤن الإضافية ، وما يعده من الآلات الحربية الثقيلة ، وأهمها آلات الحصار مثل المنجنيقات والعرادات والدبابات٠

---

١) أبوا لفداء : المختصر ، ج٢، ص ١٣٣ ، با مخرمة : ثغر عدن ص:٦٩.

٢) المقريزي : السلوك ، ج١، ص ٦٢ ٥ الفرح : اليمن في تاريخ ابن خلدون : ص ٦٠٧ ، أبو شامة : الروضتين في اخبار الدولتين : مج١،ج٢، ص ١٨٠.

٣) ابن حاتم : السمط ، ص ١٥، الخزرجي : العسجد ، ص: ١٤٨، يحي بن الحسين : غاية الأماني ، ج١ ص٣٢١، محمد عبد العال : الأيوبيون ، ص :٨١ ، د/عصام الدين الفقي: اليمن في ظل الإسلام : دار الفكر العربي ، القاهرة ، ط١،سنة ١٩٨٢م ص : ٢٠٨، د/ جميل حرب محمود حسين : الحجاز واليمن في العصر الأيوبي : نشر تهامة ، جدة ، مطبعة سحر، ط١، سنة ١٤٠٥هـ / ١٩٨٧م ص: ٩٩، محمد بن علي مسفر عسيري: الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في اليمن في العصر الأيوبي : دار المدني ، جدة ، ط١، سنة ١٤٠٤هـ / ١٩٨٥م ، ص: ١٧٠.

4) هاملتون جب: (السير هاملتون أ.ر.جب) صلاح الدين الأيوبي (دراسات في التاريخ الاسلامى) حررها: يوسف أبيش ، ط١، بيروت، سنة ١٩٧٣م: ص١٧٦.

وعلى العموم فقد كان الاستعداد لحملة توران شاه كبيراً ، ونفقاتها كثيرة ، يدل على ذلك ما ورد في رسالة صلاح الدين الأيوبي إلى الخليفة العباسي يعدد فيها فتوحاته ومنها قوله:(٠٠وكان باليمن ما علم من أمر ابن مهدي الضال الملحد ٠٠ فأنهضنا إليه أخانا بعسكرنا بعد أن تكلفنا له نفقات واسعة وأسلحة رائعة(١) ٠

وقد اشتركت في هذه الحملة جميع العناصر التى تألف منها الجيش الأيوبي في مصر من الأكراد والأتراك والعرب ، بالإضافة إلى عدد كبير من الأمراء منهم سيف الدولة مبارك بن كامل بن منقذ وأخواه محمد وخطاب ، وعثمان بن علي الزنجيلي.

سير الحملة:

غادرت حملة شمس الدولة توران شاه مصر نحو اليمن في مستهل رجب سنة ٥٦٩هـ/ شباط ١١٧٤م ، وقد انقسمت الحملة إلى قسمين : برية ـ وبحرية ، في البر الجند ، بينما سار الأسطول يحمل الأزواد والمؤن والعدد والآلات من القاهرة عبر نهر النيل إلى قوص(٢) ، ثم سارت(الحملة البحرية) منها بطريق البر إلى ميناء عيذاب المصرية ، ثم قطعت البحر الأحمر حتى وصلت ميناء جدة ومنها سارت إلى مكة لأداء مناسك العمرة(٣) والسبب في سير الحملة عبر عيذاب وليس عبر السويس أو العقبة هو تأمين الحملة من التعرض للصليبيين، الذين كانوا مسيطرين على فلسطين.

دخوله حرض:

بعد أن اعتمر شمس الدولة توران شاه وجيشه في مكة ، غادرها في أول شهر رمضان من السنة نفسها متجهاً نحو اليمن عبر طريق الحجيج ـ وهو السهل الساحلي عبر تهامة ـ حتى وصل حرض من أرض اليمن حتى قدم إليه حاكم المخلاف السليماني(٤) الأمير قاسم بن غانم بن يحيى السليماني معلناً الطاعة

١) أبو شامة: الروضتين:مج١، ج٢، ٢٣٦، ٢٣٧

٢) قوص : هي مدينة كبيرة عظيمة واسعة قصبة صعيد مصر ، وأهلها أرباب ثروة واسعة ، وهي محط التجار القادمين من عدن ، وأكثرهم من هذه المدينة : ياقوت : معجم البلدان : مج٤، ج٧، ص ١٠١.

٣) أبو شامة : الروضتين : مج١،ج ٢، ص١٨٠ ،محمد عبد العال : الأيوبيون ، ص: ٨٢.

٤) سبق التعريف به.

والولاء له ، ومبدياً استعداده لمناصرته ضد ابن مهدي ، وذلك بسبب هجوم ابن مهدي على بلاده سنة ٥٦١هـ / ١١٦٦م ونهبه لحرض وقراها وقتله لأخيه الشريف وهاس([1]) فوافق توران شاه على اصطحابه ، كونه من القوى اليمنية التي ستسهل له معرفة مسالك الطريق وكيفية التعامل مع القوى اليمنية الأخرى([2])

السيطرة على زبيد والقضاء على دولة بني مهدي:

وفي نهاية شهر رمضان من سنة ٥٦٩هـ / آذار ١١٧٤م غادر توران شاه والشريف قاسم بن غانم مدينة حرض على رأس القوات الأيوبية وقوات المخلاف السليماني إلى زبيد ، فوصلاه في السابع من شهر شوال عند طلوع الشمس([3]) وما إن علم ابن مهدي بوصول الجيش الأيوبي وقوات المخلاف السليماني ، حتى أسرع في الخروج بقواته لمقاتلتهم خارج زبيد٠مستغلاً تعب الحملة من جراء سيرها في الطريق ٠ بالإضافة إلى المدافعة عن أسوار المدينة من خارجها خوفاً من نصب السلالم عليها٠ وقد حاول عبد النبي بث الحماس في جنده قبل القتال بقوله لهم :

(كأنكم بهؤلاء وقد حمي عليهم الحر فهلكوا، وماهم إلا أكلة رأس)([4])أي أنهم قليلو العدد ولا يستطيعون تحمل الحرب في حر تهامة٠

ولما دارت رحى الحرب بين الطرفين لم تتمكن قوات ابن مهدي من الصمود ، فانهزمت نحو زبيد للتحصن وراء اسوارها٠وتبعته قوات توران شاه إلى الأسوار فلم يجدوا من يدافع عنها فنصبوا السلالم على أسوارها وظلت الحرب قائمة بين الطرفين لمدة ثلاثة أيام انتهت بتمكن الأيوبيين من صعود السور، ودخلوا البلد (زبيد) بالقوة ، عند غروب الشمس في اليوم التاسع من شوال سنة ٥٦٩هـ/ ١١٧٤م وأسرعوا لأسر حكامها من بني مهدي ونهبوا ما بها من الأموال والخيول وسبوا

---

١) ابن حاتم : السمط ، ص ١٦، يحي بن الحسين: غاية الأماني : ج١، ص ٣١٦ .

٢) الحداد : التاريخ العام: ج٢ص ٣٨٢، ٣٨٤، محمد عبد العال :الأيوبيون، ص:٨٣.

٣) ابن حاتم : السمط : ص: ١٦ ، الخزرجي : العسجد :ص : ١٤٨، ابن الديبع : قرة العيون : ص: ٢٧٦.

٤) ابن الأثير: الكامل في التاريخ: ج ١١ ص ٣٦٩، مسفر: الحياة السياسية:ص:٧٤.

الكثير من نسائها وبعد ذلك عاد الشريف قاسم السليماني إلى(حرض) أما شمس الدولة توران شاه فقد أقام في زبيد لضبط أمورها وإراحة جنده ([1])٠

أما عبد النبي بن مهدي فقد قبض عليه وعلى أخويه يحيى وأحمد ،وزوجته (الحرة)([2]) ، وسلمه توران شاه إلى الأمير سيف الدولة مبارك بن كامل بن منقذ ليتولى حفظه وأمر باستخراج الأموال منه ، فاستخلص منه ومن إخوته وزوجته بعض المال([3]) ، كما استخرج الأموال الطائلة من خزائن عبد النبي بن مهدي وقد قال عنها عمارة([4]) (أنها كانت تحوى خزائن خمس وعشرين دولة قضى عليها ابن مهدي)٠

وبقى عبد النبي في الأسر حتي شنقه سيف الدولة مع أخويه يحيى وأحمد على باب زبيد عند طلوع توران شاه إلى صنعاء خوفا من فساد أمره ، واقره توران شاه على هذا التصرف([5])، وقيل إن توران شاه أمر بقتله لما بلغه وقوع خلاف في تهامة فشنق مع أخويه يحيى وأحمد في زبيد يوم الثلاثاء السابع من رجب سنة ٥٧٠هـ/ تموز ١١٧٥م ([6])٠

وذكر الخزرجي روايات ثلاث في صفة نهاية عبد النبي بن مهدي ، الرواية الأولى : تقول انه قتل في ميدان المعركة، والرواية الثانية: تقول إنه اسر ثم قتل، والرواية الثالثة: تقول إنه أسر ومات في الأسر([7]) وبذلك تمكن الجيش الأيوبي من السيطرة على (زبيد) والقضاء على حكامها٠ فانتهت بذلك دولة بني مهدي من تهامة٠

السيطرة على تعز والجند:

---

١) ابن حاتم : السمط : ١٦،١٧ ، الخزرجي : العسجد : ص : ١٤٧،١٤٨، بامخرمة : ثغر عدن :ص ٦٩.

٢) الحرة :يبدو أن لفظ (الحرة) كان لقباً تلقب به الأسرات الحاكمة في اليمن ، فقد ظهرت بين نساء الصليحيين باليمن قبل هذا أكثر من سيدة كانت تلقب (بالحرة) أو (بالسيدة الحرة) (ابن واصل : مفرج الكروب : ج١، ص ٢٤١) بالهامش.

٣) ابن واصل: مفرج الكروب: ج١، ص ٢٤٢، ٢٤١، ابن الأثير: الكامل: ج٩، ص ٣٨٩.

٤) عمارة: تاريخ اليمن:ص ١٥٣.

٥) أبو شامة: الروضتين : مج١، ج١ ص ٢١٧.

٦) ابن حاتم : السمط : ص٢٠، ابن سمرة: طبقات : ص٢١١.

٧) الخزرجي : العسجد : ص ١٤٨، ابن الديبع : قرة العيون : ص ٢٦٧.

لما أراد توران شاه الخروج من زبيد للسيطرة على بقية مناطق اليمن ، ولى عليها احد الأمراء والقادة الأيوبيين وهو المبارك بن منقذ ، واتجه توران شاه في مطلع ذي القعدة ، في طريقه إلى عدن فاستولى على حصن تعز وكانت تابعة لابن مهدي فسيطر عليها دون مقاومة من أحد وذلك بسبب اتجاه حامياتها للتحصن فى الجبال المجاورة لها لخوفهم من الجيش الأيوبي وبعد ذلك حاول توران شاه السيطرة على جبل صبر وجبل ذخر(1) ولكنه لم يتمكن من السيطرة عليهما لمناعتهما وظهور المقاومة بهما من حاميات ابن مهدي ولأنه كان يقصد عدن ولا يريد أن يشغل نفسه بأمرهما ، وكذلك عدم توافر الوقت الكافي لتوران شاه والجيش الأيوبي لاستمرار فرض الحصار على تلك الحصون ، ففضلوا تركها واتجهوا نحو مدينة الجند ، فسيطروا عليها هي الأخرى بدون حرب(2) وبذلك امتد سلطان الأيوبيين إلى هذه المناطق ٠

السيطرة على عدن:

قبل أن يكمل توران شاه فتح حصون تعز ، اتجه اهتمامه نحو القضاء على دولة بني زريع في عدن فسار إليها، وما إن قارب وصول الجيش الأيوبي إلى عدن حتى خرج لمحاربتهم ياسر بن بلال المحمدي - وزير بني زريع ونائبهم في عدن - بجيش الدولة الزريعية ، فدارت معركة كبيرة بين الطرفين أسفرت عن هزيمة جيش بني زريع ، ورغم هزيمتهم حاولوا الانسحاب إلى عدن للتحصن بها ، ولكن توران شاه كان قد فوت عليهم الفرصة ، ولما كان القتال يدور بين الطرفين خارج عدن ،أرسل توران شاه بعضاً من جيشه للسيطرة على عدن، لذلك لم يتمكن الجيش الزريعي من العودة إلى عدن للتحصن بها لأنهم وجدوا الجيش الأيوبي قد سبقهم في دخولها ٠ كما وجدوا توران شاه يحاول اللحاق بهم إلى عدن فاستسلم بعضهم ، ووقع البعض الآخر في الأسر، وبذلك أصبح سهلاً على الجيش الأيوبي دخول عدن ، فدخلوها في يوم الجمعة من شهر ذي القعدة سنة٥٦٩هـ/ حزيران ١١٧٤م٠

---

١) جبل ذخر: هو الجبل المعروف ألان بجبل حبشي من قضاء الحجرية (الحجري: مجموع بلدان اليمن وقبائلها: مج١، ج٢، ص ٣٤٠.)

٢) ابن حاتم : السمط : ص١٧ ، الخزرجي : العسجد : ص١٤٨.

وخلال دخولهم عدن تعرضت المدينة للنهب من قبلهم([1]) ولكن توران شاه عمل على منعهم من نهب المدينة وقال لهم ما جئنا لنخرب البلاد، وإنما جئنا لنملكها ونعمرها وننتفع بدخلها([2]) وبدخول الجيش الأيوبي عدن انتهت دولة بني زريع في عدن، أما بالنسبة لياسر بن بلال فقد تمكن من الهرب مع احد مواليه إلى الدملوة وأقاما بها لعدة أيام ، والسبب في ذلك أن ياسر بن بلال ومولاه السدوسى هربا أولاد عمران الزريعي إلى الدملوة للتحصن بها ثم اتجها متنكرين إلى عدينة([3]) في تعز فوشى بهما أحد الأفراد إلى توران شاه فألقى القبض عليهما ثم قتلهما في رجب سنة ٥٧١هـ/ كانون الثاني١١٧٦م([4]).

والذي ساعد توران شاه على بني زريع ، هو خروجهم للقتال خارج عدن ، وعدم التحصن بها ، فسهل ذلك على توران شاه أن يضع خطة عسكرية تضمن له النصر ، وذلك بإرسال فرقة من جيشه لدخول عدن عندما كان القتال جارياً بين الطرفين • فأربك ذلك جيش بني زريع وأوقعهم في الانهزام أوضح ذلك ابن الأثير بقوله عن عدن:(وهي من جهة البر من امنع البلاد وأحصنها ، وصاحبها إنسان اسمه ياسر ، فلو أقام ولم يخرج عنها لرجعوا خائبين ، وإنما حمله جهله ، وانقضاء مدته على الخروج إليهم ومباشرة قتالهم ، فسار إليهم وقاتلهم ، فانهزم ياسر ومن معه ، وسبقه جيش شمس الدولة ، فدخلوا البلد قبل أهله ، فملكوه واخذوا صاحبه ياسر أسيراً)([5]) وكما هو واضح أن ياسر بن بلال كان يهدف من خروجه لحرب الأيوبيين خارج عدن ، هو إتاحة الفرصة له بالهرب إذا ما أخفقت في صد الأيوبيين

---

١) الخزرجي : العسجد : ص ١٤٨، ابن حاتم : السمط : ص١٧، ابن الديبع : قرة العيون : ص ٣٧٦، بامخرمة : ثغر عدن : ص٦٩، محمد عبد العال : الأيوبيون: ٨٧، مسفر : الحياة السياسية: ص٧٧.

٢) ابن الأثير : الكامل : ج١١: ص ٣٩٧، د/ محمد كريم ابراهيم ألشمري : عدن دراسة في أحوالها السياسية والاقتصادية ٤٧٦ . ٦٢٦هـ / ١٠٨٣ . ١٢٢٨م ، الجمهورية اليمنية ، إصدارات جامعة عدن ، دار جامعة عدن للطباعة والنشر ، سنة ١٩٨٥م : ص ٢٢١.

٣) عدينة : بالتصغير اسم لربض تعز باليمن وأتعز ثلاثة ارباض عدينة هذه والمغربية والمشرقية (ياقوت : معجم البلدان : مج٣، ج٦، ص ٣٠٣.)

٤) ابن الديبع : قرة العيون : ٣١٩، ٣٢٠

٥) ابن الأثير : الكامل: ج١١ص٣٩٧.

وهذا ما حدث بالفعل، أو قد يكون السبب هو خوفه على المدينة نفسها من الحصار والتخريب فأراد أن تكون المعركة خارجها.

السيطرة على ذي جبلة:

أقام شمس الدولة توران شاه الأيوبي في عدن إلى النصف من ذي الحجة(1) ثم توجه نحو مخلاف جعفر فسيطر على ذي جبلة وتسلم حصن التعكر(2) فيها سلماً دون قتال ،وكان تابعاً لابن مهدي ·ثم بايعه أهل ذي جبلة في يوم الثلاثاء ، الثالث والعشرين من ذي الحجة أخر سنة ٥٦٩هـ/ تموز ١١٧٤م (3) ·واستقر بها عدة أيام ثم سار نحو اليمن الاعلى· ويرجع السبب في سيطرة الأيوبيين على ذي جبلة بدون قتال إلى ميل أهلها إلى المسالمة· وبضم ذي جبلة إلى البلاد التي استولى عليها توران شاه تكون قد صفت له البلاد من زبيد إلى عدن ما عدا حصن الدملوة والبلاد العليا(4)·

السيطرة على ذمار(5):

استمرت رحلة توران شاه نحو الاستيلاء على المناطق اليمنية حيث عبر نقيل صيد(6) الذي يعد من أهم الممرات الجبلية التي تربط بين اليمن الأسفل واليمن الأعلى وسار نحو ذمار ، ولما وصلوا في أول المحرم سنة ٥٧٠هـ/ آب ١١٧٤م إلى حصن ذروان(7) شرق ذمار وكان تابعاً للشيخ عبد الله بن يحيى الجنبي كبير مشائخ جنب ، وجرت حرب ضروس بين قبائل جنب والأيوبيين على حصن (ذروان) وانتهت هذه الحرب بالصلح بين الفريقين على أن يدفع الشيخ عبد الله بن

---

١) الخزرجي : العسجد : ص: ١٥٠.

٢) حصن التعكر : قلعة حصينة عظيمة مكينة باليمن من مخلاف جعفر(آب) مطلة على ذي جبلة ليس باليمن قلعة أحصن منها (ياقوت : معجم البلدان : مج١، ج٢، ص ٤٤٦.)

٣) ابن حاتم : السمط: ص: ١٧، الخزرجي : العسجد : ص: ١٥٠، مسفر : الحياة السياسية: ص ٧٩.

٤) ابن حاتم : السمط : ص:١٧.

٥) ذمار : بوزن قطام : بلدة مشهورة ومدينة معروفة جنوبي صنعاء (الحجري : مجموع بلدان اليمن وقبائلها : مج١، ج٢، ص ٣٤١)

٦) نقيل صيد: جبل عظيم عال جداً في ارض اليمن من مخلاف جعفر(ياقوت: معجم البلدان: مج٣، ج٥، ص ٢١٣.)

٧) حصن ذروان : حصن باليمن من حصون الحقل قريب من صنعاء (ياقوت : معجم البلدان : مج٢، ج٤، ص ٣٧٣.)

يحيى الجنبي مبلغاً من المال رمزا لخضوعه لطاعة الأيوبيين مقابل احتفاظه بالنفوذ في منطقته([1]) ثم استولى توران شاه على حصن المصنعة([2])٠ من الشيخ محمد بن زيد اليعبرى الجنبي دون قتال ([3]) ٠ ثم سار في طريقه إلى ذمار فاعترضته جموع غفيرة من قبيلة (جنب) في موضع يسمى الرخمة([4]) شرقي ذمار ، ودارت بين الفريقين معركة حامية في يوم الخميس العاشر من المحرم سنة ٥٧٠هـ/ آب ١١٧٤م قتل فيها خمسة وستون فارساً من جيش توران شاه وانتهت المعركة بتمكن الأيوبيين من دخول(ذمار) والسيطرة عليها([5])٠

وما كادت تمضي عدة أيام على سيطرة الأيوبيين على (ذمار) حتى أسرعوا في الاتجاه نحو صنعاء٠ ولما خرجوا من ذمار اعترضتهم خارجها مرة آخرى قبائل (جنب) لكن توران شاه كان قد تمكن من تنظيم صفوفه من جديد وانتقم لهزيمته السابقة في معركة قوية دارت رحاها بينه وبين جموع قبيلة (جنب) وغيرها من القبائل , صمد فيها توران شاه هذه المرة وحث جنوده على الصمود بقوله :(قاتلوا عن أنفسكم وإلا أكلتكم العرب ، أين انتم من ديار مصر؟) فقاتلوا قتالاً شديداً حتى هزم العرب وقتل منهم سبعمائة رجل ، وغنموا ما معهم من السلاح والخيول ، وهرب من بقى من جنب فتبعهم جيش توران شاه حتى دخلوا حصن هران([6]) في شمال مدينة ذمار([7]) وبذلك تمت لتوران شاه السيطرة على ذمار وتمهدت أمامه الطريق إلى صنعاء٠

ومن الملاحظ أن قبائل جنب لم يستخدموا حرب المواجهة لعدم مقدرتهم على قتال الجيش الأيوبي ، ولكنهم استخدموا في معاركهم الهجمات المتعددة التي

---

١) الخزرجي : العسجد : ص:١٥٥.

٢) حصن المصنعة : في بلاد عنس من أعمال ذمار: (ياقوت : معجم البلدان : مج٤، ج٨، ص ٢٧٨.)

٣) ابن حاتم : السمط : ص ١٧، الخزرجي : العسجد: ١٥٠ ، د/ السروري: محمد عبده محمد لسروري : الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في اليمن (في عهد الدويلات المستقلة) اصدارات وزارة الثقافة والسياحة ، صنعاء، ط١، سنة ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م : ص٢٦٩.

٤) الرخمة : قرية من قرى ذمار باليمن : (ياقوت : معجم البلدان : مج٢، ج٤، ص ٣٩٩.)

٥) ابن حاتم : السمط : ص ١٧، الخزرجي : العسجد : ص ١٥٠.

٦) حصن هران : من حصون ذمار باليمن : (ياقوت : معجم البلدان : مج٤، ج٨، ص ٤٧١.)

٧) ابن الديبع : قرة العيون : ص ٣٧٨.

يكثر فيها الكر والفر، وكانوا يهاجمون الأيوبيين من مناطقهم المحصنة ثم يعودون اليها. وكان هجومهم يهدف إلى تكبيد الأيوبيين الخسائر الكثيرة في الأرواح والمعدات ، حتى لا يفكروا في الاستقرار في بلادهم.ومن الملاحظ أيضاً أن قبائل جنب لم يهاجموا الأيوبيين أثناء ما كانوا معسكرين في ذمار ، ولكنهم هاجموهم أثناء ما كانوا سائرين في الطريق نحو صنعاء.

السير نحو صنعاء:

تابع توران شاه تقدمه نحو صنعاء فوصل إلى منطقه الجبوب(١) قرب مدينة صنعاء من شرقها الجنوبي يوم الجمعة السابع من محرم ٥٧٠هـ / كانون الثاني١١٧٤م فعسكر بها ثلاثة أيام . أما السلطان علي بن حاتم سلطان صنعاء فانه لما علم بالهزيمة التي أنزلها جيش توران شاه بجموع العرب في ذمار أيقن انه لا قبل له بمثل هذا الجيش ، فأسرع هو وأخوه بشر بمن معهما للتحصن في حصن براش المطل على صنعاء من شرقها وتركوا البلد (صنعاء) مفتوحة أمام توران شاه فدخلها(٢). وذلك بعد أن أمر بهدم سور صنعاء حتى لا يفكر الأيوبيون في الاستقرار بها. لأن إعادة تحصين أسوارها سيكلف الأيوبيين الوقت الطويل والمال الكثير وخاصة في ظل استمرار مقاومتهم من قبل بني حاتم ، وهذا سيشغل الأيوبيين عن مواصلة فتح بقية اليمن.أما أهل صنعاء فرغم خوف الكثير منهم من الأيوبيين وهروبهم. فان جماعة من مشايخهم خرجوا إلى توران شاه لطلب الأمان منه وعدم محاربتهم .فلما وصلوا إليه أمر بإحضار جماعة من رؤسائهم لمحادثتهم في أمور الدين ، وذلك لكي يتعرف على مذهبهم الديني وهل هم من أهل المذاهب المعتدلة في الإسلام أم من الغلاة . وخاصة أن حكامهم بني حاتم كانوا من أتباع الصليحيين الإسماعيلية . وبعد أن منح توران شاه الأمان لأهل صنعاء دخلها، وأقام

١) الجبوب : حصن باليمن من أعمال سنحان : (ياقوت : معجم البلدان : مج٢، ج٣، ص ٣٣.)

٢) ابن حاتم : السمط: ص ١٨، الخزرجي : العسجد :ص ١٥١، ابن الديبع : قرة العيون: ص ٢٦٩ ، محمد عبد العال : الأيوبيين : ص ٩١،٩٢ .

بها عدة أيام[1]٠ولكنه لم يستطع الإقامة فيها مدة طويلة لقلة الميرة ، فغادرها عائداً إلى زبيد[2]

العودة إلى زبيد:

توجه توران شاه نحو (زبيد) عبر طريق السود فتعرضت مؤخرة جيشه لهجمات قبائل بني شهاب ، وسنحان[3] ، وقبائل منطقة برع[4] أثناء سيره إلى زبيد ، ونهبت بعض أمواله وسلاحه ، ومع ذلك فلم يحاول توران شاه مقاتلتهم ، بل استمر في سيره نحو زبيد حتى وصلها [5] .

لم يبق توران شاه في زبيد كثيراً بعد عودته إليها من صنعاء بل غادرها في جمادى الأولى سنة ٥٧٠هـ/ كانون الأول ١١٧٤م ، متجهاً نحو مدينة الجند فلما وصلها أسرع إليها متولي حصن (صبر) من قبل ابن مهدي معلناً ولاءه لتوران شاه وسلمه الحصن دون قتال ، ثم توجه بعد ذلك توران شاه نحو الحصون الواقعة غرب مدينة تعز فاستولى على حصني (بادية وشرياق) ٠ ثم توجه إلى حصن عزان ذخر[6] وحاصره ، ولكن الحصار لم يدم طويلا، لقيام صاحبه ـ على بن الحجاج صهر عبد النبي ابن مهدي ـ بتسليمه مع ما كان في ذمته من أموال خاصة بعبد النبي بن مهدي ، والتي كانت تقدر بعشرة آلاف دينار ذهب[7]، وان يتركوا سبيله ومن معه فقبل توران شاه بذلك وتسلم الحصن منه[8]٠

١) ابن عبد المجيد : بهجة الزمن: ص ١٣١، ابن الديبع: قرة العيون : ص ٣٧٩، الخزرجي : العسجد : ص ١٥١، عصام الفقي : اليمن في ظل الإسلام : ٢٠٩

٢) أبو شامة : الروضتين : ج١ ص ٥٥٤، مسفر: الحياة السياسية: ص٨١.

٣) سنحان : ناحية سنحان في الشرق الجنوبي من صنعاء متصلة بها (الحجري : مجموع بلدان اليمن وقبائلها : مج٢، ج٣، ص ٤٣٢.)

٤) برع : بوزن زفر، جبل بناحية زبيد فيه قلعة يقال لها : حلبة وهي قرب سهام (ياقوت : معجم البلدان : مج١، ج٢، ص ٣٠٥.)

٥) ابن حاتم : السمط : ص١٩، الخزرجي: العسجد : ص ١٥١، ابن الديبع : قرة العيون : ص ٣٧٩، عصام الفقي : اليمن في ظل الإسلام :ص ٢٠٩.

٦) عزان ذخر : في جبل صبر باليمن (ياقوت : معجم البلدان : مج٣، ج٦، ص ٣٢٤.)

٧) سنتحدث عن العملة في العهد الأيوبي. في الفصل الرابع.

٨) الخزرجي : العسجد : ص ١٥١، ابن حاتم : السمط: ص ١٩، محمد عبد العال : الأيوبيون: ص٩٤

وفي مخلاف المعافر(1) واصل توران شاه السيطرة على الحصون التي كانت تابعة لبني زريع فاستولى على حصن يمين(2) بالقوة وكان متوليا عليه منصور بن محمد بن سبأ الزريعي ، كما استولى على حصن منيف(3) من واليه أبي الغيث ابن سامر ، كما استولى على حصن السمدان(4) من واليه المعين من قبل الزريعيين(5)٠

وبالنسبة لحصن الدملوة بالصلو(6) فقد حاول توران شاه الاستيلاء عليه وكان متمركزاً به أولاد الداعي عمران الزريعي ـ وهم صغار ـ تحت وصاية جوهر المعظمي، فحاصره توران شاه فترة قصيرة ، ثم ترك حصاره نظراً لصعوبة السيطرة عليه لإحكام تحصينه ، وكذلك لم تؤثر فيه المنجنيقات لارتفاعه، واحتياجه إلىوقت طويل لمحاصرته، فضلاً عن قبول جوهر المعظمي إعطاءهم الأراضي الواقعة تحت الحصن، ولكونه استعصى على توران شاه فتحه تركه وتوجه إلى ذي جبلة فأقام بها مدة (7)

وأثناء إقامة توران شاه في ذي جبلة وصلته إخبار عن وقوع اضطرابات في زبيد من قبل بعض أهلها المناصرين لبني مهدي فاضطر للعودة إلى زبيد فوصلها في الثالث عشر من شعبان ٥٧٠هـ/ آذار ١١٧٥م (8).

---

١) مخلاف المعافر : قبيلة مشهورة من كهلان، هم المعافر بن يعفر بن مالك بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد ابن عمرو بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ. وهولاء يمثلون جزءاً كبيراً من القبائل الساكنة بالمنطقة المعروفة اليوم باسم (الحجرية) في جنوب مدينة تعز: المقحفي : معجم البلدان والقبائل اليمنية : ج٢، ص ١٥٦٨.)

٢) حصن يمين : كأنه تصغير يمن : حصن في جبل صبر من أعمال تعز استحدثه علي بن زريع (ياقوت : معجم البلدان : مج٤، ج٨، ص ٥١١.)

٣) حصن منيف: منيف حصن في جبل صبر من أعمال تعز باليمن (ياقوت: معجم البلدان: مج٤، ج٨، ص٣٣٥.)

٤) حصن السمدان : قلعة حصينة في بني شيبة من مديرية الشمايتين وأعمال تعز (المقحفي : معجم البلدان والقبائل اليمنية :ج١، ص ٨١١.)

٥) ابن حاتم : السمط : ص٢٠، الخزرجي: العسجد: ص١٥٢.

٦) الصلو: بضم فسكون ، وقد تكسر الصاد. جبل ومديرية من بلاد المعافر (الحجرية) وأعمال محافظة تعز . وفيه قلعة (الدملوة) الشهيرة (المقحفي : معجم البلدان والقبائل اليمنية :ج١، ص٩١٦.)

٧) الخزرجي : العسجد : ص ١٥٢، ابن حاتم : السمط: ص ٢٠، محمد عبد العال : الأيوبيون : ص ٩٤.

٨) ابن حاتم :السمط: ص ٢٠، الخزرجي : العسجد : ص ٢٠

وهكذا تمكن توران شاه من السيطرة على المدائن والحصون ، واستولى على معظم بلاد اليمن ، ويقال إنه استولى وحده على ثمانين حصناً ومدينة وأن نواب القلاع أرسلوا مفاتيحها إليه طوعاً وبدون قتال٠

ومهما يكن من شيء يبدو أن توران شاه قد اكتفى بما سيطر عليه من بلاد اليمن ، باعتباره محققاً للأغراض التي جاء من أجلها ، إذ تمت له السيطرة على المدخل الجنوبي للبحر الأحمر، وتم تامين حدود الدولة الأيوبية في الجنوب ، كما قضى على بني مهدي وبقايا النفوذ الفاطمي باليمن ، وأعاد الخطبة للخليفة العباسي، و قضى على مظاهر الانقسام الداخلي ، وأصبحت بلاد اليمن جزءاً من الجبهة العربية الموحدة٠

عوامل نجاح حملة توران شاه على اليمن:

في اقل من عام تمكن توران شاه من السيطرة على معظم بلاد اليمن ، وامتد نفوذه من المخلاف السليماني في الشمال إلى عدن في الجنوب وإلى صنعاء والبلاد العليا من اليمن٠

ولكن ما العوامل التي سهلت لتوران شاه السيطرة على اليمن ، ومساعدته فى القضاء على الدويلات التي كانت قائمة في اليمن آنذاك ؟

يمكن القول: إن السرعة التي تمكن بها توران شاه من السيطرة على اليمن ترجع لعوامل عديدة منها : تفرق اليمن وانقسامها إلى إمارات ودويلات صغيرة ضعيفة ومتناحرة ، ومما لا شك فيه أن هذا الانقسام الكبير من شانه أن يولد الضعف ويقلل القدرة على المقاومة ، وذلك فضلاً عن التنافس والتناحر والعداء المستمر بين هذه الدويلات ، فكثيراً ما نشبت الحرب بينهم لأسباب سياسية ومذهبية ، مما أضعف الجميع وجعلهم غير قادرين على مواجهة أي تهديد خارجي ، وهذا ما حدث بالفعل حين قدم توران شاه إلى اليمن مما سهل عليه القضاء على هذه الدويلات واحتواه بسرعة٠

ومنها : مساندة اليمنيين أنفسهم لتوران شاه في الاستيلاء على البلاد ، إما بدافع العدوات بين الدويلات التي كانت قائمة ، أو بدافع كراهية الناس لحكامهم ، وإما بدافع الإغراء المادى٠

ثم الخطة العسكرية الحكيمة التي اتبعها توران شاه في القضاء علي الدويلات القائمة ، وتتلخص هذه الخطة في مها جمة العواصم الكبرى للإمارات القوية والاستيلاء عليها والقبض على حكامها والتخلص منهم ، ثم التفرغ بعد ذلك لضم بقية البلاد ، وهذا ما فعله توران شاه ، فقد استولى على العواصم المهمة مثل زبيد وعدن وصنعاء ، ولم يشغل نفسه بمحاصرة القلاع والحصون الكثيرة في اليمن٠

وفوق هذا وذاك كانت سمعة صلاح الدين الأيوبي وقوته التي قضى بها على الدولة الفاطمية في مصر تسير مع توران شاه حيثما حل من أرض اليمن٠

عودة توران شاه إلى الشام:

بعد أن تمكن توران شاه من السيطرة على معظم مناطق اليمن استقر بها سنة([1])٠ من شعبان سنة ٥٧٠هـ / آذار ١١٥٧م ٠ دون أن يتجه لمقاتلة أي قوة بها ، وذلك بسبب تركه للكثير من جنده حاميات في كل من زبيد، وتعز, وعدن ,وذي جبلة . أما بالنسبة لإقامته في اليمن منذ قدومه من مصر ، فقد استغرقت سنتين من رجب ٥٦٩هـ / تموز ١١٧٤م حتي رجب سنة ٥٧١هـ / نيسان ١١٧٦م ([2]) . وبعد تلك المدة فكر توران شاه في العودة إلى الشام . وحول عودته ذكرت المصادر عدة أسباب منها الاتي :

١ـ عدم رغبة توران شاه في الإقامة في اليمن . وضح ذلك الخزرجي بقوله: (وضاقت عليه اليمن ولم تعجبه لأنه نشأ في الشام وهي كثيرة الخيرات واليمن مجدبة بالنسبة إلى الشام)([3]).

---

١) الخزرجي : العسجد : ص ١٥٢ .

٢) محمد عبد العال : الأيوبيون: ص ٩٧.

٣) الخزرجي: العسجد : ص ١٥٢.

٢ـ رغبة توران شاه في حكم الشام . ذكر ذلك الخزرجي حيث قال:(وكان قد بلغه وفاة نور الدين محمود بن زنكي واستيلاء أخيه الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب على مملكة الشام) فاشتاق إليها([١])

٣ـ اشتياق توران شاه لرؤية أخيه صلاح الدين .

٤ـ إصابة جسم توران شاه بالمرض والتعب من جو زبيد([٢]).

والواقع أن رغبة توران شاه بالتوجه نحو الشام ، وعدم رغبته في الإقامة باليمن هي الأكثر معقولية ، فضلاً عن طمعه في حكم الشام ، يؤيد ذلك الشاعر اليمني الأديب العندي([٣]) بقصيدة:

قالها على لسان توران شاه نورد منها الأبيات التالية :

لولا محلك في قلبي وأفكاري ما برح الشوق أعطافي وتذكاري

ولا التفت إلى مصر وساكنها وقد تعوضت عن مصر بأمصار

ما الدار إلا دمشق والمنى حلب والسؤل مصر وفي الزوراء مدراري

تلك المنازل لا لحج ولا عدن ولا زبيد ولا اكناف تعشار

هذا علي إن قدر الملك في يمن غال ولكنه في دون مقداري([٤])

ومهما يكن من أمر ، فان توران شاه كتب إلى أخيه الملك الناصر صلاح الدين يستأذنه بالعودة إلى الشام فلما وصل الكتاب إلى صلاح الدين ، كتب من جهته رسالة إلى أخيه توران شاه : (يرغبه في الإقامة في اليمن) ويخبره : (أن اليمن بلد مبروك وهي كثيرة الأموال ومملكتها واسعة([٥]) ولم يحاول توران شاه رفض طلب أخيه ولكنه حاول أن يبرهن لرسول أخيه بأن اليمن ليست بلداً بها خيرات

---

١) الخزرجي : العسجد : ص ١٥٢.

٢) محمد عبد العال : الأيوبيون : ٩٩.

٣) ولد أبو بكر بن أحمد العندي بأبين سنة ٥٠٧هـ/ ١١١٤م وبها نشا وحفظ القران في صباه ، ثم دخل مدينة عدن حيث درس هناك مختلف العلوم في ذلك العصر وأجاد فيها ، ولكنه برع في الأدب ، وكتب في النظم والنثر ، واشتهر علمه وفضله، ثم عمل كاتباً للشيخ بلال بن جرير صاحب عدن ، ثم عينه محمد بن سبأ بن أبي السعود الزريعي كاتباً لديه ، ثم علت منزلته حتى صار بمثابة الوزير له والمدبر لأمره ، عمل في خدمة الملك توران شاه الأيوبي كاتباً للإنشاء ، كف بصره في آخر عمره ، توفى بمكة في سنة ٥٧٤هـ/١١٧٩م (عمارة : تاريخ اليمن : ص ٣٢٦،٣٣٤.)

٤) ابن الديبع : قرة العيون : ص ٢٦٩، ٢٧٠، الخزرجي : العسجد : ص ١٥٢،١٥٣

٥) الخزرجي : العسجد : ص ١٥٣،١٥٤

كثيرة آنذاك. فأمر متولي خزانته أن يحضر له ألف دينار . فلما أحضرها قال لأستاذ داره([1]) أمام رسول أخيه : (أرسل لنا بهذا الكيس إلى من يشتري لنا به قطعة ثلج فقال لا ثلج في اليمن ، وفي رواية للخزرجي قال اشترى به شمس لوزي (أي مشمش) فقال لا يوجد باليمن ، فقال اشترى به لنا كذا وكذا وجعل يعدد عليه الأشياء التي لا توجد باليمن في ذلك الزمن فلم يجد من ذلك شيئاً وقد علل ذلك الخزرجي بقوله : (إنما أراد توران شاه إظهار عدم راحته في اليمن) ولما لم يجد توران شاه ما طلبه قال :(ليت شعري ماذا أصنع بهذه الأموال إذا لم أنتفع بها فيما أريد) . ولما عاد الرسول إلى صلاح الدين واخبره بذلك الخبر فأذن لأخيه توران شاه بالعودة إلى الشام([2]).

ثم عزم توران شاه على الذهاب إلى الشام ، فسار إليها من مدينة الجند في رجب سنة ٥٧١هـ / كانون الثاني١١٧٦م إلى مكة ومنها إلى الشام حيث التقى بأخيه صلاح الدين الأيوبي أثناء حصاره حلب([3]) واشترك معه في الحصار ولما عاد صلاح الدين إلى مصر سنة ٥٧٢هـ/ ١١٧٧م ترك أخاه توران شاه متولياً على دمشق ، فأقام بها سنتين ثم انتقل إلى مصر فتولى الإسكندرية حتى وفاته في بداية سنة ٥٧٦هـ/ ١١٨٠م ([4]).

ولما عزم توران شاه على مغادرة اليمن، وزع البلاد على عدد من الحكام والأمراء الأكفاء ، فجعل الأمير سيف الدولة مبارك بن كامل بن منقذ على زبيد

---

١) أستادار : من الوظائف العسكرية . والاستادار لقب على الذي يتولى قبض مال الملك أو الأمير ، وصرفه وتمتثل أوامره. وهو مركب من لفظين فارسيين احدهما استذ بهمزة مكسورة وسين مهملة ساكنة بعدها تاء مثناة من فوق ثم ذال معجمة ساكنة ومعناها : الأخذ . والثانية دار ومعناها : الممسك فأدمغت الذال الأولى وهى المعجمة في الثانية وهي المهملة فصار استادار والمعنى : المتولي الأخذ . وسمي لذلك لأنه يتولى قبض الأموال.(وهو لفظ يطلق على الذي يتولى شؤون مسكن السلطان أو الأمير ومصروفاته وتنفيذ فيه أوامره).(القلقشندى : تقي الدين بن أحمد القلقشندي (ت.٨٢١هـ/١٤٨١م) : صبح الأعشى: قدم لهذه الطبعة د/فوزى محمد أمين ، الناشر، الهيئة العامة لقصور الثقافة ط١، القاهرة ، سنة ٢٠٠٥م ، ج٤، ص ٤٥٧.)

٢) ابن الديبع : قرة العيون : ص ٢٧٠ الخزرجي : العسجد : ١٥٤.

٣) حلب : مدينة عظيمة واسعة كثيرة الخيرات طيبة الهواء صحيحة الأديم والماء وهي قصبة جند قنسرين في أيامنا هذه (ياقوت : معجم البلدان : مج٢، ج٣، ص ١٦٦.)

٤) الخزرجي : العسجد : ص ١٥٦، السروري : الحياة السياسية : ص ٢٧٦.

وسائر تهامة ،وبالنسبة إلى المبارك بن الكامل بن منقذ الكناني نائب زبيد فانه مرض بعد فترة من مغادرة توران شاه اليمن ، فعاد إلى مصر بعد أن استأذن توران شاه فإذن له ، وأناب عنه في زبيد وإعمالها أخاه حطان([1]) بن الكامل بن منقذ ، وقد جرت بينه وبين حاكم عدن عثمان الزنجيلي حروب كثيرة حيث كان عثمان الزنجيلي يريد الاستيلاء على زبيد إلا انه لم يتمكن من ذلك([2]) .

وعثمان بن علي الزنجيلي على عدن والبلاد التابعة لها ، وياقوت التعزي في تعز ونواحيها ، ومظفر الدين قايماز على ذي جبلة وجهاتها ([3])، وجعل في كل قلعة نائباً عنه فيها ، أما صنعاء فلم يعد له نفوذ فيها حيث عاد السلطان علي بن حاتم وبقيت في يده حتى انتزعها منه الملك طغتكين بن أيوب سنة ٥٨٥هـ/ ١١٨٩م كما سيلي تفصيله.

أحوال اليمن بعد رحيل توران شاه و حملة خطلبا:

ظل هؤلاء النواب يحكمون اليمن باسم توران شاه ، ويبعثون إليه الأموال التي يحصلون عليها من عائدات البلاد وذلكرمزاً لخضوعهم وطاعتهم .

فلما توفي توران شاه في الإسكندرية سنة ٥٧٦هـ ١١٨٠م امتنع هؤلاء النواب عن إرسال الأموال إلى مصر ،واستقل كل واحد منهم بمنطقته ، وضرب سكة باسمه ، ومنع أهل بلاده من التعامل بغيرها. ولم يقفوا عند هذا الحد بل طمع كل واحد منهم في الاستيلاء على منطقة نفوذ الآخر مما أدى إلى نشوب الحرب بينهم([4]) .

١) يسميه المقريزي ، وابن الديبع وابن عبد المجيد والخزرجي والجندي(خطاب) بالخاء وفي آخره باء ، بينما يسميه ابن الأثير وابن واصل وأبو شامة وابن حاتم (حطان) بالحاء وفي آخره نون . وهذا هو الصحيح.

٢) ابن واصل: مفرج الكروب : ج٢، ص ١٠٣،١٠٤، ابن عبد المجيد : بهجة الزمن : ص ١٣١،١٣٣، الاهدل : تحفة الزمن : ج٢، ص ٤٦٨. ٤٧٣، الحداد : التاريخ العام : ج٢، ص ٣٩١،٣٩٠.

٣) ابن حاتم : السمط : ص ٢٠،٢١، الخزرجي : العسجد : ص ١٥٦، ابن عبد المجيد : بهجة الزمن : ص١٣١، بامخرمة : ثغر عدن : ص٧٠، يحي بن الحسين : غاية الأماني : ج١ ص ٣٢٦.

٤) بامخرمة: ثغر عدن ٧١، مسفر: الحياة السياسية: ص ٩٠.

وأمام الموقف المتأزم في اليمن واضطراب الأمور فيها ، واستمرار الفتن بين نواب توران شاه خشي صلاح الدين أن يستغل أهل اليمن هذا الخلاف بين نواب أخيه فيثورون عليهم ويخرجونهم من اليمن ، وتضيع جهود الأيوبيين التي بذلوها في سبيل السيطرة على هذه البلاد.

فأرسل حملة إلى اليمن بقيادة الأمير صارم الدين خطلبا وذلك في سنة ٥٧٧هـ/ ١١٨١م وعينه والياً على زبيد، وأمره بإصلاح أحوال البلاد ، وتوطيد النفوذ الأيوبي فيها (١).

كانت حملة خطلبا حملة بحرية اشترك فيها عدد من المراكب محملة بالزاد والعلوفات والأسلحة ومشحونة بالرماة.

كما اصطحب خطلبا معه خمسمائة رجل ، منهم الأمراء والجند ثم توجهت الحملة قاصدة ميناء عدن مباشرة حيث استقبلهم واليها الأمير عثمان بن على الزنجيلي ، ورحب بهم وبذل الطاعة ، ثم تقدمت الحملة إلى مدينة زبيد ، وفي الطريق لقيهم الأمير مظفر الدين قايماز والي ذي جبلة ، وأصلح قائد الحملة خطلبا بينه وبين الأمير عثمان الزنجيلي ، كما قدم عليهم ياقوت التعزي والي حصن تعز واتفق رأى الجميع على طرد الأمير حطان بن منقذ من ولاية زبيد ومساعدة الأمير خطلبا في الوصول إليها ، فلما علم حطان بن منقذ بقدومهم هرب من زبيد والتجأ إلى حصن قوارير(٢) شرق زبيد ، بينما دخل خطلبا وحلفاؤه المدينة، وتسلم الإمارة فيها ، وعاد بقية الأمراء إلى مناطقهم(٣) ولكن ما لبث أن توفي خطلبا في زبيد بعد مدة يسيرة من ولايته عليها، فعاد حطان بن منقذ إلى زبيد واستعاد ولايته عليها(٤).وهكذا أخفقت حملة خطلبا في أداء مهمتها ، ولم تتمكن من القضاء على الفتن في اليمن ، وقد وقع خطلبا في خطأ كبير عندما انخدع بولاء عثمان الزنجيلي

---

١) أبو شامة : الروضتين في أخبار الدولتين : ج١، ص ١٨٦، ابن حاتم : السمط: ص ٢٢،٢٣، الخزرجي : العسجد ص ١٥٨، ابن الديبع : قرة العيون ص ٣٨٦، ابن عبد المجيد : بهجة : ص ١٣١،١٣٢

٢) حصن قوارير : كأنه جمع قارورة. من حصون زبيد باليمن (ياقوت : معجم البلدان : مج٤، ج٧، ص ٩٩.)

٣) ابن الديبع : قرة العيون : ص ٢٧٤.

٤) تذكر المصادر اليمنية إن خطلبا لما مرض وأحس بالموت راسل حطان بن منقذ وطلب منه القدوم إلى زبيد سراً وسلم له البلد ، وقال له أنت أولى من الزنجيلي ، ثم مات (ابن الديبع : قرة العيون : ص ٢٧٤).

أمير عدن فأبقاه على ولايته ، وركز جهوده على إبعاد حطان بن منقذ عن ولاية زبيد، على حين كانت المصلحة تقضى ـ فضلاً عن ذلك ـ بإبعاد عثمان الزنجيلي كذلك عن عدن ، لأنه كان يشترك مع حطان في إثارة المشاكل والفتن ببلاد اليمن ، ولعل اكبر دليل على اخفاق حملة خطلبا في تحقيق أهدافها عودة الاضطرابات في اليمن، وتجدد المنازعات بين الأمير عثمان الزنجيلي وحطان بن منقذ بعد وفاة خطلبا([١]).

الملك طغتكين بن أيوب

واستقرار الأوضاع في اليمن

(٥٧٩ـ٥٩٣هـ/ ١١٨٣ـ ١١٩٧م)

كان الصراع قد عاد من جديد بين نواب توران شاه بعد وفاة خطلبا واضطربت الأوضاع في بلاد اليمن وقد صادفت تلك الأوضاع السائدة في اليمن،تعرض الأماكن المقدسة الإسلامية في الحجاز لمؤامرة من اخطر المؤامرات ، ونتيجة للصراع الديني بين المسلمين والصليبيين على بيت المقدس، ولعدم مقدرتهم مقاومة الأيوبيين في مصر والشام ، توجه الصليبيون إلى البحر الأحمر

---

١) ابن عبد المجيد : بهجة الزمن : ص ٧٧.

ففي سنة ٥٧٧هـ / ١١٨١م حيث قام البرنس أرناط صاحب إمارة الكرك([١]) (شرق البحر الميت) بحملة بحرية في البحر الأحمر هدف منها الاستيلاء على الديار المقدسة وقبر الرسول([٢]) وقطع الصلة البرية والبحرية بين مكة والمدينة وبين بقية العالم الاسلامى ، وتهديد قوافل التجارة وقوافل الحجاج العابرة للبحر الأحمر ، والاتصال بمملكة الحبشة المسيحية للاتفاق معها على فرض الحصار على المسلمين من جهة الجنوب . فحمل أرناط أخشابا من عسقلان([٣]) على جمال ـ استأجرها من العرب ـ إلى ميناء آيلة([٤]) على خليج العقبة ([٥]) . ولما وصلوا إليها قاموا بتركيب هذه الأخشاب وأنشؤوا عدة مراكب لهم ([٦]) . فقد أراد أرناط في تحقيق مخططه ، أن يوجه ضربة كبرى للعالم الاسلامى ،ولصلاح الدين لإظهاره بمظهر العاجز عن حماية أقدس المقدسات الإسلامية.

وهكذا توجه أرناط سنة ٥٧٨هـ/١١٨٢م بحملته البحرية قاصداً البحر الأحمر لمنع وصول التجارة إلى مصر ، ومنع وصول الحجيج إلى مكة ،فقد كانت قوافل التجارة والحجيج تسلك طريق عيذاب المصرية ومنها إلى جدة ومكة أو اليمن فأخذت سفن أرناط تعبر البحر الأحمر، واستولت على بعض السفن التجارية ، ثم اتجه أرناط نحو ميناء عيذاب . فلما وصلها نهب منها قافلة تجارية كبيرة كانت قادمة من قوص إلى عيذاب ، وقتل جميع أفراد القافلة . كذلك استولى على مركبين

---

١) الكرك : اسم لقلعة حصينة جداً في طرف الشام من نواحي البلقاء في جبالها بين آيلة وبحر القلزم (البحر الأحمر) والبيت المقدس، وهي على سن جبل عال تحيط بها أودية إلا من جهة الربض (ياقوت : معجم البلدان : مج٤، ج٧، ص ١٣١.)

٢) القوصي : د/ عطية القوصى : تجارة مصر في البحر الأحمر منذ فجر الإسلام حتى سقوط الخلافة العباسية، دار النهضة العربية ،القاهرة، سنة ١٩٧٦م : ص ١٥٣.

٣) عسقلان : مدينة بالشام من أعمال فلسطين على ساحل البحر بين غزة وبيت جبرين (ياقوت : معجم البلدان : مج٣، ج٦، ص ٣٢٧.)

٤) آيلة : مدينة على ساحل بحر القلزم (البحر الأحمر) مما يلي الشام . وقيل هي أخر الحجاز وأول الشام (ياقوت : معجم البلدان : مج١،ج١، ص ٢٣٢.)

٥) ابن جبير: رحلة ابن جبير ، ص ٣٤، القوصى : تجارة مصر: ص ١٥٣.

٦) القوصي : تجارة مصر : ص ١٥٣، ١٥٤ ، ابن جبير: رحلة ابن جبير : ص ٣٤.

قادمين بتجارة من اليمن، واحرق أيضا في عيذاب كثيراً من الأطعمة كانت معدة لأهل مكة والمدينة ([1]).

غير أن الأنباء لم تكد تصل إلى مسامع صلاح الدين حتى أرسل إلى أخيه العادل يأمره بالقضاء على حملة أرناط فجهز العادل حملة بحرية مكونة من عدة سفن جهزت من القاهرة والإسكندرية وأوكلت مهمة قيادة الحملة إلى حسام الدين لؤلؤ واتجهت الحملة نحو البحر الأحمر، وأسرعت في تعقب أرناط حتى تمكنوا من الإيقاع به وبمن معه في شوال سنة٥٧٨/ شباط ١١٨٣م وإلقاء القبض على الكثير منهم وأخذهم أسرى ، وتفريقهم في البلدان الإسلامية ليقتلوا فيها عبرة لما فعلوا بالمسلمين ، ومن ضمن المدن التي وجه إليها الأسرى وقتلوا فيها مكة . ووافق ذلك يوم النحر فضحى بهم بمكة ([2]).

ولقد كان على القوى الأيوبية باليمن ـ باعتبارها حامية للحدود الجنوبية للدولة ـ مسؤولية القيام بالقضاء على مثل تلك المحاولات . غيران الخلافات التي كانت سائدة بين نواب توران شاه في اليمن ، حالت دون القيام بهذه المهمة ، مما دفع صلاح الدين إلى إرسال أخيه طغتكين إلى اليمن، ليتولى أمرها ، ويتخلص من نفوذ النواب بها، ويعمل على استقرار الأوضاع ويقضى على الفتن القائمة في اليمن.

الحملة:

جهز صلاح الدين الأيوبي سنة ٥٧٩هـ / ١١٨٣م حملة بقيادة أخيه سيف الإسلام طغتكين مكونة من ألف وخمسمائة راجل(مشاة)([3]) وخرج من القاهرة متوجها في طريقه إلى اليمن فسار في النيل إلى قوص ومنها اتخذ طريق البر حتى عيذاب ، ثم في البحر الأحمر إلى جدة ثم مكة لأداء مناسك العمرة فدخلها طغتكين

---

١) ابن جبير : رحلة ابن جبير: ص ٣٠، القوصي : تجارة مصر : ١٥٤.

٢)المقريزي : السلوك : ج١، ص ١٩٠،ابن جبير: رحلة ابن جبير : ص ٣٠، القوصي: تجارة مصر: ص ١٥٦،١٥٥ ، محمد عبد العال : الأيوبيون: ص١١٨،١١٩.

٣) الخزرجي : العسجد : ص ١٥٨، ابن عبد المجيد : بهجة الزمن : ص ١٣٣، بامخرمة : ثغر عدن: ١٣٣

في الثالث من شهر رمضان سنة ٥٨٩هـ / كانون الأول ١١٨٣م([1]) فاستقبله فيها أمير مكة مكثر بن فليته ، فخلع عليه طغتكين خلعة حسنة لم ير مثلها، ولم يطل طغتكين البقاء بمكة ، واكتفى بالعمرة ولم ينتظر موسم الحج وغادر مكة في العاشر من رمضان سنة ٥٧٩هـ/ كانون الأول ١١٨٣م متوجها إلى اليمن فوصل زبيد في الثالث عشر من شوال سنة ٥٧٩هـ /٢٩ كانون الثاني ١١٨٤م([2])

القضاء على نفوذ النواب:

لم يكد حطان بن منقذ - والي زبيد - يعلم بمجئ طغتكين حتي خرج إلى الكدراء([3]) لاستقباله([4]) فلما وصله ترجل له طغتكين، وخلع عليه وعلى عسكره ، واظهر السرور به باعتباره أول من جاءه - من نواب أخيه لاستقباله وقال له (أنت أخي)([5]). أو(أنت أخي بعد أخي)([6]) ثم توجها معا بعد ذلك إلى زبيد فدخلوها في الثالث عشر من شهر شوال سنة ٥٧٩هـ/كانون الثاني ١١٨٤م([7]) وبذلك تسلم طغتكين زبيد بدون قتال ، بعد أن بذل له واليها الطاعة.

ولم يشأ طغتكين أن يظل حطان بن منقذ متوليا لأمر زبيد ، رغم ما بذله من طاعة . ولكنه ولاه احد الحصون المطلة على تهامة وهو حصن (قوارير)([8]) إلا أن حطان أدرك أنه لا يستقيم له أمر مع طغتكين ، فطلب منه الإذن بالعودة إلى مصر، فوافق طغتكين على عودته([9]) تجهز حطان وأخرج أهله وجميع أمواله وذخائره وأثقاله وما كان في حوزته إلى الجنابذ - خارج مدينة زبيد - فلما عزم على مغادرة البلاد ، ذهب ليودع طغتكين ، فخرج طغتكين معه لوداعه فلما صار

---

١) ابن جبير : رحلة ابن جبير : ص :١٢٤.

٢) ابن جبير : رحلة ابن جبير: ص : ١٢٧ ، محمد عبد العال : الأيوبيون : ص: ١٢٠ .

٣) الكدراء: اسم مدينة باليمن على وادي سهام في (تهامة) اختطها حسين بن سلامة (ياقوت: معجم البلدان: مج٤، ج٧، ص ١٢٣).

٤) الجندي:السلوك: ج٢ ص: ٥٢٧، محمد عبد العال : الأيوبيون : ص ١٢٠.

٥) ابن الديبع : قرة العيون : ص : ٢٧٤، ابن حاتم : السمط : ص ٢٤.

٦) ابن عبد المجيد: بهجة الزمن: ص ١٣٣، الجندي: السلوك:ج٢ ص٥٢٧.

٧) الجندي : السلوك : ج٢ ص ٥٢٧، الخزرجي : العسجد : ص ١٥٩.

٨) ابن حاتم : السمط: ص ٢٤.

٩) الجندي : السلوك: ج٢ ص ٥٢٧، ابن حاتم : السمط: ص ٢٤.

الجميع في الجنابذ قبض عليه وصادر أمواله(١) وهى عبارة عن سبعين غلافاً زردية مملوءة ذهباً(٢) قدر قيمتها بألف ألف دينار(٣) وكانت هذه الأموال هي ما جمعها حطان من تهامة بعد استقلاله عن الأيوبيين بعد موت توران شاه سنة ٥٧٦هـ/ حتى سنة ٥٧٩هـ. بعد ذلك أمر طغتكين بتقييد حطان وإرساله مع ياقوت التعزي إلىحصن تعز لسجنه، فبقي بها عدة أيام ثم أمر بقتله ، فقتل سراً خنقا(٤).

أما ما كان من أمر ياقوت التعزي فإنه لما سمع بدخول طغتكين اليمن ووصوله إلى زبيد اتجه إليها من تعز واستقبله فيها وسلم له مفاتيح حصن تعز . فأعجب به طغتكين وأكرمه ثم أعاده إلى ولايته ، وبعث معه حطان الأسير ليسجنه فيها(٥). ومن الواضح أن ياقوت التعزي لم يخرج عن طاعة الأيوبيين، لذلك أبقاه طغتكين على ولايته.ولم يجد طغتكين صعوبة في القبض على الأمير مظفر الدين قايماز أمير ذي جبلة ومخالفيها(٦).

أما عثمان الزنجيلي أمير عدن ، فإنه لما سمع بما جرى لحطان بن منقذ في زبيد . خشي على نفسه من النهاية التي انتهى إليها زميله ومنافسه حطان فجمع أمواله وشحنها في السفن إلىالشام ، وخرج هو في إحدى هذه السفن مستصحباً معه نفيس أمواله ، ولما علم طغتكين بهربه أرسل في أثره عدة مراكب تمكنت من اللحاق بسفنه واستولت عليها وأعادتها إلى اليمن ، أما هو فقد نجا بنفسه في سفينته الخاصة ودخل مكة بأموال عظيمة وذخائر نفيسة جمعها من طول إقامته في عدن وسوء معاملته للتجار كما قال ابن جبير(٧) وعين طغتكين أميراً جديدا على عدن

---

١) ابن حاتم : السمط : ص٢٤، الخزرجي: العسجد : ص ١٥٩، محمد عبد العال : الأيوبيون : ص ١٢٢.

٢) الجندي: السلوك: ص ج٢ ص ٥٢٧.

٣) أبو شامة : الروضتين : مج٢، ج٣، ص ٦٤،٦٥، ابن واصل : مفرج الكروب : ج٢، ص ١٠٥، المقريزي : السلوك : ج١، ص ٢٠٠،٢٠١، محمد عبد العال : الأيوبيون : ص ١٢٢،مسفر : الحياة السياسية: ص٩٦.

٤) ابن حاتم : السمط : ص ٢٤، الجندي : السلوك : ج٢ ص ٥٢٧، محمد عبد العال : الأيوبيون: ص ١٢٢

٥) الجندي : السلوك : ج٢ ص٥٢٧، الخزرجي : العسجد : ص١٥٩، محمد عبد العال : ص ١٢٢.

٦) ابن عبد المجيد : بهجة الزمن : ص ٧٨.

٧) رحلة ابن جبير : ص ١٤٨،١٤٩.

هو ابن عين الزمان٠وبذلك تخلص طغتكين من آخر الأمراء المفسدين من نواب أخيه توران شاه ، وانفرد بالحكم في بلاد اليمن وقضى على الفتن والاضطرابات التي كانت سائدة فيها٠

وهكذا تمثل حملة طغتكين على اليمن المرحلة الأولى من مراحل توحيد بلاد اليمن وتوطيد النفوذ الأيوبي فيها٠

أعمال طغتكين الحربية في بلاد اليمن:

لما فرغ طغتكين من الاستيلاء على المدن والحصون التي كانت تحت سيطرة نواب أخيه، وأصبح المسيطر الفعلي عليها، بدأ مرحلة طويلة من الصراع مع القوى المختلفة في بلاد اليمن بهدف القضاء عليها، وإقامة وحدة شاملة لجميع البلاد تحت الحكم الأيوبي وامتد هذا الصراع فترة طويلة من الزمن٠

كانت الأعمال الحربية التي اضطلع بها طغتكين بن أيوب في بلاد اليمن كثيرة ومتشابكة ومع هذا نستطيع تقسيمها إلى قسمين :

قسم تركزت فيه الجهود الحربية الأيوبية ضد بعض القلاع والحصون المتبقية من الدول والإمارات القديمة ، والتي كانت بمثابة جيوب في المناطق التي سبق أن أخضعها توران شاه ، وكذلك ضد بعض القبائل التي تمردت بعد رحيله.

أما القسم الآخر فقد وجهت فيه جهود الأيوبيين الحربية ضد سلاطين بني حاتم في صنعاء وما حولها٠

في البداية اتجه طغتكين نحو المعافر فحاصر حصن السوا([1]) لمدة ثم سلم الحصن له بدون قتال([2]) ثم اتجه بعد ذلك نحو مخلاف جعفر(آب) فاستولى سنة ٥٨٠هـ/ ١١٨٤م على حصون وصاب وأعمالها كما استولى على حصني بيت عز([3]) ونعم([1]) في الشعر دون قتال([2]) كما استولى في شوال سنة ٥٨١هـ / كانون

---

١) السوا : عزلة من بلاد الحجرية (الحجري : مجموع بلدان اليمن وقبائلها : مج٢، ج٣، ص ٤٣٣.)

٢) ابن حاتم: السمط: ص ٢٤، الخزرجي: العسجد: ص ١٥٩،١٦٠.

٣) بيت عز : حصن شهير في مديرية الشعر من أعمال محافظة آب (المقحفي : معجم البلدان والقبائل اليمنية : ج٢، ص ١٠٥٩.)

الأول ١١٨٥م على حصن عنة([3]) في العدين ، كما استولى على حصن خدد([4]) من صاحبه علي بن عبد الله بن مقبل الخولاني([5]) كذلك استولى سنة ٥٨٢هـ / ١١٨٦م على حصن شواحط([6]) من أهله دون حرب لأن شيخهم بايع طغتكين بمكة عند قدومه من مصر([7]).

كما استولى على عدة حصون أخرى مثل حصن ريمة الحدبا,وحصن بحرانة([8]) وسماءة([9]) وقزعة([10]) وعتمة([11]).وكانت بعض هذه الحصون([12]) لم يصل إليها النفوذ الأيوبي في حملة توران شاه السابقة على اليمن ،والبعض الآخر مما تمكن توران شاه من الاستيلاء عليه ، ولكن القوى المحلية فيها عادت إلى الظهور من جديد بعد رحيله من اليمن واستعادت نفوذها هناك .

ويبدو أن قوة طغتكين لم تكن كافية لمواجهة هذا العدد الكبير من الحصون المنيعة ، فلم يتمكن خلال السنوات الثلاث الأولى من حكمة أن يخضع سوى عدد قليل منها ، وكثيراً ما كان يستغرق مدة طويلة في حصار حصن واحد. ولا يستبعد أن يكون لمناعة هذه الحصون وشدة مقاومة المدافعين عنها دور في صعوبة إخضاعها ، وذلك فضلاً عن انشغال طغتكين بإصلاح الأوضاع السيئة التي خلفها نواب أخيه توران شاه في البلاد .

---

١) نعم : بضم النون وسكون العين المهملة . حصن يقع في منطقة (المنار) من جبل بعدان (المقحفي : معجم البلدان والقبائل اليمنية : ج٢، ص ١٧٤٥.)

٢) ابن سمرة : طبقات : ص ٢٢٩، ابن حاتم : السمط :ص : ٢٥.

٣) عنة : واد مشهور في بلاد العدين (الحجري : مجموع بلدان اليمن وقبائلها : مج٢، ج٣، ص ٦١٥.)

٤) حصن خدد : حصن في مخلاف جعفر (آب) باليمن (ياقوت : معجم البلدان : مج٢، ج٣، ص٢١٧.)

٥) ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن : ص ٢٢٩، السروري:الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في اليمن: ص١٦٠.

٦) حصن شواحط : شواحط حصن باليمن من ناحية الحبية (ياقوت : معجم البلدان : مج٣، ج٥، ص ١٦١.)

٧) ابن حاتم : السمط : ص : ٢٤،٢٥.

٨) حصن بحرانة : حصن في أعلا منطقة (السيف) الواقعة في الغرب الشمالي من مديرية (ذي السفال) ومن أعمالها (المقحفي : معجم البلدان والقبائل اليمنية : ج١، ص ١٣٩.)

٩) سماءة : مخلاف مشهور من ناحية عتمة (الحجري : مجموع بلدان اليمن وقبائلها : مج٢، ج٣، ص ٤٣١.)

١٠) القزعة : بلده في الجبر (جبر الشرف) من مديرية المفتاح وأعمال حجة (المقحفي : معجم البلدان والقبائل اليمنية : ج٢، ص ١٢٧٣.)

١١) عتمة :حصن في جبال وصاب من أعمال زبيد (ياقوت : معجم البلدان : مج٣، ج٦، ص ٢٩٧.)

١٢) ابن حاتم : السمط : ص٢٥.

حصار حصن حب:([1])

بعد أن انتهى طغتكين من أمر الحصون المطلة على تهامة ، توجه إلى حصن حب في بعدان ، وكان فيه السلطان زياد بن حاتم بن علي الزريعي من بقايا سلاطين بني زريع فحاصره طغتكين سنة ٥٨١هـ / ١١٨٥م ولما طال الحصار وقرب موسم الحج سافر طغتكين لأداء فريضة الحج ، وترك مولاه وهو أبو ريا ومعه شمس الخواص مع قواده والجند محاصرين الحصن وفي أثناء غياب طغتكين في الحج تجمع حلف كبير من قبائل همدان ,وجنب،ومذحج لنجدة السلطان زياد بن حاتم الذي استنجد بهم ، وقد أدىسلاطين بني حاتم دوراً كبيراً في محاولة عقد هذا الحلف ، وكان المقدر له لو تم عقده أن يعرض النفوذ الأيوبي في بلاد اليمن للخطر.

ولما اجتمع قادة هذا الحلف في ذمار وانضم إليهم الشيخ عبد الله بن يحيى والشيخ عبد الله بن زيد الجنبي في جمع كبير من جند مذحج وجنب . وفي منطقة الصنيمة([2]) من بلاد الحقل انضم إليهم السلطان أسعد بن علي بن عبد الله الصليحي صاحب حصن قيظان([3]) وفيها تشاور قادة الجيش حول كيفية الاتجاه لمحاربة الأيوبيين ، فكان هدف بشر بن حاتم أن يسير الجيش بكامله في وجهة قتالية واحدة ، بينما رأى أسعد بن علي أن يتجه الجمع من جهتين ، فتغلب رأي أسعد بتقسيم الجيش إلى فرقتين ، فرقة وهم همدان بقيادة بشر بن حاتم تتجه نحو حصن (نعم) في الشعر، وكان قد سيطر عليه الأيوبيون وفرقة أخرى وهم مذحج وجنب وغيرهم تتجه ([4]) نحو السحول([5]) .

---

١) حصن حب : حب بالفتح وتشديد ثانيه ، قلعة مشهورة بأرض اليمن من نواحي سبا (فى جبل بعدان محافظة آب) ولها كورة يقال لها الحبية (ياقوت : معجم البلدان : مج٢، ج٣، ص ١١٢.)

٢) الصنيمة : قرية من قرى ذمار اليمن (ياقوت : معجم البلدان : مج٣، ج٥، ص ٢٠٨.)

٣) حصن قيظان : مخلاف باليمن وقلما يسمونه غير مضاف إنما يقولون مخلاف قيظان ، وهو قرب ذي جبلة (ياقوت : معجم البلدان : مج٤، ج٧، ص ١٠٨.)

٤) ابن حاتم : السمط : ص ٢٥، الخزرجي : العسجد : ص ١٦٠.

٥) السحول: قبيلة من اليمن . وتنسب إلى السحول بن سوادة بن عمرو بن سعد بن عوف بن عدي بن مالك بن زيد بن سهل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن قطن بن عريب بن زهير بن أيمن

وما كادت تصل قبيلة (جنب) إلى قرب السحول حتى أحبط تقدمها الشيخ علي بن محمد بن إبراهيم ، فانسحبوا ، وهكذا نرى أن الخلاف قد وقع بين زعماء هذا الحلف إذ كان كل واحد منهم يعمل لمصلحته الخاصة ، علاوة على الأحقاد القديمة التي لم تترك مجالاً للتعاون والتفاهم بينهم...فتفرق الحلف وعادت كل قبيلة إلى موطنها([1]).

ولما عاد طغتكين من الحج ، وعلم بما حدث من تجمع القبائل اليمنية في غيبته عزز قواته وشدد الحصار على حصن حب، وأنذر من به بتسليم أنفسهم . فلما رأى عدم تسليمهم بطاعته قرر اقتحام الحصن بالقوة يوم الأربعاء جمادي الآخرة سنة ٥٨٢هـ/ آب ١١٨٦م واعتزم على انتهاج سياسة الحزم والعنف والقوة ، فاخترق دفاعات الحصن واستولى عليه عنوة ،وارتكب فيه مذبحة مروعة هزت أرجاء اليمن ، فجاء إليه سلاطين جنب ومنهم الشيخ عبد الله بن يحيى الجنبي وأولاده مستسلمين ومقدمين فروض الطاعة والولاء ، فأكرمهم وأحسن إليهم ،ونزل إليهم السلطان منصور بن أسعد بأمر والده أسعد بن على بن عبد الله الصليحي صاحب حصن قيظان معلناً خضوعه لطاعة طغتكين فقبل منه([2]).

واستطاع طغتكين باستخدام أساليب البطش والقوة أن يحقق نتائج ملموسة في مدة وجيزة ، فاستولى على بلاد جنب ، ودان له جميع مشايخها وبذلك سيطر طغتكين على ذمار([3]) وأثناء ذلك أرسل ابن حاتم حاكم صنعاء رسوله إلى طغتكين في ذمار لمصالحته فتوقف عن التوجه نحو صنعاء٠

وفي الوقت الذي أراد طغتكين العودة إلى اليمن الأسفل، ولى على (ذمار) مظفر الدين قايماز مملوك أخيه توران شاه ٠ فاستغل الشيخ عمران الجنبي عدم وجود طغتكين ، وقلة الحامية الأيوبية في ذمار ، فجمع جموعا كثيرة من بلاد جنب

بن الهميسع بن حمير بن سبأ، وهي قرية من قرى اليمن يحمل منها ثياب قطن بيض تدعى السحولية (ياقوت : معجم البلدان : مج٣، ج٥، ص ٢٧.)

١) الخزرجي : العسجد ك ص ١٦٠،ابن حاتم : السمط: ص ٢٥.

٢) ابن حاتم : السمط :ص ٢٦، الخزرجي : العسجد : ص ١٦١.

٣) الخزرجي : العسجد: ص ١٦١، ابن حاتم : السمط: ص ٢٦.

وبلاد عنس([1]) وغيرها وسار بهم ـ من حصن شرق ذمار حيث كان قد هرب إليه أثناء دخول طغتكين إلى ذمار ـ نحو ذمار فدخلها بالقوة ونهبها. أما الحامية الأيوبية فقد تحصنت بقرية تسمى (ذي خولان) وأرسلت إلى طغتكين إلى ذي جبلة تخبره بهجوم الشيخ عمران الجنبي عليهم ، فأسرع طغتكين في القدوم إليهم . ولما وصل ذمار هربت منه بعض قبائل جنب ، ولم يبق إلا عمران بمن صبر معه ، فدارت معركة بين الطرفين أسفرت عن هزيمة الشيخ عمران مع قبائل جنب ، وقتل الكثير منهم ،وأخذوا ما معهم من الغنائم ، ولم ينجُ منهم إلا قلة منهم الشيخ عمران([2]).

ونجد أن طغتكين لم يطمئن من جانب أهل ذمار، فتوجه بجيشه نحو منطقة شار([3]) شمال شرق ذمار فقتل منهم نحو ستمائة رجل. وذلك بسبب تحالفهم مع قبيلة جنب([4]) . وبالنسبة للسلطان عبد الله بن يحيى الجنبي فبالرغم من طاعته لطغتكين ، إلا انه قدم المساعدة لقبيلة جنب ضد الأيوبيين . ورفض تسليم بلاده لهم . فتحصن في حصن (ذروان) ولكن طغتكين لم يرد تركه متحصناً في بلاده ، بعد أن عمل على تقديم المساعدة لجنب . فأرسل مظفر الدين قايماز لحصاره ، فاستمر الحصار لمدة خمسة أشهر ونتيجة لتعب السلطان عبد الله بن يحيى الجنبي من الحصار وقلة الموارد الغذائية والمياه عليهم ، استسلموا للأيوبيين دون قتال([5]) وبذلك أعاد طغتكين السيطرة الأيوبية على ذمار.

بقايا الصليحيين:

كذلك كانت الحال بالنسبة للسلطان أسعد بن علي الصليحي صاحب حصن (قيظان) أحد بقايا الصليحيين وأحد الموالين لبني زريع ،كان قد خاف على نفسه من الأيوبيين بعد اقتحامهم لحصن (حب) في بعدان وقتل جميع من فيه . فأرسل

---

١) عنس : بفتح أوله وسكون ثانيه وأخره سين مهملة وهي الناقة الصلبة تسمى بذلك إذا تمت سنها واشتدت قوتها ، وهي مخلاف باليمن (ياقوت : معجم البلدان : مج٣،ج٦، ص ٣٥٧.)

٢) ابن حاتم : السمط :ص ٢٨، الخزرجي : العسجد: ١٦٠.

٣) شار : من حصون اليمن في مخلاف جعفر(إب) (ياقوت : معجم البلدان : مج٣،ج٥، ص ١١٣.)

٤) الخزرجي : العسجد : ص ١٦١، ابن حاتم : السمط: ص ٢٨،، محمد عبد العال : الأيوبيون : ص ١٢٩،١٣٠.

٥) ابن حاتم : السمط: ص ٢٨، الخزرجي: العسجد: ص ١٦٢.

ولده منصور إلى طغتكين يطلب منه الدخول في الطاعة ([1]) إلا أن هذه الطاعة لم يكن موثوقاً بها ، بسبب الخلاف المذهبي بين الأيوبيين والصليحيين ، ومحاولة أسعد الصليحي التحالف لمناصرة أصحاب حصن (حب) . فضلاً عن بقائه مسيطراً على حصن(قيظان) وهو مالا يرضى به الأيوبيون لذلك كان من واجب طغتكين الاتجاه للاستيلاء على هذا الحصن وإنهاء بقايا الصليحيين الزريعيين ، فاتجه طغتكين لمحاصرته . فرماه بالمجانيق واستمر الحصار مدة تسعة أشهر ، ولما عجز الصليحيون عن المقاومة طلبوا من طغتكين تسليمه الحصن مقابل إعطائهم الأمان واشترطوا أن يكون خروجهم إلى صنعاء إلى السلطان علي بن حاتم . ومن أجل تنفيذ ذلك الشرط ترك كل من طغتكين وأسعد الصليحي رهائن لدى بشر بن حاتم . وبعد خروجهم من الحصن ووصولهم صنعاء تسلم طغتكين الحصن([2])٠ وبذلك انتهت بقايا الصليحيين من حصن قيظان . وأصبحت جميع مناطق اليمن الأسفل تحت سيطرة الأيوبيين ما عدا حصن الدملوة بالصلو٠

حصن الدملوة:

بعد صراع طغتكين العسكري في ذمار وقيظان وحب ، توجه نحو حصن الدملوة بالصلو سنة ٥٨٤هـ / ١١٨٩م . وكان تابعاً لبني زريع . وكان فيه جوهر المعظمي وصياً على أولاد الداعي عمران بن محمد بن سبأ الزريعي . فحاصره حصاراً شديداً وباشر تلك المهمة بنفسه ولم يعتمد في ذلك على أحد من أمرائه وظل الحصار أربعة أشهر حتي ضاق جوهر المعظمي ذرعاً وأدرك عدم مقدرته على مقاومة الأيوبيين ، وأن الحصار سيطول ، وهنا عرض على طغتكين تسليم الحصن نظير عشرة آلاف دينار، ولأن طغتكين كان يعلم أن تكلفة الحصار واقتحام الحصن سيكلفه أكثر من عشرة آلاف دينار .فضلاً عن قتل عدد غير قليل من الجيش ، بسبب مناعة الحصن وصعوبة اقتحامه ، لذلك وافق على شراء الحصن واشترط

١) الخزرجي : العسجد : ص ١٦١ ، ابن حاتم : السمط : ص ٢٦،

٢) ابن حاتم : السمط : ص ٢٨،٢٩ ،الخزرجي : العسجد : ص ١٦٢،

جوهر على طغتكين (أن لا يطلع إليه نائب ولا ينزل إليه من الحصن حتى يكون عيال سيده وأموالهم قد جاوزوا البحر)([1]) فوافق طغتكين على ذلك.

فلما تسلم جوهر المبلغ الذي اتفق عليه جهز جميع أولاد سيده عمران بن سبأ وأخذ نفيس أمواله . وترك في الحصن نائباً له واشترط عليه أن لا يسلم الحصن إلا بعد أن يصله علمه بوصوله الحبشة([2]) ثم سار بأولاد سيده نحو المخاء متنكرا في زى امرأة ، فلما وصلها ركب في سفن أعدت له واتجه إلى أرض الحبشة . بعد ذلك كتب إلى طغتكين ونائبه على الحصن بتسليمه للأيوبيين([3]) وكان جوهر قد ترك أوراقاً كثيرة وخاتمه عند نائبه . ليكتب عليها نائبه إلى طغتكين أو غيره فلا يشك أحد في أنه غادر الحصن ، ومن ثم يوهمهم بأنه لا يزال في الحصن، وقد تعجب طغتكين عندما اطلع على الرسالة ، وعلم بأن جوهراً كان أول من غادر الحصن ، ولما وصلت الرسالة من جوهر إلى نائبه رفض النائب تنفيذ ما بها وامتنع بالحصن واستولى عليه لنفسه ، فعظم ذلك على طغتكين وعاد تشديد الحصار على الحصن . لذلك استغرق حصاره أربعة عشر شهرا([4]) .

وتردد في البداية طغتكين بين تسليم عشرة ألاف دينار مرة ثانية وبين شن الحربـوأخيراً وافق على تسليم المبلغ مرة أخرى بشرط أن يتم تسليم المبلغ إلى بشر بن حاتم، واقترح النائب أن يكون السلطان بشر بن حاتم الذي صادف وجوده آنذاك في مدينة الجند لتجديد الصلح بين بني حاتم والأيوبيين حكماً بينهما ، فيتولى عملية تسليم المال من طغتكين وتسليمه الحصن ، واشترط النائب على بشر أن يحمل هو وأولاده ومن كان معه إلى صنعاء وقد قبل طغتكين هذه الشروط بوساطة السلطان بشر بن حاتم ، ولم يسلم الحصن إلى طغتكين إلا بعد أن وصل إليه خبر من أخيه السلطان علي بن حاتم أن النائب وصل إليه في صنعاء وتسلم المبلغ([5]).

---

١) الخزرجي: العسجد: ص ١٦١ ، ابن حاتم : السمط : ص ٢٩،

٢) ابن حاتم : السمط : ص ٢٩.

٣) الخزرجي: العسجد : ص ١٦١، ابن حاتم : السمط: ص٢٩.

٤) ابن حاتم : السمط : ص٢٩.

٥) الخزرجي : العسجد : ١٦٤ ، ابن حاتم : السمط : ص ٣١، محمد عبد العال : الأيوبيون: ص ١٣٤.

طلع طغتكين إلى الحصن بعد تسلمه وخربه ، ثم أعاد بناءه بشكل أقوى وأمنع من ذي قبل ، وبالاستيلاء على الدملوة تمت لطغتكين السيطرة التامة على معظم اليمن ولم يبق أمامه سوى صنعاء مركز بني حاتم ٠

القضاء على دولة بني حاتم في صنعاء:

عرفنا فيما سبق أن توران شاه لم يتمكن من القضاء على دولة بني حاتم ، وذلك على الرغم من وصوله إلى قاعدتهم صنعاء ، ولما غادرها عاد إليها السلطان علي بن حاتم اليامي ، وظلت دولة بني حاتم قائمة حتى قدوم طغتكين بن أيوب سنة ٥٧٩هـ / ١١٨٣م فدخل في صراع مرير مع سلاطينها للقضاء على دولتهم وإنهاء أنفوذهم في هذه الأقاليم.

وفي الوقت نفسه أحس سلاطين بني حاتم بالخطر يقترب من بلادهم بكل خطوة يخطوها طغتكين في اليمن ، لذلك لم يقفوا مكتوفي الأيدي إزاء تقدم طغتكين في معاقل اليمن وحصونها ، بل حاولوا توجيه ضربة قوية إلى القوات الأيوبية أثناء حصار حصن (حب) سنة ٥٨١هـ/١١٨٦م حيث قدم السلطان علي بن حاتم وأخوه السلطان بشر بن حاتم على رأس قوة كبيرة من همدان ، وفي الطريق تظاهرا بإنقاذ بني الزريعي من يد طغتكين ، واتصلا بقبائل جنب ومذحج لنجدة السلطان زياد بن حاتم الزريعي ، في حين كان سلاطين بني حاتم يهدفون إلى تكوين حلف قوي من هذه القبائل المقاومة للأيوبيين وإبعادهم عن منطقة نفوذهم ، ولكن جهودهم أخفقت في هذا المجال على ما سبقت الإشارة إليه ، ومن ثم رجع سلاطين بني حاتم إلى صنعاء وأخذوا يعدون العدة لمقاومة طغتكين في بلادهم إذا هاجمها . ولما انهارت مقاومة قبائل جنب أمام تقدم طغتكين ورأى السلطان علي بن حاتم تفوق القوات الأيوبية ، وأيقن بعجزه عن الدفاع عن صنعاء ، ندب ابن عمه القاضي حاتم بن أسعد رسولاً إلى طغتكين وهو في شرق ذمار لعقد الصلح معه . وتولى القاضي حاتم بن أسعد عقد هدنة لمدة سنة كاملة مع طغتكين نيابة عن السلطان علي بن حاتم ، وذلك مقابل دفع ثمانين آلف دينار حاتمية ومائة حصان في سنة واحده ، على أن

يعود عن صنعاء هذا العام وهو عام ٥٨٣هـ/١١٨٧م فقبل طغتكين هذه المصالحة ، فعدل عن رأيه في الاتجاه نحو صنعاء وعاد نحو اليمن الأسفل[١] والسبب في قبول طغتكين هذه المصالحة هو عدم تمكنه من إكمال سيطرته على جميع حصون اليمن الأسفل ومحاولته كسب بني حاتم ، فضلاً عن أن هذا الصلح هو الحل الأسلم للطرفين لتجنب الدخول في الحرب ، لان الحرب ستكلف الطرفين الكثير من الخسائر.

وما أن انتهت سنة المصالحة بين بني حاتم وبني أيوب حتى أرسل السلطان علي بن حاتم أخاه بشر بن حاتم من صنعاء إلى تعز لتجديد الصلح وأثناء ذلك أمر الملك طغتكين نوابه باستقباله وإكرامه وعدم التعرض إليه بأذى وتأمين سيره في الطريق. فلما وصل إلى ذمار أكرمه أميرها مظفر الدين قايماز ، كما أكرمه ياقوت الشمسي في قاع الحقل ولما وصل إلى تعز استقبله طغتكين استقبالاً عظيما وخلع عليه الخلعة التي كانت له ، وأهداه سيفه ، وسرجاً من ذهب ، وأحسن إليه وإلى كل من قدم معه[٢] واتفقا على تجديد الهدنة لمدة سنة أخرى ، بعد أن أسقط عنهم الملك طغتكين عشرين آلف دينار وعشرين حصاناً تكريماً للسلطان بشر بن حاتم وتقديراً لمساعيه في الصلح على حصن الدملوة[٣]. وعلى الرغم من وجود المصالحة وتجديدها بين بني حاتم والأيوبيين ، إلا أنها لم تكن مقنعة لهما ، وذلك بسبب عدم مقدرة الأراضي الخراجية أو العشرية لبني حاتم تحمل دفع هذا المبلغ وعدم قبول الملك طغتكين بقاء اليمن الأعلى تحت سلطانهم .

ويبدو أن الملك طغتكين قد قرر أن يتخلص نهائياً من دولة بني حاتم ، ويقضي على نفوذ سلاطينهالاسيماً بعد أن تم له الاستيلاء على حصن الدملوة ، ولم يبق أمامه شيء يشغله عنهم ، لذلك فما أن انتهت مدة الهدنة حتى بادر طغتكين بالطلوع إلى ذمار ، وفيها أخذ يعد العدة لدخول صنعاء.

---

١) ابن حاتم : السمط : ص ٢٧، الخزرجي : العسجد : ص ١٦١، محمد عبد العال : الأيوبيون : ص ١٣٤.

٢) ابن الديبع : قرة العيون : ص ٢٧٨، ابن حاتم : السمط : ص ٣٠، الخزرجي : العسجد : ص ١٦٣.

٣) الخزرجي : العسجد : ص ١٦٣، محمد عبد العال : الأيوبيون: ص ١٣٦.

أما سلاطين بني حاتم فإنهم لما علموا بطلوع الملك طغتكين إلى ذمار أيقنوا بقرب النهاية ، وأخذوا يعدون أنفسهم لمقاومته ، ولما كانت صنعاء غير محصنة ـ بعد أن خرب السلطان علي ابن حاتم سورها أثناء حملة توران شاه سنة ٥٧٠هـ /١١٧٤م ـ قرروا الاعتماد على الحصون والجبال التي حول صنعاء في مقاومة الملك طغتكين. فعمروا حصون (ذمرمر ، وكوكبان[١] ، والظفر[٢] ، والعروس[٣]، وبراش[٤] ، وفدة[٥] ، والفص[٦] بالإضافة إلى حصن أشيح[٧] في آنس[٨] ووزعوا أنفسهم وقواتهم على الحصون[٩]، وخربوا عددا من الحصون الضعيفة التي لا تستطيع المقاومة.

توجه طغتكين نحو صنعاء للاستيلاء عليها فلما وصل إلى قاع جهران[١٠] شمال ذمار ، قابله القاضي حاتم بن أسعد ، فسأله الذمة والوقوف عن المسير نحو صنعاء ، والتزم عن السلطان علي بن حاتم أن يدفع له ثلاثين ألف دينار . وثلاثين حصاناً لتلك السنة ، ووضع عنده رهائن حتى يأتي بالمبلغ ، فقبل طغتكين ذلك واشترط عليه أنه إذا عاد بغير ما تعهد به سوف يشنق الرهائن[١١] .

---

١) شبام كوكبان : مدينة أثرية قديمة بسفح جبل كوكبان المعروف قديماً باسم (ذخار) وهي غربي مدينة صنعاء بمسافة ٢٤كم (المقحفي : معجم البلدان والقبائل اليمنية : ج١، ص ٨٤٤.)

٢) الظفر : حصن من أعمال صنعاء (ياقوت : معجم البلدان : مج٣، ج٦، ص ٢٨١.)

٣) العروس : جبل من بني مطر في غربي صنعاء يحاذي جبل كوكبان ويضم مجموعة قرى تحيطها المدرجات الزراعية الخضراء(المقحفي : معجم البلدان والقبائل اليمنية ج٢، ص ١٠٥٥.)

٤) براش : حصن مشهور بصنعاء متصل بجبل نقم من شرقيه (الحجري : مجموع بلدان اليمن وقبائلها : مج١، ج١، ص ١٠٥.)

٥) فدة : بكسر الفاء . حصن في وادي ضهر مشهور (الحجري: مجموع بلدان اليمن وقبائله : مج٢، ج٤، ص ٦٣٤.)

٦) الفص : حصن بالقرب من جبل (ذمرمر) من مديرية بني حشيش أعمال صنعاء (المقحفي : معجم البلدان والقبائل اليمنية (ج٢، ص ١٢١٦.)

٧) حصن اشيح : بالفتح ثم السكون وياء مفتوحة وحاء مهملة : اسم حصن منيع عال جداً في جبال اليمن ،(ياقوت : معجم البلدان : مج١، ج١، ص ١٦٤.)

٨) انس : منطقة واسعة في الشمال الغربي من مدينة ذمار . تنتظمها اليوم مديريتان هما : مديرية ضوران ومديرية جبل الشرق (المقحفي : معجم البلدان والقبائل اليمنية : ج١، ص٩.)

٩) ابن حاتم: السمط : ص ٣٢، الخزرجي : العسجد : ص ١٦٤، ابن الديبع : قرة العيون :٢٧٨.

١٠) قاع جهران: حقل واسع وناحية من أعمال انس (الحجري: مجموع بلدان اليمن وقبائلها: مج١،ج١، ص ٢٠١.)

١١) ابن الديبع: قرة العيون: ص ٢٧٩، ابن حاتم: السمط: ص ٣٢، الخزرجي: العسجد: ص ١٦٤.

وبالنسبة لتشدد طغتكين بشنق الرهائن هو خوفه من التلاعب عليه وتأخيره عن المسير إلى صنعاء دون الوفاء بذلك التعهد ، لأنه عندما يبقى في جهران لعدة أيام قد تصل ما بين أربعة أيام إلى أسبوع ، سيكلفه الكثير من الإنفاق على الحملة من المؤن والأعلاف وغيره ، وقد تنتهي مؤنته وأعلافه . وبالتالي لا يستطيع إكمال مسيره إلى صنعاء ، إلا بعد أن يطلب المدد من اليمن الأسفل.

أما بالنسبة للقاضي حاتم بن أسعد فقد قبل بشرط طغتكين ، وتوجه إلى السلطان علي بن حاتم إلى صنعاء وأخبره (بما كان من الكفالة عنه) إلا أن السلطان علي بن حاتم رفض دفع المبلغ . فاضطر القاضي إلى العودة إلى طغتكين خائفاً من شنق الرهائن بحسب ما كان من الشرط بينهما ، فلما أخبر القاضي طغتكين برفض السلطان حاتم دفع ما كفل به ، طلب طغتكين من القاضي أن يحلف له على صدق كلامه وأن يكون معه ، وسيعفيه من وعده بشنق الرهائن ، فحلف له([١]).

بعد ذلك تعاون القاضي مع طغتكين فأشار عليه أن يتجه أولا للاستيلاء على حصن (أشيح) وذلك ليحمي ظهره عند ذهابه إلى صنعاء . فسار إليه وجرى بينه وبين أصحاب الحصن قتال لمدة يوم كامل ، لم يتمكن خلالها من اقتحام الحصن لحصانته وفي اليوم التالي لجأ إلى أخذ حصن بجانبه بالقوة يسمى حصن ظفار([٢]) الواديين ، فقتل السلطان يحيى بن سليمان بن المظفر وجماعته . ونتيجة لذلك خاف أصحاب حصن أشيح على أنفسهم ، فاستسلموا لطغتكين وسلموا له الحصن ثم استولى على آنس كله([٣]) كما استولى على حصن براش في جبل نقم المطل على مدينة صنعاء وعلى جبل الشرف القريب منها .

الاستيلاء على صنعاء

دخل طغتكين صنعاء بغير قتال في يوم السبت لعشرين بقين من شوال سنة ٥٨٥هـ / تشرين الثاني١١٨٩م ، ولم يلق فيها مقاومة تذكر لخلوها من المدافعين

---

١) ابن حاتم : السمط: ص ٣٢، الخزرجي : العسجد: ص ١٦٤ ابن الديبع : قرة العيون : ص ٢٧٩.

٢) ظفار : حصن في بني سويد من بلاد انس (الحجري : مجموع بلدان اليمن وقبائلها : مج٢،ج٣، ص ٥٦٤.)

٣) ابن حاتم : السمط : ص ٣٣.

عنها، وهروب بني حاتم إلى الجبال للتحصن بها ، ورتب طغتكين فيها العسكر وعين عليها والياً من قبله . واتخذ طغتكين من صنعاء قاعدة له ينطلق منها لمحاربة حصون بني حاتم ، كما أمر طغتكين ببناء دار له في صنعاء سميت بالدار السلطانية ([1]) في المنطقة المشهورة الآن ببستان السلطان.

وخلال عام ٥٨٦هـ / ١١٩٠م تمكن طغتكين من الاستيلاء على معاقل بني حاتم واحداً تلو الآخر ، فاستولى على حصن الفص، وحصن الظفر ، وحصن كوكبان ، وحصن فدة وكلها حول صنعاء ومما سهل على طغتكين بن أيوب الاستيلاء هذه الحصون الواحد تلو الآخر بهذه السهولة , ضعف أسوارها ، وعدم قدرتها على الصمود أمام المنجنيقات الضخمة التي كان يستعملها في حصارها([2]) فضلاً عن تفوق قواته التي يهاجم بها الحصون حيث اشتركت فيها أعداد كبيرة من العرب المرتزقة فضلا عن الجنود الأيوبيين .

ولم يبق أمام طغتكين إلا حصن (ذمرمر) آخر معاقل سلاطين بني حاتم فحاصره بقوات كبيرة وأحاط به من جميع الجهات وضيق عليه ، واستمر الحصار أربع سنوات حتى ضاق به كل من المحاصرين والمحصورين ، وأخيرا تم الصلح على أن يدفع طغتكين للسلطان علي بن حاتم رئيس سلاطين بني حاتم - مبلغ خمسمائة دينار وخمسمائة كيلة من الطعام جامكية([3]) كل شهر ، ويحتفظ بحصنه على أن لا يبقى له نفوذ في بلاد اليمن([4]) وبذلك حقق طغتكين هدفه في القضاء على دولة بني حاتم وإزالة نفوذهم، وسيطر الأيوبيون على اليمن كله .

وقد كانت الحروب التي دارت بين سلاطين بني حاتم من جهة وبين طغتكين بن أيوب من جهة أخرى نموذجاً للحروب في العصور الوسطى، تجلت فيها الشهامة العربية الأصيلة من قبل بعض سلاطين بني حاتم ، والفروسية الأيوبية

---

١) ابن حاتم : السمط : ٣٨.

٢) الخزرجي : العسجد : ص ١٦٦، ابن حاتم : السمط : ص ٣٧، محمد عبد العال : الأيوبيون : ص ١٤٣.

٣) جامكية : الجمع جوامك ،وهي الرواتب عامة (القلقشندي : صبح االأعشى ، ج٣، ص ٤٥٧.)

٤) ابن حاتم : السمط : ص٣٧،الخزرجي : العسجد : ص ١٦٧ ابن الديبع : قرة العيون : ٢٩٠، بامخرمة : ثغر عدن : ١٣٤،محمد عبد العال : الأيوبيون : ص ١٤٤، ذكر ابن الديبع:ص ٢٩٠ ، إن هذا المبلغ كان يعطي لبني حاتم سنوياً ، بينما ذكر ابن حاتم :ص: ٣٧، والخزرجي :ص ١٦٧ إن هذا المبلغ كان يدفع لبني حاتم شهرياً كراتب.

من قبل طغتكين بن أيوب ، ومن هذا القبيل ما حدث في حصن كوكبان عندما تم الصلح بين طغتكين بن أيوب والسلطان عمرو بن علي بن حاتم صاحب الحصن في شهر ذي الحجة سنة٥٨٥هـ / كانون الثاني ١١٩٠م ودخل طغتكين لاستلام الحصن فوجد السلطان عمرو بن علي بن حاتم قد أعد له ضيافة عظيمة فتعجب من كرمه وقال : (ما رأينا مثل هؤلاء القوم نأخذ بلادهم ويلقوننا بالضيافة)([١]) .

ومن هذا القبيل أيضا ما حدث للملك طغتكين بن أيوب لما كان على حصار حصن العروس ـ أحد حصون بني حاتم ـ حيث حاصر الحصن وضيق على من فيه ، فنزلت منهم امرأة واستأذنت على لملك طغتكين فأذن لها، وأخرجت مولوداً صغيراً من تحت ثيابها وقالت له إنا سمينا هذا المولود باسمك ونحب أن تهب لنا هذا الحصن لأجله . فوهب لهم الحصن ورسم لهم مرسوماً لعن فيه من يغير عليهم شيئاً من الحصن أو من عمله وارتحل عنهم مسرعاً([٢]).

وكان من نتائج حملة طغتكين دخول بني رسول في صحبة الأيوبيين ، وذلك باشتراك والدهم شمس الدين أبو الحسن علي بن رسول في حملة طغتكين حيث اصطحب أولاده الأربعة ، وهم بدر الدين الحسن ، شرف الدين موسي ، فخر الدين أبو بكر ، نور الدين عمر وهو أصغرهم ، فقد جعل الملك طغتكين بن أيوب الأمير شمس الدين أميراً على الجيش([٣]) ، وكان هذا أول ظهور للرسولين في اليمن بصفة رسمية في الدولة الأيوبية باليمن.

أهم أعمال الملك طغتكين

من أهم أعمال الملك طغتكين في اليمن عمارة عدة قلاع وحصون منها : حصن تعز، وحصن (التعكر) وحصن (حب) وحصن (خدد) وأسوار زبيد ،وصنعاء ، كما بني تعز ومدينة الجند ،وشيد مدينة المنصورة قبلي الجند ، فبني فيها قصراً كبيراً له حمامات وبيوت للعسكر، وما زالت أثاره باقية. كما أحيا وادي

---

١) ابن حاتم : السمط :ص ٣٦، الخزرجي :العسجد : ص ١٦٦، محمد عبد العال : الأيوبيون : ص ١٤٢،١٤٣، مسفر : الحياة السياسية: ص ١٠٧.

٢) بامخرمة ثغر عدن : ص ١٣٣،١٣٤ ، الخزرجي : العسجد : : ص ١٦٥.

٣) الخزرجي : العسجد المسبوك : ص ١٩١.

الدارة والقاعدة([1]) ، وبني قرية في خنوة([2]) وشيد بها دار مصيفاً له . كما أجرى المياه من صبر إلى وادي نخلان([3])، وغرس أنواع الغرسات ، جلبت بعضها من الديار المصرية .

وأثرت جهود الملك طغتكين في قيام وحدة شاملة لبلاد اليمن ربطت بين أجزائها المتفرقة ومناطقها المتباعدة المعزولة في الجبال الوعرة والمسالك الصعبة ، في ظل دولة واحدة هي الدولة الأيوبية الناشئة في اليمن. ويعد نجاح الملك طغتكين في توحيد بلاد اليمن إنجازاً عظيماً يستحق ما بذله الأيوبيون من جهود كبيرة في سبيل تحقيقه.

وأقام الملك طغتكين الدولة الأيوبية على أسس متينة وقرر قواعد الملك باليمن وأنشأ الدواوين وسنّ القوانين والنظم المختلفة ووضع الضرائب السلطانية التي ظلت سارية المفعول بعده لمدة طويلة ، إلى غير ذلك من الاشياء التي لا تنحصر([4]). وتفرغ في الفترة الأخيرة من حكمة لإجراء الإصلاحات العديدة في جميع أنحاء اليمن .

وعلى العموم فقد ترك الملك طغتكين لخلفائه دولة قوية عزيزة الجانب بحيث أن خلفاءه لم يحتاجوا إلى أي مجهود داخلي في داخل نطاق الدولة ، وإنما تفرغوا لرسم سياستهم الخارجية.

ومما تقدم يتضح أن الملك طغتكين كان من أهم الشخصيات الأيوبية التي حكمت اليمن ، فقد تمكن من توحيدها كلها تحت نفوذه . وظل يحكمها بنوع من المهارة والحكمة والتعقل حتى وفاته في مدينة المنصورة التي بناها قرب الجند في ٢٦ شوال ٥٩٣هـ / أيلول ١١٩٧م. بعد أن قضى في الحكم أربعة عشر عاماً وأربعة عشر يوماً.

١) القاعدة : بلدة ما بين أب وتعز مشهورة، وعزلة القاعدة من أعمال آب (الحجري : مجموع بلدان اليمن وقبائلها : مج٢، ج٤، ص ٦٤٥.)

٢) خنوة : قرية ومركز إداري من أعمال ذي سفال . يشمل مدينة القاعدة وقريتي السفنة والمنصورة وغيرهما (المقحفي : معجم البلدان والقبائل اليمنية : ج١، ص ٥٨٤.)

٣) نخلان : عزلة من أعمال ذي السفال : (الحجري : مجموع بلدان اليمن وقبائلها : مج٢، ج٤، ص ٧٤١.)

٤) ابن حاتم: السمط: ص٣٩، الخزرجي: العسجد: ص ١٦٨، بامخرمة : ثغر عدن: ص ١٣٣.

المعز إسماعيل بن طغتكين
وسوء الأحوال في عهده
(٥٩٣ـ٥٩٨هـ /١١٩٧ـ ١٢٠٢م)

توفى طغتكين وترك بلاد اليمن موحدة بعد أن عانت الكثير من التمزق والتشتت والاحتراب والصراع بفعل التعصب القبلي والمذهبي، وكان ابنه اسماعيل وهو الأكبر سناً من بين إخوانه على خلاف مع أبيه الذي كان بدوره يحاول أن يعده ليكون خلفاً له ، وذلك من خلال توليته بعض الأعمال فقد ولاه سنة ٥٨٧هـ/ ١١٩١م منطقة كوكبان وبلاد الظاهر(١)، إلا أن المعز أساء معاملة أهل تلك البلاد

١) الظاهر :ضد الباطن وكل ما ارتفع من البلدان يسمى ظاهراً ، بالاضافة إلى محله كظاهر همدان ، المراد به جبال همدان(الحجري : مجموع بلدان اليمن وقبائلها : مج٢،ج٣، ص ٥٦٣.)

بسبب ميلهم إلى الإمام عبد الله بن حمزة([1]) ، مما جعل هؤلاء يطلبون المساعدة من القبائل المجاورة ومن الإمام (عبد الله بن حمزة) فلبوا طلبهم وتجمعوا لقتال الأيوبيين فقتلوا منهم سبعمائة رجل وعقروا أعداداً من الخيل ونهبوا الكثير من أموالهم ، مما دفع طغتكين إلى تجهيز جيش كبير ووجهه لمقاتلة أهل تلك البلاد وقتلوا ما يقارب المائتين منهم([2]) وهنا يتضح دور عبد الله بن حمزة في تحريض القبائل ضد الوجود الأيوبي دون أن يعمل على قيادة أي مواجهة مباشرة ضدهم في عهد طغتكين.

بعد ذلك قام طغتكين بعزل ابنه اسماعيل عن عمله ولم يقم بتعيينه في أعمال أخرى لعدم رضاه عن سياسته ، مما أدى إلى حدوث خلاف بينهما، بل وصل الأمر بطغتكين أن قام بطرده من اليمن سنة ٥٨٩هـ/ ١١٩٣م فذهب إلى الخليفة العباسي في بغداد , وقيل إلى عمه صلاح الدين في دمشق ، فأكرمه ومنحه من المال الكثير وأعاده إلى اليمن وكتب إلى أبيه بالعفو والرضا والصفح عنه([3]).

وبعد أن عاد إسماعيل إلى اليمن ، استقر بها حتى سنة ٥٩٣هـ /١١٩٦م ثم عاد الخلاف من جديد مع أبيه الذي كان يعاني من المرض وبسبب ذلك الخلاف غادر اليمن متوجهاً نحو الشام أو مصر وما إن وصل حرض ـ شمال تهامة ـ حتى أرسل إليه كبار أعيان الدولة وقادتها يخبرونه بوفاة أبيه فعاد من فوره لتهيئة نفسه والاستعداد لاستلام السلطة على اليمن خلفاً لأبيه([4]). ولما كانت السلطة قد وصلت

---

١) هو عبد الله بن حمزة وهو الملقب أمير المومنين الإمام المنصور عبد الله بن حمزة بن سليمان بن علي بن حمزة بن أبي هاشم الحسن بن عبد الرحمن بن يحيى بن عبد الله بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم الحسني الرسي . ولد الإمام بقرية عيشان من عذر حاشد من ظاهر همدان سنة ٥٦١هـ/١١٦٦م ووفاته سنة ٦١٤هـ/١٢١٧م وكانت أول دعوته سنة ٥٩٣هـ/١١٩٧م . فكانت مدة حياته ٥٣سنة ومدة خلافته ٢١سنة وله سيرة تحتوي على مجلدين تحوى جميع أحواله وحركاته وسكناته لأحد معاصريه وهو أبي فراس بن دعثم الذي التحق بخدمة الإمام عبد الله بن حمزة ، وعمل كاتباً في ديوان إنشائه . ولما دنا موت الإمام أوصى بأشياء ومن جملتها أنه جعل بيوت ظفار وأرضها كمكة المشرفة ، ومات بكوكبان ونقل إلى حصن بكر ثم نقل إلى ظفار شوابة حيث كان مستقر مضجعه الأخير(ابن الديبع : قرة العيون : ص ٢٨٤.)

٢) ابن حاتم : السمط : ٤٣، يحي بن الحسين : غاية الأماني ٣٣٨/١، بامخرمة : تاريخ ثغر عدن :٥١.

٣) ابن واصل:مفرج الكروب : ج٢, ٤١٦, الحداد: تاريخ اليمن: ج٢, ص٤٠١.

٤) ابن حاتم : السمط :٤٤، الخزرجي : العسجد : ص١٧١، يحي بن الحسين : غاية الأماني :ج٢ ص٣٤٠،٣٤١ز

إليه وهو في حرض فكان لابد من الرجوع إلى مقر حكم أبيه في تعز وأثناء سيره إليها توالت البلدان بإعلان الولاء له.

حيث أطاعته البلاد الشامية وهى مابين حرض وزبيد(١).ثم توجه إلى زبيد ودخلها في ١٩ذي القعدة سنة ٥٩٣هـ / أيلول ١١٩٧م فأعلنت القوى الأيوبية فيها الطاعة والولاء له . ثم سار نحو تعز ودخلها في ٢٢ذي القعدة من السنة المذكورة فسلمله الوالي السلطة وأعلن له الطاعة مع الحامية الأيوبية فيها فأقام فيها شهراً يرتب أمرها ويصلح شؤونها ، ثم اتجه إلى ذي جبلة فوصلها في ٢٤ذي الحجة . وتسلم حصن التعكر فيها، وهكذا نجد أن الولاة في تلك المدن قد سلموا له بالولاء والطاعة. وواصل سيره باتجاه صنعاء ودخلها في المحرم من سنة ٥٩٤هـ / تشرين الثاني١١٩٧م وتسلمها من واليها الأمير أبي زبا(الهمام) الذي كان قد نزل إلى تعز وأعلن الولاء والطاعة(٢). أما عدن فقد أرسل إليها والياً من قبله هو مهكار بن محمود(٣). وهكذا يتضح أن المعز كان سريع الحركة شجاعاً تمكن من بسط نفوذه على أهم مناطق اليمن ومدنها دون أية معارضة من أحد.

سياسة المعز اسماعيل واضطهاده لأتباعه:

اتصف المعز بالظلم والعسف وسفك الدماء ، مع كونه شاباً متحمساً موصوفاً بالشجاعة(٤) كما كانت تنقصه المقدرة على معرفة الأسلوب السياسي والتجربة في الحكم، ولم يكن لديه خبرة كافية في كيفية التعامل مع القادة والولاة ، وهي من أهم دعائم السياسة والحكم ، كما اتصف بظلم الأمراء والجند والرعايا(٥) باستخدام

١) ابن حاتم : السمط : ص ٤٥.
٢) الخزرجي: العسجد : ص ١٧٢، بامخرمة: ثغر عدن: ص ٥١، ابن حاتم : السمط : ص ٤٥.
٣) ابن حاتم : السمط : ص ٨٥.
٤) الخزرجي: العسجد : ص ١٧٢، ابن الديبع: قرة العيون : ص٤٠٤.
٥) ابن الديبع : قرة العيون : ص ٤٠٤، الخزرجي: العسجد :ص ١٧٤.

القسوة والشدة ، فقتل بعضاً منهم وهرب بعض آخر([1]). إضافة إلىأنه كان شحيحاً عليهم ([2]) مما جعله يحقق الفشل السياسي في حكمه لليمن.

فمن ناحية استخدامه للقسوة فقد كان أول عمل قام به عندما وصله خبر وفاة والده وهو في حرض استدعاءه للقاضي الأسعد أمير حرض من قبل أبيه وقتله ومصادرة أمواله وجواريه وعبيده([3]). والحدث الثاني قتل الأمير أبي زبا (الهمام) وكان قد نزل إلى تعز عندما تسلم المعز السلطة وأعلن له الولاء والطاعة ، وقال له (إنما أنا من جملة المماليك والعبيد وأنت أولى بملك أبيك وبلادك) فشكره المعز على ذلك ورافقه إلى صنعاء ، فلما تسلمها وثب على الهمام وقتله في المحرم سنة ٥٩٤هـ/كانون الثاني ١١٩٧م وعين الشهاب الجزري بدلاً عنه([4]) كذلك قام المعز بقتل جمع كبير من غلمان أبيه وأخاف جمعاً آخر منهم فهربوا منه([5]) .

واجه المعز خلال حكمه لليمن مشكلتين خطيرتين كادتا تقضيان على سلطانه منذ العام الأول لحكمه لليمن. الأولى : ظهور الإمام الزيدي عبد الله بن حمزة ، والثانية: انشقاق القادة الأيوبيين عليه وانضمام هؤلاء المنشقين إلى الإمام ومناصرتهم له. بالإضافة إلى بني حاتم الذين قطع عليهم المبالغ التي كان والده قد التزم بها.

المعز والصراع مع الزيدية:

استغل الإمام عبد الله بن حمزة موت طغتكين وعدم الكفاءة السياسية للمعز في حكم اليمن، ومستفيداً من الخلافات التي بدأت تظهر في الصف الأيوبي ، والخلاف بين بني حاتم والمعز . فبادر في ذي القعدة سنة ٥٩٣هـ / أيلول ١١٩٧م بإعلان الدعوة لنفسه بالإمامة الزيدية بادئاً ذلك من الجوف ، ثم اتجه منها إلى هجرة

---

١) ابن عبد المجيد : بهجة الزمن : ص ٣٥،٣٤

٢) الخزرجي: العسجد: ص ١٧٣.

٣) ابن حاتم : السمط : ص ٤٤، يحي بن الحسين : غاية الأماني : ج١ : ص ٣٤١.

٤) الخزرجي : العسجد : ص ١٧٢، ابن حاتم : السمط : ص ٤٥.

٥) ابن عبد المجيد : بهجة الزمن : ص ١٣٥،١٣٤.

معين(1) بصعدة حيث بايعته فيها علماء الزيدية بالإمامة(2). ثم بدأ عبد الله بن حمزة التحرك باتجاه الجنوب من صعدة بدعوة من علي بن حاتم الذي سمح له باستخدام الحصون المحيطة بصنعاء ، والتابعة له بعد أن اشتراها من الحاميات الأيوبية حيث اشترى بنو حاتم حصون كوكبان وبكر وظفر في مغارب صنعاء وقد سمح علي بن حاتم للإمام باستخدام تلك الحصون بسبب امتناع المعز من دفع ما التزم به والده لبني حاتم ، وبذلك ضمن الإمام أهم مناصر له ، وكان بنو حاتم قد بايعوا للإمام عبد الله بن حمزة أثناء وجوده في صعدة(3).

ولما وصل عبد الله بن حمزة وعدد من القبائل المناصرة له إلى ثلاء(4) في الشمال الغربي من صنعاء ، توافد إليه الكثير من قبائل تلك الجهات معلنة الطاعة والولاء له ، أمام ذلك حاول الأيوبيون الموجودون في صنعاء أن لا يقفوا مكتوفي الأيدي تجاه الإمام ، فقد خرج إليه جماعة منهم واتجهوا إلى ثلاء فحاصروهم بها ، ودار قتال شديد بينهم انتهى بقتل أحد أنصار الإمام وهو الأمير محمد بن علي (5) ومع ذلك لم تحسم المعركة لصالح أحد الطرفين حيث عاد الأيوبيون إلى صنعاء ،وظل الإمام في ثلاء.

على أن سيطرة الإمام على مناطق في مغارب صنعاء شكل خطورة على المعز ، فلما عاد من تعز إلى صنعاء بداية سنة ٥٩٤هـ /١١٩٧م حاول استمالة السلطان علي بن حاتم إلى طاعته وصرفه عن طاعة الإمام ومناصرته ، حيث وعده بأنه سيعطيه صنعاء فكاتبه بذلك إلى حصنه في (ذي مرمر) فبعث إليه السلطان علي بن حاتم أخاه بشراً وولده عمر بن علي . فلما وصلا إلى صنعاء

---

١) هجرة معين : بفتح الميم وسكون العين ، قرية صغيرة بجوار بلدة القطاط في مديرية سحار بصعدة (المقحفي : معجم البلدان والقبائل اليمنية : ج٢، ص ١٥٩٤.)

٢) زبارة : محمد بن محمد زبارة : أئمة اليمن ، مطبعة الناصر بتعز ، ربيع الأول ١٣٧٢هـ / ديسمبر ١٩٥٢م ،: ص ١١٣ ، يحيى بن الحسين : غاية الأماني : ج١ ص ٣٤١.

٣) زبارة : أئمة اليمن : ص١١٣، يحيى بن الحسين : غاية الأماني : ج١ ص٣٤١.

٤) ثلاء : مدينة وحصن بالشمال الغربي من مدينة صنعاء بمسافة (٤٥ كم) (المقحفي : معجم البلدان والقبائل اليمنية :ج١، ص ٢٥٨.)

٥) يحيى بن الحسين: غاية الأماني : ج١ ص ٣٤١، زبارة : أئمة اليمن ص١١٤.

أخذهما معه(١) إلى حقل كتاب(٢). وربما كان السبب وراء أخذ بشر وعمر هو أن يظلا رهينتين عنده من اجل إجبار علي بن حاتم على عدم طاعة الإمام ، إلا إن ذلك جعل علي بن حاتم مستمراً في طاعته للإمام ، أما وعد المعز له بإعطائه صنعاء فغير معقول ، إلا إذا اعتبرنا أن المعز وعده بإعطائه بعض حصون شمال صنعاء فيمكن تصديق ذلك.

استمرت القوات الأيوبية في مقاومة الزيدية ، فأثناء وجود الإمام في مغارب صنعاء خرج إليه المعز سنة ٥٩٤هـ / ١١٩٧م مع الأمير حكو فقاتلا جيش الإمام حتى انتصرا عليه ، وشتت جمعهم ثم عاد إلى صنعاء(٣) ، ومنها توجه نحو ذي جبلة وعمل فيها على تهديم دار العز الذي بناه المكرم(٤).

ولما ازداد ضغط الإمام على مناطق شمال وغرب صنعاء وانضمام حكو إليه حيث كان حكو من الأمراء الذين رتبهم المعز مع الشهاب الجزري في صنعاء ثم حدث انقطاع وعدم وجود مودة بينه وبين الشهاب الجزري، أدت إلى خلاف فيما بينهما(٥) فخشي حكو أن يكيد له الجزري عند المعز فيصبح مصيره القتل، فعمل على مراسلة الإمام عبد الله بن حمزة سراً يخاطبه في الانضمام إليه . أسفرت عن مبايعة حكو للإمام سراً في ٦رمضان سنة ٥٩٤هـ / تموز ١١٩٨م(٦) وهو بذلك أول أيوبي ينضم إلى الإمام ، فكان بعمله هذا فاتحة الطريق لبقية الأيوبيين ليحذوا حذوه .

وما إن علم المعز بميل حكو إلى الإمام ومراسلته له ، حتى أرسل إليه جنداً يقبضون عليه . فالتقوا به في ذمار فاستقبلهم وأظهر لهم أنه لم يمل إلى الإمام وأنه يريد الذهاب إلى المعز في تعز ، فصدقوه ، ورافقوه في المسير نحوها ، حتى

١) زبارة : أئمة اليمن : ١١٤، يحيى بن الحسين : غاية الأماني : ج١، ص ٣٤١.

٢) كتاب (قتاب) : قرية من قرى يحصب وتعرف ألان بقرية كتاب بالقرب من نقيل سماره ، ويضاف إليها هذا الحقل فيقال حقل كتاب (الحجري : مجموع بلدان اليمن وقبائلها :مج٢، ج٤، ص ٦٤٦.)

٣) يحيى بن الحسين: غاية الأماني : ج١ ص ٣٤١، زبارة أئمة اليمن : ص ١١٤.

٤) زبارة : أئمة اليمن : ص ١١٤، يحيى بن الحسين : غاية الأماني :ج١ ص٣٤٢.

٥) يحيى بن الحسين : غاية الأماني : ج١ص٣٤٤، ابن حاتم : السمط: ص ٤٦.

٦) ابن حاتم : السمط: ص٤٦، يحيى بن الحسين : غاية الأماني :ج١ ص٣٤٤.

وصلوا حقل كتاب وباتوا ليلتهم فيه ، فانسل حكو في الليل خفية منهم ، ومعه جماعة من جنده ، وأسرعوا هاربين متجهين نحو الإمام ، ثم لحقته جماعة أخرى من جنده ، وانتهى بهم المسير جميعاً إلى الوصول إلى جبل كنن[1] في سنحان في ١٧رمضان سنة٥٩٤هـ / تموز ١١٩٨م[2] .

وفي الوقت الذي وصل فيه حكو إلى (كنن) في سنحان باشر القتال ضد الحاميات الأيوبية ومن يناصرهم من القبائل. فبدأ بمقاتلة أهل سنحان الذين قدموا لمساعدة الأيوبيين بحصن (لأحج) فهزمهم وقتل قائدهم مع جماعة من أصحابه وأسر جماعة أخرى. ونهب مامعهم من المعدات والأموال . ثم هجم على حصن (لأحج) نفسه فقتل المتمركزين به من الأيوبيين ، ثم توجه إلى (تربان) في بلاد نهد فقتل من بها من الأيوبيين ونهبهم[3] كذلك توجه إلى اعتراض الخزانة التي بعث بها المعز من تعز إلى الشهاب الجزري في صنعاء وكان المعز قد بعث بمائة فارس لحماية الخزانة . فقاتلهم حكو في موضع يسمي (الماورة) في أسفل وادي خدير ، فهزمهم وأخذ الخزانة بعد أن قتل جماعة منهم وأسره جماعة أخرى[4] .
والواقع أن حكو كان يعلم بميعاد قدوم الخزانة وعدد حراسها لذلك توجه بجيش أكبر منهم فاستولى عليها.

وما إن علم الإمام عبد الله بن حمزة بما فعله حكو حتى بعث إليه يطلب قدومه . فتوجه نحو الإمام أثناء إقامته بشبام كوكبان فوصل إلى هناك في ذي القعدة سنة ٥٩٤هـ/ تشرين الثاني ١١٩٨م .(فسر به الإمام سروراً عظيماً) وجعله أميرا على الجند والأمراء الذين عنده[5] وبذلك كسب الإمام مناصرا له من القيادات الأيوبية.

---

١) جبل كنن : من حصون خولان العالية وسنحان وهو من أشهر الحصون وأعلاها جنوبي صنعاء (الحجري : مجموع بلدان اليمن وقبائلها: مج٢، ج٤ ص ٦٦٨.)

٢) يحيى بن الحسين : غاية الأماني : ج١ص ٣٤٤، ابن حاتم : السمط: ص٤٦.

٣) ابن حاتم : السمط: ص٤٧.

٤) يحيى بن الحسين : غاية الأماني : ج١ ص٣٤٤،٣٤٥ ، ابن حاتم : السمط: ص ٤٧.

٥) ابن حاتم : السمط: ص ٤٨ ، يحيى بن الحسين: غاية الأماني : ج١ص٣٤٥.

ترتب على ذلك العمل الذي قام به حكو انقطاع صلته بالأيوبيين. فاتجه يشن الغارات المتعددة على مراكزهم وحامياتهم . فتارة وحده ، وتارة أخرى بصحبة الإمام، حتى ضاق الأيوبيون منه ضيقاً شديداً ، وكان من الطبيعي أن يدرك المعز مدى خطورة حكو لاسيما بعد انضمامه للإمام وبعد أن توجه إلى محاربة الأيوبيين وتخويفهم . لذلك جهز المعز جيشاً وأراد الذهاب به إلى مقر الإمام في شبام لمحاربته . ولما وصل إلى صنعاء حدث آنذاك خلاف شمس الخواص له . فتفرق جيش المعز مما جعله غير قادر على الذهاب إلى شبام واضطر إلى العودة إلى تعز(١) .

أسفر هذا الخلاف الأيوبي عن انضمام شمس الخواص إلى الإمام وتسليمه صنعاء له . وذلك بعد انسحاب المعز والشهاب الجزري منها. فلما رأى ذلك حكو طمع في النزول إلى اليمن الأسفل لانتزاعها من المعز فخرج نحوها من صنعاء يوم الاثنين ١٢ربيع الأول سنة ٥٩٥هـ / ١ كانون الثاني ١١٩٩م . وتوجه لمقاتلة المعز وبرفقته مائة وعشرون فارساً(٢) .

وفي الوقت الذي توجه حكو نحو اليمن الأسفل ، أعد المعز جيشاً قوياً للاتجاه به إلى صنعاء مكوناً من ستمائة فارس بقيادة الشهاب الجزري . وبعض المقدمين مثل محمد بن المعلم ، وجمال الدين البقش وياقوت النجمي. فساروا حتى وصلوا ذمار واستقروا بها(٣) .

ولما علم حكو بوصول قوات المعز إلى ذمار أدرك أنه غير قادر على مقاومتهم فخاف على نفسه ووقف خارج ذمار ينتظر إمدادات الإمام وبالفعل وصل الإمام بجيشه إلى معسكر حكو وبمن انضم معه من قبائل مذحج وعنس وزبيد. وأثناء ذلك استغل الشهاب الجزري خلو صنعاء من الإمام وحكو . فأراد أن يستولى

---

١) ابن حاتم : السمط: ص٤٨. ٥٠.

٢) ابن حاتم : السمط: ص٥٨ ، محمد عبد العال : الأيوبيون : ص١٦٧.،

٣) ابن حاتم : السمط: ص ٥٩، محمد عبد العال : الأيوبيون: ص١٦٧.

عليها ، فترك في ذمار جماعة من قواته وذهب بمائتي فارس نحو صنعاء ، فلما وصلها فرض عليها الحصار([1]).

وفي أثناء ذلك استغل الإمام وحكو تقسيم الجيش الأيوبي إلى فرقتين، فتقدموا نحو الفرقة الموجودة في ذمار. وما إن وصلوا إليها حتى خرج إليهم الجيش الأيوبي لقتالهم . فدارت معركة بينهم أسفرت عن انسحاب الأيوبيين إلى داخل المدينة للاحتماء بها. فلحق بهم جيش الإمام وحكو ودخلوا المدينة على إثرهم . ولم يتركوا لهم فرصة الاحتماء بها . وجرت معركة بين الطرفين داخل المدينة. انتهت بهزيمة الأيوبيين وأسر بعضهم وعلى رأسهم ابن المعلم. وهرب البعض الآخر نحو اليمن الأسفل . وسيطر الإمام على ذمار([2]) . ويرجع السبب في انتصار الإمام إلى الدعم القبلي من مذحج وعنس وزبيد، وقوات حكو الأيوبية . إضافة إلى ذلك عدم تقدير الشهاب الجزري لقوات الإمام وحكو فقسم جيشه إلىفرقتين . فضلاً عن ذلك عدم وجود أماكن محصنة يحتمي بها الأيوبيون في ذمار لذلك لحقتهم الهزيمة.

انضم كل من حكو وشمس الخواص، وهم من كبار القادة الأيوبيين إلى صف الإمام عبد الله بن حمزة الذي استطاع استمالتهم ، مستغلاً خوفهم من المعز ، وبالغ في تكريمهم وفي حفاوة الاستقبال لهم ، ومنحهم الامتيازات وجعلهم في مقدمة جيشه الذي أصبح جزءاً منه من الأكراد([3]) الذين كانوا مع أولئك القواد.

بمساعدة شمس الخواص تمكن الإمام من دخول صنعاء وبمساعدة حكو أنزل الإمام بالحملة الأيوبية هزيمة نكراء في ذمار ودخلها في ربيع الأول سنة ٥٩٥هـ/آذار ١١٩٨م إلا أنه تركها وعاد مسرعاً إلى صنعاء لقطع الطريق ومنع القائد الأيوبي الشهاب الجزري الذي تحرك من ذمار بعد أن علم بخروج الإمام من صنعاء بهدف السيطرة عليها ،ولكنه لم يتمكن من دخولها وظل محاصراً لها مما مكن الإمام من دخول صنعاء بعيداً عن أنظار الشهاب الجزري الذي اضطر إلى الهرب إلى حصن (براش) للتحصن به وبعد حصاره ، تم التوصل إلى اتفاق على

---

١) ابن حاتم : السمط: ص٥٩،٦٠.

٢) ابن حاتم: السمط: ص ٦٠.

٣) الكبسي : اللطائف السنية:٦٣، يحيى بن الحسين : غاية الأماني : ج١ ص٣٤١.

خروجه من الحصن والتوجه مباشرة إلى تعز ، غير أن الإمام قام بالقبض عليه وأودعه السجن([1]).

ويتضح مما سبق أن الإمام قد حقق انتصارات كبيرة على الأيوبيين بواسطة قادة وجنود الأيوبيين أنفسهم.

دخول المعز صنعاء:

على أثر الهزيمة التي منى بها الجيش الأيوبي في ذمار ،ووقوع عدد من قادته في الأسر، وإلقاء لقبض على الشهاب الجزري في صنعاء الا أن المعز لم يستسلم لتلك الهزيمة ، ولاسيما أنها تأتي بسبب انضمام بعض قادته إلى صف الإمام عبد الله بن حمزة ، فقام بتجهيز جيش كبير جمعه من كل منطقة من اليمن الأسفل ، وتوجه به نحو ذمار ، وبالمقابل فقد شجعت تلك الانتصارات حكو على مواصلة حرب المعز بهدف إسقاطه من السلطة، وقد شجع حكو على هذه الفكرة ابن المعلم ، والغرض من إغراء حكو في النزول إلى اليمن الأسفل من أجل إلقاء القبض عليه من قبل المعز وكان لهذا الغرض يراسل المعز سراً بكل ما يجري مع حكو، فتجهز حكو على رأس جيش كبير واتجه إلى ذمار ، وبسبب كره الجند للمعز لم يتوقع كل من حكو، والإمام من أن يتمكن المعز إن يعد جيشاً جراراً ويحاول استعادة المناطق التي فقدها([2]).

بعد أن وصل حكو وقواته إلى قاع الحقل([3]) وأراد الصعود إلى رأس (النقيل) جبل صيد (سمارة([4]) أقنعه ابن المعلم بعدم الطلوع متظاهراً بالخوف

---

١) يحيى بن الحسين: غاية الأماني : ج١ ص٣٤١، زبارة : أئمة اليمن: ص١١٣.

٢) ابن حاتم : السمط: ص ٦٢.

٣) قاع الحقل : سهل ممتد تحيط به الجبال من جميع الجهات ، يقع في منطقة يحصب السفل من مديرية يريم واعمال محافظة آب . وقد يقال له (قاع جهران) نسبة إلى أحد قراه . وهو يمتد نحو ثلاثين كيلاً طولاً وخمسة عشر كيلاً عرضاً (المقحفي : معجم البلدان والقبائل اليمنية : ج٢، ص ١٢٣٨.)

٤) سماره : قلعة في رأس جبل صيد ، إليها ينسب نقيل سمارة وكانت سابقاً تعرف بجبل صيد (الحجري: مجموع بلدان اليمن وقبائلها : مج٢، ج٣، ص ٤٣١.)

عليه من عدم موافقة القبائل على الطلوع ، فعسكر هنالك ، وبالنسبة للمعز فإنه لم يلبث أن أسرع في المسير من نقيل صيد (سمارة) عندما وصلته رسالة ابن المعلم تستعجله . فسار المعز بجيشه فوصل إلى رأس النقيل يوم الاثنين ١٦ ربيع الآخر سنة ٥٩٥هـ /٤ شباط ١١٩٩ م وما إن تكاملت قواته حتى أسرع بالانقضاض على معسكر حكو ـ عملاً بنصيحة ابن المعلم الذي أشار عليه بذلك ـ وبعد معركة عنيفة وشرسة تمكن المعز من هزيمة حكو وقتله وقتل أعداداً كبيرة من عسكره ، واستولى على جميع ما في معسكر حكو من الأموال والمؤن. وبذلك يكون المعز قد استأصل أول بذور الشقاق عليه. في هذه الأثناء كان ابن حمزة قد وصل إلى الغرب من ذمار مدداً لحكو وتلك عادته أن يخرج بعد يومين أو ثلاثة من خروج حكو ([1]).

وتعود أسباب تلك الهزيمة إلى تأخر الإمام بقواته عن حكو وتركه يواجه الأيوبيين وحده، فضلاً عن السبب الآخر وهو بقاء حكو أسفل الجبل وانطلاء خدعة ابن المعلم عليه بعدم الصعود إلى أعلى الجبل.

أما الإمام ابن حمزة فقد نزلت أنباء تلك الهزيمة لحكو عليه كالصاعقة ، لاسيما لما نظر إلى الناس يهرعون منهزمين من جهة ذمار بعد تلك المعركة ، مما أثار الذعر بين صفوف إتباعه الذين تفرقوا من حوله ، وسار كل على وجهه لا يلوى أحد على أحد ، ولم يبق إلا الإمام وجماعة يسيرة ثبتوا معه، واضطر إلى التوجه من فوره إلى شبام شمال غرب صنعاء ، وكان كلما وصل إلى قرية أحس بتثاقل الناس وخوفهم من إقامته لديهم ومنهم عمرو بن حاتم المقيم في شبام لذلك سار الإمام إلى ثلاء([2]) .

بعد أن حقق المعز ذلك الانتصار تابع سيره باتجاه ذمار ودخلها قهراً بعد هروب أنصار الإمام وإتباع حكو، وواصل السير نحو صنعاء ، فدخلها دون قتال لهروب أنصار الإمام ، ولم يطل البقاء بها ، إذ أسرع في التوجه شمالاً ، وحينما

---

١) يحيى بن الحسين : غاية الأماني : ج١ ص٣٤٨ ، ابن حاتم : السمط : ص ٦٣ .

٢) ابن حاتم: السمط: ص٦٤، محمد عبد العال : الأيوبيين : ص ١٧٢.

وصل إلى ريدة([1]) أكد له حاكمها أنه وجميع المناطق المجاورة في طاعته طالباً مصالحته . فصالحه وعاد إلى صنعاء، أما من ناحية الشهاب الجزري الذي كان مسجوناً في سجن (فده) غرب صنعاء ، فانه لما علم بقتل حكو وسيطرة المعز على ذمار ، حاول الهرب من السجن مع جماعته ، إلا إن أنصار الإمام حاصروه ومنعوه من الهرب . ولما تحقق لهم وصول المعز إلى صنعاء تركوا محاصرة الشهاب الجزري وهربوا إلى (ثلاء) فأتاح ذلك فرصة له أن يفلت من الحصار ويتجه إلى صنعاء . فدخلها على أثر دخول المعز لها، فعين المعز الشهاب الجزري والياً على صنعاء. وعاد المعز إلى تعز([2]).وبذلك يكون المعز قد تمكن من قتل بعض المنشقين عليه وإعادة سيطرته على ذمار وصنعاء.

دعم الأيوبيين لمعارضي الإمام ابن حمزة:

لذلك استفاد الإمام من المنشقين عن المعز وحقق بوساطتهم انتصارات عديدة على الأيوبيين الذين بدورهم عملوا على دعم يحيى بن أحمد بن سليمان الذي ادعى الإمامة لنفسه ، معارضاً ابن حمزة ، إذ لبى الشهاب الجزري طلبه بالوصول إلى صنعاء ونصبه إماما للزيدية بهدف زيادة المعارضة والانقسام في صفوفها([3])، مستفيداً مما تجيزه الزيدية من إمكانية خروج أكثر من إمام واحد في زمن معين ضمن شرط الخروج على الحاكم الظالم.

خرج يحيى بن أحمد بن سليمان لمقاتلة جند الإمام عبد الله بن حمزة إلا أنه وقع في الأسر وجيء به إلى الإمام فأحسن إليه ووكل به من يحفظه(حراسته) ثم أنه عمل الحيلة بان استعمل البنج (مخدر) في طعام حراسه فأكلوا وبقى رجلان لم يأكلا ، وظن يحيى بن أحمد أنهما قد أكلا مع أصحابهما، ففك القيد وأراد الخروج فمنعه أحد الرجلين وتقدم الآخر وأخبر الإمام فأرسل جماعة فأمسكوه وأعادوه في

---

١) ريدة : يقال ريح ريدة لينة الهبوب . وهي مدينة باليمن على مسيرة يوم من صنعاء ذات عيون وكروم (ياقوت: معجم البلدان: مج٢، ج٤، ص ٤٥٤.)

٢) ابن حاتم : السمط : ص ٦٤، محمد عبد العال : الأيوبيون : ص١٧٢.

٣) يحيى بن الحسين : غاية الأماني : ج١ ص ٣٤٨،٣٤٩.

قيده ثم عمل الإمام عبد الله بن حمزة على قتله فقتل خفية([1]) ، طلب ابن عمه ويدعى سليمان من المعز النجدة ، فزوده بجيش استطاع به أن يدخل صعده ويستولي عليها، مما اضطر الإمام عبد الله بن حمزة للهرب إلى الجوف([2]) وبذلك دب الانقسام بين الزيدية أنفسهم وبدا الضعف يسري في أوساطهم .

وبعد أن انتقل عبد الله بن حمزة إلى اثافت([3]) ثم إلى الجوف ، ورأى أن الأوضاع من حوله قد اختلت ، باتت تضعف معنوياته بعد مقتل حكو وتفرق أصحابه وسيطرة قوات المعز على صنعاء ، وتوجهها شمالاً إلى مقربة من صعدة وانقسام الأشراف الزيدية على أنفسهم وصراعه مع بني سليمان.

مخالفة الأيوبيون للمعز:

لقد كان لسياسة المعز تجاه الأمراء والجند الأيوبي الذين كان أكثرهم من الأكراد([4]) ردود أفعال سيئة جلبت له المشاكل المتعددة ، وأدت إلى خروجهم عن طاعته ، وتمردهم عليه ، وميلهم إلى أعدائه ، ومحاربتهم له . وسوف نورد هنا بعض هؤلاء المنشقين عليه موضحين الظروف التي أدت إلى خروجهم عليه والانضمام إلى أعدائه.

١ـ شمس الخواص:

كان من أقرب الناس إلى المعز وكان صاحب بابه وإليه أمر الجند كافة ، ثم حدث خلاف لما كان المعز معسكراً خارج صنعاء يريد الاتجاه إلى شبام لمحاربة الإمام ، وكان سبب الخلاف عداوة شمس الخواص لخادم المعز المسمى الشهاب رشيد ، والذي بدوره حاول أن يدخل العداوة بين شمس الخواص والمعز، فحسن إلى المعز قتل شمس الخواص فوافق المعز على ذلك ، وعملت حيلة لقتله بالسم عن

١) ابن حاتم : السمط: ص٦٨.

٢) الجوف : واد ومنطقة شمال شرق صنعاء بمسافة (١٤٥) كيلاً ، على أطراف الربع الخالي وفي الحدود الغربية الشمالية لمحافظة مأرب (المقحفي : معجم البلدان والقبائل اليمنية : ج١، ص ٣٧٢.)

٣) اثافت : بالفتح والفاء مكسورة والتا فوقها نقطتان . اسم قرية باليمن ذات كروم كثيرة (ياقوت : معجم البلدان : مج١، ج١، ص ٨٠.)

٤) الخزرجي : العسجد : ص ١٧٤.

طريق وضعه في صحن الطعام ، فوصل الخبر إلى شمس الخواص وظل محتاطاً إلى أن تحقق له أن المعز يحاول إعطاءه الصحن الذي وضع فيه رشيد السم ، فنهض من ساعته بمن معه من الجند البالغ عددهم ستمائة فارس ، معلناً التمرد والخروج على الطاعة ، فسار بهم حتى وصلوا منطقه عصر([1]) غرب صنعاء فعسكر بها ، أما المعز فلما رأى أن معظم جنده تمرد مع شمس الخواص ، ترك الاتجاه لمحاربة الإمام وعاد إلى تعز([2]).

والحقيقة أن المعز لم يحسن التصرف، فقد وقع في خطا كبير حينما صدق وشاية القادة بعضهم ضد بعض، مما جعله يفقد ثقة بعضهم، فخافوا منه وتمردوا عليه.

لما كان شمس الخواص معسكراً في عصر راسل الإمام إلى شبام يطلب منه أن يصل إليه للسيطرة على صنعاء([3]) وسرعان ما استجاب الإمام لرسالته فأسرع في القدوم إليه وبرفقته حكو، ثم اتفقوا على الذهاب إلى صنعاء فساروا بجيوشهم وعسكروا قرب سورها([4]).

وبالنسبة لأهل صنعاء داخل السور فقد انقسموا إلى فريقين فريق يرغب في دخول الإمام ، وفريق آخر كره دخول الإمام ، ونتيجة لعدم مقدرة الفريق الرافض لدخول الأمام عمل أي شي ، فما كان منه إلا أن يستسلم لكثرة الجيش المؤيد للإمام خارج المدينة بقيادة شمس الخواص وحكو ، فسهل ذلك على شمس الخواص والإمام دخول صنعاء دون مقاومة ،وذلك في شهر ذي القعدة سنة ٥٩٤هـ / أيلول ١١٩٨م . وأما حكو فبقي بجيشه خارج المدينة مع بعض أنصاره([5]) وبذلك أصبحت صنعاء تحت سلطة الإمام.

وعلى الرغم من مساعدة شمس الخواص في إدخال الإمام إلى صنعاء ،إلا أنه لما رأى إقبال الناس على الإمام وطاعتهم له ، أحس بخطورة الموقف وخشي

---

١) عصر : بفتح فكسر. جبل في الطرف الغربي من مدينة صنعاء ، يتخلله واد خصيب فيه فواكه البرقوق والتين ألشوكي (المقحفي : معجم البلدان والقبائل اليمنية : ج٢، ص ١٠٧٦.)

٢) يحيى بن الحسين : غاية الأماني : ج١ ص٣٤٦، ابن حاتم : السمط : ص ٥٠،٤٨.

٣) ابن حاتم : السمط: ص ٥٠ ،٥١، محمد عبد العال : الأيوبيون : ص ١٦٦،١٦٥.

٤) ابن حاتم : السمط : ص ٥٢،٥١.

٥) ابن حاتم : السمط: ص ٥٢.

من غالته ، وندم على ما فعل ، فما كان منه إلا أن توجه بجنده وحاصر المسجد الذي كان الإمام فيه بغية القبض عليه ، وتفرق أنصار الإمام من حوله دون أن يتمكنوا من عمل أي شيء ضد شمس الخواص لقلتهم ودخول الليل عليهم ، أما الإمام فقد خاف على نفسه ، فخرج متنكراً من المسجد ، واتجه إلى دار احد أنصاره بصنعاء فاختبأ عنده ، وحاول أن يعمل على إدخال أنصاره من خارج سور صنعاء أو يخرج إليهم فلم يتمكن من ذلك كما حاول أن يطلب (حكو) للدخول إلى صنعاء . ولكن (حكو) خاف من المكيدة عليه وعلى أصحابه ، عند دخولهم أثناء الليل فاعتذر عن الدخول([1]).

وعلى الرغم من عدم دخول حكو صنعاء إلا أنه لم يسكت عن عمل شمس الخواص فقد راسله وقال له :(إن الإمام مع أهل البلد يمنعونه ونحن من ورائهم) فلما رأى شمس الخواص موقف حكو لم يكن أمامه إلا أن يجمع أصحابه ويغادر صنعاء. ولكي لا يفقد مساعدة الإمام ، وخاصة بعد مخالفته للمعز. اعتذر له عن عمله ذلك . وبايعه وطلب منه منشوراً (مقتضاه الأذن له بالتوجه حيث أحب). فخرج من صنعاء مع طلوع شمس اليوم التالي لدخوله إليها. متجهاً نحو تهامة([2]). ويلاحظ أن شمس الخواص لم يكن مخلصاً في ميله إلى الإمام. ولكنه أدخله صنعاء نكاية بالمعز فقط، ثم تركه وأحجم أن يبقى من أتباعه، فاتجه نحو تهامة.

لقد بلغت عداوة شمس الخواص للمعز حداً جعلته يعد العدة للاستيلاء على زبيد ، ومن جهة المعز فما أن وصلت الأخبار إلى مسامعه بأن شمس الخواص متجه إلى تهامة حتى أسرع بتجهيز قواته والسير بهم نحو (زبيد) خشية عليها من سيطرة شمس الخواص. فوصل إليها ودخلها قبل مجيء شمس الخواص . أما بالنسبة لجند شمس الخواص فقد تغير موقفهم تجاهه . فأثناء سيرهم في الطريق نحو تهامة اتفقوا على عدم طاعته، والإمساك به نتيجة خروجه على المعز، وميله إلى الإمام فألقوا القبض عليه. وأوصلوه إلى المعز في زبيد وفي هذه المرة لم يستخدم

---

١) ابن حاتم: السمط: ص ٥٢، محمد عبد العال : الأيوبيون : ص ١٦٥،١٦٦.

٢) ابن حاتم : السمط : ص٥٧.

المعز القسوة تجاه قواده . بل عفا عنه ونفاه إلى جزيرة دهلك(١) فمات بها(٢) وبذلك انتهت إحدى الشخصيات الأيوبية المنشقة دون أن يضطر المعز لمحاربته. ومن الملاحظ هنا أن تمرد شمس الخواص وإلقاء القبض عليه حدث قبل أن يقتل حكو.

٢- هلندري:

استفاد الإمام من الأيوبيين المنشقين ، فأسهموا في توسعه في السيطرة على بعض المناطق اليمنية ، ولما تمكن المعز من القضاء عليهم واستعاد صنعاء وذمار. خاف منه الإمام فانتقل من (شبام) إلى (ثلاء) ثم استقر به المقام في(اثافت) في بلاد الظاهر، ووجد أنه من الحكمة الالتجاء إلى تفريق الصف الأيوبي واستمالة قادتهم ، وآنذاك حاول أن يستغل انشقاق هلندري بن أحمد المرواني الكردي عن لمعز . فكاتبه يطلب قدومه إليه ليوليه على قيادة الجند بدلاً عن حكو(٣) .

كان هلندري من أتباع طغتكين فنفاه إلى الشام لخوفه منه ، ثم عاد أيام المعز للعمل تحت خدمته ولكنه لم يتفق معه ، لذلك أعلن هلندري التمرد على المعز. واحتمى عند المؤيد بن قاسم صاحب المخلاف السليماني، وما أن وصل إليه كتاب الإمام ، حتي أسرع إلى إجابته . فسار من ساعته نحوه إلى (اثافت) فوصلها في شعبان سنة ٥٩٥هـ / أيار ١١٩٩م وخرج الأمام إلى لقائه فاستقبله بحفاوة وإكرام وجعله أميرا لجنده وهي الوظيفة التي كانت لحكو(٤) .

وخلال وجود هلندري في منطقة الذنائب(٥) في حجة(٦) وماوالاها ، راسله علم الدين ورد سار الذي كان في المحاليب(٧) يرغبه في العودة إلى المعز ويلومه

---

١) جزيرة دهلك : جزيرة في بحر اليمن (البحر الأحمر) وهو مرسى بين برد اليمن والحبشة . بلدة ضيقة حرجة حارة كان بنو أمية إذا سخطوا على احد نفوه إليها (ياقوت : معجم البلدان : مج٢، ج٤، ص ٣٢٩.)

٢) يحيى بن الحسين : غاية الأماني : ج١ ص٣٤٦، ابن حاتم : السمط: ص ٥٨.

٣) ابن حاتم : السمط : ص ٦٧، محمد عبد العال : الأيوبيون : ص ١٧٥.

٤) ابن حاتم : السمط : ص ٦٧، محمد عبد العال : الأيوبيون : ص ١٧٥.

٥) الذنائب : قرية دون زبيد من أرض اليمن (ياقوت : معجم البلدان : مج٢، ج ٤، ص ٣٧٥.)

٦) حجة : بلدة مشهورة من بلاد همدان في الشمال الغربي من صنعاء ، وبلاد حجة واسعة واعمالها كثيرة (الحجري : مجموع بلدان اليمن وقبائلها : مج١، ج٢، ص ٢٤٢.)

٧) المحاليب : بليدة ، وناحية دون زبيد من أرض اليمن (ياقوت : معجم البلدان : مج٤، ج٧، ص ٢١٠.)

على ميله إلى الإمام فلم يجبه بشيء . ولما كان هلندري في حوث([1]) راسله القائد عطيفة على مخالفة الإمام وأخذ تهامة ، فبدا هلندري يضمر التخلي عن مناصرة الإمام . ولكنه لاطفه وأوهمه أنه يريد أخذ الأموال المحددة على تهامة. فنزل إليها عن طريق (الذنائب) ثم اتجه للسيطرة على المهجم([2]) والمحاليب والهلبة([3]) . وكذلك جاءته رسالة من (طاشيكين) أحد أمراء الخلافة العباسية ببغداد تخبره بمخالفة الإمام ويعده عن الخلافة بتمليكه اليمن . فقوى ذلك من عزم هلندري على عدم مناصرة الإمام . فكان كلما استدعاه تثاقل عن المجيء إليه أبدى له الاعتذار([4]) . والجدير بالذكر أن هلندري على الرغم من انضمامه إلى الإمام إلا أنه لم يلتق مع الأيوبيين في أي قتال . فسهل له ذلك العودة إلى صفوفهم.

وفي الوقت الذي كان فيه هلندري واقفاً في (الذنائب) يحاول العودة إلى صف الأيوبيين . قدم ورد سار هارباً من المعز يريد الانضمام إلى الإمام ، فحاول هلندري منعه وأصر على ذلك بينما أصر ورد سار على الذهاب. فحدث شجار بينهما كان سيودى إلى قتال. وفي أثناء ذلك حينما كان هلندري يحاول منع ورد سار من الاتجاه إلى الإمام علما أن المعز قادم إليهما. فخاف ورد سار وجيشه وجيش هلندري منه فأسرعوا في التحرك نحو الإمام إلى صعدة ، أما هلندري فقد اتجه إلى الظهيرة([5]). ولما وصل المعز إلى (الذنائب) عسكر بها وأثناء ذلك عمل هلندري على مراسلته مخبراً إياه أنه خرج عن طاعة الإمام ونكث بيعته له وطلب من المعز العفو عنهوكنوع من المجاملة قدم له حصاناً ومملوكاً وفهداً. فعفا عنه

---

١) حوث : بلدة مشهورة من بلاد حاشد (الحجري : مجموع بلدان اليمن وقبائلها : مج١، ج٢، ص ٣٠٠.)

٢) المهجم : بلد وولاية من أعمال زبيد باليمن بينها وبين زبيد ثلاثة أيام ، ويقال لناحيتها خزاز وأكثر أهلها خولان من أعلاها وأسافلها وشمالها بعد السردد (ياقوت : معجم البلدان : مج٤، ج٨، ص ٣٤٤.)

٣) الهلبة : قرية من أعمال زبيد (ياقوت : معجم البلدان : مج٤، ج٨، ص ٤٨١.)

٤) ابن حاتم : السمط:ص٧٥ ،٧٦، محمد عبد العال : الأيوبيون : ص١٧٥.

٥) الظهيرة : بلدة على ربوة في سفح قلعة القاهرة المطلة على مدينة حجة (المقحفي : معجم البلدان والقبائل اليمنية : ج١، ص ٩٨٠.)

المعز واقطعه كلاً من (حرض في تهامة والحموس في بلاد الأهنوم[1] بحجة،وصعده)[2] وبذلك فقد الإمامواحداً ممن كان يؤمل عليهم في قيادة أية مواجهة ضد المعز وجيشه.

٣- ورد سار:

كان ورد سار من قواد المعز ، وكان غالباً ما يرافق المعز في حملاته[3] وكان حدوث الخلاف بينهما في عدن فخاف ورد سار على نفسه من القتل ، فهرب مع جماعة من جنده ، وسار بهم حتى وصلوا مغارب ذمار. وكاتب الإمام عبد الله بن حمزة ، ونتيجة لخوفه من القبض عليه من حاميات المعز اتجه إلى ريمة[4] الأشباط ينتظر جواب الإمام فمكث عند أحد مشايخها . ومن جهة والي صنعاء الشهاب الجزري فإنه لما علم بخروج ورد سار وتوجهه إلىالإمام بعث جنداً إلى ولهان (انس) يرصد المسالك ، ومنعه من الوصول إلى الإمام . فلم يتمكنوا من منعه لأنه سبقهم باجتياز الطريق إلى ريمة[5].

وما إن وصل جواب الإمام ورسله إلى ريمة بقدوم ورد سار إليه حتى أسرع في الخروج منها متجهاً إلى صعدة ، فسار عبر طريق مسار[6] في خوف من جنود المعز حتى وصل حجة ، فعمل على مراسلة هلندري الذي كان قد استقر في الذنائب ، في طلب السماح له بالقدوم إليه ، فسمح له هلندري ، فلما وصل إليه ورد سار مع جماعته استقبلهم هلندري وأكرمهم وأوقفهم عنده.

---

١) الأهنوم : سلسلة جبلية في بلاد حاشد ، تشكل في أعمالها اليوم وحدتان إداريتان هما : مديرية المدان ومديرية شهارة من أعمال محافظة عمران (المقحفي : معجم البلدان والقبائل اليمنية : ج١، ص ١١٤، ١١٥.)

٢)ابن حاتم : السمط: ص ٧٨.

٣)ابن حاتم : السمط : ٦٦.

٤) ريمة الاشابط : منطقة جبلية واسعة تشمل جبال ألجبي والسلفية والجعفرية وكسمة وبلاد الطعام ، وهي متصلة ببلاد وصابوا ,طراف جبل برع وتشرف من جهة الشرق على المنصورية وبيت الفقيه من تهامة (المقحفي : معجم البلدان والقبائل اليمنية : ج١، ص ٧٢٣.)

٥) زبارة : أئمة اليمن : ص ١٢٣، ابن حاتم : السمط : ص ٧٦، محمد عبد العال : الأيوبيون : ص١٧٦.

٦) مسار : جبل عال شامخ من جبال مديرية مناخه في حراز . يعد أعلى جبال حراز ومن معاقلها الحصينة ، وقمته واسعة فسيحة تشتمل على مزارع وقرى وحصون عديدة (المقحفي : معجم البلدان والقبائل اليمنية : ج٢، ص ١٥٠٨.)

وأثناء تلك الإقامة جرت محاورة بين الطرفين حول موقفهما. فأوضح هلندري أنه عدل عن رأيه في طاعة الإمام ، وأنكر على ورد سار ما اعتزم القيام به من الانضمام إلى الإمام . وكان جند هلندري أكثر من جند ورد سار فلم يتمكن من الخروج من عنده بالقوة ، وتمكن ورد سار أن يستميل إليه معظم جند هلندري ولم يبق مع هلندري إلا عدة أشخاص([1]) وذلك بسبب خوفهم من عدم تمكنه من الوفاء لهم بإعطائهم أعطياتهم ، بالإضافة إلى خوفهم من المعز بعد أن أعلنوا مخالفتهم له.

وما إن تمكن ورد سار من استمالة جند هلندري ، وسماعهم بقدوم المعز نحوهم حتى أسرع ورد سار ومن معه من الجند حتى لا يلحق بهم المعز وتوجه بمن تبعه إلى صعدة وكان وصولهم إليها يوم الأربعاء ١٢جمادى الآخرة سنة ٥٩٨هـ / آذار ١٢٠٢م([2]) فاستقبلهم الإمام وأكرمهم([3]) وبذلك انضم ورد سار إلى الإمام . إلا أنه لم تمض فترة قصيرة على انضمامه حتى وصله خبر مقتل المعز فعاد إلى صفوف الأيوبيين قبل تورطه في الاشتراك في محاربتهم.

٤- الأتابك سنقر المعزي:

كان الأتابك سيف الدين سنقر آخر المنشقين عن المعز ، وكان يعمل لديه مقدم رتبة٠ بمبين) وأثناء توجه المعز إلى حجة سنة ٥٩٨هـ / ١٢٠٢م لتسلم الأموال الواجبة عليها . ووصل إلى منطقة (الذنائب) واستقر بها . أرسل إلى أهل قدم([4]) جماعة من جنده ، فساروا إلى أحد حصونهم المسمى (حقيل) وألقوا القبض على والي الحصن وأهانوه وأرسلوه إلى المعز في صورة غير لائقة . وكان هذا الوالي قد ترك رهائن عند المعز وكان مطيعاً له . فلما علم أهل قدم بإلقاء القبض

---

١) ابن حاتم : السمط: ص ٧٧، ٧٨.

٢) ابن حاتم : السمط : ص ٧٦، محمد عبد العال : الأيوبيون : ص ١٧٦.

٣) ابن حاتم : السمط: ص ٧٨.

٤) قدم: بلد من أعمال حجة سمي باسم قدم بن قادم من قبائل حاشد (الحجري: مجموع بلدان اليمن وقبائلها: مج٢، ج٤، ص ٦٤٧.)

عليه بتلك الطريقة المهينة غضبوا وتجمعوا وأحاطوا بجند المعز الذين قدموا إليهم وأنزلوا بهم الهزيمة وقتلوا منهم. أدى هذا التصرف إلى غضب المعز فقام بقتل كل الرهائن الموجودين لديه لأهل قدم وأكثرهم من الأطفال([1]).

وفي الوقت نفسه انسحب الأتابك سنقر من مبين([2]) إلى المعز في الذنائب فوجد الرهائن قد قتلوا ، فاستنكر هذا العمل ولام المعز على تصرفه ،فغضب المعز من لومه له وأضمر على قتله ، فخاف سنقر منه ، فلم يكن له بد من إنقاذ نفسه من قتل المعز له ، فاتجه إلىإفساد جند المعز سراً . فلما أطاعوه أظهر الخلاف على المعز ، وبدأ في قتاله وذلك عن طريق شن الغارات المتعددة عليه في مناطق تهامة ، فأول ما بدأ به أنه اتجه بمن أطاعه من الجند إلى المهجم فنهبوا ما فيها من الأموال ، ثم انتقل هو وأصحابه ونسائهم إلى المدارة([3]) وجعلوها مستقراً لهم([4]) .

في الوقت نفسه حاول المعز التوجه لقتالهم . فاتجه من (الذنائب) نحو المهجم فلم يجدهم فترك بها حامية من جيشه ثم سار إلى الكدراء . أما الأتابك سنقر فإنه لما خرج المعز من (المهجم) عاد إليها ونهب ما فيها من الخيل والأموال وعاد إلى (المدارة) أقلق هذا التصرف المعز فعزم على الاتجاه إلى مقرهم (المدارة) للقضاء عليهم . فما إن وصل إليهم حتى خرج إليهم جند سنقر وباغتوهم بالهجوم، وما إن قتل أول جندي من جند المعز حتى انهزم الباقون. وذلك بسبب المفاجأة ، وترك حاميات في مدن تهامة وذهابه إليه في جيش غير كافٍ فأضعف ذلك من قواته

١) ابن حاتم : السمط : ص ٧٩، يحي بن الحسين : غاية الأماني ،ج١ ص٣٥٦، محمد عبد العال : الأيوبيون: ص ١٧٧.

٢) مبين : بلدة في الجبر، شمال غرب مدينة حجه بمسافة عشرة أكيال . وهي عاصمة مديرية مبين أحد مديريات محافظة حجه

(المقحفي : معجم البلدان والمناطق اليمنية : ج٢، ص ١٣٩٦.)

٣) المدارة : قرية في بني حماطه التي يطلق عليها اليوم (بيت ألجريدي) من بلدة (حجرة أبن مهدي) في الحيمة الخارجية غربي صنعاء(المقحفي : معجم البلدان والقبائل اليمنية : ج٢، ص ١٤٥٧.)

٤) يحيى بن الحسين : غاية الأماني : ،ج١ ص ٣٥٧، ابن حاتم : السمط : ص ٨٠، محمد عبد العال : الأيوبيون : ص ١٧٧.

فانهزم(1) ثم اتجه المعز منهزماً نحو الكدراء ومنها أسرع إلى زبيد لتجميع جيشه والعودة لقتال سنقر مرة أخرى .

أما من جهة الأتابك سنقر فإنه لما انهزم المعز توجه إلى مطاردته إلى الكدراء فلم يجده فنهبها واخذ أموالاً كثيرة ، ثم عاد إلى (المدارة) وبدأ يراسل الإمام عبد الله بن حمزة في الميل إليه ، فرد عليه الإمام مرحباً بذلك ، وبينما كان سنقر في طريقه إليه جاءته الأخبار بمقتل المعز ، فعاد الأتابك سنقر إلى صفوف الأيوبيين دون أن يلتقي بالإمام(2) وهكذا تعددت الشخصيات الأيوبية التي أعلنت الانشقاق على المعز مما جعله يعاني منها كثيراً حيث ظل يصارعهم طوال فترة حكمه . كما ساعد هذا الانشقاق الأيوبي الإمام عبد الله بن حمزة على الاستيلاء على كثير من مناطق شمال صنعاء . فأقلق ذلك المعز وجعل حكمه لليمن غير مستقر.

مقتل المعز:

كان من نتائج سياسة المعز السيئة ونتيجة لما اتصف به من القسوة والشح تجاه القادة والجند والرعايا ، وما قام به من القتل والظلم والإخافة(3) وما اتصف به من قلة النظر في أحوالهم، وجعل أكثر بطانته وأصحاب مشورته من الخدم والحريم ، لذلك تآمر عليه الجند - وكان معظم جنده من الأكراد - واتفقوا على قتله وأخفوا ذلك حتى تحين الفرصة لهم . وقد ساعدهم على ذلك انشقاق كبار القادة الأيوبيين عليه ، ومحاربة الأتابك سنقر له.

وكانت الفرصة مواتية لهم لقتله عندما خرج المعز من زبيد إلى المدارة يريد مقاتلة الأتابك سنقر فلما وصل (القوز)(4) شمال زبيد ولم يكن معه حراسة إلا مملوك واحد ، وكان راكباً على بغلة وخلفه حصانه وعليه حلة طويلة الأكمام ، فوثب عليه الأكراد فقاتلهم بالمقرعة ودعاء بحصانه ، فحال الأكراد بينه وبين

---

1) ا يحيى بن الحسين: غاية الأماني : ،ج1 ص 357، بن حاتم : السمط : ص 80، محمد عبد العال : الأيوبيون : ص178.

2) ابن حاتم : السمط: ص 81، محمد عبد العال: الأيوبيون : ص 178،179.

3) الخزرجي: العسجد :ص 173.

4) القوز : محلة في ظاهر زبيد معروف لهذا التاريخ (ابن الديبع : قرة العيون : ص 286)

حصانه ، واستل سيفه فحالت أكمامه الطويلة بينه وبين الضرب بالسيف ، فقتل وقتل معه مملوكه ومثلوا به وكان مقتله في آخر رجب سنة ٥٩٨هـ / نيسان ١٢٠٢م([1]) وبذلك انتهى حكم المعز لليمن بعد صراع مستمر مع المنشقين عنه مع الزيدية .

الوضع السياسي بعد قتل المعز:

كانت القوى الأيوبية في صنعاء تجتاز مرحلة خطيرة من التفكك والانقسام وكان الصراع على أشده بين واليها الأيوبي الشهاب الجزري ، وبين جنده الذين هددوه بالقتل ، كما عمل جماعة من الجند الموجودين في صنعاء على مكاتبة الأمير ورد سار للحضور إليهم ، فطلب ورد سار من الإمام السماح له ولمن معه بالذهاب إلى صنعاء فوافق الإمام على ذلك ، فأسرع ورد سار في الخروج إليهم من (حوث) فسار حتى وصل إلى صنعاء([2]) وهكذا تهيأت الظروف ليحقق الأمام الاستيلاء على صنعاء.

أما ما كان من الشهاب الجزري والي صنعاء فقد خاف على نفسه من الأيوبيين الموجودين بها. والذين اخذوا يطالبونه بإعطائهم أموال المعز التي عنده وهددوه بالقتل ، وكان قد قام بنقل أهله ومتاعه إلى حصن عضدان([3]) خوفاً منهم ، ثم استقر بصنعاء بمفرده ، واخذ يفكر في الميل إلى الإمام ، واستغل وجود ورد سار الذي كانت له علاقة طيبة بالإمام في صنعاء فطلب منه أن يتوسط له عند الإمام بالانضمام إليه ، فلما أرسل ورد سار بهذه الرغبة إلى الإمام ، عاد جوابه بإعطائه الأمن والترحيب به في دخوله في طاعته ، وطلب الالتقاء به في بيت مساك([4]) قرب ريدة.

---

١) ابن حاتم : السمط: ص ٨٢، بامخرمة : ثغر عدن : ص ٥٢، العرشي : بلوغ المرام : ص٤١، محمد عبد العال : الأيوبيون :ص ١٨٢.

٢) يحيى بن الحسين : غاية الأماني : ج١ ص ٣٥٨.

٣) عضدان : قرية وحصن غربي مدينة صنعاء ، مابين (فج عطان) ومنتزه (حده) ، وهما أعلا جبل مربع ممشوق الجوانب (المقحفي : معجم البلدان والقبائل اليمنية : ج٢، ص ١٠٧٩.)

٤) ابن حاتم : السمط : ص ٨٦،٨٧، محمد عبد العال: ص١٨٥.

وفي الوقت الذي كان الشهاب الجزري ينوي الميل إلى الإمام كان ورد سار يفكر في النزول إلى اليمن الأسفل لإعلان طاعته للأمير سنقر والالتقاء به لان الأسباب التي جعلته يميل إلى الإمام قد زالت بانتهاء المعز.

وأثناء ذلك التقى الشهاب الجزري بالإمام في بيت (مساك) في ١٨شوال سنة٥٩٨هـ / ١٢ تموز ١٢٠٢م وفي هذا اللقاء تم مبايعة الإمام من قبل الشهاب والعودة إلى صنعاء لتسليمها له. وقد تسلمها نيابة عنه أخوه عماد الدين يحيى بن حمزة . فخطب بها للإمام وأذنّ بحي على خير العمل,وألغى الخطبة لبني العباس([1]) وبذلك سيطر الإمام على صنعاء بدون قتال، ومن جهة الأتابك سنقر فإن خبر لقاء الشهاب الجزري والإمام وصل إليه أثناء استقباله لورد سار الذي عاد إلى صفوف الدولة الأيوبية فغضب الأتابك سنقر من الشهاب الجزري وفكر في إرسال قواته إليها لاستعادتها.

وبالنسبة للإمام فبعد أن استولى على صنعاء أرسل الشهاب الجزري وأخاه عماد الدين إلى (الدملوة) لإقناع الأمير نجاح الذي كان متمرداً على سنقر بالانضمام إلى الإمام . ولكنهما لم يتمكنا من إقناعه. فعاد أخو الإمام إلى صنعاء، أما الشهاب الجزري فقد كاتب الأتابك سنقر يطلب الوصول إليه . فرحب به وعفا عنه ، وجعله من أتباعه([2]). وخلال بقائه مع الأتابك استعان به في الذهاب إلى عدن لمحاصرة الأمير (برعش) فيها الذي تمرد على طاعة الأتابك. كما كان يستعين به الأتابك في اغلب حملاته([3]).

وعلى الرغم من دخول الشهاب الجزري في طاعة الأتابك سنقر إلا أنه لم يستمر على تلك الطاعة . فقد تمرد عليه سنة ٦٠٥هـ / ١٢٠٨م واتجه إلى يفعان([4]) في زبيد ، ثم راسل الإمام يطلب القدوم إليه . فرحب به الإمام وسار إليه أثناء ما

١) ابن حاتم : السمط: ص ٨٧، محمد عبد العال: ص ١٨٥.

٢) ابن حاتم : السمط : ص ٩٣.

٣) ابن حاتم : السمط : ص ١٢٣.

٤) يفعان : حصن في بلاد ريمة إليه تنسب عزلة يفعان من ناحية السلفية وأعمال ريمة (الحجري : مجموع بلدان اليمن وقبائلها : مج٢، ج٤، ص ٧٨٥.)

كان في حلملم(١) فانضم إليه وأصبح من أتباعه. وظل الشهاب في طاعة الإمام إلى أن توجه الأتابك من صنعاء إلى زبيد سنة ٦٠٨هـ /١٢١٠م حيث تمكن من إلقاء القبض على الشهاب الجزري وأرسله إلى سجن التعكر(٢). وبقى في سجنه إلى أن سعى ورد سار في قتله بعد وفاة الأتابك سنقر(٣). وهكذا كانت مواقف الشهاب الجزري بعد مقتل المعز متأرجحة بين طاعته للإمام وطاعته للأيوبيين.

موقف القادة الأيوبيين:

كان لانشقاق عدد من القادة الأيوبيين وانضمامهم إلى صف الإمام عبد الله ابن حمزة في ظل ظروف أجبرتهم على اتخاذ تلك المواقف، دور مهم في زيادة ثقة الإمام عبد الله بن حمزة بإمكانية إسقاط السلطة الأيوبية وتوسيع نطاق سلطته لتشمل اليمن كاملاً ، وحاول عبد الله بن حمزة استغلال مقتل المعز وتفكك الجند الأيوبي وانشقاقهم . فأسرع في مراسلة عدد من أولئك القادة يدعوهم إلى طاعته لمن لم يسبق له ذلك ، ويذكر من سبق أن انضم إليه بالعهود والوعود التي قطعوها على أنفسهم بالوقوف معه والاستمرار في طاعته ، وكلف بإيصال كتبه إليهم احد دعاته وهو مرحب بن سليمان الحرازي، الذي أسرع في السير إلى تهامة فلما وصل إلى (المهجم) التقى أمير مدينة المهجم علي بن أبي بكر القرابلي الذي سلمه رسول الإمام عبد الله بن حمزة الرسالة فأحسن استقباله وأبدى استعداده لطاعته . ثم سار إلى الكدراء والتقى الأمير (الدقيق) أمير الكدراء الذي ما إن قرأ رسالة الإمام عبد الله بن حمزة حتى رفض الطاعة وأورد طعناً على الإمام عبد الله بنحمزة مستنكراً أن يكتب على رسائله انه ابن رسول الله وقال :(هل بقي أحد في اليمن من يدعى

١) حلملم : قريتان في جبل الاشمور غربي مدينة عمران ، هما حلملم الاعلى و حلملم الأسفل. ويقعان في محاذاة جبل المصانع من الشمال(المقحفي : معجم البلدان والقبائل اليمنية : ج١، ص ٤٩٣.)

٢) ابن حاتم : السمط: ١٤٧،١٤٣.

٣) ابن حاتم : السمط: ص١٤٨، يحيى بن الحسين : غاية الأماني : ج١ ص ١٩٥، محمد عبد العال : الأيوبيون :ص ٣٢٣.

بهذا الاسم ؟ فما قتلنا اسماعيل ألا عليه)([1]) يقصد بإسماعيل هنا المعز اسماعيل حيث كان ادعى الانتساب إلى بني أمية ، كما ادعى الخلافة([2]) لنفسه([3]) ويدل ذلك على انه رافض أن يدخل في طاعة الإمام.

استمر رسول الإمام عبد الله بن حمزة في السعي وراء أكابر الأمراء فسار يبحث عن الأتابك سنقر الذي كان آنذاك من أهم الشخصيات الأيوبية . فوصل رسول الإمام إلى تعز فوصلها أثناء ما كان الأتابك سنقر في عدن ، فبعث إليه برسالة تخبره أنه رسول الإمام عبد الله بن حمزة . فرد عليه الأتابك أن يتوقف في تعز حتى يعود من عدن([4]) ولما عاد منها إلى مدينة الجند قدم عليه رسول الإمام . فاستقبله الأتابك وأكرمه . ثم اخذ منه رسالة الإمام وقراها . وصادف آنذاك أن وصل إليه كتاب من ورد سار ، فتوقف الأتابك عن الرد للإمام . حتى يصل إليه ورد سار . لأنه عاش مع الأمام ويعرفه أكثر من الأتابك ، وما إن وصل ورد سار إلى مدينة الجند حتى خلع طاعة الإمام . فاعتبر الأتابك هذا الخلع ردا على رسالة الإمام . فأذن للرسول بالعودة إلى الإمام بدون جواب([5]) والحقيقة أن انضمام بعض الأيوبيين للإمام ما كان إلا نكاية بالمعز وخوفا منه ، أما وقد انتهى المعز فلا داعي

---

١) ابن دعثم : أبي فراس : السيرة الشريفة المنصورية سيرة الإمام عبد الله بن حمزة (٥٩٣ـ٦١٤هـ/١١٩٦ـ١٢١٧م ، تحقيق د/ عبد الغني محمود عبد العاطي ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، ط١، سنة١٤١٤هـ/١٩٩٣م :مج٢، ج٣ ص: ٢٩٠، يحي بن الحسين : غاية الأماني : ج١ ص ٣٦٦.

٢) دعا المعز إسماعيل بن طغتكين لنفسه بالخلافة وأحتجب وسلطن خادماً له وقلده الأمور ودعا الناس إلى البيعة ولقب نفسه بألقاب كثيرة فقال : إمام الأئمة ، وكاشف الغمة ، وعإلى الهمة ، المفترض الطاعة على كافة الأمة ، المستخرج من السلالة الطاهرة النبوية ، وفرع الشجرة الأمامية الأموية ، المعز ، الناصر ، العزيز ، القاهر ، الرحيم ، القادر ، الحليم ، الذاكر ، سيد الموحدين ، الحاكم بكتاب الله وسنن رسوله ، الهادي إلى الحق بأمر الله ، أمير المؤمنين أبو المعز إسماعيل بن طغتكين بن أيوب بن شاذي بن مروان الأموي ، خليفة رب العالمين ، صلوات الله عليه وبركاته . وكتب إلى عمه الملك العادل يخبره أنه قد دعا لنفسه بالخلافة ، ويعرض عليه النزول عنها ، وتسليمها إليه . فعاد جواب العادل يلومه في ذلك ويقول له : أن الناس لم ترضنا ملوكاً لها فكيف ترضانا أئمة وخلفاء؟ ثم قلت أنا من بني مروان ، فمن أين وصلت إلى هذا العلم الذي لم نصل إليه ؟ وأنما نحن قوم من أهل تكريت ، أنعم الله علينا بما أنعم ، وغير ذلك من التعنيف له واللوم. وكتب المعز دعوته بالخلافة في منشور عظيم ، وأرسل كتب الدعوة إلى كل قطر .(ابن حاتم : السمط : ص ٧١،٧٢.)

٣) ابن حاتم : السمط :ص ٧١، زبارة : أئمة اليمن : ص ١٢٣.

٤) يحيى بن الحسين : غاية الأماني : ج١ ص ٣٦٣،٣٦٤، ابن حاتم : السمط: ص ٩٤.

٥) ابن حاتم : السمط: ص ٩٤،٩٥، يحيى بن الحسين : غاية الأماني : ج١ ص ٣٦٣، ٣٦٤ .

لطاعة الإمام . ومع قناعة الأتابك باستحالة طاعته للإمام بعد أن أصبح القائد الأعلى للأيوبيين في اليمن إلا أنه استخدم أسلوبا سياسياً مرناً في الرد على الإمام ،حتى لا يغضبه ويدخل معه في صراعات هو في غنى عنها في هذا الوقت.

كما نجد أن الإمام رغم إرساله أخاه عماد الدين يحيى بن حمزة والشهاب الجزري إلى الأمير نجاح الأيوبي في حصن الدملوة، والذي أعلن تمرده على الأيوبيين لإقناعه بالانضمام إلى الإمام - وذلك بهدف إيجاد قاعدة له في اليمن الأسفل للضغط على القادة الأيوبيين الموجودين هناك أو جذبهم للدخول في طاعته - إلا أن تلك المهمة باءت بالفشل حيث رفض الأمير نجاح الانضمام إلى الإمام ، كما نجد أن الشهاب الجزري أثناء رجوعه مع أخ الإمام من الدملوة ، نجده يتجه إلى الأتابك سنقر في تعز لإعلان طاعته له([١]) وبذلك لم تنجح محاولة الإمام بضم الأيوبيين إلى صفه.

الناصر أيوب بن طغتكين

ومحاولات استعادة السيطرة الأيوبية في اليمن

٥٩٨ـ٦١١هـ /١٢٠٢ـ ١٢١٤م

كان أيوب بن طغتكين الملقب بالناصر هو الوريث الشرعي للحكم في اليمن تبعاً لمبدأ التوريث الذي أخذ به الأيوبيون، ولما كان ما يزال صغيراً لم يتجاوز

---

١) ابن حاتم : السمط: ص ٨٨،٨٩.

عشر السنوات، ونتيجة لعدم مقدرته على القيام بأمور الدولة السياسية والعسكرية والإدارية . فقد نصب الأتابك([1]) سيف الدين سنقر المعزي للقيام مقامه في تسيير إدارة أمور الدولة ، ويرجع سبب تنصيبه إلى أن الأتابك سنقر قام بتربية الناصر ، حيث كان أتابكاً له ، كما أنه كان متزوجاً من أم الناصر([2]) وربما ذلك تم بإيعاز من أم الناصر ، فضلاً عن المصالحة التي أسفرت عن اختيار الأكراد له في زبيد قائداً لهم مقابل عدم معاقبتهم بسبب قتلهم المعز([3]).

ولو حاولنا معرفة الطريقة التي وصل بها الأتابك سنقر إلى تولى السلطة الأيوبية في اليمن ، فالواقع انه نتيجة تمرد سنقر على المعز ومحاربته له فقد كان من الصعب أن يصبح سنقر متولياً للسلطة في اليمن ، لولا ظروف خدمته وقدمته إلى الصفوف الأولى للسلطة.

اختيار الأكراد له:

تم اختياره من قبل الأكراد(جند من الجيش الأيوبي) في زبيد بعد قتلهم للمعز مباشرة ليتولى أمرهم ، والسبب أنهم جميعاً اشتركوا في فكرة واحدة وهي قيامهم ضد المعز ، فسنقر قام بمحاربته ، واشترك الأكراد في قتله، فراسلوه للوصول إليهم إلى زبيد ليتولى أمرهم ، ولم تكد تصل رسالتهم إليه حتى قطع مراسلاته للإمام ، وسار من (المدارة) نحو زبيد([4]) ولما وصل زبيد عقد مصالحة مع الأكراد([5]) استهدفت هذه المصالحة كما يبدو قبول الأكراد بتولية سنقر أميرا عليهم مقابل عدم معاقبتهم لقتلهم المعز وإبقائهم في مناصبهم في زبيد وتهامة ، ثم تقديمهم إلى الصفوف الأولى في السلطة الأيوبية في اليمن .

---

١) اتابك : يتألف هذا اللقب من لفظين تركيين ، وهما أطا بمعنى أب ، وبك بمعنى أمير . وأصله أن السلاطين السلاجقة منذ أيام ملكشاه بن ألب أرسلان (٤٦٥ . ٤٨٥هـ) كانوا يطلقون لفظ أطابك على كبير أمرائهم ، يولونه الوصاية والرعاية من بعدهم على سلطان أو أمير قاصر صغير. وكثيرا ما تزوج الأطابك من أم الموصى به، فتصبح العلاقة بين الملك ووصيه شبه أبوية .. القلقشندي : صبح الأعشى : ج٤، ص ١٨، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة : ج٧، ص ١٨٤.)

٢) ابن حاتم : السمط : ص ٨٤، ابن عبد المجيد : بهجة الزمن: ص ١٣٥، الخزرجي: العسجد : ص ١٧٥.

٣) الجندي : السلوك: ج٢ ص٥٤٦، ابن حاتم : السمط : ص ٨٤.

٤) ابن حاتم : السمط: ص ٨٤، محمد عبد العال: الأيوبيين : ص ١٨٦.

٥) الجندي : السلوك: ج٢ ص٥٣٦، الكبسي : اللطائف : ص ٦٦.

مراسلة الناصر له:

بعد أن تم للأتابك مصالحة الأيوبيين في زبيد ، توجه مسرعاً في السير نحو تعز ليتوج سلطة زبيد بسلطة تعز الشرعية ، لأن الشرعية في تولي السلطة يعطيه طاعة الأيوبيين في اليمن كلهم . وقد ساعده في الإسراع بالذهاب إلى تعز أنه تلقى رسالة من الناصر بعد مقتل المعز أثناء وجوده في حصون حجة وتهامة متمرداً بها على المعز ، تطلب منه القدوم إليه ، معطياً إياه العفو عما جرى بينه وبين أخيه المعز . فكانت هذه فرصة لسنقر أن يصل إلى أعلى السلطة ، لعدم وجود من ينافسه من الأمراء الأيوبيين في اليمن ، ونتيجة صغر سن الناصر ، وقرابته من البيت الأيوبي ، إضافة إلى حالة التفكك والارتباك الذي أصاب الأيوبيين بعد مقتل المعز.

جمع الأتابك سنقر بين موالاة الأكراد في زبيد وموالاته للناصر. فحين وصل إلى تعز استقبله الناصر وخلع عليه وجعله أتابك عسكره . وما إن صار الأمير سنقر اتابكاً للأيوبيين حتى خرج إلى العسكر بتعز يأخذ العهد منهم لطاعة الناصر وطاعته([1]) فأطاعوهما ، وبذلك أصبح الأتابك سنقر صاحب السلطة الفعلية في اليمن ، أما الناصر فقد كان لا يملك من السلطة إلا اسمها لصغر سنه.

وعن إكمال الأتابك لأخذ الطاعة له من الأيوبيين في اليمن وتولية الولاة عليها ، فقد توجه من تعز إلى عدن وعزل عنها مهكار بن محمود الذي كان والياً عليها من قبل المعز . وولى مكانه عليها الأمير (برعش)([2]) ثم توجه سنقر إلى ذي جبلة فقدم من بها من الأيوبيين الطاعة له ، وأما ذمار وصنعاء فقد ولى عليهما الأمير وردسار، وبذلك خضع لسنقر جميع الأيوبيين في اليمن ، ولم يبق خارجاً عن طاعته إلا مناطق الأئمة الزيدية في صعدة وما حولها.

ثم حدثت بعض التمردات الأيوبية على سنقر فاتجه للقضاء عليها ، وكان عليه أن يقوم بتغيير عدة ولاة . فقد ولى زبيد مهكار بن محمود([3]) وولى على تهامة

---

١) ابن حاتم :السمط:ص ٨٤،٨٥.

٢) ابن حاتم : السمط: ص ٨٨.

٣) ابن حاتم : السمط : ص٨٥.

عدا زبيد والكدراء الأمير حسام الدين بكتمر السيفي([1]) وذلك بعد قضائه على تمرد الأكراد فيها . أما عدن فقد عزل عنها(برعش) وولى مكانه احمد بن عبد الله بن عبد الوهاب([2]) كما قام بتولية أخرى ، فقد ولى سنقر على ذمار وعلى رداع ([3]) البغش المعظمي([4]) وولى على وصاب فخر الدين أبا بكر علي بن رسول، وعلى ريمة بدر الدين الحسن بن رسول ، وعلى (حب) في بعدان شمس الدين علي بن رسول([5]) كذلك عين الأتابك وزيراً له هو الأمير علي بن عبد الله بن عبد الوهاب([6]) وبذلك أصبح سنقر صاحب السلطة الفعلية في التولية والعزل وإدارة الدولة.

استعادة صنعاء من الإمام:

أقام ورد سار في مدينة الجند ثلاثة أيام يتحاور فيها مع الأتابك سنقر، انتهت بإعلان انضمامه إلى الأيوبيين ، وخلع طاعة الإمام ، وقام الأتابك سنقر بتولية وردسار صنعاء وما حولها وأقطعه إياها من (نقيل سرح إلى البون([7]) ويتضح أن السبب في تعيين ورد سار لتلك المناطق علاقته الطيبة بالإمام([8]) . وذلك لتجنب الأيوبيين الدخول في صراع معه ، كذلك نجد أن العلاقة الحسنة بين وردسار والإمام قد تبدلت وتحولت من علاقة طيبه إلى علاقة عدائية . بسبب خلع ورد سار طاعة الإمام وموالاته للأيوبيين الذين يشكلون أخطر الأعداء للإمام .

---

١) الخزرجي : العسجد : ص ١٧٥، ابن حاتم : السمط: ص ٨٥.

٢) ابن حاتم : السمط: ص ١٠٥، كريم : عدن : ص ٢٤٤، محمد عبد العال : الأيوبيون : ص ١٩٠.

٣) رداع : مدينة شرقي ذمار بمسافة (٥٣) كيلاً. تقع وسط هضبة محفوفة بالكروم والفواكه والحدائق الغناء، التي تحيط بها الجبال من جميع الجهات (المقحفي : معجم البلدان والقبائل اليمنية : مج١، ص ٦٨١.)

٤) ابن حاتم : السمط ك ص ٩٦.

٥) ابن حاتم : السمط : ص ١٠٥.

٦) ابن حاتم : السمط : ص ١١٢.

٧) البون : قاع فسيح يمتد من جنوب مدينة عمران إلى شوابه ، ومساحته لا تقل عن (٦٠) كيلومتراً في عرض ستة كيلومترات. وهو قسمان : الجنوبي ويقال له (البون الاعلى) وما كان شمالاً بشرق يسمى (البون الأسفل) (المقحفي : معجم البلدان والقبائل اليمنية : ج١، ص ٢٠٥.)

٨) ابن حاتم : السمط: ص ٩٥،٩٦.

ثم قام الأتابك سنقر بتجهيز حملة لوردسار مكونة من عدد من الجند بالإضافة إلى جند ورد سار نفسه ، وكذلك أعطاه عشرين ألف دينار([1]) للاستعانة بها لتجهيز الحملة ، ثم توجه ورد سار من الجند إلى اليمن الأعلى لاستعادتها لسلطان الأيوبيين ، فبدأ بالسيطرة على ذمار دون قتال لأن جميع الجند الذين كانوا بها دخلوا تحت طاعته دون مقاومة ، ثم توجه منها نحو صنعاء فاستولى عليها بدون قتال في ١٣ ذي الحجة سنة ٥٩٨هـ / ٥ أيلول ١٢٠٣م بعد أن هرب منها واليها إلى الإمام([2]) وبذلك استعاد وردسار ذمار وصنعاء للسلطة الأيوبية بعد أن كان الإمام قد سيطر عليهما.

كان لبني حاتم وتأثيرهم بين الأوساط القبلية حول صنعاء والحصون المحيطة بها وأثر ذلك على الصراع بين الأيوبيين والزيدية ، فما إن سيطر ورد سار على صنعاء حتى توجه إلى مصالحة سلاطين بني حاتم بأن يكون لهم نصف الرحبة مما يليهم وإطلاق مزارعهم التي بوادي ضهر وشعوب([3]) والمنظر([4]) وتهدف هذه المصالحة([5]) لضمان بني حاتم من مناصرتهم للإمام، لأن بني حاتم كانوا قد كاتبوا الإمام بعد مقتل المعز وشرحوا له كثرة خلاف الغز(الأيوبيين) وحثوه على اغتنام الفرصة والاتجاه للسيطرة على اليمن([6]) وكان هذا الصلح بمثابة ضربة قوية للإمام ، لأن الإمام كان يعتمد على مساندة سلاطين بني حاتم ونفوذهم بين القبائل . كما كان هذا الصلح يهدف إلى عدم فتح جبهات متعددة لوردسار وإتاحة الفرصة له بالتحرك نحو عدو واحد هو الإمام.

خلاف أهل صنعاء لورد سار:

---

١) ابن حاتم :السمط : ص ٧٦، محمد عبد العال : الأيوبيون : ص ١٨٨،١٨٩.

٢) ابن حاتم : السمط: ص ٩٧، محمد عبد العال: الأيوبيون : ص ١٨٩.

٣) شعوب : من إحياء مدينة صنعاء ، كانت قبل التوسع العمراني عامرة بالبساتين والفواكه المثمرة ، وكان بها قصر حميري ذكرته العرب في إشعارها (المقحفي : معجم البلدان والقبائل اليمنية : ج١، ص ٨٧٠.)

٤) المنظر : هو الاسم القديم لمدينة (الروضة) الواقعة في الطرف الشمالي لمدينة صنعاء (المقحفي : معجم البلدان والقبائل اليمنية : ج٢، ص ١٦٦٠)

٥) زبارة : أئمة اليمن : ص ١٢٥، يحيى بن الحسين : غاية الأماني : ج١ ص ٣٦٨، ابن حاتم : السمط: ص ٩٨، محمد عبد العال : الأيوبيون : ص ١٩٠.

٦) يحيى بن الحسين : غاية الأماني : ج١ ص ٣٥٨، ألكبسي : اللطائف : ص ٦٦.

في الوقت الذي خرج فيه وردسار نحو كوكبان لاستخراج الأموال المقررة عليهم . تمرد أهل صنعاء على طاعته في يوم الأربعاء٢جمادى الآخرة سنة ٥٩٩هـ / ١٦ شباط ١٢٠٣م وألقوا القبض على أخيه شمس الدين الذي تركه نائباً عنه فيها واعتصموا في المدينة ومالوا إلى تأييد الإمام وأذنوا (حي على خير العمل) . وعند سماع وردسار تلك الأحداث ، عاد مسرعاً وفرض الحصار على صنعاء مستبقاً الإمام وأنصاره على دخولها والسيطرة عليها ، وطلب من أهلها العدول عن مواقفهم والرجوع إلى الطاعة مقابل الإعفاء عنهم وعدم معاقبتهم جراء فعلهم هذا ، لكنهم رفضوا ذلك العرض ، بل طلبوا من الإمام عبد الله بن حمزة نجدتهم ، الذي بادر بالفعل بإرسال أخيه عماد الدين يحيى بن حمزة على رأس جمع كبير من القبائل الذين وصلوا إلى وادي ضهر بالقرب من صنعاء ، لكنهم لم يتمكنوا من التقدم نحو صنعاء لنجدة أهلها خوفاً من وردسار المحاصر للمدينة بمساندة قبائل سنحان وبني شهاب وغيرها، ومع أن تلك القبائل كانت قد شجعت أهل صنعاء على العصيان وإعلان التمرد ووعدتهم بالوقوف معهم إن هم فعلوا ذلك ، إلا أنهم تراجعوا عن وعدهم ووقفوا مع الأيوبيين(١) ويبدو أن تراجع قبائل سنحان وبني شهاب عن وعدهم لأهل صنعاء بالوقوف معهم ضد الأيوبيين كان بسبب استنجاد أهل صنعاء بابن حمزة الذي لم يكونوا على اتفاق معه ، وكذلك لانضمام قبائل ليسوا على اتفاق معها، فضلاً عن العصبية القبلية والمذهبية ، وتحقيق المصالح المادية.

قام وردسار بإبلاغ سنقر بالوضع وطلب منه المدد ، وتحرك سنقر من فوره على رأس جيش كان قد جهزه إلى زبيد لمواجهة تمرد الأكراد هناك ، واتجه نحو صنعاء فدخلها يوم ٥ رجب ٥٩٩هـ / آذار ١٢٠٢م وطلب أهالي صنعاء الأمان فأمنهم على الرغم من خروجهم على طاعة واليه وردسار، وفرض عليهم عقوبة مقدارها (عشرة ألاف دينار وعشرة أفراس) بعد أن وجه إليهم اللوم لما فعلوه وتحرك بعد ذلك إلى وادي ضهر لدحر قوات الإمام عبد الله بن حمزة ، ومن ثم إلى

---

١) ابن حاتم : السمط : ص ١٠٠، يحيى بن الحسين : غاية الأماني : ج١ ص ٣٧٤، الكبسي : اللطائف : ص ٦٩، الخزرجي : العسجد : ص ١٥٧.

كوكبان وبلاد بني شهاب ـ إلى الغرب من صنعاء ـ الذين أعلنوا طاعتهم ثم عاد إلى صنعاء ، ومنها إلى اليمن الأسفل بعد أن أوكل لوردسار استخراج مقدار العقوبة التي فرضها على أهالي صنعاء([1]) .

استغل وردسار موضوع العقوبة للانتقام من أهالي صنعاء الذين خرجوا عن طاعته ، فأنزل بهم اشد أنواع العقاب من ضرب ، وتعليق ، وعصر للأرجل والرؤوس ، وحرق ، وأودع الكثير منهم السجون ، مما اضطر الكثير إلى بيع بيوتهم وأراضيهم وتفرقوا في الجهات اليمنية ، ويعلل ابن حاتم سبب خروجهم بقوله (وقد كان عندهم من البطر ما يجاوز الحد حتى حملهم على الخلاف)([2]) لذلك استحل وردسار عقابهم.

علاقة ورد سار بالأمام:

اتسمت علاقة الطرفين (الأيوبيين والزيدية بزعامة الإمام) بأنها كانت غير مستقرة ، فمن المصالحة إلى الحرب ، على أن المصالحة بين الطرفين وتعيين حدود بين سلطة الجانبين ، ومناطق محددة بذاتها تقع تحت سلطة الأمام تمثل ظاهرة جديدة في العهد الأيوبي ، وتعد اعترافاً صريحاً بنفوذ الأمام . فبعد حروب بين كر، وفر ، عقد أول صلح بين وردسار والأمام سنة ٥٩٩هـ / ١٢٠٣م لمدة سنة على أن يكون (البون الأعلى والبون الأسفل لوردسار، ويكون الظاهران والجوف وصعدة للإمام ، على أن يدفع الإمام لوردسار في كل سنة مائة جمل موقرة حديداً من صعدة وعشرين رأسا من الخيل)([3]) إلا أن هذه المصالحة لم تستمر فقد نقضت بعد عدة أشهر، وتجددت الحرب بين الطرفين . ولما قدم الأتابك سنقر إلى صنعاء لنجدة وردسار على أهل صنعاء وخروجه إلى أحد جبال غربي كوكبان . جرت المراسلة بينه وبين عماد الدين يحيى بن حمزة أخي الأمام الذي كان في(ثلاء) على

---

١) ابن حاتم : السمط : ص ١٠١،١٠٣، يحيى بن الحسين : غاية الأماني : ج١ ص٣٧٥.

٢) ابن حاتم : السمط : ص ١٠١.

٣) الخزرجي: العسجد : ص ١٧٨، يحيى بن الحسين : غاية الأماني : ج١ ص ٣٧١، ابن حاتم : السمط : ص ١٠٢.

تجديد مصالحة وردسار السابقة الذكر لمدة سنة . فوافق الطرفان على ذلك([1]) وقد حقق الطرفان بعض الفوائد ، فسيف الدين سنقر عمل خلال الهدنة على النزول إلى زبيد للقضاء على تمرد الأكراد ، والإمام حاول تجميع صفوفه كما حقق الاعتراف به كحاكم لمناطق تبدأ من شمال صنعاء إلى الجوف وصعدة وما حولها. وكان الأيوبيون قبل ذلك لا يعترفون بالإمام . وظلوا مستمرين في حربه رغم وجوده في عدة مناطق في شمال صنعاء.

وعلى الرغم من عقد المصالحة التي اشترك فيها الأتابك سنقر وورد سار والأمام وأخوه عماد الدين. إلا أنها سرعان ما نقضت وقد اتهم كل طرف الآخر بأنه هو الذي نقض المصالحة .وبعد أن تمكن سنقر بمؤازرة ورد سار من القضاء على تمرد الأكراد في زبيد ، عاد ورد سار إلى صنعاء في المحرم سنة ٦٠٠هـ / أيلول ١٢٠٣م، وبدا الحرب على الإمام بحجة نقضه للصلح عندما كاتب احد القادة الأيوبيين (القرابلي الأيوبي) في تهامة يطلب منه الانضمام إليه([2]) فدارت عدة معارك بين الجانبين كانت أهمها معركة (مطرة) التي كان الإمام قد انتزعها من الأيوبيين ، فدارت معركة كبيرة بين الجانبين في ٨ شعبان ٦٠٠هـ / ١٢ نيسان ١٢٠٤م ، انتصر فيها وردسار على أتباع الإمام بقيادة أخيه إبراهيم بن حمزة الذي قتل في المعركة مع خلق كثير من أنصاره ، وتسمى معركة(نصف)([3]) إلى الشرق من نهم([4]) ومعركة([5]) أخرى تسمى عقار([6]) وهو موضع في البون الأعلى([7])

---

١) يحيى بن الحسين : غاية الأماني : ج١ ص ٣٧٧،٣٦٧، ابن حاتم : السمط : ص ١٠٢.

٢) ابن حاتم : السمط : ص ١١٦،١١٥.

٣) نصف : موضع في بلد نهم شمال مدينة صنعاء(ابن الديبع : قرة العيون : ص ٢٨٨.)

٤) نهم : من قبائل بكيل ، وبلاد نهم في الشرق الشمالي من صنعاء على مسيرة يوم تتصل بلاد نهم من شماليها بالجوف وبلاد سفيان ، ومن شرقيها بالجوف، ومن جنوبيها ببلاد بني حشيش ، وخولان العالية ومن غربيها ببلاد أرحب.(الحجري: مجموع بلدان اليمن وقبائلها: مج٢، ج٤، ص ٧٤٦.)

٥) الخزرجي : العسجد : ص ١٧٧، ابن حاتم : السمط : ص ١٠٦، يحيى بن الحسين : غاية الأماني : ج١ ص ٣٨٥،٣٨٤، زبارة : أئمة اليمن : ص ١٢٩، محمد عبد العال: الأيوبيون : ص ١٩٦.

٦) عقار : بفتحتين. واد في قاع البون الأعلى بجوار بلدة (نغاش) المشهورة ، وعداده من (جبل عيال يزيد) وأعمال محافظة عمران(المقحفي : معجم البلدان والقبائل اليمنية : ج٢، ص١٠٩١.)

٧) الخزرجي : العسجد : ص ١٧٧، مسفر : الحياة السياسية : ص ١٢٨.

واستمرت الحروب بين الطرفين ، ونظراً لعدم كفاية الموارد المالية بصنعاء وأعمالها كي يتمكن وردسار من الاستمرار في قيادة تلك الحروب ومواجهة الإمام وبسبب شكوه ورد سار بأن مالية صنعاء لا تكفي مؤنه الجند عمل الأتابك سنقر على ضم عدد من الجهات مثل ذمار ورداع وغيرها إلى ورد سار ليتمكن من سداد نفقات مؤن الجند([١]).

ظلت الحروب بين الطرفين مستمرة حتى بداية سنة ٦٠١هـ / ١٢٠٤م فسعى الطرفان إلى المهادنة بينهما على أن يسلم الإمام لورد سار كوكبان ويسلم ورد سار في مقابل ذلك خمسة ألاف دينار، وعدداً من البلدان التي استولوا عليها من الإمام. مثل بلدة مطرة ، وبلاد حاشد([٢]) ، وبلاد بني زهير([٣])، وبلاد حصن ثلاء ، وبلاد حصن بكر وما يتصل بها . ونصف ما يحصل من مغارب كوكبان([٤]) وأن تكون مدة الهدنة سنتين متواليتين تبدأ من منتصف شهر محرم سنة ٦٠٠هـ / ١٤ أيلول ١٢٠٤م([٥]) إلا أن هذه المصالحة لقيت معارضة من الأتابك سنقر الذي رفض القبول بها([٦]) وذلك عائد إلى تنازل ورد سار عن الكثير من المناطق التي ضحى الأيوبيون في سبيل السيطرة عليها من أنصار الإمام ، من أجل ذلك كاتب ورد سار الإمام بعدم قبول الأتابك سنقر لتلك المهادنة. لذلك جددت تلك المهادنة مرة أخرى ، على أن يسلم الإمام لورد سار عشرة رؤوس من الخيل وعشراً من الإبل وخمسة أحمال حديد وحصاناً أصفر([٧]) .

---

١) ابن حاتم : السمط : ص ١٤٩.

٢) حاشد : من بطون همدان ، وحاشد هو أخو بكيل ، وهما ابنا جشم بن حيوان بن نوف بن بتع بن زيد بن عمرو بن همدان،وفي البطنين تنحصر قبائل همدان وقبر الجدين في خيوان.(الحجري : مجموع بلدان اليمن وقبائلها : مج١، ج٢، ص ٢١٣، ٢١٤.)

٣) بنو زهير : من بلاد أرحب (الحجري : مجموع بلدان اليمن وقبائلها : مج١، ج٢، ص ٣٩٧.)

٤) ابن حاتم : السمط : ص ١١٣.

٥) يحيى بن الحسين : غاية الأماني : ج١ ص ٣٨٥، زبارة : أئمة اليمن : ص ١٣٠، ابن حاتم : السمط : ص ١١٧، محمد عبد العال : الأيوبيون : ص ١١٨.

٦) ابن حاتم : السمط : ص ١١٨.

٧) ابن حاتم : السمط : ص ١١٨

وعلى الرغم من ذلك لم تستمر هذه المصالحة بين الطرفين فقد نقضها الأتابك سنقر لعدم قناعته بها فاستولى على العديد من مناطق الإمام .فاشتعلت لذلك الحرب بين الطرفين . وتولى ورد سار الاستمرار في محاربة الإمام بعد عودة سنقر من صعدة. وتوقفت الحرب سنة ٦٠٢هـ / ١٢٠٥م حينما سعى الإمام وورد سار على عقد مصالحة لمدة عشر سنوات متوالية. على أن يسلم ورد سار للإمام الرهائن الذين عنده من العرب من بني صريم([١]) وبني شاور([٢]) والأهنوم ووادعة([٣]) وبكيل([٤]).

وربما أن المناطق([٥]) التي استولى عليها الأيوبيون ظلت معهم ولم يعيدوها للإمام . لذلك لم يدم هذا الصلح . فقد نقض سنة ٦٠٣هـ / ١٢٠٦م ، وجرت حروب طويلة بين الطرفين انتهت بالعودة إلى الصلح على ما كانت عليه سابقاً([٦]) .

سنقر والقضاء على قتلة المعز:

بعد عودة الأتابك سنقر من مساعدة ورد سار من صنعاء إلى تعز ، جهز حملة بالمؤن اللازمة لمحاربة الأكراد في زبيد الذين خرجوا عن طاعته ، كذلك وجد الأمور مضطربة في عدن بسبب خروج (برعش) عن طاعته في عدن نتيجة إعانة (نجاح) صاحب الدملوة له بالأموال وتحريضه على الخروج على الطاعة.

---

١) بنو صريم : قبيلة من حاشد من ولد صريم بن مالك بن حرب بن عبد ود بن وادعة بن عمرو بن عامر بن ناشح بن دافعبن مالك أبن جشم بن حاشد. وهم أحد الأقسام الأربعة لحاشد : بني صريم ، وخارف، و عذر، والعصيمات (المقحفي : معجم البلدان والقبائل اليمنية : ج١، ص ٩٠٦.)

٢) بنو شاور : من بطون حاشد من ولد شاور بن قدم بن قادم بن زيد بن عريب بن جشم بن حاشد. وبلاد شاور في كحلان تا ج الدين من نواحي حجة (الحجري : مجموع بلدان اليمن وقبائلها : مج٢، ج٣، ص ٤٤١.)

٣) وادعة : من بطون حاشد وهم ولد وادعة بن عمرو بن عامر بن ناشح بن دافع بن مالك بن جشم بن حاشد، وقبائل وداعة في ثلاث جهات ، منها وادعة حاشد في بلاد حاشد، ومنها وادعة صعدة في بلاد صعدة، ومنها وادعة عسير شمالي نجران بغرب (الحجري : مجموع بلدان اليمن وقبائلها : مج٢، ج٤، ص ٧٦١.)

٤) بكيل : بالفتح ثم الكسر وياء ساكنة ولام ، مخلاف بكيل من مخاليف اليمن يضاف إلى بكيل بن جشم بن خيوان بن نوف بن همدان(ياقوت : معجم البلدان : مج١، ج٢، ص ٣٧٥.)

٥) يحيى بن الحسين : غاية الأماني : ج١ ص ١٨٩، ابن حاتم : السمط : ص ١٣٠، محمد عبد العال : الأيوبيون : ص ٢٠٩.

٦) ابن حاتم : السمط : ص ١٣٢.

ولأن عصيان الأكراد في زبيد وتهامة يشكل خطورة كبيرة عليه استعان على قتالهم بوالي صنعاء ورد سار وبدأ بهمأولاً حيث كتب إلى ورد سار يحثه على إتمام المصالحة مع الإمام والنزول إلى تهامة ، فأسرع ورد سار إلىالنزول مصطحباً معه جيشاً كبيراً . فالتقى بسنقر في تهامة من ناحية وادي سهام([1]). ثم توجهوا جميعاً نحو زبيد([2]).

وربما كان السبب في تمرد أكراد زبيد هو أنهم كانوا يطمحون في مشاركة الأتابك سنقر في حكم اليمن . لانهم هم الذين أقدموا على قتل المعز وتولية سنقر عليهم ، ولان الأتابك سنقر لم يحقق لهم ذلك حيث انفرد في الحكم دونهم ، أعلنوا التمرد عليه فسيطروا على تهامة.

وصل سنقر وورد سار بجيشيهما إلى زبيد واتجهوا لمقاتلة الأكراد على أبواب زبيد ، أماالأكراد فإنهم لما رأوا جيش سنقر قادماً إليهم خرجوا لقتالهم . فدارت معركة بين الجانبين على أبواب زبيد هجم فيها الأكراد على قلب جند الأتابك سنقر مما أحدث تخلخلاً في صفوف جيشه وكادت الهزيمة تلحق به ، لولا ثبات ورد سار عند الأعلام([3]) حتى أعاد الجيش إلى صفوفه وعاود الكرة بمهاجمة الأكراد فقاتلهم قتالاً شديداً أسفر عن انتصاره عليهم وقتل الكثير منهم ، وحال بين الباقين منهم وبين العودة إلى زبيد ، وتمكن من دخول زبيد بالقوة من الباب الشمالي المسمى باب سهام في يوم الأحد ١٠ ذي القعدة سنة ٥٩٩هـ / تموز ١٢٠٣م([4]) .

١) وادي سهام : واد مشهور من أودية اليمن التي تصب في البحر الأحمر، ومأتاه من جبال حضور بالقرب من صنعاء على بعد ست مراحل من ساحل البحر الأحمر ومن جنوبي ناحية البستان ونقيل السود وبقلان وسنحان وبلاد الروس وخدار ووعلان وقحازة وتلاقيها أودية بلاد أنس الشمالية وأودية جنوبي الحيمة وحراز وأودية شمالي بلاد ريمة وشرقي جبل برع وشمالية وأودية الحجيلة وتجتمع هذه الأودية في جنوبي عبال والضامر من بلاد القحر فتظهر في بلاد العبيسة والمراوعة في تهامة فتسقي لأرض وتفضي إلى البحر الأحمر من جنوبي الحديدة (الحجري : مجموع بلدان اليمن وقبائلها : مج٢، ج٣، ص ٤٣٥.)

٢) ابن حاتم : السمط : ص ١٠٣، الخزرجي : العسجد : ص ١٧٦، ، محمد عبد العال : الأيوبيون : ص ١٩٤.

٣) الخزرجي : العسجد : ص ١٧٦، محمد عبد العال : الأيوبيون : ص ١٩٤.

٤) الجندي : السلوك : ج٢ ص ٥٣٦، ابن حاتم : السمط : ص ١٠٣، الخزرجي : العسجد : ص ١٧٦.

بعد هذا الانتصار الذي حققه الأتابك سنقر قام بإلقاء القبض على كبار القادة المتمردين من الأكراد ، فوجد أنهم هم الذين قتلوا المعز فقام بقتلهم([1]) فأعلنت تهامة طاعتها له بكاملها([2]).وبذلك أنهى سنقر أخطر تمرد واجهه وأعاد سيطرته على تهامة وزبيد ثم ولى عليها مهكار بن محمود ، وعاد إلى تعز ، ثم توجه نحو عدن للقضاء على تمرد (برعش) فيها، أما ورد سار فقد عاد إلى صنعاء([3]).

إقرار الأمور في عدن:

على الرغم من أن الأتابك سنقر هو الذي ولى الأمير (برعش) على عدن . إلا أنه أعلن التمرد عليه . وذلك بسبب تحريض الأمير نجاح صاحب حصن الدملوة له .وإمداده بالأموال . وكانت بداية ذلك عندما طلب الأتابك سنقر من (برعش) أن يرسل له الجباية المالية من عدن ، من أجل إنفاقها على الجيش الذي سيتوجه إلى تهامة للقضاء على تمرد الأكراد بها، فبعث إليه لأخذ الأموال فخر الدين بكتمر السيفي. ولما أحضر (برعش) الأموال طلب منه بكتمر أن يعدها فاعتذر(برعش) وقال: (النقاد يتقدم صحبتك) وسار معه النقاد . ولما وصلت الأموال إلى الأتابك فتحها فوجدها فلوساً وحديداً فغضب لذلك وأراد معاقبته فأجل ذلك إلى بعد القضاء على تمرد الأكراد في زبيد ([4]) .

وخلال ذلك لم يهمل سنقر أمر(برعش) فقد بعث إليه الشهاب الجزري للقضاء عليه أو محاصرته ، فلما وصل إلى عدن عسكر خارجها . فخرج إليه (برعش) من عدن وجرت معركة بين الطرفين انتهت بهزيمة الشهاب ونهب معسكره ، وفي الوقت نفسه قدمت إلى عدن الحامية الأيوبية التي تركها الشهاب بلحج بقيادة بكتمر السيفي الذي حاول الإسراع في دخول عدن حين علم بخروج

---

١) ابن حاتم : السمط : ص ١٠٤، محمد عبد العال: الأيوبيون : ص ١٩٥.

٢) الخزرجي : العسجد : ص ١٧٦.

٣) ابن حاتم : السمط : ص ١٠٣،١٠٤.

٤) ابن حاتم : السمط : ص ١٠٣، كريم : عدن : ص ٢٤٤.

(برعش) منها ولكن (برعش) سبقه في الدخول إلى عدن وبقى الأمر بين الكر والفر إلى أن قدم سنقر([1]) .

أسرع الأتابك سنقر في الاتجاه نحو عدن فلما وصلها فرض عليها الحصار وقطع المواد الغذائية والمياه حتى ضاق الناس وضاق معهم (برعش) . فاضطره ذلك إلى مراسلة الأتابك سنقر يطلب منه العفو عنه وإعطاءه الأمان . فعفا عنه الأتابك سنقر ، وعزله عن عدن وأعطاه أحد حصون لحج ، ودخل سنقر عدن واستولى عليها وأقام بها عدة أيام ثم عاد إلى تعز بعد أن ولى على عدن أحمد بن عبد الله بن عبد الوهاب([2]).

أما بالنسبة للأمير نجاح صاحب حصن الدملوة فقد تركه الأتابك سنقر ولم يقم بالقضاء عليه ، وذلك لانشغال الأتابك سنقر بأمور أكثر خطورة منه . ولما رأى الأمير نجاح عدم جدوى استمرار خروجه عن الطاعة . أنهى تمرده بعد فترة وذلك بمصالحة الأتابك سنقر له حيث عفا عنه واقطعه لحج وأبين([3]). وانتهى بذلك التمرد الأيوبي على سنقر ، وربما كان الانشقاق أو التمرد الذي قام به القادة الأيوبيون في عهد سنقر بسبب توليته السلطة الأيوبية بعد أن كان متمرداً عليهم . وأن هؤلاء القادة كانوا يطمحون في أن يكونوا هم أتابكة الجند الأيوبي في اليمن وأصحاب السلطة العليا بها وليس الأتابك سنقر ، وخاصة الأمير نجاح الذي رفض تولية الأتابك سنقر منذ اليوم الأول لتعيينه.

الأتابك سنقر وعلاقته بالإمام:

على الرغم من أن الأتابك سنقر كان قد راسل الإمام عبد الله بن حمزة بهدف الميل إليه أثناء تمرده على المعز ، إلا أن علاقته بالإمام عندما تولى أمر الأيوبيين اتسمت بالعلاقة العدائية ، والسبب أن الأتابك أصبح مسؤولاً عن المحافظة على مناطق نفوذ الأيوبيين في اليمن ، وعدم السماح للإمام بتوسيع سلطانه في مناطق النفوذ الأيوبي ، كما نجد أن الأتابك سعى كما سعى الأيوبيون من قبله إلى إنهاء

---

١) ابن حاتم : السمط : ١٠٣، كريم : عدن : ص ٢٤٤.

٢) ابن حاتم : السمط : ص ١٠٥، محمد عبد العال: الأيوبيون : ص ١٩٥، كريم : عدن: ص ١٤٤.

٣) ابن حاتم : السمط : ص ١٣٥،١٣٣.

الدولة الزيدية في اليمن ، ورغم أنه لم يتمكن من ذلك ، ألا أنه ظل يقاتل الإمام طوال حكمه للدولة الأيوبية في اليمن ، ومساعدة ورد سار في حربه للإمام.

أعد الأتابك سنقر حملة كبيرة بهدف قتال الإمام وتوجه من تعز يريد صنعاء إلا أن قدومه جاء بعد أن عقد ورد سارصلحاً مع الإمام بدأ تنفيذه في المحرم سنة ٦٠١هـ / آب ١٢٠٤م ولما علم ورد سار بقدوم سنقر يريد حرب الإمام أسرع إلى لقاء سنقر في ذمار وأخبره بذلك الصلح ، ومع ذلك أبدى سنقر عدم رغبته في ذلك الصلح ، إلا أنه اضطر إلى العودة إلىتعز التزاماً بما صالح عليه ورد سار(١) .

كان لذلك الصلح أثر في نفس الإمام الذي شعر لأول مرة أنه أصبح يحكم جزءاً من اليمن باعتراف الأيوبيين ، فبدأ يتصرف على ذلك الأساس ، ولكنه ربما أثقل على القبائل وبدأ يفرض أعباءً وأحكاماً لم تتمكن تلك القبائل من تنفيذها ، مما دفعهم إلى مكاتبة الأتابك سنقر يطلبون قدومه وأنهم يعلنون طاعتهم له وخلع طاعة الإمام ، كما وصلت ورد سار كذلك من أهل الظاهر والجوف والأشراف آل القاسم في شمال تهامة ، وعرض فيه أهل الظاهر اوالأدهم كرهائن بصنعاء تأكيدا على صدق طلبهم (وكفلوا له البلاد ومحصولها) فضلاً عن ميل بني حاتم إلى الأيوبيين ووقوفهم ضد الإمام.

أدت تلك المكاتبات إلى أن يتجه ورد سار بنفسه إلى سنقر إلى مدينة الجند مصطحباً معه السلطان بشر بن حاتم الذي أعلن آنذاك ميله للأيوبيين . وكان مجيئهم بهدف عرض مراسلة القبائل إلى سنقر وورد سار فوافق ذلك رغبة الأتابك سنقر ، واتفق معهما على الخروج إلى صعدة لمحاربة الإمام(٢).

لذلك أعد سنقر جيشاً كبيراً وسار بهم عبر ذمار إلى صنعاء فدخلها يوم الأربعاء ١٦رجب سنة ٦٠١هـ / ٨ آذار ١٢٠٥م ، وما إن علمت القبائل المجاورة لصنعاء بوصوله حتى جاءته من كل جهة تقدم له الولاء والطاعة فقرب وجوههم وسلاطينهم وأحسن إليهم وأنعم على أكثرهم ، أما القبائل التي كانت تناصر الإمام

---

١) ابن حاتم : السمط : ص ١١٩، محمد عبد العال : الأيوبيون : ص ٢٠٢.

٢) ابن حاتم : السمط : ص ١١٩، محمد عبد العال : الأيوبيون : ص ٢٠٢.

فلما علمت بخروج الأتابك نحوها خافت منه فمالت إلى موالاته وتركت مناصرة الإمام ، أما الأتابك سنقر فقد واصل سيره بعد خروجه من صنعاء نحو مناطق الإمام فسار إلى (ريدة) ثم إلى شوابه([1]) ثم إلى (الجوف) فوصلها في ٧شعبان سنة ٦٠١ هـ/ ٣٠ آذار ١٢٠٥م وجاءه معظم أهل الجوف معلنين طاعتهم له ، ثم توجه نحو صعدة فدخلها يوم الجمعة ١٣ شعبان سنة ٦٠١هـ / ٨ نيسان ١٢٠٥م ، ودخل الأتابك سنقر كل هذه المناطق التي تقع تحت سيطرة الإمام دون مقاومة بما فيها صعدة، وهدم درب الإمام وداره في هجر معين في صعدة([2]) ، وكون الأتابك سنقر لم يجد مقاومة حتى من القبائل التي تناصر الإمام فذلك عائد إلى عدم مقدرتهم على محاربته ، وكان الأتابك سنقر يقيم في كل منطقة يدخلها عدة أيام بحيث لا تتجاوز الأسبوع([3]) وبذلك يكون الأتابك سنقر قد أزاح الإمام من مناطق نفوذه ، وبسط نفوذ الأيوبيين على كامل بلاد اليمن.

وبعد سيطرة سنقر على صعدة ولى عليها أحد قادته المسمى أسد الدين ، وجعل معه حامية مكونة من مائة وعشرين فارساً([4]) ، ثم توجه مع ورد سار إلى (العشمية) في حرف سفيان([5])، ومن هناك افترقا فعاد ورد سار إلى صنعاء ، أما الأتابك فقد اتجه إلى الخموس([6]) اهنوم في حجة ثم توجه منه إلى حرض في تهامة فجاءه المؤيد بن القاسم معلناً الطاعة له فاقطعه إياها ، وتوجه إلى بلاد بني شاور

---

١) شوابه : بلدة معروفة من إعمال ذي بين في بلاد بكيل من أعمال محافظة عمران (الحجري : مجموع بلدان اليمن وقبائلها : مج٢، ج٣، ص ٤٥٨.)

٢) ابن حاتم : السمط : ص ١٢٠،١٢١، محمد عبد العال: الأيوبيون : ص ٢٠٠.٢٠٢.

٣) ابن حاتم : السمط : ص ١٢٠.

٤) ابن حاتم : السمط : ص ١٢٠.

٥)حرف سفيان : قبيلة مشهورة من قبائل بكيل وهم ولد سفيان بن أرحب بن الدعام ولهم بلاد واسعة سميت باسم القبيلة فيقال بلاد سفيان تبعد عن صنعاء مسيرة يومين في الشمال الشرقي تتصل بلاد سفيان من شماليها ببلاد دهمه وخولان بن عمرو بن الحاف من إعمال صعدة ومن شرقي بلاد سفيان بلاد دهمه الجوف ، ومن جنوبي بلاد سفيان بلاد أرحب ومن غربي بلاد سفيان بلاد حاشد ومرهبة وقد دخل في هذه الحدود بلاد العمشية (الحجري : مجموع بلدان اليمن وقبائلها : مج٢، ج٣، ص ٤٢٤.)

٦) الخموس : بفتح فضم . قرية مشهورة في جبل المحا بشة بجوار قرية الصاية (المقحفي : معجم البلدان والقبائل اليمنية :ج١، ص ٥٨١.)

عن طريق حصن(مبين) فاستولى على عدة قرى هناك بالقوة وعاد إلى اليمن الأسفل.

ورغم سيطرة الأتابك سنقر على كل تلك المناطق وإعلان أهلها الموالاة له إلا أنه كان بحاجة إلى ترك حاميات في جميع تلك المناطق لتثبيت سلطان الأيوبيين فيها ،إلا أن ترك حاميات في تلك المناطق يشكل عبئا علي الأيوبيين لعدم توافر الأعداد الكافية من الجند لتركهم حاميات ، ومن ناحية أخرى لعدم توافر الإمكانيات المالية ، وعدم تحمل تلك المناطق للإنفاق على الحاميات ، ولذلك ترك تلك المناطق بدون حاميات ، وعاد إلى اليمن الأسفل . ولعدم ترك حاميات في تلك المناطق أو ترك حاميات ضعيفة في بعضها ، أغرى ذلك الإمام والقبائل المناصرة له بأن يتجهوا لاستعادة سيطرتهم على تلك المناطق ، لذلك فأن حملة الأتابك سنقر لم تحقق للأيوبيين فائدة كبيرة ،إلا أنها أظهرت مدى قوة الأيوبيين التي فاقت قوة الإمام والقبائل المناصرة له.

استمر الأتابك سنقر يطلع في كل سنة من تعز إلى اليمن الأعلى لإخضاع القبائل الموجودة هناك وذلك لعدم توافر حاميات في تلك المناطق ، وكان الهدف من الطلوع المستمر هو مساعدة ورد سار على حكم تلك المناطق، ومنع القبائل من الإقدام على التمرد على الأيوبيين ، بالإضافة إلى استمرارهم في دفع واجبات الدولة المالية المقررة عليهم دون اللجوء إلى الحرب، وإرباك الإمام وإجباره على عدم التمكن من الاستقرار وإقامة دولته .وربما استعاض سنقر عن وجود الحاميات في تلك المناطق بطلوعه إليها سنوياً.

حيث توجه الأتابك سنقر من تعز إلى زبيد ثم إلى صنعاء فدخلها في المحرم سنة ٦٠٥هـ / تموز١٢٠٨م ، واتجه إلى (شبام) ثم (ثلاء) ثم (الظاهر) ثم (حوث) ثم براقش([١]) بالجوف([٢]) وفي هذه السنة تمت المصالحة بينه وبين الإمام على أن يسلم الإمام (مائة حمل حديد من صعدة لورد سار وعشرة من الخيل ، وللإمام

١) براقش : بلدة خاوية في ناحية الجوف وهي من المدن القديمة (الحجري : مجموع بلدان اليمن وقبائلها : مج١، ج١، ص ١٠٦.)

٢) ابن حاتم : السمط : ص ١٤٤،١٣٥.

الظـاهر والجـوفيين وصـعدة ، ولـورد سـار البـونيين)([1]) ومـن الملاحـظ أن هـذه المصـالحة شـبيهة بالمصـالحة الأولـى ، والـهدف منهـا منـع الحـرب بـين الطـرفين ، واعترف الأيوبيون بحكم الإمام في مناطق محددة حددتها تلك المصالحة.

ورغم تلك المصـالحة إلا أن الحـرب لـم تتوقـف بـين الطـرفين بسـبب تـأرجح ولاء القبائـل اليمنيـة بـين الأيـوبيين والإمـام ، ونقضـت المصـالحة وعـادت الحـرب بـين الطرفين فتوجه سنقر من تعز إلى زبيد ثم صـنعاء ثـم كوكبان وذلك سنة ٦٠٦هـ / ١٢١٠م وقاتل القبائل التي وقفت ضده([2]) ثم جددت المصالحة.

ومما يلفت النظر ، أن اتفاقيات الصلح التي كانت تعقد بين الأيـوبيين والإمـام ، وما يقترن بها من تحديد مدة هدنة، كان يسعى إليها الجانب الذي يحتم عليه موقفه ذلك ، حتى يكتسب وقتاً يستطيع خلاله إعادة تنظيم صفوفه استعداداً لجولـة أخـرى . فإذا ما زالت الأسباب التي اضطرت هذا الفريق إلـى السـعي لعقد الاتفـاق . فانـه لا يرى حرجاً في نقض الصلح وخرق الهدنة. وهذا يفسر أسباب استمرار عدم احترام الهدنة وعدم إقامة أى وزن لحرمتها حتى أصبح هذا التصرف مألوفا.

كان سيف الدين سنقر شجاعاً شـهماً حسن السياسـة تمكن من ترتيـب البيت الأيوبي وأعاد له تماسكه واستطاع مواجهة خصومه بالسياسة والحكمة حينما تكـون نـافعة ، وبالحـرب حين تفرض نفسها . سريع النهوض لمواجهة الأزمات فكان يطلع إلى صنعاء كل عـام ، كمـا تمكـن من إخمـاد حركـة الأكـراد فـي زبيد ، وتمكـن مـن إفشـال محاولـة الإمـام استمالة بعض الأيـوبيين إلـى صـفه كمـا كـان يفعـل فـي عهد المعز، ومثال ذلك صاحب حصن الدملوة (نجاح) ، ولم يتوان فـي إخمـاد أيـة حركـة تمرد عليه مثال ذلك حركة(برعش) في عدن.

---

١) يحيى بن الحسين : غاية الأماني : ج١ ص ١٩٣.

٢) زبارة : أئمة اليمن : ص ١٣٢، ابن حاتم : السمط : ص ١٤٤.

وكان آخر طلوع للأتابك سنقر إلى صنعاء من زبيد في ربيع الأخر سنة ٦٠٨هـ/ أيلول ١٢١١م ومنها اتجه إلى عدن وسار إلى حضرموت وعاد منها إلى تعز حيث توفي في ربيع الأخر سنة ٦٠٩هـ آب ١٢١٢م([١]) .

الناصر بعد موت الأتابك سنقر:

بعد موت سنقر تولى الناصر قيادة الأيوبيين بنفسه ، وكان قد بلغ خمس عشرة سنة بحسب ما أورده ابن حاتم([٢]) وقيل عشرين سنة بحسب تقدير آخر([٣]) وحاول الناصر أن يستقل بالسلطة إلا أنه لم يحسن اختيار من حوله وذلك لعدم توفر التجربة السياسية في قيادة الدولة ، فقد عين غازي بن جبريل الذي كان والياً على لحج مساعداً له وجعله (أستاذ داره، وصاحب بابه([٤]) واتابكه) فحل محل سنقر ، لذلك كان غازي صاحب الأمر والنهي في أمور كثيرة ، كما جعل ورد سار مستشاراً له ، وقد عامل غازي أكابر الناس وأمراءه بالسم حتى افنى كثيراً منهم([٥]) دون أن يتمكن الناصر من منعه بل سمح له بفعل ذلك ، ومن هنا بدا مشوار التخلص من القادة الأيوبيين الكبار باشتراك كل من الناصر وورد سار وغازي بن جبريل ، ولما طلب الناصر من ورد سار النزول إليه في تعز للتشاور في أمور الدولة اشترط عليه أن يسلم له أولا الشهاب الجزري والي صنعاء السابق لقتله ، وبعد مشاورة الناصر لغازي بن جبريل وافق على تسليم الشهاب الجزري إليه فمات الشهاب خنقاً، وبعد ذلك نزل ورد سار إلى تعز فاستقبله الناصر استقبالاً حسناً ساده التعظيم والتبجيل ورفع من شانه ، وأضاف حصن السمدان إلى ولايته([٦]) .

---

١) ابن حاتم : السمط : ص ١٤٧.

٢) ابن حاتم : السمط : ص ١٥٢.

٣) محمد عبد العال : الأيوبيين : ص ٢٢١.

٤) صاحب الباب : وظيفة تلى رتبة الوزارة ويقال لها الوزارة الصغرى ، وصاحبها يقرب من النائب الكافل ، وهو الذي ينظر في المظالم اذا لم يكن من الوزراء العسكريين فأن كان ثم وزير من العسكريين كان هو الذي يجلس للمظالم بنفسه . وصاحب الباب من جملة من يقف في خدمته (القلقشندي: صبح الأعشى : ج٣، ص ٤٧٩.)

٥) يحيى بن الحسين : غاية الأماني : ج١ ص ٣٩٥، ابن حاتم : السمط : ص ١٤٨، محمد عبد العال : الأيوبيون : ص ٢٢٣.

٦) ابن حاتم : السمط : ص ١٤٩، يحيى بن الحسين : غاية الأماني : ج١ ص ٣٩٥، محمد عبد العال : الأيوبيون : ص ٢٢٣.

واستكمالاً لخطة التخلص من القادة الأيوبيين خرج الناصر في حملة تفقدية إلى حجة سنة ٦٠٩هـ / ١٢١٢م واصطحب معه ورد سار ولما وصلوا المهجم التى كان متولياً عليها بكتمر السيفي اتفقوا معه على الذهاب إلى حجة ، ولما وصلوا إلى خبت الذنائب عسكر الناصر فيه ، وأمر بكتمر بمواصلة التقدم إلى حجة والوصول إلى أحد حصونها المسمى (مبين) وأثناء إقامة الناصر في المعسكر اتفق الناصر وورد سار على قتل بكتمر بعد عودته من حجة ، واستكمالاً للخطة أرسل الناصر وزيره غازي بن جبريل غلى مدينة المهجم للسيطرة على أمواله وعياله ، وأثناء عودة بكتمر من حجة جاءه من أطلعه على ما دبر له فعدل عن العودة إلى معسكر الناصر ، ولجأ إلىقرية الذنائب ، وقد انضم إليه عدد كبير من الجند استنكاراً للمؤامرة ، كما لم يقتنع مماليك ورد سار ومماليك الناصر بالتآمر على قتل بكتمر لعدم وجود سبب مقنع لهم . فخافوا أن يشملهم التآمر . فجرت موجه من الغضب بين جند ورد سار نفسه وسار جماعة من مماليكه إلى خيمته لقتله ، ولكنه تمكن من الهرب منهم إلىخيمة الناصر ، كما تمرد أكثر من خمسين فارساً من مماليك الناصر وبينهم أميران واتجهوا جميعاً إلى بكتمر في قرية الذنائب([1]) ولما تفاقم الموقف وخشي الناصر على نفسه تحرك متجهاً إلى المهجم واستولى على ما كان فيها لبكتمر من الدروع والأقواس والدواب وغيرها ، وسار إلى زبيد ومنها إلى تعز ، أما ورد سار فقد عاد إلى صنعاء([2]) وكانت ردة الفعل لما حدث أن عمل بكتمر ومن معه من الجند على شن الغارات المتعددة على البلاد التابعة للأيوبيين ، وراسلوا الإمام للانضمام إليه ، فخاف الناصر من ذلك وأرسل إلى ورد سار يطلب منه القدوم إليه بجيشه من صنعاء لمحاربة بكتمر ، ولما وصل ورد سار بجيشه إلى

١) يحيى بن الحسين : غاية الأماني : ج١ ص ٣٩٦، ابن حاتم : السمط : ص ١٤٩، محمد عبد العال : الأيوبيون : ص ١٢٣، ١٢٤.

٢) ابن حاتم : السمط : ص١٥١، يحي بن الحسين : غاية الأماني : ج١ ص ٣٩٧ .

تهامة التقى بالناصر وساروا جميعاً نحو بكتمر وحطت جموعهم عند جبل برع([1]) - حيث كان بكتمر متحصناً فيه - ثم جرت بينهم وبين بكتمر حروب انتهت بعقد مصالحة بينهم على أن يسلموا لبكتمر أربعين ألف مثقال ثمن دوابه ويعطوه الأمان مقابل رحيله من اليمن إلى الشام فقبل بكتمر بذلك وتمت المصالحة، وفي ذلك الوقت بدأ الناصر التآمر ضد ورد سار فسقاه سماً فمرض منه ثم مات في حصن السمدان سنة ٦١٠هـ / ١٢١٤م([2]).

وهكذا أدت المؤامرات إلى التخلص من أهم القادة الأيوبيين ، فاستغل بدر الدين غازي التخلص نهائياً من ورد سار ، وعمل على السيطرة الكاملة على مقاليد الأمور والانفراد بتدبير شؤون الدولة . ووصل به الأمر إلى أن يطمع في الملك ، وفي سبيل تحقيق مطمعه أقنع الناصر بالتوجه لمقاتلة الإمام فتوجه الناصر نحو صنعاء فوصلها في ذي القعدة سنة٦١٠هـ / نيسان ١٢١٤م وأمر الناصر بأخذ كل ما كان لورد سار من أموال وذخائر ، وأمر بإلقاء القبض على مماليكه مما أدى إلى هروب بعضهم خوفاً منه ، وأثناء إقامة الناصر في صنعاء جاءته وفود القبائل من كل ناحية ، ثم خرج الناصر لمحاربة الإمام فعسكر في الجراف([3]) - خارج صنعاء - وهناك سقي سماً فمرض منه فعاد إلى صنعاء بعد ستة أيام من خروجه منها ، حيث توفي بها في يوم الجمعة ١٠ محرم سنة ٦١١هـ / أيار ١٢١٥م بعد يومين من عودته إلى صنعاء واتهم غازي بقتله بالسم([4])

وبعد موت الناصر اختار أكابر الأمراء في صنعاء غازي بن جبريل أميرا عليهم بعد أن وزع عليهم الأموال التي استولى عليها من الناصر بعد موته ، ثم

---

١) جبل برع : ناحية وجبل معروف من الجبال المشرفة على تهامة في الجهة الغربية من صنعاء على مسافة خمس مراحل من صنعاء للراجل وجبل برع واسع فيه جملة قرى وحصون وينقسم إلى عزل معروفة في كل عزلة جملة قرى (الحجري: مجموع بلدان اليمن وقبائلها : مج ١، ج١، ص ١١٤.)

٢) ابن حاتم : السمط : ص ١٥٢، محمد عبد العال : الأيوبيون : ص ٢٢٥.

٣) الجراف :بلدة من بني الحارث قرب صنعاء في شمالي صنعاء على بعد ساعة (الحجري : مجموع بلدان اليمن وقبائلها : مج١، ج١، ص ١٨٢.)

٤) يحيى بن الحسين : غاية الأماني : ج١ ص ٣٩٨، ابن حاتم : السمط : ص ١٥٢، ١٥٣، محمد عبد العال : الأيوبيون : ص ٢٢٦.

غادرها نحو تعز وفي الطريق واجهته القبائل في كل من حصن ذروان بالقرب من ذمار ونهبت مؤخرة قواته ،وكذلك في كل من حصن قيظان والسحول بالقرب من آب[1] حيث تم سلب ونهب كل ما يحمله من أموال ، كما لم يرعوا حرمة من كان معه من النساء واستولوا على حليهن ، وهكذا تعرض غازي بن جبريل خلال عبوره المنطقة لمخاطر جسيمة لم يسبق وقوع مثلها من قبل ، مما يؤكد ضعف النفوذ الأيوبي حينذاك ،وقد لجأ غازي بن جبريل إلى مدينة آب للاحتماء بها من هجمات القبائل ، وقد تفرق من كان معه من الجند ـ فلما عاد البعض منهم إلى أم الملك الناصر في حصن حب شتمتهم ووبختهم بالكلام وحملتهم على قتل غازي بن جبريل فتوجهوا إلى أب وقتلوه في الشهر نفسه الذي قتل فيه الناصر واحتزوا رأسه تقرباً لها، وانتقاماً منه لدسه السم لأبنها[2].

١) آب : مدينة مشهورة في الجنوب الغربي من صنعاء على مسافة ست مراحل (١٤٠) كيلاً يفصل بينها وبين قضاء انس قضاء ذمار وقضاء يريم . وفي آب مركز القضاء الذي يشمل مخلاف الشوافي ومخلاف بعدان وناحية جبلة وناحية المخادر وناحية حبيش . إب من أجمل مدن اليمن ذات ارض خصبة وهوا ء معتدل (الحجري : مجموع بلدان اليمن وقبائلها : مج١، ج١، ص ٣٠.)

٢) يحيى بن الحسين : غاية الأماني : ج١ ص ٣٩٩، ابن حاتم : السمط : ص ١٥٣، ١٥٤، محمد عبد العال : الأيوبيون : ص ٢٣١.

سليمان بن شاهنشاه بن تقي الدين عمر الأيوبي
وضعف الدولة الأيوبية
(٦١١- ٦١٢هـ / ١٢١٤- ١٢١٥م)

بعد مقتل غازي بن جبريل في محرم سنة ٦١١هـ / أيار١٢١٥م تولت أم الناصر تدبير ملك البلاد لمدة ستة أشهر ، وجعلت أحد القادة الأيوبيين وهو المجاهد وزيراً لها وبايعه قادة الجند وأخوات الناصر ، ولان الأيوبيين يرون استمرار الوراثة في السلطة ، فكان عليهم البحث عن شخصية أيوبية تتولى السلطة ، فكان أن قدم سليمان بن تقي الدين الأيوبي([1]) المعروف بالصوفي وهو معروف لدى

---

١) دخل سليمان تقي الدين إلى مكة أيام الحج حاجاً وكان مع جماعة في زي الصوفية سنة ٦١٠هـ/ ١٢١٣م على هيئة الفقراء فقضى مناسك الحج ثم دخل اليمن في صحبة أمير الحاج فوصل إلى زبيد في الوقت الذي قتل فيه غازي بن جبريل ، وكان في زبيد جماعة من الجند ، فحين علموا بقدومه ، وتحققوا من نسبه إلى بني أيوب ، استدعته أم الناصر وكانت في حصن تعز فقالت له : أنا نخشى العرب تطمع فينا ونحن نساء لا حيلة لنا وقد ساقك الله إلينا فقم بملك ابن عمك واستولى على ملك اليمن . فأجاب فأطلعوه إلى الحصن وحلف له الجند وجلس على سرير الملك وكان ذلك سنة ٦١١هـ/١٢١٤م . وتزوج بأم الملك الناصر(ابن حاتم : السمط : ص ١٥٩، ابن الديبع : قرة العيون : ص ٢٩٠،٢٩١، الخزرجي : شمس الدين أبو الحسن علي بن الحسن بن أبي بكر(ت ٨١٢هـ / ١٤٠٩م) العقود اللؤلؤية

الكثير من الأيوبين فتم اختيـاره ملكـاً لليمن مـن قبل نسـاء القصـر ، وقيل أن أبنـاء علي بن رسول : بدر الدين الحسن ونور الدين عمر اللذين كانـا علـى أعمـال تهامـة الشمالية قد استقبلاه وتم التحقق من انتسابه إلى الأيوبيين فنصباه ملكاً([1]).

لم تكن لسليمان تجربة في السياسة والحكم ولا في تولى الإمارة ولم تكن لديه معرفة حتـى فـي الجنديـة ، إلا أن قرابتـه مـن البيت الأيـوبي هـي التـي أوصلته إلـى أعلى السلطة الأيوبية في اليمن ، وعلـى الرغم من محاولـة الأمير المجاهد سجن سليمان وعدم القبول بتوليته . إلا أن لنساء القصر الأيوبي في اليمن مثل أم الناصر وأخولة دوراً كبيراً في إخراجه من السجن ، وتوليتـه السلطة الأيوبيـة فـي اليمن ، مما اضطر المجاهد إلى الهروب خوفاً منهن([2]) ومن سليمان إلى حصن السمدان.

وخلال مدة حكم سليمان الأيوبي القصيرة لليمن ،التي لا تتجاوز سنة واحدة شهدت الدولة في أيامه مرحلـة مـن أضـعف مراحل الحكم الأيـوبي فـي اليمن ، فقد واجه تمرداً للقوى اليمنية والأيوبية ، حيث تمرد عليه أهل صبر المطل علـى تعز فأرسل إليهم جيشاً بقيادة أبي شامة وصالح بن هشام اللذين كانـا قد أقطعهمـا صـنعاء وذمار. وما إن وصل الجيش الأيوبي إلىصبر حتى خرج إليه أهلها وقـاتلوهم قتـالاً شـديداً حتـي انتصـروا علـيهم وقتلـوا هـذين القائدين كمـا قتـل نحـو مائـة فـارس مـن الأيـوبيين([3]). كـذلك تمـرد علـى سـليمان أهـل(السـهلية) فـي تهامـة والـذين اتجهـوا للاستيلاء على الحصون التي كان الأيوبيون يتمركزون بها في بلادهم فأرسل إلـيهم سليمان الأمير سيف الدين بـن عصـبة فتمكن مـن الانتصـار عليهم وأجبرهم علـى الطاعـة وتقديم الرهـائن كـدليل علـى طـاعتهم([4]). كمـا تمـرد علـى سـليمان صـاحب

في تاريخ الدولة الرسولية : أخرجه محمد بسيوني عسل ، طبع ضمن مجموعة جب التذكارية بمطبعة الهلال ، سنة ١٣٢٩هـ/ ١٩١١م :ج١، ص ٣٠)

١) ابن حاتم : السمط : ص ١٥٤.

٢) يحيى بن الحسين : غاية الأماني : ج١ص ٤٠٢، ابن حاتم : السمط : ص ١٥٩، محمد عبد العال : الأيوبيون : ص ٢٣٧.

٣) الجندي : السلوك : ج٢ ص ٥٣٨، الخزرجي : العسجد : ص ١٨٠، يحيى بن الحسين : غاية الأماني : ج١ ص ٤٠٢.

٤) يحيى بن الحسين : غاية الأماني : ج١ ص ٤٠٢ ، ابن حاتم : السمط : ص ١٦٠.

المخلاف السليماني الأمير المؤيد بن القاسم ، الذي اتجه لشن الغارات على(المحاليب) في تهامة وأعلن مولاته للإمام([1]) كما خرج عليه بدر الدين الحسن بن رسول الذي اقطعه صنعاء وجهزه بجيش لاستردادها من الإمام ، ولكن ما إن وصل بدر الدين إلى الجند في طريقه إلى صنعاء ، حتى بلغه أن سليمان يعد العدة للقضاء عليه ، وأنه قد كلف من سيتولى تنفيذ ذلك ، فلجأ بدر الدين إلى حصن الدملوة واحتمى فيه ، وبعد تدخل بعض كبار أمراء الأجناد وتوسطهم له عند سليمان ، وأقنعوه بإخلاصه وبضرورة التمسك به ، فأمنه سليمان وأعاد إليه ولاية صنعاء بعد أن يستردها من الإمام ، فتوجه بدر الدين إلى صنعاء وتمكن من الاستيلاء عليها بعد أن غادرها الإمام، ثم تأزمت الأمور من جديد حيث أرسل سليمان جيشاً إلى صنعاء للاستيلاء عليها والقبض على بدر الدين ، فترك بدر الدين صنعاء وتوجه إلى تهامة وتمكن من هزيمة سليمان الذي سار إلى زبيد لمنعه من دخولها ، وبعد أن رأى سليمان تفوق الحسن بن رسول عمل على الصلح معه([2])

كما كان أول من تمرد على سليمان من الأيوبيين المجاهد الذي كان قد هرب إلى السمدان . إلا أنه عاد إلى تعز بعد أن راسله بعض أهلها يطلبون منه العودة وأنهم سيساعدونه في الاستيلاء عليها. واخبروه أن سليمان متجه إلى بعض المناطق خارج تعز، فوثق بهم وعاد إلى تعز قبل خروج سليمان منها، فألقى القبض عليه وتم إيداعه السجن ثم قتل بعد عدة أيام([3]) وهكذا كانت نهاية المجاهد.

كما تمرد على سليمان مجموعة من القادة الأيوبيين في تهامة والسبب أن سليمان طلب معاقبة أحد الأيوبيين الذي استجار بأحد القادة المسمى أطنبا سنقر. ولما طلب هذا القائد الأمان له من سليمان رفض ، وأخذه بالقوة ، مما أدى إلى إعلان أغلب القادة الأيوبيين في تهامة تمردهم على سليمان . الذي اتجه لمحاربتهم ولكنهم تمكنوا من هزيمته ثم اتجهوا إلى المحالب وراسلوا الإمام طالبين الانضمام

---

1) ابن حاتم : السمط : ص ١٦٠.

2) يحيى بن الحسين : غاية الأماني : ج١ ص ٤٠٣،٤٠٢، محمد عبد العال : الأيوبيون : ص ٢٣٩، السروري : الحياة السياسية : ٣٤٥.

3) ابن حاتم : السمط : ص ١٦٠ ، يحيى بن الحسين : ج١ ص ٤٠٢، محمد عبد العال : ص ٢٣٧.

إليه([1]) وهكذا كان سوء سياسة سليمان في إدارة الدولة، وغياب العدل وتعسف الولاة والقادة ، ومحاولته التنكيل بعدد من قيادات الأيوبيين أثرها في كل ما واجهه من خروج عن طاعته.

إما بالنسبة للإمام عبد الله بن حمزة فاستغل حالة الضعف التي تسود الصف الأيوبي ، وعدم وجود شخصية قوية من الأيوبيين تحكم اليمن، فجهز أخويه يحيى والحسن على رأس قوات كبيرة ، وتمكن من دخول صنعاء سنة ٦١١هـ/ ١٢١٤م بعد مقاومة غير مجدية من الحامية الأيوبية التي اضطرت إلى الالتجاء إلى حصن براش للتحصن به ، وأقام الإمام في صنعاء حتى اضطر للخروج منها لما علم بقدوم بدر الدين الحسن بن علي بن رسول الذي وصلها ولم يطل البقاء فيها ، إذ توجه إلى تهامة ـ كما سبق ـ، مما دفع الإمام إلى العودة إلى صنعاء ، ومنها اتجه إلى ذمار فدخلها وولى عليها سليمان بن حمزة ثم عاد إلى صنعاء، وكلف والي ذمار بالتوجه إلى لحج على مقربة من عدن، فسار إليها وواجه مقاومة من نائب الأيوبيين عليها ، ولم يتمكن من دخولها فعاد إلى ذمار([2]) وتعد تلك المنطقة أقصى منطقة إلى الجنوب من صنعاء تصل إليها قوات الإمام عبد الله بن حمزة، لم يسبقه إليها أي إمام قبله ، مما يدلل على ضعف النفوذ الأيوبي.

---

١) يحيى بن الحسين : غاية الأماني : ج١ ص ٤٠٣، ابن حاتم : السمط : ص ١٦٣، محمد عبد العال: الأيوبيون : ص ٢٤٠.

٢) الخزرجي : العسجد : ص ١٨٠.

الملك المسعود بن الكامل الأيوبي

(٦١٢ـ ٦٢٦هـ / ١٢١٥ـ ١٢٢٨م)

استمر الملوك الأيوبيون في مصر يهتمون بأوضاع اليمن ويتابعون الوضع الداخلي لها ، وذلك عائد إلى رغبتهم بإبقاء اليمن تحت نفوذهم، ولأن الوضع في اليمن أصبح غير مستقر ، بل في حالة تدهور مستمر ، وأصبحت القوة الأيوبية في حالة من الضعف لم تصل إليها من قبل ، مما أغرى الإمام بالاستيلاء على كثير من الحصون وبعض المدن هذا الوضع الذي أصبحت عليه اليمن في ظل تولي سليمان ، لم يرض ملوك بني أيوب في مصر لذلك قاموا بإرسال حملة عسكرية إلى اليمن ، وكان الدافع لإرسالها.

أولا : تدهور وضع الجند في اليمن بعد مقتل المعز وموت أخيه الناصر بالسم ابني طغتكين وعدم قناعتهم بتولية سليمان السلطة في اليمن الذي مال إلى اللهو والنساء([1])

ثانياً : رسالة من أحد المطرفية([2]) المسمى الحسن بن محمد النساخ ، إلى الخليفة الناصر العباسي ببغداد يطلب منه حمايتهم من اضطهاد الإمام عبد الله بن حمزة الذي استباح أموالهم ونكل بهم ، وسيطر على كثير من المناطق في اليمن ، فأرسل الخليفة العباسي إلى الملك العادل بمصر يحثهم على إرسال جيش لمحاربة

---

١) ابن الد يبع : قرة العيون : ص ٤١١،٤١٢، الخزرجي : العسجد : ص ١٨٠.

٢) سبق التعريف به.

الإمام([1])، لذلك اضطر الملك العادل إلى إعداد حملة كبيرة لإرسالها إلي اليمن مزودة بأموال كثيرة وجيش كبير([2]) بلغ عدد الجيش ألف فارس وخمسمائة من الرماة والجنادرية، وأسند قيادة هذه الحملة إلى المسعود الذي كان في سن البلوغ لذلك جعل والده إلىجانبه جمال الدين فليت اتابكاً له([3]) .

غادرت الحملة مصر في ١٧ رمضان سنة ٦١١هـ / ٢٠ كانون الثاني ١٢١٥م متجهة نحو اليمن عبر النيل إلىقوص ومنها براً إلي عيذاب . ثم بحراً إلى جدة . ومنها توجه نحو مكة لأداء العمرة فوصلوا مكة في ذي القعدة سنة ٦١١هـ / ١٥ نيسان١٢١٥م([4]) وبعد أداء العمرة توجه المسعود نحو اليمن ، فلما وصل حدود اليمن توجه إليه المؤيد بن القاسم صاحب المخلاف السليماني لاستقباله وتقديم الطاعة والولاء له ، فأحسن إليه المسعود وخلع عليه([5]).

السيطرة على تهامة وتعز وتعيين الولاة :

خرجت جماعة من قادة الأيوبيين الموجودين في زبيد وتهامة لاستقبال المسعود الأيوبي وتقديم الولاء والطاعة له وكان في مقدمتهم الأمير بدر الدين الحسن بن رسول وأخوه نور الدين عمر بن رسول بالإضافة إلى كبار قادة الجند ، ولما التقى بهم المسعود أكرمهم وخلع عليهم([6]) ثم توجهوا جميعاً نحو زبيد فدخلوها في مستهل المحرم سنة ٦١٢هـ / أيار١٢١٥م ، ثم توجه المسعود إلى دار السلطنة للإقامة بها([7]) منتظراً وصول المؤن القادمة إليه عن طريق البحر([8]).

أما سليمان الأيوبي فإنه لما علم بوصول المسعود إلى زبيد لم يذهب لاستقباله واعلان الولاء والطاعة له ، بل اتخذ موقفاً فيه الحذر والريبة من المسعود

---

١) زبارة : أئمة اليمن : ص ١٣٩،١٣٥، يحي بن الحسين : غاية الأماني : ج١ ص ٤٠٣.
٢) ابن الديبع : قرة العيون : ص ٤١٢،٤١١ ، الخزرجي : العسجد : ص ١٨٠.
٣) الخزرجي : العسجد : ١٨٠.
٤) محمد عبد العال : الأيوبيون : ص ٢٤٦.
٥) ابن حاتم : السمط : ص ١٦٦ ، جميل حرب : الحجاز واليمن في العصر الأيوبي : ص ١١١.
٦) ابن حاتم : السمط : ص ١٦٦، محمد عبد العال : الأيوبيون : ص ٢٤٧.
٧) الخزرجي : العسجد : ص ١٨١.
٨) ابن حاتم : السمط : ص ١٦٧.

فلجأ سليمان إلى حصن تعز للتحصن به (1) أما المسعود فقد اتخذ من جانبه أسلوبا سياسياً لمعالجة الموقف قبل الدخول في حرب مع سليمان ، وكذلك معرفة نوايا سليمان حول حكم اليمن ، وكذلك معرفة موقف الجند الأيوبي بها هل هم مع سليمان أم لا ، فأراد أن يعرض على سليمان أن يقاسمه حكم اليمن ، حيث يتولى سليمان الجبال والمسعود يتولى التهائم(المناطق الساحلية) (2) إلا أن هذه الفكرة لم تلق تأييدا من بعض القادة الأيوبيين في زبيد وعلى رأسهم الأمير بدر الدين الحسن بن رسول ، الذي نصح المسعود بعدم المصالحة مع سليمان ، وأشار عليه بأن يكتب إلى قائد الجند الموجود في تعز يأمره بإلقاء القبض على سليمان ، فعمل المسعود بمشورته وكتب إلى قائد الحصن ومن به من الخدم بإلقاء القبض على سليمان فألقوا القبض عليه ووضعوه تحت حراسة مشددة(3) إلى أن طلع المسعود إلى حصن تعز في يوم الأحد غرة شهر صفر سنة ٦١٢هـ / ١ حزيران ١٢١٥م(4) فتسلمه منهم وأرسله إلى مصر(5) وما أن استقر المسعود في تعز حتى قدم عليه اغلب القادة الأيوبيين من اليمن الأسفل معلنين له الولاء والطاعة(6) وبذلك أصبحت تهامة وتعز واليمن الأسفل تحت سلطة الملك المسعود الأيوبي.

وفي الوقت الذي كان المسعود يستقبل أكابر أمراء الأيوبيين قام بتوليتهم على بعض مناطق اليمن الأسفل ، وأقطعهم إياها ، فقد أقطع الأمير بدر الدين الحسن بن رسول القحمة(7) . وأقطع أخاه نور الدين عمر بن رسول صهبان(8)،

---

١) الخزرجي : العسجد : ص ١٨١.

٢) ابن حاتم : السمط : ص ١٦٧، الخزرجي : العسجد : ص ١٨١، محمد عبد العال : الأيوبيون : ص ٢٤٨.

٣) الخزرجي : العسجد : ص ١٨١، ابن حاتم : السمط : ص ١٦٧.

٤) الخزرجي : العسجد : ص ١٨١، محمد عبد العال : الأيوبيون : ص ١٤٨، ١٤٩.

٥) ابن حاتم : السمط : ص ١٦٧، الخزرجي : العسجد : ص ١٨١.

٦) الخزرجي : العسجد : ص ١٨١.

٧) القحمة : بلده خاربه بوادي ذؤال مابين بيت الفقيه والمنصورية . إليها ينسب جبل القحمة المعروف الان في بلاد المجاملة من مديرية بيت الفقيه وأعمال محافظة ألحديده (المقحفي : معجم البلدان والقبائل اليمنية : ج٢، ص ١٢٥١)

٨) صهبان : مخلاف مشهور من أعمال ذي السفال . جنوب آب بجوار (جبلة) (الحجري : مجموع بلدان اليمن وقبائلها : مج٢، ج٣، ص ٥٤٨.)

وأقطع جمال الدين فليت الكدراء ورمع([1]) ثم أقطعه صنعاء بعد ذلك ، كما أقطع الهلبة للمؤيد بن القاسم السليماني([2]) وكانت إقطاعيات المسعود آنذاك تعني إعطاء الأمير الأيوبي أرضا يساوى دخلها المالي صرفياته وجنوده.

استعادة ذمار وصنعاء وما حولها:

جهز الملك المسعود جيشاً كبيراً بقيادة الأتابك جمال الدين فليت وأوكل إليه استعادة ما سيطر عليه الإمام عبد الله بن حمزة([3]) الذي كان قد سيطر على صنعاء وذمار([4]) . أما الملك المسعود فقد فضل الاستقرار في تعز وذلك لإصلاح الأمور السياسية والإدارية بها، وبقية المناطق التي أصبحت تحت سيطرته.

سار الجيش الأيوبي من تعز حتى وصل إلى ذمار، وما إن وصلها حتى قدمت إليه الكثير من القبائل من أهل الحقول(الحقل) وسنحان وبني شهاب ، معلنة له الولاء والطاعة ، وطالبين المصالحة فاستقبلهم الأتابك جمال الدين فليت وأحسن إليهم وخلع عليهم الخلع والمال. وأقام بذمار فترة قصيرة أصلح فيها أمورها . ثم ترك بها حامية أيوبية واتجه نحو صنعاء([5]) ولما وصلت الأخبار إلى الإمام بقدوم جمال الدين فليت نحو صنعاء علم أنه غير قادر على البقاء بها ومقاومة الأيوبيين قام بتخريب دورهم وهي دار السلطنة ودور المعز حتى لا يستفيد منها الأيوبيون في التحصن والاستقرار، واتجه إلى حصن أنعم ثم كوكبان ، ولما وصل جمال الدين فليت إلى صنعاء وجدها خالية من الإمام وأنصاره فدخلها في ربيع الاخر سنة

---

١) رمع : واد مشهور من أودية اليمن التي تصب في البحر الأحمر وهو فيما بين وادي زبيد ووادي سهام وهو إلى زبيد اقرب ، وهو الفاصل بين جبال وصاب وجبال ريمة ومأتاه من غربي جهران على مسافة خمس مراحل من ساحل البحر الأحمر ويجتمع فيه أودية بلاد أنس الجنوبية وشمالي مغرب عنس وعتمة ووصاب وجنوبي ريمة وينفذ من بين وصاب وريمة فيسقي بلاد الزرانيق من تهامة وبلاد البدوة والقراشية من أعمال زبيد ويصب في البحر الأحمر (الحجري : مجموع بلدان اليمن وقبائلها : مج١، ج٢، ص ٣٧٠، ٣٧١.)

٢) ابن حاتم : السمط : ص ١٦٧.

٣) ابن حاتم : السمط : ص ١٦٨، محمد عبد العال : الأيوبيون : ص ١٤٩.

٤) الخزرجي : العسجد : ص ١٨٠، ابن حاتم : السمط : ص ١٥٤.

٥) ابن حاتم : السمط : ص ١٦٨، يحي بن الحسين : غاية الأماني : ج ١ ص ٤٠٤، محمد عبد العال : الأيوبيون : ص ٢٥٠.

٦١٢هـ / آب ١٢١٥م دون قتال ، ومعه من الجند ما يزيد على ستمائة فارس([1]) وبذلك نجد أن جمال الدين فليت قد أعاد سيطرة الأيوبيين على ذمار وصنعاء بعد أن كانت تحت سلطة الإمام.

بعد أن استقر جمال الدين فليت في صنعاء فترة قصيرة خرج لمحاربة الإمام ، وأخذ الحصون والقلاع منه في شمال وغرب صنعاء ، فاتجه نحو حصن أنعم وحاصره حتى أخذه بالقوة ، ثم توجه نحو شبام كوكبان والمناطق القريبة منها فحارب أهلها حتى أخضعهم لسلطانه ، ثم عاد جمال الدين فليت إلى صنعاء وأخذ يشن الغارات على الحصون القريبة منها حتى استولى على اغلبها وأخذ الرهائن ضماناً لاستمرار طاعة الأهالي له وسن الحقوق المالية الواجبة عليهم وعدم الخروج عليه، ثم توجه بعد ذلك إلى تعز([2]).

الصلح بين ابن فليت والإمام:

استقر جمال الدين فليت فترة قصيرة في تعز، ثم عاد إلى صنعاء، وبدأ بمواصلة الحرب ضد الإمام، فخاف منه الإمام ، وأدرك أنه غير قادر على محاربته ، خاصة بعد أن وصل جمال الدين فليت إلى أسفل حصن مدع([3]) فما كان من الإمام إلا أن أسرع بمراسلة جمال الدين فليت يطلب منه عقد الصلح فقبل جمال الدين فليت ذلك ، وعقد الصلح بينهما على أن يبقى جمال الدين فليت مسيطراً على المناطق التي استولى عليها من الإمام ، وأن يدفع الإمام كل شهر عشرين حصاناً وعشرين جملاً ، وأن يطلق الإمام أولاد محمود العجمي والي صنعاء السابق، وبالمقابل اشترط الإمام على جمال الدين فليت إطلاق جميع الرهائن الذين أخذهم من حصن أنعم ، وتم عقد الصلح في ٧محرم سنة ٦١٣هـ / نيسان ١٢١٦م([4])

---

١) يحيى بن الحسين : غاية الأماني : ج١ ص ٤٠٥، ابن حاتم : السمط : ص ١٦٨.

٢) ابن حاتم : السمط : ص ١٦٨، ١٦٩، يحيى بن الحسين : غاية الأماني : ج١ ص ٤٠٥.

٣) حصن مدع: جبل وحصن منيع يطل على مدينة ثلاء من الغرب الشمالي وفي سفحه تقع قرية(مدع) ، وهو منسوب إلى مدع بن سعد بن عوف.(الهمداني : صفة جزيرة العرب : ص ١٢٣)

٤) ابن حاتم : السمط : ص ١٧٠، يحي بن الحسين : غاية الأماني : ج١ ص ٤٠٥، زبارة: أئمة اليمن : ص ١٤١، محمد عبد العال : الأيوبيون : ص ٢٥١.

ولمدة ستة عشر شهرا([1]) وبعد عقد الصلح أناب جمال الدين فليت على صنعاء جمال الدين كونج، وترك معه حامية تقدر بثلاثمائة فارس ، وعاد إلى تعز وأقام بها حتي نهاية سنة ٦١٣هـ / ١٢١٦م.

وأثناء إقامة جمال الدين فليت في تعز حدث نزاع قبلي بين القبائل حول السيطرة على الحصون القريبة من صنعاء، وانقسموا إلى قسمين قسم وقف إلى جانب الإمام، والقسم الآخر وقف مع الأيوبيين.

من ناحية قبائل سنحان بقيادة الشيخ راشد بن المظفر، فقد خرجوا عن طاعة الأيوبيين ومالوا إلى الإمام ، وقاموا بالسيطرة على حصن (كنن) مما أدى إلى قطع حركة التواصل والإمدادات بين الجيش الأيوبي في صنعاء ومركز الدولة الأيوبية في تعز ، بالإضافة إلى سيطرتهم على حصن (براش)المطل على صنعاء من شرقها ، وقد أمدهم الإمام بالجند والمال حيث أرسل إليهم ابنه عز الدين الذي وصل إليهم في مستهل المحرم سنة ٦١٤هـ / نيسان ١٢١٧م ، ومن جانب آخر لم يقف بنو حاتم مكتوفي الأيدي ، فلما علموا بوقوف سنحان إلى جانب الإمام، ومحاولتهم الاتجاه إلى صنعاء للاستيلاء عليها ، توجه مسعود بن علي بن حاتم وابن عمه علوان بن بشر بن حاتم بجمع من قبائل همدان إلى صنعاء وأقاموا بها مناصرين للأيوبيين ضد الإمام وقبائل سنحان ، ومدافعين عن صنعاء حتى لا تتمكن قبيلة سنحان وعز الدين محمد بن الإمام من الاستيلاء عليها ، وأثناء ذلك وصلت الأخبار إلى ابن فليت باضطراب أمر صنعاء فأسرع بالتوجه نحوها ، فلما وصل إلى بئر الخولاني بدأ بحصار جبل (كنن) وجرت بينه وبين أنصار الإمام في سنحان عدة معارك([2]).

من الملاحظ أن قبائل سنحان استغلت عدم وجود قوة كبيرة من الأيوبيين في صنعاء فحاولت الاستيلاء عليها وعلى من حولها من الحصون ، وربما كان ذلك بإيعاز من الإمام .إلا أن وقوف بني حاتم إلى جانب الأيوبيين أدى إلى عدم تمكنهم

---

١) زبارة : أئمة اليمن : ص ١٤١، محمد عبد العال : الأيوبيون (مدة الصلح ثلاثة عشر شهراً) ص ٢٥١.

٢) ابن حاتم : السمط : ص ١٧٠، ١٧١، الخزرجي : العسجد : ص ١٨٢، يحيى بن الحسين : غاية الأماني : ج١ ص ٤٠٥، زبارة : أئمة اليمن : ص ١٤١، محمد عبد العال : الأيوبيون : ص ٢٥٢، ٢٥٣.

من ذلك ، كما أن صنعاء ، والحصون القريبة منها كانت تابعة لبني حاتم وهم لا يتقبلون أن يستولى على حصونهم قبائل أخرى لذلك وقفوا إلى جانب الأيوبيين.

لم تمض مدة طويلة على فرض جمال الدين فليت الحصار على جبل (كنن) حتي توفي الإمام عبد الله بن حمزة في كوكبان في ١٢ محرم سنة ٦١٤هـ / نيسان ١٢١٧م وأقيم ابنه عز الدين مكانه ، فاستمر في محاربة ابن فليت عدة أيام ، ثم ما لبث أن توفي الأتابك جمال الدين بن فليت الذي توفي في معسكره في بئر الخولاني في يوم الخميس سلخ شهر ربيع الأول سنة ٦١٤هـ / أول تموز ١٢١٧م وقبر في صنعاء في اليوم التالي[١] .

كانت وفاة الإمام عبد الله بن حمزة خسارة كبيرة للزيدية ، فقد شهدت تراجعاً وضعفا كبيراً للغاية، مما أتاح للأيوبيين فرصة السيطرة على المناطق التي كانت تسيطر عليها.

توسعات المسعود:

ما إن وصلت الأخبار إلى مسامع الملك المسعود بوفاة جمال الدين فليت حتى توجه مسرعاً إلى اليمن الأعلى وذلك لمحاربة الزيدية وأنصارهم ، فسار حتى وصل بئر الخولاني فعسكر بها في مستهل جمادى الأولى سنة ٦١٤هـ / آب ١٢١٧م ، ثم توجه نحو حصن (براش) فحاصره وأخذه بالقوة وأحسن إلى نساء وأولاد الشيخ راشد بن المظفر ـ الذين كانوا في الحصن ـ وأرسلهن إلى حصن اشيح في أنس كعامل ضغط على أهل سنحان وأنصار الزيدية، ثم توجه إلى صنعاء فدخلها في اليوم الثامن من الشهر نفسه[٢].

على إثر أسر المسعود لنساء الشيخ راشد وكذلك موت الإمام الزيدي ، توجه الشيخ راشد إلىالمسعود طالباً منه المصالحة وباذلاً الولاء والطاعة ، نتج عن تلك المصالحة أن رحلت قوات الإمام من حصن(كنن) في ٢٥جمادى الأولى سنة

---

١) الخزرجي : العسجد : ص ١٨٢، ابن حاتم : السمط : ص ١٧١، ١٧٢.

٢) ابن حاتم : السمط : ص ١٧٢، الخزرجي : العسجد : ص ١٨٢.

٦١٤هـ / ٣٠ آب ١٢١٧م حيث استولى عليه الأيوبيون في اليوم التالي دون قتال. وبذلك تمكن المسعود من إنهاء التمرد القبلي المناصر للإمام في سنحان . وبذلك انتهت خطورة تهديدهم لصنعاء([١]) .

بعد ذلك توجه المسعود نحو حصن كوكبان فأخذه من عز الدين دون قتال ، وذلك عائد إلى عدم مقدرة الزيدية المدافعة عن الحصن ومقاومة الأيوبيين ، ومن الواضح أن الزيدية ضعفت بعد وفاة الإمام عبد الله بن حمزة ، وتخلت القبائل عن مناصرتها ، لذلك تم الاتفاق بين المسعود والزيدية على المصالحة بعدم الحرب، بعدها عاد المسعود إلى صنعاء وعين جمال الدين كونج والياً عليها ثم عاد إلى تعز([٢]).

بقي المسعود يتنقل بين تعز وصنعاء مرات عديدة بغرض إصلاح أحوالها السياسية والعسكرية ، وعدم إتاحة الفرصة للزيدية وأنصارهم محاولة السيطرة على صنعاء ، ففي شهر رمضان سنة ٦١٥هـ / تشرين الثاني ١٢١٨م طلع المسعود إلى صنعاء ، واستولى على عدد من المناطق مثل ظفار في الظاهر، والجوف ، ثم حوث ، وشوابة ، وريده ، وأصبحت هذه المناطق تحت سيطرة الأيوبيين ، كما لم تظهر أي منطقة من هذه المناطق أية مقاومة ضد الأيوبيين، وهذا يظهر مدى الضعف الذي وصلت إليه قوات الزيدية في تلك المناطق ، ثم عاد المسعود إلى صنعاء في السنة نفسها، وبذلك يكون المسعود قد سيطر على كثير من مناطق الزيدية ، كما نجد أن المسعود قد اتخذ الأسلوب نفسه الذي اتبعه الأيوبيون السابقون له في الحكم ، باستمرار الطلوع إلى اليمن الأعلى ، ولما رأى الزيدية عدم قدرتهم على مقاومة المسعود ، طلبوا منه الصلح فوافق المسعود على ذلك ، وتمت المصالحة لمدة سنة ، في شهر رجب سنة ٦١٦هـ / أيلول ١٢١٩م([٣]).

---

١) الخزرجي : العسجد : ص ١٨٢، ابن حاتم : السمط : ص ١٧٢.

٢) ابن حاتم : السمط : ص ١٧٣، الخزرجي : العسجد : ص ١٨٢، زبارة : أئمة اليمن : ص ١٤٤.

٣) الخزرجي : العسجد : ص ١٨٣، ابن حاتم : السمط : ص ١٧٣، يحيى بن الحسين : غاية الأماني : ج١ ص ٤٠٩، الحداد :التاريخ العام : ج ٢ص٤٢٣، محمد عبد العال : الأيوبيون : ص ٢٥٧.

استمر طلوع المسعود إلى اليمن الأعلى ففي رجب سنة ٦١٧هـ / أيلول ١٢٢٠م، توجه من تعز إلى صنعاء ومنها سار إلى حصن(بكر) وفرض عليه الحصار، وكان فيه بعض أولاد الإمام واستمر الحصار ثمانية أشهر، وكان عز الدين محمد بن عبد الله بن حمزة قد حاول أن يخفف الضغط على الحصن ، فجهز حملة إلى تهامة بهدف إجبار المسعود على رفع الحصار، وكذلك تحقيق مكاسب في تهامة على حساب نفوذ المسعود في تلك المناطق ، إلا أنه فشل بسبب انقسام الزيدية على نفسها حينما خرج سليمان بن موسى الحمزي وانضم إلى المسعود ، فاضطر بعدها عماد الدين يحيى بن حمزة أن يبيع الحصن للمسعود بعشرة ألاف دينار مصرية ، وتسلمه المسعود في مستهل ربيع سنة ٦١٨هـ / نيسان ١٢٢١م ، ثم عاد بعدها المسعود إلى صنعاء ، وأقطعها للأمير بدر الدين الحسن بن رسول، وتوجه بعدها المسعود إلى زبيد (١).

وأثناء ذلك خرج أمراء مكة عن طاعة الأيوبيين ، بقيادة الحسن بن قتادة ، فاتجه المسعود من زبيد إلى مكة لقتاله ، ولما وصل المسعود مكة جرت معركة بين الفريقين في المسعى بمكة انهزم فيها ابن قتادة وولى هارباً وذلك في ربيع الأول سنة ٦١٩هـ / نيسان ١٢٢٢م ، وبعد أن تم للمسعود الاستيلاء على مكة ، ولى عليها الأمير نور الدين عمر بن رسول(٢) وجعل معه حامية من ثلاثمائة فارس، ثم عاد إلى زبيد في جمادي الأولى من السنة نفسها(٣).

وأثناء ولاية الأمير نور الدين عمر بن علي بن رسول على مكة. وبعد خروج المسعود منها ، جمع الشريف حسن بن قتادة جيشاً من ينبع وقصد به مكة لانتزاعها من الأيوبيين ، ولكن نور الدين عمر بن رسول خرج إليه على رأس جيش من مكة ، وتمكن من هزيمة حسن بن قتادة الذي ولى هارباً ، وقتل جماعة

---

١) ابن حاتم : السمط : ص ١٧٤، الخزرجي : العسجد : ص ١٨٣، يحيى بن الحسين : غاية الأماني : ج١ ص ٤٠٩، الحداد : التاريخ العام : ج٢ ص٤٢٤، ٤٢٥، محمد عبد العال : الأيوبيون : ص ٢٥٩.

٢) الخزرجي : العسجد : ص ١٨٣، ابن حاتم : السمط : ص ١٧٣.

٣) ابن حاتم : السمط : ص ١٧٥، محمد عبد العال : الأيوبيون : ص ٢٦١.

من عسكره وتفرق الآخرون. وإزاء ذلك شكر المسعود لنور الدين عمله هذا . ولكنه طلب منه العودة إلى اليمن ليتولى أحد مناطقها([1]) .

ونتيجة الهدوء النسبي لأوضاع اليمن السياسية آنذاك . أو بسبب تخلخل أوضاع الأيوبيين السياسية في مصر والشام ربما أراد المسعود الحصول على ولاية أفضل من اليمن، فضلاً عن انه رغب في زيارة أسرته في مصر ، فاتجه من زبيد نحو الديار المصرية في منتصف رمضان سنة ٦٢٠هـ / تشرين الأول ١٢٢٣م([2]). واستخلف على اليمن الأمير الحسام لؤلؤ([3]).

حركة مرغم الصوفي:

انتهز مرغم الصوفي([4]) فرصة توجه المسعود إلى مصر فحاول أن يدعو الناس إلى طاعته وأخبرهم أنه داعية للإمام الحق ، فانضم إليه الكثير من الناس من أهل الحقل ، وقبائل جنب وعنس ، وبني سيف([5]) وأهل عتمة، بالإضافة إلى أهل جبل([6]) مسلم المسمى سمحر([7])، وكان مرغم هذا رجلاً من الصوفية تحلى بزي الفقراء النساك([8]) من أجل كسب الناس وتأييدهم لدعوته.

---

١) ابن حاتم : السمط : ص ١٧٥، محمد عبد العال : الأيوبيون : ص ٢٦١.

٢) الخزرجي : العسجد : ص ١٨٣، ابن حاتم : السمط : ص ١٧٦.

٣) ابن حاتم : السمط : ص ١٧٦، الخزرجي : العسجد : ص ١٨٤.

٤) كان يلقب بالعبد الصالح واسمه مرغم بن منيف الصوفي الحميري النسب من قوم أولي بأس وقوة وسلطان وسطوة يسكنون بلد حمير القريبة من النعمان وصاب . ورغم ما كان عليه مرغم من صلاح وتقشف وزهد وورع فقد كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب قليل البضاعة من العلم بل اتخذ التصوف حرفة ارتدى به وتأزر. وأول ما بدأ من أعمال أنه انذر عشيرته الأقربين وحذرهم من مغبة الظلم ونهاهم عن العسف والجبروت فلم ينتهوا ولم يجيبوا صوته ففارقهم زاعماً أن هاتفاً أهاب به بالانتقال إلى يحصب العلو ليظهر الحق على يديه وفعلاً أجاب هذا الصوت المدوي في أعماق مشاعره ونزل قرية (سمحر) من جبل بني مسلم في يحصب العلو فأحلوه دار كرامتهم وأجلوه إجلال تعظيم وتقدير وكانوا له نعم العون والناصر ومن ذلك الحين ما زال يعلو أمره وينتصر إلى أن قتل (ابن الديبع : قرة العيون : ص ٢٩٤،٢٩٥)

٥) بنو سيف : من قبائل يحصب السفل ، منازلهم في مديرية القفر وأعمال إب (المقحفي : معجم البلدان والقبائل اليمنية :ج١، ص ٨٣٥.)

٦) الخزرجي : العسجد : ص ١٨٤، ابن حاتم : السمط : ص ١٧٦.

٧) سمحر : جبل وبلدة في بلاد يريم وهو من ارفع الجبال ، يرى من مسور على مسيرة ست مراحل وله ذكر في قصة مرغم الصوفي (الحجري : مجموع بلدان اليمن وقبائلها : مج٢، ج٣، ص ٤١٧.)

٨) ابن حاتم : السمط : ص ١٧٦.

ولما انتشرت دعوته بين الناس ، وعلم بها الحسام لؤلؤ الأيوبي كلف نور الدين عمر بن رسول بالتوجه لحربه ، فسار نور الدين بجيشه ، ومعه الشيخ راشد بن المظفر بن الهرش السنحاني ، وما إن وصلوا إليه حتى فاجأهم مرغم وأنصاره بالقتال ، وأسفرت المعركة التي وقعت في ٢٥جمادى الآخرة سنة ٦٢٣هـ / حزيران ١٢٢٦م عن انهزام الأيوبيين ، والتجأ نور الدين عمر بمن بقي معه إلى التحصن بحصن ذروان([1]) في ذمار، وقتل الشيخ راشد. وكان سبب قتله هو ترصد أنصار مرغم له لقوله عنهم (وما قدر بني شريم حتي يقيموا لهم إماما ـ يعني بني شريم هؤلاء المذكورين أهل عتمة وسمحر) ومن أجل ذلك رتبوا أمرهم على قتله إذا وقعت الحرب ، فلما كان القتال ترصدوا له وقتلوه . وكان قتله سبباً في هزيمة الأيوبيين([2]).

وبعد انهزام الأيوبيين بقي نور الدين عمر في قلة من أصحابه في حصن (ذروان) تحاصره القبائل المناصرة لمرغم الصوفي واشتد الحصار على نور الدين عمر وأتباعه وزاد الطمع فيهم ، لذلك استنجد بأخيه بدر الين الحسن بن رسول والي صنعاء ، وسرعان ماجهز بدر الدين جيشاً كبيراً من صنعاء وتولى قيادته بنفسه . وترك على صنعاء علاء الدين سنقر السيفي متولياً عليها في جماعة من الجند، وكان خروج بدر الدين من صنعاء يوم الأحد ١٠ رجب سنة ٦٢٣هـ / حزيران ١٢٢٦م . وأثناء سيره إلى حصن (ذروان) اعترضه أهل سنبان([3]) وحاولوا منعهم من الوصول إلى الحصن فحدث قتال شديد بين الطرفين ، وانتهى بهزيمة أهل سنبان وقتل الكثير منهم ، ولما وصلت الأخبار بقتل أهل سنبان وقدوم بدر الدين بجيشه إلى مسامع المحاصرين لحصن ذروان خافوا على أنفسهم

١) ذروان : جبل صغير فوق قرية منكث من مركز بني منبه وأعمال يريم (المقحفي : معجم البلدان والقبائل اليمنية : ج١، ص ٦٤٧.)

٢) الخزرجي : العسجد : ص ١٨٤، ابن حاتم : السمط : ١٧٦، محمد عبد العال : الأيوبيون : ص ٢٦٣، ٢٦٤.

٣) سنبان : بالتحريك . بلد من نواحي ذمار اليمن (ياقوت : معجم البلدان : مج٣، ج٥، ص ٧٧.)

وانصرفوا عن محاصرة حصن ذروان قبل وصول بدر الدين والأيوبيين إليهم([1]) وبذلك تمكن بدر الدين من فك الحصار عن أخيه .

هزيمة الزيدية على مشارف صنعاء:

استغل عز الدين بن محمد الإمام المنصور عدم وجود الملك المسعود في اليمن ، وخلو صنعاء من بدر الدين وجيشه حيث كان قد ذهب لمناصرة أخيه نور الدين عمر حينما حاصره مرغم الصوفي ، ولذلك أصبحت صنعاء خالية من القوات الأيوبية ، مما دفع عز الدين محمد بن حمزة إلى حشد جموع كبيرة من أنصاره ، بلغ عددهم سبعمائة فارس وراجل ، فساروا سنة ٦٢٣هـ م ١٢٢٦م حتى وصلوا ريعان([2]) بالقرب من صنعاء فعسكروا بها ، ثم اتجهوا إلى(عصر) وعسكروا بها في انتظار التهيؤ لدخول صنعاء، في حين سارع بنو حاتم الذين تحالفوا مع الأيوبيين على المناصرة ، لما علموا بقدوم الزيدية نحو صنعاء للاستيلاء عليها ، جمعوا الكثير من قبائل همدان تحت قيادة سالم بن علي بن حاتم وعلوان بن بشر بن حاتم للوقوف مع الأيوبيين ضد الزيدية ، وما إن وصلوا إلى صنعاء حتى أسرعوا مع الأيوبيين إلى عصر لمقاتلة الزيدية([3]).

وفي الوقت الذي كان فيه الإمام عز الدين بجيشه في (ريعان) أسرع الأيوبيون الذين كانوا في صنعاء إلى مكاتبة بدر الدين يخبرونه بقدوم الزيدية إليهم وما إن علم بدر الدين بهذا الخبر حتي أسرع بالعودة نحو صنعاء مع أخيه نور الدين عمر قبل القضاء على مرغم وقواته ، ثم ساروا حتى دخلوا صنعاء في ٢٦رجب سنة ٦٢٣هـ / ١٢٢٦م أثناء ما كان الأيوبيون وبنو حاتم والزيدية متقابلين

---

١) ابن حاتم : السمط : ص ١٧٨، ١٨٠، محمد عبد العال : الأيوبيون : ص ٢٦٣، جميل حرب : الحجاز واليمن في العصر الأيوبي : ص ١١٢.

٢) ريعان : قرية وواد في غربي صنعاء بعد منطقة (الصباحة) الواقعة أعلى جبل عصر . والقرية لها سور وتقع فوق تل صخري ، وأسفلها واد بين جبلين ، أكثر مزروعاته الحبوب وأنواع الخضار. وفي أسفل الوادي كان يقوم حاجز سد ريعان الذي يعود إلى أيام الحميريين (المقحفي : معجم البلدان والقبائل اليمنية : ج١، ص ٧٢٢.)

٣) يحيى بن الحسين : غاية الأماني : ج١ ص ٤١٥، ابن حاتم : السمط : ص ١٨٠، محمد عبد العال : الأيوبيون : ص ٢٦٤، ٢٦٥.

في عصر استعداد للحرب([1]) وعند وصولهم إلى صنعاء اخذوا وقتاً لإراحة جنودهم من عناء السفر ، والمحافظة على صنعاء إذ دبرت الزيدية حيلة لدخولها أثناء القتال ، وبدؤوا بوضع خططهم لمواجهة الزيدية ، وبعد استراحة الجند سرعان ما توجه بدر الدين بجيشه إلى عصر حيث دارت معركة عنيفة استبسل فيها الطرفان واستماتا من أجل النصر واستمر القتال حتى دنا الليل وحل الظلام وأسفرت المعركة عند دخول الليل عن هزيمة الزيدية. وقتل الكثير منهم وإصابة عز الدين بنشاب في عينه أصابها العور وعلى أثرها مات في ذي الحجة من السنة نفسها ،وانهزم من تبقى منهم فارين إلى (ثلاء) تاركين الكثير من سلاحهم فاخذ بدر الدين ما تركوه فيها من المؤن ثم عاد إلى صنعاء ([2]) وبذلك تمكن بدر الدين من هزيمة الزيدية ومنعهم الاستيلاء على صنعاء.

عودة المسعود إلى اليمن والقبض على بني رسول :

بقي المسعود على متابعة مستمرة لأخبار اليمن ، وما إن وصلت إليه أخبار بني رسول وتمكنهم من القضاء على حركة مرغم الصوفي ، وإنزالهم الهزيمة بالزيدية ، حتى خشي المسعود منهم ومن استقلالهم بحكم اليمن لما عرف عنهم من الشجاعة والبطولة ، لذلك أسرع المسعود في العودة إلى اليمن فوصل تعز في ١٧صفر سنة ٦٢٤هـ / ٧ شباط ١٢٢٧م ، ومنها توجه نحو بلاد بني سيف في عتمة لمعاقبة أنصار مرغم الصوفي فأخرب عليهم بلدتهم بكاملها وعاد إلى تعز([3]).

قام المسعود بالقبض على أولاد بني رسول وهم بدر الدين الحسن وفخر الدين أبو بكر وشرف الدين موسى، وأرسلهم إلى مصر، عدا نور الدين عمر بن رسول للعلاقة الجيدة التي تربطه به ، وقد يكون للحسام لؤلؤ دور في إفساد العلاقة بين بني رسول والمسعود ، حسداً لهم على ما وصلوا إليه من سمعة ومكانة بعد ما

١) يحيى بن الحسين : غاية الأماني : ج١ ص ٤١٥، الخزرجي : العسجد : ص ١٨٤، محمد عبد العال : الأيوبيون : ص ٢٦٥.

٢) الخزرجي : العسجد : ص١٨٥، يحي بن الحسين : غاية الأماني : ج١ ص ٤١٥، ابن حاتم : السمط : ص ١٨٢، الحداد : التاريخ العام : ج٢ ص ٤٢٧، محمد عبد العال : الأيوبيون : ص ٢٦٦.

٣) يحيى بن الحسين : غاية الأماني : ج١ ص ٤١٦، ابن حاتم : السمط : ص ١٩٤، الحداد : التاريخ العام : ج٢ ص٤٣٠، ٤٣١، محمد عبد العال: الأيوبيون : ص ٢٧١، ٢٧٢.

حققوه من انتصارات على مرغم الصوفي وحركته ، وهزيمتهم للزيدية ، كما نجد أنه بعد أن قبض المسعود على بدر الدين الذي كان والياً على صنعاء ولى على صنعاء بدلاً منه الحسام لؤلؤ([1]) وعلى الرغم من عودة المسعود إلى اليمن إلا أنه لم يبق بها طويلاً ، حيث بدأ بالتجهيز للسفر إلى مصر، وذلك بسبب دعوة أبيه الملك الكامل إليه بالحضور إلى مصر ، وذلك بعد موت عمه الملك المعظم عيسى والي دمشق. لذلك توجه المسعود عائداً نحو الديار المصرية عله يحظى بولاية دمشق في الشام.

أناب المسعود عنه في حكم اليمن نور الدين عمر بن رسول وقال له : (تقف أنت نائباً حتى يصلك أمرنا بتسليم البلاد لمن يتعين له) ([2]) وعين والياً على صنعاء نجم الدين أحمد بن أبي زكريا، وتوجه نحو مصر ومعه الحسام لؤلؤ، فلما وصل إلى مكة توفي بها في ١٣جمادي الأولى سنة ٦٢٦هـ / نيسان ١٢٢٩م ودفن بها. فقام الحسام لؤلؤ بتوصيل خزانة المسعود وأولاده وأمواله إلى والده في مصر([3]).

وهكذا تمكن المسعود من قيادة الأيوبيين في اليمن بكفاءة عالية حيث لم نلحظ خلال عهده أي انشقاق أو تمرد من القادة الأيوبيين ، كما تمكن من بسط نفوذ الدولة الأيوبية على كامل بلاد اليمن ، وأخرج بني حمزة من ذمار وصنعاء ومناطق أخرى شمال صنعاء وعلى مقربة من صعدة، وقد ساعده على ذلك موت الإمام الزيدي عبد الله بن حمزة . وعدم ظهور إمام يتمتع بما في شخصيته وقوته كما اعتمد المسعود على قيادات كفوءة ومحنكة أمثال بني رسول الذين حققوا انتصارات عديدة على خصوم الدولة، وبعد هذا المجهود الذي بذله المسعود في توحيد اليمن أراد العودة إلى مصر إلا أن الأجل وافاه في الطريق وبانتهاء المسعود انتهى الحكم

---

١) ابن حاتم : السمط : ص ١٩٤ ، يحيى بن الحسين : غاية الأماني : ج١ ص ٤١٦، الحداد : التاريخ العام : ج٢ ص ٤٣١، محمد عبد العال: الأيوبيون : ص ٢٧٠.

٢) ابن حاتم : السمط : ص ١٩٥.

٣) يحيى بن الحسين : غاية الأماني :ج١ ص ٤١٣، ابن حاتم : السمط : ص ١٩٥، الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١، ص ٤٣،٤٢، الحداد : التاريخ العام : ج٢ ص٤٣١، ٤٣٢ ، محمد عبد العال : الأيوبيون : ص ٢٧٣.

الأيوبي لليمن. فقد ظل عمر بن رسول نائباً للأيوبيين لمدة عامين ثم أعلن استقلاله عنهم في ٦٢٨هـ/ ١٢٣١م،وبذلك انتهى الحكم الأيوبي لليمن.

نهاية الدولة الأيوبية وقيام الدولة الرسولية

عوامل ضعف النفوذ الأيوبي في اليمن

لو حاولنا معرفة عوامل ضعف النفوذ الأيوبي في اليمن ،التي أدت في النهاية إلى زوال الحكم الأيوبي منها لوجدنا بعض هذه العوامل قد بدأت مع قيام الدولة الأيوبية في اليمن.

وأول هذه العوامل : كراهية بعض الملوك الأيوبيين لليمن وعدم ارتياحهم للإقامة فيها مثل الملك توران شاه الذي لم يستطع الإقامة في اليمن أكثر من سنة واحدة قضاها في الحروب للاستيلاء علي اليمن ، وقرر بعد ذلك السفر إلى الشام وترك اليمن على الرغم من إغراء أخيه صلاح الدين الأيوبي له بالإقامة فيها لأنها مملكة واسعة وقطر مبارك كثير الخيرات([١]) وهناك من يقول إن توران شاه قد كره الإقامة في اليمن لعدم توافر الكماليات ووسائل الرفاهية([٢]) .

وقد أدى سفر توران شاه من اليمن إلى اضطراب أحوالها واستقلال نوابه بما تحت أيديهم من البلاد ، ولولا يقظة صلاح الدين الأيوبي وحرصه الشديد على توحيد اليمن ، وتقوية النفوذ الأيوبي فيها لزال النفوذ الأيوبي.

ومن الحكام الأيوبيين الذين لم يستقروا في اليمن حتى نهاية حكمهم الملك المسعود بن الكامل الذي غادر اليمن سنة ٦٢٦هـ/١٢٢٩م . وقيل إن سبب خروجه من اليمن هو كراهة الإقامة فيها بسبب ما أصابه من المرض الشديد([٣]) وقيل غير ذلك.

ومهما يكن من أمر فإن خروج المسعود من اليمن قد أضعف النفوذ الأيوبي فيها ، وأتاح الفرصة للأمير نور الدين عمر بن علي بن رسول للاستقلال بها .

ومن العوامل التي ساعدت على ضعف النفوذ الأيوبي في اليمن : سوء سياسة المعز إسماعيل بن طغتكين (٥٩٣ـ ٥٩٨هـ /١١٩٧ـ ١٢٠٢م) وضعف الحكام الأيوبيين الذين جاؤوا بعده.

---

١) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، مج١، ص ٣٠٧، ٣٠٨.

٢) ابن الديبع : قرة العيون : ص ٢٧٠.

٣) ابن واصل: جمال الدين محمد بن سالم بن واصل (ت ٦٩٧هـ / ١٢٩٧م) مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، (الجزء الرابع) تحقيق د. حسنين محمد ربيع ، وزارة الثقافة والإعلام، مصر، مطبعة دار الكتب، القاهرة، سنة ١٩٧٢م: ج٤، ص ٢٥٩.

فقد انتهج المعز اسماعيل بن طغتكين سياسة تختلف عن سياسة العدل والتسامح التي سار عليها والده الملك العزيز طغتكين بن أيوب ، مما جعل الناس تكره فترة حكمه ، بل تعاونت مع أعدائه ، كما نجده قد أساء إلى مماليك أبيه ، وكبار قادة الجيش ، مما أدى إلى تفرقهم عنه وانضمام أكثرهم إلى الإمام المنافس الإمام عبد الله بن حمزة ، وأصبح في كثير من الأحيان يحارب القواد الأيوبيين المتمردين عليه أكثر مما يحارب قوات الإمام .

وارتكب المعز اسماعيل بعض الأعمال التي أساءت إليه وإلى الحكم الأيوبي في اليمن على وجه العموم ، ومن هذه الأعمال أنه ادعى الخلافة([1]). ولبس ثيابها ، وانتسب إلى بني أمية ، وقد أنكر عليه عمه الملك العادل ادعاءه الخلافة وانتسابه إلى بني أمية ، ونهاه عن الاستمرار في ذلك ولكنه لم ينته([2])

وفي الوقت نفسه امتنع الأيوبيون في مصر والشام عن إرسال الإمدادات والمساعدات إليه في اليمن ، وأخذوا يروجون لحملة دعائية كبيرة ضده غطت معظم كتب التاريخ المعاصرة واللاحقة التي نسبت إليه فظائع وجرائم لا يصدقها العقل وتقشعر منها الأبدان ، ومن هذه التهم أنه ادعى الربوبية ، وأمر كاتبه أن يكتب من مقر الإلهية([3])، وانه ادعى النبوة([4])، وانه كان يأكل لحوم البشر([1])، وانه

---

1) جاء في معجم البلدان لياقوت في مادة شخب حول سبب ادعاء الملك المعز الخلافة أنه نازل أحد حصني كهال أو شخب ليأخذه من مالكه فامتنع عليه يومين أو ثلاثة إذ نزلت صاعقة من السماء فأهلكت مالكه ومستحفظه وجماعة غيرهما فاضطر من بقي فيه إلى تسليمه إليه بعد طلب الأمان ، ثم انتقل بعد ذلك إلى الحصن الذي يليه فحدث على من فيه ما حدث على من في الأول ، وفي الأخير سلموا له صلحاً فأصابه الغرور فادعى الخلافة لنفسه بعد خلاف حصل بينه وبين الخليفة العباسي الناصر لدين الله أحمد بن المستضيء(ياقوت : معجم البلدان : مج٣، ج٥، ص ١٢٨،١٢٩).

هذه رواية ياقوت ، والذي نرجحه أن سبب ادعائه الخلافة هو رغبته في التمتع بمظاهر الخلافة التي شاهدها في بغداد وأعجب بها وأحب إن يقلدها فادعى الخلافة ولبس لباسها الثياب الثمانية والعشعارية ، ذات الأكمام الطويلة ، وهي التي جعلته غير قادر على القتال عندما قتلوه إثناء خروجه من زبيد. أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر : ج٢، ص ١٩٢، الكبسي : اللطائف السنية : ص ١٠١.

2) يحيى بن الحسين : غاية الأماني : ج١، ص ٣٥٦، ابن حاتم : السمط : ص ٧١ ، المقريزي : السلوك : ج١، ص ٢٧٢ ، ابن الديبع : قرة العيون : ص ٢٨٥، ٢٨٦، العرشي : بلوغ المرام : ص ٤١.

3) ابن واصل : مفرج الكروب : ج٣، ص ١٣٧، المقريزي : السلوك : ج١، ص ٢٧٢،

4) المقريزي : السلوك : ج١، ص ٢٧٢.

ترك مذهب أهل السنة وانتسب إلى مذهب الباطنية الإسماعيلية([2]) إلى غير ذلك من التهم الباطلة.

ومهما يكن من شيء فإن سياسة المعز الشديدة مع الرعايا والجنود والقادة والأمراء أضعفت قوة الدولة الأيوبية في اليمن ، ورفعت معنويات خصومها ، وفي مقدمتهم الإمام عبد الله بن حمزة وبنو حاتم ، وأدت في النهاية إلى قتله على يد جنوده من الأكراد ، وفتحت ميدان التنافس والصراعات بين قادة الجيش والأمراء على السلطة .

وقد أدى قتل المعز اسماعيل وعدم وجود خليفة قوي إلى اضطراب أحوال الأيوبيين في اليمن ، ولم ينقذ الوجود الأيوبي في اليمن من التدهور إلا قيام الأمير سيف الدين سنقر(الأتابك) بأمور الملك نيابة عن الملك الناصر أيوب بن طغتكين الذي عين ملكاً بعد مقتل أخيه المعز اسماعيل بن طغتكين ، وقد كان صغيراً لا معرفة له بشؤون الحكم وفي عهده ظهر منصب أتابك العسكر وقد شغله الأمير سيف الدين سنقر ، ولكنه ما لبث أن استقل بأمور السلطة وأصبح الحاكم الفعلي لليمن([3]) .

وعلى الرغم من الجهود التي بذلها الأمير سيف الدين سنقر لاستعادة السيطرة الأيوبية ، وتقوية النفوذ الأيوبي في اليمن ، إلا أنه لم ينجح في ذلك بسبب حروبه المستمرة مع الأئمة وانشغاله بثورات الأكراد وبعض القادة الأيوبيين المتمردين.

وبعد وفاة الأتابك سنقر ظهر التنافس بين كبار القادة الأيوبيين على منصب الأتابك ، وكان الملك الناصر أيوب بن طغتكين قد كبر ، وشعر بخطورة منصب الأتابك الذي ارتفع في زمن الأمير سيف الدين سنقر إلى درجة الملك بسبب صغر سنه ، فأراد أن يتخلص من نفوذ الأمراء الأيوبيين الطامعين في منصب الأتابك

---

١) يحيى بن الحسين : غاية الأماني : ج١، ص ٣٥٦، ابن الديبع : قرة العيون : ص ٢٨٥، العرشي : بلوغ المرام : ص ٤١.

٢) ابن الديبع : قرة العيون : ص ٢٨٤، ابن واصل : مفرج الكروب : ج٣، ص ١٣٧.

٣) المقريزي : السلوك : ج٣، ص ٢٧٢، يحي بن الحسين : غاية الأماني : ج١، ص ٣٥٨.

فسمى الأمير ورد سار أمير صنعاء ـ خوفاً من تسلطه عليه وعلى هذا المنصب وأحس بتطلعه إلى هذا المنصب ، وعرف ذلك من خلال المحاولات التي قام بها الأمير ورد سار للتخلص من كبار القادة الأيوبيين مثل الشهاب الجزري ـ أمير صنعاء في عهد الملك المعز اسماعيل ـ والأمير بكتمر السيفى أمير تهامة . وعين الملك الناصر في منصب الأتابك الأمير غازي بن جبريل ـ وكان أميرا إقطاعيا في إقليم لحج ـ وقد عينه في هذا المنصب لثقته بأنه يمكنه السيطرة عليه ، ولكن رغبة الأمير غازي بن جبريل في التمتع بالميزات السابقة لهذا المنصب حمله على سم الملك الناصر عندما طلع إلى صنعاء في المحرم سنة ٦١١هـ /أيار ١٢١٥م ثم استقل بالملك ولكنه لم يتمتع به مدة طويلة فقد حرضت أم الملك الناصر المماليك على قتله انتقاما لمولاهم الذي قتل مسموماً على يده ، وقد عاد المماليك إلى آب وقتلوه واحتزوا رأسه وقدموه إلى أم الملك الناصر.

وهنا يتجلى ضعف الأيوبيين في اليمن بأوضح صورة حيث لم يوجد بعد الملك الناصر رجل من البيت الأيوبي يتولى شؤون الحكم ، فاجمع رأى المماليك على أن يكون الملك لأخوات الملك الناصر ، وعينوا لهن أتابكاً منهم يسمى المجاهد ليتولى شؤون الملك وبايعوه على الطاعة .

وفي هذه المدة من مدد الضعف الأيوبي في اليمن استولى الإمام عبد الله ابن حمزة على صنعاء وذمار ، بل وصلت جيوشه إلى إقليم لحج في شمال عدن، كما استولى سلاطين بني حاتم على معظم الحصون التابعة للأيوبيين حول صنعاء كما سبق أن أشرنا إلى ذلك.

واستمر ضعف النفوذ الأيوبي في اليمن على الرغم من قدوم سليمان بن شاهنشاه الملقب بالصوفي ، حيث إنه لم يكن له معرفة في الحياة العسكرية أو السياسية وعدم قدرة على إدارة شؤون الدولة فضلا عما يقال من انصرافه إلى اللهو وعكوفه على الملذات ، وانشغاله عن الحكم بالنساء والحظايا.

وسواء أكان ما نسب إلى الملك سليمان بن شاهنشاه صحيحاً أم لا ، فإن ظروف الحكم الأيوبي الضعيف كانت أصعب من أن يقدر على علاجها ، وكثرت

الثورات والانتفاضات في اليمن في عهده ، وواجهته المشاكل من كل مكان حتى تضعضع الحكم الأيوبي في اليمن بشكل خطير ، ولم ينقذه من الانهيار إلا قدوم الملك المسعود إلى اليمن سنة ٦١٢هـ /١٢١٥م.

ومما سبق يتضح لنا أن خلفاء الملك طغتكين بن أيوب في حكم اليمن ابتداءً من الملك اسماعيل بن طغتكين إلى الملك سليمان بن شاهنشاه ، كان يغلب عليهم الضعف وسوء السياسة مما نتج عنه ازدياد نفوذ الخصوم والمناوئين من الأئمة وغيرهم ، وزوال هيبة الحكم الأيوبي وخاصة في الأطراف . فضلاً عن ظهور التنافس بين الأمراء على الحكم ، فكان ذلك من أهم العوامل التي ساعدت على ضعف النفوذ الأيوبي في بلاد اليمن.

ومن العوامل الداخلية التي أدت إلى ضعف النفوذ الأيوبي في اليمن استمرار الصراع بين الأيوبيين ، والقوى المناوئة لهم وأهمها الأئمة.

من المعروف أن الأيوبيين منذ قدومهم إلى اليمن سنة ٥٦٩هـ / ١١٧٤م قد دخلوا في حروب مستمرة مع القوى الموجودة آنذاك في اليمن، وقد استمرت هذه الحروب حتى زوال الحكم الأيوبي من اليمن على يد بني رسول.

وعلى الرغم من أن الأيوبيين قد تمكنوا من القضاء على معظم القوى المناوئة لهم ، مثل دولة بني مهدي ، ودولة بني زريع ، ودولة بني حاتم ، وغيرها من القوى الصغيرة الأخرى في اليمن ، إلا أن ذلك استغرق مدة طويلة من الزمن ، وأهدر قدراً كبيراً من قوى الدولة وإمكانياتها.

أما الصراع مع الأئمة الزيدية فبدا متأخرا قليلاً في أول عهد المعز اسماعيل بن طغتكين ٥٩٣هـ /١١٩٧م، واستمر في عهد جميع الحكام الأيوبيين الذين جاؤوا من بعده حتى عهد الملك المسعود آخر الحكام الأيوبيين في اليمن.

وكانت الحروب بين الدولة الأيوبية والأئمة سجالاً ، فمرة يتفوق الأيوبيون على الأئمة ويطردونهم من بلادهم ويصلون إلى مركزهم الرئيسي في مدينة صعدة في شمال اليمن، ومرة يتغلب الأئمة على الأيوبيين ويصل نفوذهم إلى صنعاء وذمار.

صحيح أن قوة الأيوبيين كانت متفوقة في معظم الأحيان، وهذا أمر طبيعي نظراً لسعة الدولة الأيوبية، وكثرة مواردها، فضلاً عن الإمدادات التي كانت تصلها من مصر. ومع ذلك فان الأئمة تمكنوا من الصمود في وجه الأيوبيين حتى زوال حكمهم من اليمن.

ومما لاشك فيه أن الصراع المستمر مع الأئمة وغيرهم من القوى المناوئة للأيوبيين في اليمن قد أضعف النفوذ الأيوبي، وكان عامل هدم في جنب الدولة الأيوبية.

ومن العوامل الخارجية التي أدت إلى ضعف النفوذ الأيوبي في اليمن ضعف الدولة الأيوبية في مصر والشام ، وانشغال أبناء البيت الأيوبي بالصراعات فيما بينهم ، بعد صلاح الدين الأيوبي .

من الحقائق المسلم بها أنه بعد أن تمت سيطرة الأيوبيين على اليمن ، أصبحت الدولة الأيوبية في اليمن جزءاً من الدولة الأيوبية في مصر والشام ، واليت الأيوبي الحاكم في اليمن جزءاً من البيت الأيوبي الحاكم في مصر والشام واليمن ولاية من الولايات التابعة للدولة الأيوبية الكبرى ، وبناء على هذا الارتباط الوثيق فمن الطبيعي أن يتأثر الحكم والنفوذ الأيوبي في اليمن بما يطرأ على الدولة الأيوبية في مصر والشام من عناصر القوة أو عوامل الضعف.

ونلحظ هذا الضعف أو الانقسام قد حدث بين أبناء الملك العادل ـ أخي صلاح الدين ـ بسبب تقسيم الدولة بين أبنائه ، مما أدى إلى قيام المنازعات بينهم على مناطق النفوذ ، واستعانة كل واحد منهم بقوة خارجية ، وقد أثر هذا الضعف على النفوذ الأيوبي في اليمن ، لأنه كان يستمد قوته ومكانته من قوة الدولة الأيوبية ومكانتها. إذ أن ضعف الأيوبيين بسبب المنازعات الداخلية بينهم ، وانشغالهم بمدافعة الخصوم الخارجين المتمثلين في الصليبيين الذين بدأت حملاتهم الصليبية تتجه إلى مصر ، والمغول والخوارزمية الذين بدأت هجماتهم على حدود الدولة الأيوبية في بلاد الجزيرة ، قد أدى ذلك كله إلى انشغال الأيوبيين في مصر عن

شؤون اليمن وإهمالهم لها في وقت كان النفوذ الأيوبي فيها بأمس الحاجة إلى رجل قوى من الأيوبيين لينقذه من الضعف .

ومن الأمثلة على انشغال الأيوبيين عن اليمن وإهمالهم لها ، أنه لما توفي الملك الناصر أيوب بن طغتكين في اليمن سنة ٦١١هـ /١٢١٤م، ولم يجد الأيوبيون في اليمن رجلاً من البيت الأيوبي يولونه الحكم لم يتمكن الأيوبيون في مصر من إرسال أحد أفراد البيت الأيوبي إلى اليمن ليتولى الحكم فيها، بسبب انشغالهم بالاستعداد لصد عدوان صليبي مرتقب(١).

ولما توفي الملك المسعود بن الكامل آخر الحكام الأيوبيين في اليمن سنة ٦٢٦هـ /١٢٢٩م ، واستقل الرسوليون بحكم اليمن لم يتمكن الملك الكامل من استعادتها منهم بسبب انشغاله بالقضاء على المؤامرة التي دبرها ابنه، وولى عهده الصالح لإقصائه من الحكم أثناء غيابه في دمشق ، واشترى لهذا الغرض عدداً كبيراً من المماليك ، وألف منهم حرساً خاصاً له ، كما انه استنفد ما في الخزينة من أموال ، مما حمل الملك الكامل على العودة سريعاً إلى مصر حيث نزع ابنه عن ولاية العهد ، وأمر بسجن الأمراء الذين تآمروا معه ، وأعاد إلى التجار ما اغتصبه ابنه الصالح من أموال(٢). كما تعرضت الحدود الشمالية للدولة الأيوبية لاعتداء من قبل السلطان جلال الدين منكبرتى في شوال سنة ٦٢٦هـ / تشرين الأول ١٢٢٩م(٣) فأدى ذلك إلى زيادة مشاغل الملك الكامل. ولم يستطع الملك الكامل بعد ذلك أن يتفرغ لشئون اليمن ،إلى أن نفض يده عنها وتركها للرسولين.

وهكذا تجمعت هذه العوامل المختلفة من داخلية وخارجية لإضعاف النفوذ الأيوبي في اليمن ، مما أدى إلى نهايته وانتقال الحكم في اليمن إلى بني رسول.

---

١) العرينى : السيد ألباز العرينى : مصر في عصر الأيوبيين . القاهرة . مطبعة الكيلانى . سلسلة الإلف كتاب (٢٦٩) ص: ١١٢.

٢) العرينى : مصر في عصر الأيوبيين : ص ١٢١.

٣) غنيم : حامد غنيم أبو سعيد : الجبهة الإسلامية في عصر الحروب الصليبية ، ط١، القاهرة ، سنة ١٩٧٢م ج٢ ، ص ٢٤٨.

وهكذا كانت اليمن هي أول ولاية أو إقليم يدخل تحت سيطرة الدولة الأيوبية خارج مصر ، حيث تم السيطرة عليها سنة ٥٦٩هـ /١١٧٤م وأول ولاية خارج مصر يخرج عن سيطرة الدولة الأيوبية في مصر حيث استقل بها نور الدين عمر بن علي بن رسول .

قيام دولة بني رسول

لقد صادفت وفاة الملك المسعود تلك الحالة السيئة من التفكك والانقسام في مصر والشام. لذلك كان طبيعياً ألا يتمكن الملك الكامل من إرسال أحد من قبله لينوب عنه في اليمن، وكان نور الدين عمر بن رسول يقوم بالحكم فيها نيابة عن الملك المسعود. فلما علم نور الدين بوفاة الملك المسعود كتب إلى الكامل يعزيه بوفاة المسعود مظهراً إخلاصه واستمراره في موالاة الأيوبيين وأنه يعد نفسه نائباً لهم في اليمن،ودليلاً على تمسكه بالتبعية والطاعة له ، أرسل إليه في مصر الكثير من الأموال والتحف والهدايا ، لأنه كان ـ في حقيقة الأمر يطمع في الاستقلال بملك اليمن([1]).

وبدأ نور الدين بالعمل على تثبيت سيطرته على اليمن بصورة تدريجية ، فشرع في تعيين من يثق بهم من خاصته كولاة على المدن والحصون، وعزل من لا يثق بهم ، أو تخلص منهم ، ولم يغير السكة أو الخطبة([2]) فاستطاع بذلك أن يسيطر على زبيد وجميع تهامة فلما أقر قواعد الأمور فيها([3]) عزم على تأكيد سلطته في بقية اليمن فتوجه في شهر شوال سنة ٦٢٦هـ / ايلول١٢٢٩م إلى حصن تعز وحاصره وضيق الحصار على من به حتى أجهدهم ، وكسباً للوقت ترك أحد أتباعه يواصل الحصار، وتوجه إلى عدن وسيطر عليها وعين والياً عليها من ثقاته ، وكان

---

١) الخزرجي: العسجد : ص ١٩٣، المقريزي : السلوك : ج١، ص ٣٥٨ ، ابن الديبع : قرة العيون : ص ٣٠٠، يحيى بن الحسين : غاية الأماني : ج١، ص ٤١٨.

٢) ابن الديبع : قرة العيون : ص ٣٠٠، الخزرجي : العسجد : ص ١٩٣، يحيى بن الحسين : غاية الأماني : ج١، ص ٤١٨،

٣) الخزرجي: العسجد : ص ١٩٣، ابن الديبع : قرة العيون : ص ٣٠٠.

أحد مماليك أخيه وكان اسمه أندمر البدري([1]) ثم عاد إلى حصن تعز . واخذ يتابع ضم المناطق الأخرى دون أن يترك حصار حصن تعز.

توجه نور الدين عمر نحو مناطق الجبال وذلك سنة ٦٢٧هـ / ١٢٣٠م حيث سيطر على حصن التعكر المطل على ذي جبلة ، كما سيطر على حصن خدد شمال إب ، ثم تقدم شمالاً نحو صنعاء وما إن وصلت الإخبار إلى نجم الدين أحمد بن زكريا واليها من قبل الأيوبيين حتى ترك صنعاء وتحصن في حصن براش ، مما سهل الأمر على نور الدين عمر فدخل صنعاء بدون قتال في ذي القعدة سنة ٦٢٧هـ / أيلول ١٢٣٠م ثم ولى عليها ابن أخيه أسد الدين بن بدر الدين الحسن بن علي بن رسول([2]) وعاد نور الدين عمر إلى حصن تعز فسلمه صلحاً سنة ٦٢٨هـ / ١٢٣١م([3]).

واصل نور الدين عمر حملاته لاستكمال سيطرته على اليمن حيث تسلم حصن حب ، وبيت عز([4]) ثم توجه([5]) إلى صنعاء للمرة الثانية سنة ٦٢٨هـ / ١٢٣١م ولما وصل إلى صنعاء أمر بضرب الحصار على حصن براش ، وفي الوقت نفسه صعد إلى حصن ذي مرمر من حصون بني حاتم حول صنعاء ، والتقى برؤساء الزيدية بنو حمزة برئاسة عماد الدين يحيى بن حمزة وأبناء أخيه : أحمد وسليمان والقاسم وعلي ، أولاد الإمام عبد الله بن حمزة ، ووهاس بن أبي هاشم وعقدوا صلحاً اتفق فيه على التعاون والتعاضد بحيث يكون بنو حمزة نواباً عنه في مناطقهم([6]) وتم الصلح برعاية سلاطين بني حاتم([7]) وبعد أن تم الصلح مع بني

---

١) ابن حاتم : السمط : ص ٢٠١، الخزرجي : العسجد : ص ١٩٣، ابن الديبع : قرة العيون : ص ٣٠٠، يحيى بن الحسين : غاية الأماني : ج١، ص ٤١٩.

٢) يحيى بن الحسين : غاية الأماني : ج١، ص ٤١٩، الخزرجي : العسجد : ص ١٩٣، ابن الديبع : قرة العيون : ص ٣٠٠، ابن حاتم : السمط : ص ٢٠٢.

٣) ابن حاتم : السمط : ٢٠٢، يحيى بن الحسين : غاية الأماني : ج١، ص ٤١٩، الخزرجي : العسجد : ١٩٣.

٤) بيت عز: بكسر فسكون. حصن حميري شهير في مديرية الشعر من أعمال محافظة آب (المقحفي : معجم البلدان والقبائل اليمنية : ج٢، ص ١٠٥٩.)

٥) يحيى بن الحسين : غاية الأماني : ج١، ص ٤١٩، الخزرجي : العسجد : ص ١٩٣، ابن الديبع : قرة العيون : ص ٣٠١.

٦) ابن الديبع : قرة العيون : ص ٣٠١، يحيى بن الحسين : غاية الأماني : ج١، ص ٤١٩، الخزرجي : العسجد : ص ١٩٤.

٧) ابن حاتم : السمط : ص ٢٠٣، الخزرجي : العسجد : ١٩٤، يحيى بن الحسين : غاية الأماني : ج١، ص ٤١٩، ابن الديبع : قرة العيون : ص ٣٠١.

حمزة الزيدين اضطرب حال أحمد بن زكريا في حصن براش ولم يعد أمامه غير إعلان الولاء والطاعة والاستسلام لنور الدين عمر، فراسله طالباً منه الأمان فأمنه نور الدين عمر وتسلم منه الحصن صلحاً(١) وبهذه السياسة الذكية والهادئة ضمن استقرار الأوضاع لمدينة صنعاء والمناطق المجاورة لها. وبذلك يكون نور الدين قد سيطر على معظم مناطق اليمن وأهمها من الناحية السياسية والاقتصادية وفي فترة قصيرة . ولم يتبق له من المدن من حيث تحقيق الوحدة السياسية لليمن سوى صعدة.

ولما استولى نور الدين على معظم بلاد اليمن وحصونه، عاد إلى تعز أواخر سنة ٦٢٨هـ / ١٢٣١م حيث خلع طاعة بني أيوب وأعلن استقلاله بملك اليمن وتلقب بالملك المنصور(٢) وعمل نور الدين تدريجياً على استكمال استقلاله حيث بدأ سنة ٦٣٠هـ/١٢٣٣م بضرب السكة باسمه ، وقام الخطباء بالخطبة له في مساجد اليمن(٣) وأراد أن يكتسب الصفة الشرعية لذلك بعث إلى الخليفة العباسي المستنصر بالله بهدية عظيمة ، وطلب منه تقليداً بالسلطنة على اليمن(٤) فاستجاب الخليفة العباسي له، ووصلته الخلعة والتقليد إلى اليمن سنة ٦٣٢هـ /١٢٣٥م بحراً عن طريق البصرة(٥) وبذلك يكون(٦) نور الدين عمر بن رسول قد استكمل كل عوامل الاستقلال ، وأصبح الحاكم الفعلي لليمن وبمباركة الخليفة العباسي.

---

١) الخزرجي : العسجد : ص ١٩٤، يحيى بن الحسين : غاية الأماني : ج١، ص ٤٢٠، ابن حاتم : السمط : ص ٢٠٤، ابن الديبع : قرة العيون : ص ٣٠١.

٢) يحيى بن الحسين : غاية الأماني : ج١، ص ٤٢٠، الكبسي : اللطائف السنية : ص ١٢٦.

٣) الخزرجي : العسجد : ص ١٩٥، يحيى بن الحسين : غاية الأماني : ج١، ص ٤٢١، ابن الديبع : بغية : ص ٨٩، بامخرمة : ثغر عدن : ص ٢٠٧.

٤) ابن حاتم : السمط : ص ٢٠٦ ، بامخرمة : ثغر عدن : ص ٢٠٧، الخزرجي : العسجد : ص ١٩٥، يحيى بن الحسين : غاية الأماني : ج١، ص ٤٢١.

٥) البصرة: البصرة بالعراق، والبصرة في كلام العرب الأرض الغليظة التي فيها حجارة تقلع وتقطع حوافر الدواب. وقيل إن المسلمين حين وافوا مكان البصرة للنزول بها نظروا إليها من بعيد وأبصروا الحصى عليها فقالوا : إن هذه ارض بصرة يعنون حصبة فسميت بذلك (ياقوت : معجم البلدان : مج١، ج٢، ص ٣٤٠).

٦) الخزرجي : العسجد : ص ١٩٦، بامخرمة : ثغر عدن : ص ٢٠٦، يحيى بن الحسين : غاية الأماني : ج١، ص ٤٢١،٤٢٢.

تمهيد:

من البديهي أن تكون هناك سياسة إدارية انتهجها الملوك الأيوبيون في اليمن وسواء كان ذلك في العاصمة أم في المدن اليمنية الأخرى الخاضعة لسيطرتهم.

ومن المسلم به أن سياسة الملوك الأيوبيين في اليمن لم تخرج عن القواعد الإدارية المتبعة في المدن الأيوبية في بلاد الشام أو مصر، إلا أن الجزئيات والتفاصيل قد اختلفت في اليمن لأسباب فرضها الواقع اليمني.

وسيحاول هذا الفصل ـ على الرغم من شح المعلومات ـ أن يتتبع الجوانب الإدارية المتبعة للأيوبيين في اليمنبدءاً باختيار العاصمة ، ثم الكيفية التي تمت بها إدارة المدن والنواحي ، وكذلك عزل الحكام ، ثم كيف أدار الملوك الأيوبيون الناحية المالية ، وأخيرا سيستعرض ما توافر من معلومات حول أجهزة الدولة الموجودة كالقضاء والدواوين. .

اختيار العاصمة

لم تكن تعز بالمدينة المعروفة ولم يكن لها ذكر في عداد عواصم الدول التي حكمت اليمن أو التي قامت في اليمن أو في المناطق الساحلية ، وإنما كان المركز الرئيسي لليمن هي مدينة الجند حيث اتخذت عاصمة منذ فجر الإسلام حيث إن اليمن كانت تنقسم إلى ثلاثة مخاليف : مخلاف صنعاء ، ومخلاف حضرموت ، ومخلاف الجند وكانت تعز تتبع الجند إداريا لفترة طويلة ، ولما بدأت اليمن بالاستقلال عن الدولة العباسية ،أو ظهور ما يسمى بعصر الدويلات اليمنية بقيت تعز تابعة لمدينة الجند لانها هي المركز الاداري بالنسبة لتعز.

على الرغم من تعاقب الدويلات وبسط سيطرتها على تعز سواء كان ذلك من قبل دولة بني زياد ، أو دولة بني يعفر، أو الدولة النجاحية ، أو الدولة الصليحية ، أو دولة بني مهدي ، أو غيرها من الدول التي قامت في اليمن وامتد نفوذها إلى تعز وما حولها نجد أن تعز كانت تابعة لمدينة الجند وبقيت الجند هي المركز الاداري لتعز.

ومع مجيء الأيوبيين إلى اليمن وبسط سيطرتهم عليها كانت زبيد آنذاك هي العاصمة ، ومع قضائهم على دولة بني مهدي التي كانت عاصمتها زبيد ، إلا أن توران شاه لم يتخذ زبيد عاصمة له بل حاول البحث عن مكان آخر ليتخذه عاصمة لدولته ، وقد كانت حواضر اليمن معروفة إلا أن توران شاه لم يفكر في اتخاذ إحداها عاصمة له بل أراد عاصمة جديدة لدولته الجديدة .

وتورد المصادر الكيفية التي اختار فيها توران شاه عاصمته ، حيث تذكر أنه عرض على توران شاه أسماء مدن اليمن ليختار واحدة منهامقراً له وعاصمة لدولتة ، إلا أنه رفض ذلك ، وقام بتكليف عدد من الأطباء يقومون باختيار(مكان صحيح الهواء ليتخذ فيه مسكناً ، فوقع اختيارهم على مكان تعز ، فاختط به المدينة ونزل بها)([1]).

[1]) الفرح: اليمن في تاريخ ابن خلدون: ص ٦٠٨، ٦٠٩، الحداد: التاريخ العام: ج٢، ص ٣٨٦، الحبشي: عبد الله الحبشي: جوانب من الحياة الاقتصادية في التاريخ اليمني: مجلة الكلمة: عدد ٥٢،٥١ ، ص ٨٢.

على الرغم أن المصادر لم تذكر غير هذا السبب لاختيار توران شاه تعز عاصمة له ، ومع تسليمنا بما تتميز به تعز من مناخ معتدل طوال العام ، إلا إن هذا السبب ليس جوهرياً بالنسبة لاختيار عاصمة الدولة ، كما أنه لا يمكن القول ان تعز هي المكان الوحيد الذي يتميز بمناخ معين دون بقية مدن اليمن ، وخاصة إذا أدركنا خطورة أمر العاصمة ، وبأنها يجب أن تكون متحكمة ببقية المدن ، فلابد أن تكون في المركز(في قلب الدولة) .

ولم تذكر المصادر غير هذا السبب في اختيار العاصمة إلا أننا يمكننا تلمس أسباب أخرى لهذا الاختيار من خلال القرائن التالية .

إن توران شاه لم يتخذ مثلاً مدينة زبيد أو عدن عاصمة لدولته وذلك عائد لكون زبيد وعدن تقعان في أطراف اليمن ، ولم تكونا في موقع متوسط بالنسبة لليمن ، هذا من جانب ، ومن جانب آخر فإن زبيد وعدن شديدة الحرارة ، وقد اعتاد الأيوبيون العيش في المناطق الباردة المعتدلة. فقد نشأ توران شاه في بلاد الشام .

أما عدم اختيار مثل مدينة ذمار أو صنعاء كعاصمة فإن ذلك عائد لما واجهه توران شاه من مقاومة شديدة في تلك المناطق ، وخاصة من قبائل جنب في ذمار ، وكذلك قيام بني حاتم بمقاومة الأيوبيين بالإضافة إلى قيامهم بالتحصن بالحصون المجاورة لصنعاء وشن الهجمات عليها من حين لآخر. يضاف إلى ذلك الاختلاف المذهبي بينهم ، حيث إن الأيوبيين من أهل السنة ، بينما أهل ذمار وصنعاء من الزيدية ، وقد أخذت الزيدية على عاتقها محاربة الأيوبيين طوال فترة وجودهم في اليمن ، وكانت صنعاء وذمار تارة تحت سلطة الأيوبيين وتارة أخرى في يد الزيدية.

عدم وجود مقاومة كبيرة في تعز للأيوبيين ، بالإضافة إلى التوافق المذهبي بينهم فالأيوبيون من أهل السنة ، وكذلك أهل تعز ، يضاف إلى ذلك أن أهل تعز أكثر مسالمة وتقبل للنظام والقانون (أكثر تحضراً) بعكس أهل صنعاء وذمار حيث الحروب القبلية مستمرة بسبب الثارات والعصبية القبلية وهي سمة مستمرة لتلك

القبائل ، حيث إنها لا تحتكم إلى الدولة أو ترضى بالقانون ولكنها تحتكم إلى أعرافها القبلية . لذلك تبقى في عداء دائم مع الدولة.

إذن إن اختيار توران شاه لموقع تعز عاصمة لدولته ، هو الذي جعل منها مدينة ، حيث انه لما اختار ذلك الموقع لم يكن هناك سوى قرية صغيرة تسمى(عدينة) بالإضافة إلى حصن القاهرة ، ولكن باختيار توران شاه لذلك الموقع عاصمة للأيوبيين نجد أن تعز استقطبت الناس إليها ، وسرعان ما تحولت إلى مدينة ، وأمها الناس من جميع أنحاء اليمن ، أو القادمون من الشام بصفتها عاصمة الدولة الأيوبية في اليمن ، وأخذت تعز مكانتها بين العواصم اليمنية السابقة ، كما استمر الحكام الأيوبيون بعد توران شاه باتخاذها عاصمة لهم حتى نهاية الحكم الايوبي لليمن ، ولم نجد أحداً من الحكام الأيوبيين الذين جاؤوا بعد توران شاه حاول نقل العاصمة من تعز إلى مدينة أخرى ، كما لم نجد أن احد الحكام الأيوبيين أبدى عدم رغبته بالإقامة فيها، بل نجد أن كل ملك من الملوك الأيوبيين كان يوليها الكثير من الاهتمام والرعاية ، فنجد أن الملك طغتكين بن أيوب استقدم بعض الأشجار من مصر التي لم تكن موجودة في اليمن وقام بغرسها في مدينة تعز ، وأجرى العيون في جبل صبر وغيره([1])، كما اتخذها من بعدهم بنو رسول عاصمة لدولتهم الدولة الرسولية ، ولعل ذلك يدلل على حسن اختيار توران شاه تعز عاصمة لدولته . ومازالت تعز تحتفظ ببعض الآثار خاصة من عهد الدولة الرسولية الوارثة للدولة الأيوبية.وخاصة المساجد .

أولا:السياسة الإدارية:

لقد اعتمد الملوك الأيوبيون على اتخاذ سياسة مركزية الحكم في اليمن على كل المدن، واستمرت سياستهم على ذلك النهج حتى نهاية الحكم الايوبي لليمن ، فكان الملك الايوبي يعين الحكام ويشرف على تعيينهم إشرافاً مباشراً . باستثناء فترة حكم نواب توران شاه.

---

١) ابن حاتم : السمط : ص ٣٩ ، يحيى بن الحسين : ج١، ص ٣٣٦.

ولم تقتصر مركزية السياسة الإدارية في تعيين الولاة على المدن بل كان الملك الايوبي يقوم بتعيين الحكام على المناطق والنواحي التابعة للمدينة التي هي من اختصاص والى المدينة. ولعل السبب الذي جعل الملوك الأيوبيين يعمدون إلى اتخاذ سياسة مركزية الحكم في الإدارة ، هو لإعادة الاستقرار في اليمن في ظل وضعها الجديد المضطرب . وربما كان ذلك ناتجٌ عن رغبة الملك الايوبي في التعرف على إلى شؤون كل مدينة وناحية ، ومن ثم اهتمامه بتوطيد الأمن في كل اليمن ، وكذلك ربط أكبر عدد من الولاة مباشرة به ، حتى يتمكن من مراقبتهم ، ومحاسبتهم في حال لم يطبق ولاته وعماله توجيهاته. وربما كان ذلك عائدٌ إلى خوف الملوك الأيوبيين من استقلال بعض الولاة في مناطقهم ، وخروجهم على السلطة ، ومحاولة كل واحد منهم بسط سيطرته على الآخرين كما حدث ذلك في أيام نواب الملك توران شاه([1]).

فالسياسة الإدارية المركزية هي السياسة السائدة في اليمن، ولم يخرج عن هذه السياسة ، غير مدينة صنعاء ومخاليفها ، وذلك منذ أيام الملك طغتكين ، وذلك بسبب وجود الأئمة الزيدية بقيادة الإمام عبد الله بن حمزة ومحاربتها للأيوبيين ، ومحاولتهم الاستيلاء على صنعاء ، من اجل ذلك أصبحت صنعاء بالنسبة للأيوبيين هي المركز المتقدم لمواجهة الأئمة الزيدية ، فكان العمال التابعون لصنعاء في رداع والحقل وجهران يتبعون لوالي صنعاء ، ويقومون بطاعته وتنفيذ أوامره ، وذلك بتوجيه من الملك الايوبي ، وكان هؤلاء العمال أيضا يعينون من قبل الملك الايوبي ، وليس من قبل والي صنعاء([2]).

على الرغم من هذه السياسة التي يظهر منها الخبرة والحنكة، ورغم تحري الملوك الأيوبيين في اختيار الولاة من الأيوبيين وليس من أهل اليمن ، وبما أن اختيارهم كان يتم على أساس الكفاءة ، ورغم تزويدهم للعمال بالإرشادات والنصائح ، إلا أنهم كانوا غير موفقين في اختيار الولاة ، فلا يوجد بينهم سياسي حكيم أو

١) ابن حاتم : السمط : ص ٢٣،٢٢.

٢) يحيى بن الحسين : غاية الأماني : ج١، ص ٣٢٦ ، ابن حاتم : السمط : ص ٣٨، ٣٩.

داعية بارع ، لذلك كان الملوك الأيوبيون يضطرون لتغيير الولاة باستمرار ، وطبعاً تعدد وكثرة الولاة بالمدن أو غير المدن له أثر سيء على سير الأمور فيها، لذلك نجد أن الولاة لم تدم ولايتهم إلا فترة قصيرة حيث يعزل الوالي الأول ويتولاها شخص آخر، ومع ذلك فإن هناك بعض الأمراء الذين استمرت ولايتهم فترة طويلة نسبياً مثل الأمير ورد سار أمير إقليم صنعاء ، حيث مكث في الإمارة ما يقارب من اثنتي عشرة سنة([1])

وإن الملوك الأيوبيين لم يستعينوا بأولادهم أو إخوانهم في حكم المدن أو المناطق اليمنية ـ ماعدا الملك طغتكين الذي ولى ابنه المعز إسماعيل بن طغتكين على كوكبان([2]) و بلاد الظاهر ـ ومع ذلك فقد اكتشف سوء إدارته مما جعل الناس يثورون عليه ، فاضطر أبوه إلى عزله لأنه لم يكن بالمستوى المطلوب.

النظام الاداري في الدولة الأيوبية باليمن:

التقسيم الاداري والإمارة على الأقاليم

قام التنظيم أو التقسيم الاداري في اليمن منذ القدم على أساس المخلاف([3]) وهو اسم خاص بأهل اليمن يطلقونه على الإقليم ، وجمعه : مخاليف ، فهو

---

١) يحيى بن الحسين : غاية الأماني : ج١، ص ٣٩٧.

٢) يحيى بن الحسين : غاية الأماني : ج١، ص ٣٣٨.

٣) ذكر ياقوت الحموي أن أصل مخلاف يعود إلى أن ولد قحطان لما اتخذوا أرض اليمن مسكناً وكثروا فيها لم يسعهم المقام في موضع واحد فجمعوا رأيهم على أن يسيروا في نواحي اليمن ليختار كل بني أب موضعاً يعمرونه ويسكنونه

(كالأجناد لأهل الشام ، والكورة لأهل العراق ، والرساتيق لأهل الجبال ، والطساسيج لأهل الأهواز([1]) .

وفي الغالب تضاف كلمة مخلاف إلى اسم علم هو اسم رئيس القبيلة التي تقيم فيه ، أو إلى اسم القبيلة نفسها ، أو إلى اسم مدينة أو بلد أو واد أو جبل مشهور فيه.

المخاليف في اليمن كثيرة فقد ذكر اليعقوبي([2]) أن عددها أربعة وثمانون مخلافاً بينما أوصلها ابن خرداذبة([3]) إلى ما يقارب المائة مخلاف . على أن هذا العدد الكبير من المخاليف قد أدمج بعضه في بعض مع مرور الزمن ، وأعيد تقسيم اليمن في العصر الاسلامي أثناء تبعيتها لمركز الخلافة في دمشق ثم في بغداد إلى ثلاثة مخاليف كبرى وهى : مخلاف الجند وهو أكبرها ، ويضم مخلاف السحول وهو مخلاف جعفر ثم جميع مخاليف الجند المعافر، والسكاسك وجميع القطر التهامي شماله وجنوبه بما فيه عدن ، ولحج وأبين ويافع السرو. والثاني : مخلاف صنعاء وهو المخلاف الأوسط ، ويضم بيحان ومأرب وسرو منحج وردمان ويحصب ، ووصاب ، وذمار ، ومغارب صنعاء ومشارقها وبلاد همدان وخولان قضاعة إلى نجران وعسير من الشمال. والثالث : هو مخلاف حضرموت([4]).

وربما كان الهدف من هذا التقسيم جمع البلاد في وحدات إدارية كبرى ليسهل حكمها. ثم تعرضت اليمن للتقسيم عدة مرات بسبب الصراع المستمر بين الدول التي قامت فيها، وقل الاعتماد على المخلاف كأساس للتقسيم الاداري كما كان عليه سابقاً.

وكانوا إذا ساروا إلى ناحية واختارها بعضهم تخلف بها عن سائر القبائل وسماها باسم والد تلك القبيلة المتخلفة فيه فسموها مخلافاً لتخلف بعضهم عن بعض فيها (ياقوت : معجم البلدان : مج١،ج١، ص ٤٠)

١) ابن منظور: لسان العرب: ج٩، ص٨٤

٢) اليعقوبي : أحمد بن علي بن أبي يعقوب بن واضح الكاتب المعروف باليعقوبي (ت ٢٨٤هـ /٨٩٧ م) تاريخ اليعقوبي ، تحقيق / عبد الأمير المهنأ ،منشورات ، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ، بيروت ، ط١، سنة ١٩٩٣م/ ١٤١٣هـ ، مج١، ص ٢٤٧.

٣) ابن خرداذبة : أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله بن خرداذبة (ت حوالي ٣٠٠هـ/ ٩١٢م) المسالك والممالك ، إعداد وتقديم خير الدين محمود قبلاوي ، منشورات وزارة الثقافة ، الجمهورية العربية السورية ، دمشق ،ط١، سنة ١٩٩٩م ، ص١٨٩. ١٩٥.

٤) الأكوع : اليمن الخضراء ، ص ٩٩،١٠٠.

وآخر ما استقر عليه الوضع السياسي في اليمن قبيل قدوم الأيوبيين وجود عدد من الدويلات تحكم اليمن ، وأهمها أربع دويلات هي: دولة بني مهدي في تهامة ، ودولة بني زريع في عدن ، ودولة بني حاتم في صنعاء وما حولها ، والدولة الزيدية في صعدة ، وقد قضت الدولة الأيوبية على هذه الدويلات ، ما عدا الدولة الزيدية التي ظلت في صراع مع الدولة الأيوبية.

وقد أوحى هذا الوضع السياسي في اليمن للأيوبيين بالتقسيم الاداري الذي اتبعوه فيها.

فقد قسم الأيوبيون المناطق التي خضعت لنفوذهم من اليمن إلى مناطق وأقاليم إدارية كبرى هي:

١ـ إقليم أو منطقة تهامة:

ويشمل معظم تهامة ويمتد من مدينة موزعجنوباً إلى مدينة حرض شمالاً ، ومن ساحل البحر الأحمر غرباً إلى منطقة الجبال شرقاً.

ويعد هذا الإقليم من أخصب أقاليم اليمن وأغناها بمنتجاته الزراعية، لذلك فهو ميدان ثراء واسع للأمراء الذين يحكمون فيه، فسرعان ما تنمو ثروتهم وتزداد قوتهم([١]). وأول من جمع هذا الإقليم في يد أمير واحد هو الملك توران شاه ، عندما عين الأمير سيف الدولة مبارك بن كامل بن منقذ أميراً على تهامة ، وجعل مقره بمدينة زبيد. وفى بعض الأحيان تمتقسيمه إلى بلدان ومناطق صغيرة لكل منها والٍ مستقل، وقد تستبعد منه مدينة الكدراء حيث تستقل كل منهما بوالٍ خاص بها([٢]) . ويلي هذا الإقليم غالباً أمير من كبار الأمراء الإقطاعيين ليتولى الدفاع عنه ضد هجمات الدولة الزيدية المجاورة له من جهة الجبال الشرقية (حجة). وممن تولى هذا الإقليم الأمير سيف الدولة مبارك بن كامل بن منقذ كما سبق ، ثم الأمير بكتمر السيفى في عهد الملك الناصر أيوب بن طغتكين ، ومقره مدينة المهجم ، أما إقليم المخلاف السليماني ـ شمال حرض فكان شبه مستقل تحت حكم الأشراف

١) يحي بن الحسين : غاية الأماني : ج١، ص ٣٣٦.

٢) ابن حاتم : السمط : ص ٨٥.

السليمانيين، ويستقلون بحكمه تماماً عندما يشعرون بضعف الدولة الأيوبية ، فإذا قويت عادوا إلى حظيرتها فيمنح لهم حينئذ كإقطاع من الحاكم الايوبي ويضاف إليه أحياناً حرض والهلبة([1]). ومن أشهر ولاته الأمير قاسم بن غانم.

٢- إقليم عدن:

ويشمل مدينة عدن وما حولها، ويمتد نفوذ واليها أحياناً إلى حضرموت فتكون تابعة له وأحيانا أخرى تخضع لوالٍ مستقل([2]). وقاعدة هذا الإقليم مدينة عدن.ونظراً للأهمية الاقتصادية الكبرى لميناء عدن فإن الملك الايوبي يراعي الدقة في اختيار الحاكم الملائم لهذه المدينة ، وقليلاً ما يستقر الحاكم هنا في وظيفته لمدة طويلة([3]).

ومن أشهر الأمراء الذين تولوا الحكم في هذا الإقليم الأمير عثمان بن علي الزنجيلي بعد عودة الملك توران شاه إلى الشام.

٣- إقليم تعز:

وهو إقليم واسع كبير ، يمتد من بلاد جنب شمالاً إلى منطقة لحج جنوباً ومن تهامة غرباً إلى بلاد الحجرية شرقاً ، ويضم عدداً من المدن المهمة مثل الجند وذي جبلة ومخلاف جعفر ، وفيهعدداً من الحصون مثل حصن تعز وحصن الدملوة وحصن التعكر ، وقد كان في عهد الملك توران شاه يتكون من إقليمين كبيرين هما : تعز وذي جبلة ، ولكلٍ منهما والٍ مستقل ، فكان والى تعز هو ياقوت التعزي ووالى ذي جبلة هو مظفر الدين قايماز([4])ثم بعد ذلك أصبح اقليماً واحداً يحكمه والٍ واحد يساعده عدد من الولاة والنواب في المدن والقلاع والحصون الكثيرة . ويعد هذا الإقليم مركز الدولة الأيوبية في اليمن ، ففيه خزائن الدولة ومركز قوتها وقد

---

١) يحي بن الحسين : غاية الأماني : ج١، ص ٣٣٥.

٢) كانت بلاد حضرموت منفصلة عن عدن ولكن استيلاء الأمير عثمان الزنجيلي عليها سنة ٥٧٥هـ /١١٨٠م أثناء إمارته على عدن قد جعله مرتبطاً بعدن طوال إمارة الزنجيلي ، ثم استقل إقليم حضرموت وأصبح يدار بواسطة أحد الأمراء الإقطاعيين الكبار وأشهرهم الأمير عمر بن مهدي فى عهد الملك المسعود (ابن حاتم : السمط : ص ١٨٩.)

٣) ابن حاتم : السمط : ص ١٠٤،١٠٥.

٤) ابن الديبع : قرة العيون : ص ٣٨٣.

ساده الهدوء والاستقرار فترة طويلة من الزمن ، ولم تشر المصادر الموجودة إلى حوادث مهمة في هذا الإقليم طوال الحكم الايوبي.

وهناك عدد من الأقاليم الصغيرة ولكل منها والٍ خاص به ، ومنها : إقليم بلاد جنب ويقع بين إقليم صنعاء في الشمال ، وإقليم تعز في الجنوب ، ومركزه مدينة ذمار ، ومن أشهر ولاته مظفر الدين قايماز في عهد الملك طغتكين بن أيوب([1]) ، وإقليم وصاب ويقع شرق مدينة زبيد إلى حدود بلاد جنب ، وقد تولاه فترة من الزمن أمراء من بني رسول([2]) ، وإقليم حجة ويقع شمال غرب صنعاء ، ويطل على تهامة ، والصراع كان مستمراً عليه بين الأيوبيين من ناحية والأئمة الزيدية من ناحية أخرى ، فإن استولى عليه الأيوبيون خصصوا له والياً مستقلاً.

٤- إقليم صنعاء:

ويشمل مدينة صنعاء وما حولها ، وهو إقليم كبير واسع ويمتد جنوباً إلى بلاد جنب ، وغرباً إلى بلاد حمير ، وتعرف هذه المنطقة بمغارب صنعاء ، ويتاخم هذا الإقليم من الشمال والشرق بلاد إمام الزيدية عبد الله بن حمزة ([3]). والواقع أن حدود هذا الإقليم لم تستقر على حال بسبب مجاورته للدولة الزيدية واستمر الصراع بينهم وبين القوى الأيوبية في صنعاء ، وقد تزيد وتنقص مساحة هذا الإقليم تبعاً لنتائج هذا الصراع. فأحياناً تتسع مساحة هذا الإقليم لصالح الأيوبيين حتى يصل إلى صعده شمالاً، وقد تتقلص مساحته حتى يدخل كله تحت نفوذ الإمام عبد الله بن حمزة.

ونظراً للأهمية العسكرية لهذا الإقليم، فإن حاكمه يختار من بين كبار الأمراء المشهورين بالشجاعة والإخلاص. وأشهر من تولى إمارة هذا الإقليم : الأمير همام الدين أبو ريا في عهد الملك طغتكين ، والأمير الشهاب الجزري في عهد الملك

---

١) يحيى بن الحسين : غاية الأماني : ج١، ص ٣٢٩.

٢) الوصابي : الاعتبار : ص ١٢٦.

٣) هذا الإقليم من الإضافات التي تمت في عهد الملك طغتكين بن أيوب بعد أن قضى على دولة بني حاتم ، واستولى على صنعاء وامتد نفوذه شمالاً إلى صعدة (يحيى بن الحسين : غاية الأماني : ج١، ص ٣٣٥.)

المعز إسماعيل بن طغتكين ، والأمير سيف الدين ورد سار في عهد الملك الناصر أيوب بن طغتكين([1]).

على أن هذا التقسيم الاداري لليمن في عهد الدولة الأيوبية لم يستقر على وضع واحد ولاسيما في المناطق المجاورة لأملاك الإمام عبد الله بن حمزة في إقليم صنعاء وحجة وتهامة بسبب الصراع المستمر بين الأيوبيين والأئمة ، وكانت رقعة الدولة الأيوبية تزيد أو تنقص تبعاً لما يترتب على هذا الصراع من نتائج ، ولعل أقصى اتساع بلغته الدولة الأيوبية فى اليمن كان فى عهد الملك طغتكين بن أيوب ، فامتدت إلى الجوف وصعدة شمالاً ، والى عدن وحضرموت جنوباً([2]) وأضاف مناطق واسعة إلى البلاد التي سبق أن سيطر عليها أخوه الملك توران شاه مثل صنعاء والجوف ، وصعدة ، وحجة وغيرها وعين عليها الولاة والحكام من قبله.

ثانيا: الولاة وصلاحياتهم ومعاونوهم:

نجد أن المدن اليمنية كانت كل مدينة مستقلة عن الأخرى في النواحي الإدارية، والمالية، والقضائية، وكان على كل مدينةوالٍ واحد.

أما الناحية المالية فقد كان والي المدينة هو المسؤول عن الجوانب المالية أمام الملك الايوبي ، وكان هو الذي يقوم بتعيين عامل الخراج والزكاة والضرائب ففي عهد الملك الناصر كان أتابكه سيف الدين سنقر قد ولى على عدن الأمير (برعش) فخان وخالف ، وأضمر الكيد والغدر ، وكان أول ما ظهر منه من الخلاف أن الأتابك سنقر لما جاءه خبر تمرد الجند الأكراد عليه في تهامة . أراد أن ينفق على الجند لمحاربتهم ، فبعث فخر الدين بكتمر السيفي إلى عدن ليقبض المال من الوالي برعش ، فاحضر الوالي الأكياس ، فطلب بكتمر أن يعدها ، فاعتذر برعش بعذر ، وقال : النقاد يتقدم صحبتك ، فتقدم النقاد صحبته ، فلما وصل عند الأتابك سنقر في تعز فتحوا الأكياس فإذا هي فلوس وحديد، فضاق صدر الأتابك سنقر لذلك

---

١) الخزرجي : العسجد المسبوك : ص ١٧٦،١٧٧.

٢) يحيى بن الحسين : غاية الأماني : ج١، ص ٣٣٥.

، ولكونه مشغولاً بالأكراد أرسل الشهاب الجزري لحصار عدن حتى يتمكن سنقر من القضاء على الأكراد في زبيد ، واستقوى خلاف برعش خلال ذلك وأعانه على الخلاف ، (نجاح) والي حصن الدملوة حيث قوى عزمه بالإمداد بالمال[1] نلحظ من خلال هذه الرواية أن الجانب المالي كان المتصرف فيه هو الوالي سواء كان والي عدن أو والي الدملوة وسواء كان جامع الضرائب أو الزكاة وغيرها قد عين من قبل الوالي أو الملك الأيوبي إلا أن الوالي كان هو المتحكم بالجانب المالي في مدينته. ولم يكن للوالي سلطة على القاضي الذي يعينه الملك الأيوبي أو قاضي القضاة ، ونجد أن السلطات الثلاث الإدارية والمالية والقضائية ، تعمل كل منهما مستقلة عن الأخرى حتى لا ينفرد شخص واحد بكل الأمور.

أما بالنسبة لتعيين الولاة في المدن أو المناطق أو النواحي فقد كان يتم من قبل الملك الأيوبي ، ولا يحق لوالي المدينة أن يولي على ما يتبع مدينته من المناطق والنواحي والعزل ـ مجموعة قرى من ثلاث إلى أربع ـ ، بل كان التعيين بيد الملك الأيوبي.

وكان الولاة يشرفون على النواحي العسكرية، والإدارية، والمالية، أما الناحية القضائية فقد كانت خارج سلطانهم. وكان يجمع للوالي إلى جانب سلطته الجوانب المالية المعبر عنها بالخراج والزكاة والضرائب وغيرها مما يجعله مطلق التصرف.

وكانت بيد والي المدينة الرئاسة على الجيش في المدينة وما يتبعها ، وكان الوالي أحيانا يقود الجيش بنفسه في الحملات التأمينية لتأمين المدن وغيرها وكذلك القضاء على أي تمرد يحدث ضد السلطة أو الخروج عن سلطة الحاكم ، أو صد أي عدوان على أي مدينة أو منطقة أو ناحية. فقد خرج والي صنعاء الشهاب الجزري من صنعاء لمحاربة أهل كوكبان بسبب خروجهم على السلطة ، وكذلك جهز الجند إلى بلاد الظاهر فأخضعهم ثم عاد إلى صنعاء[2]

---

١) ابن حاتم : السمط : ص ١٠٤،١٠٥.

٢) يحيى بن الحسين : غاية الأماني : ج١، ص ٣٥٥.

وأحيانا كان الوالي يرسل من يقود الجيش نيابة عنه ، أو انه يضع نائباً عنه لحكم المدينة ويخرج هو بقيادة الجيش والقضاء على أي تمرد أو صد أي عدوان يمس الأراضي التابعة لسلطته ، أو حتى الخروج إلى مناطق بعيدة عن سلطته إذا أمره الملك الايوبي بذلك ، أو كون هذه المدينة أو المنطقة ليس لديها جيش قادر على الدفاع عنها ، وهذا الأمر مرتبط بما يقرره الملك الأيوبي بصفته هو صاحب السلطة المطلقة في هذا الأمر.

وكان للوالي حق الإشراف على صاحب الشرطة وكان الوالي هو الذي يعين صاحب الشرطة. وكانت الأحوال في أي مدينة من المدن أو منطقة أو ناحية أو عزلة تستقيم أو تضعف على قدر درجة حزم الوالي وشدته، أو لينه وضعفه.

ومع أن كل مدينة ونواحيها مقسمة إداريا إلى عدة أقسام فقد كانت تحت سلطة الملك الأيوبي مباشرة، ولم يعط الملوك الأيوبيون فرصة لولاة المدن للتحكم بعمال المناطق والنواحي للتمكين لأنفسهم من الاستقلال أو الخروج عن سلطة الملك الأيوبي في مدنهم ونواحيها.

ونجد أن الملك توران شاه قبل أن يغادر اليمن في سنة ٥٧١هـ / ١١٧٤م أناب عنه عدداً من النواب في اليمن هم سيف الدين مبارك بن الكامل بن منقذ الكناني على زبيد وأعمالها ، وعز الدين عثمان الزنجيلي على عدن وأعمالها ، وكان هذا أقوى النواب وقد استطاع أن يمد نفوذه إلى حضرموت حيث غزاها فقتل فقهاءها وقراءها ، وولى عليها حاكماً من قبله بعد أن أبعد عنها حكامها([١]) (آل راشد) ولم يعدهم إلى ولايتهم إلا الملك طغتكين بعد وصوله إلى اليمن ، وجعل توران شاه على تعز وأعمالها ياقوت التعزي مملوك صلاح الدين ، وعلى ذي جبلة وأعمالها مظفر الدين قايماز، وأما صنعاء فإن السلطان علي بن حاتم عاد إليها بعد مغادرة توران شاه اليمن([٢]) كما جعل الملك توران شاه في كل قلعة

١) أبو شامة : الروضتين : مج١، ج٢، ص ٢٧٣.

٢) يحيى بن الحسين : غاية الأماني : ج١، ص ٣٢٦ـ ٣٢٨، ابن الديبع : الفضل المزيد : ص ٧٩ـ ٨٣، ابن عبد المجيد : بهجة الزمن : ١٣١ـ ١٣٣، الحداد : التاريخ العام : ج٢، ٣٩٠،٣٩١، الحامد : صالح بن علي الحامد : تاريخ حضرموت : مكتبة الإرشاد ، صنعاء ، ط٢، سنة ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م ، ج٢، ص ٤٠٨ ، بامخرمة : قلادة

نائباً من أصحابه(1) كما ولى توران شاه على حصون وصاب حكاماً من قبله قبل رجوعه إلى الشام حيث ولى(2) في حصن النعمان(3) رجلاً من الاهمول(4)، وولى في حصن جعر(5) رجلاً من خولان(6).

وبالنسبة إلى المبارك بن الكامل بن منقذ الكناني نائب زبيد فإنه مرض بعد مدة من مغادرة توران شاه اليمن ، فعاد إلى مصر بعد أن استأذن توران شاه فأذن له ، وأناب عنه في زبيد وأعمالها أخاه حطان بن الكامل بن منقذ ، وقد جرت بينه وبين حاكم عدن عثمان الزنجيلي حروب كثيرة حيث كان عثمان الزنجيلي يريد الاستيلاء على زبيد إلا أنه لم يتمكن من ذلك(7) .

وصار نواب توران شاه يرفعون إليه فائض موارد ولايتهم المالية في اليمن حتى مات في الإسكندرية سنة ٥٧٦هـ / م ، وأما أحوال اليمن بعد موت توران شاه

النحر : ج٢، ص ٢٥٠٦، ٢٥٠٧ ، الكندي : سالم بن محمد بن سالم بن حميد الكندي : تاريخ حضرموت المسمى بالعدة المفيدة الجامعة لتواريخ قديمه وحديثه ، تحقيق / عبد الله محمد الحبشي ، مكتبة الإرشاد ، صنعاء ، ط١، سنة ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م ، ج١، ص ٦٩ ، باوزير : سعيد عوض باوزير : معالم تاريخ الجزيرة العربية : منشورات الهيئة العامة للكتاب ، صنعاء (بدون تاريخ) ص ١٨٥،) العبدلي : أحمد فضل بن علي محسن العبدلي : هدية الزمن : في أخبار ملوك لحج وعدن : الناشر مكتبة الثقافة الدينية ، بورسعيد ، ط١، سنة ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م ، ص ٩٠،٩١، سرجيس : د/ سرجيس فرانشوزوف : تاريخ حضرموت الاجتماعي والسياسي قبيل الإسلام وبعده ، تقديم وتعريب : د/ عبد العزيز جعفر بن عقيل ، المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية ، صنعاء ، الأفاق للطباعة والنشر ، ط١، سنة ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م ، ص ١٩٩.

١) ابن واصل:مفرج الكروب، ج١، ص٢٤٣.

٢) الوصابي : تاريخ وصاب : ص ١٤٠.

٣) حصن النعمان : في جبل وصاب باليمن من أعمال زبيد (ياقوت : معجم البلدان : مج٤، ج٨، ٣٩٤.)

٤) الاهمول : بالضم ثم السكون وأخره لام . قرية من ناحية زبيد باليمن (ياقوت : معجم البلدان : مج١، ج١، ص ٢٢٦.)

٥) حصن جعر :حصن منيع في وصاب العالي من أعمال محافظة ذمار (المقحفي : معجم البلدان والقبائل اليمنية : ج١: ص ٣٣٥.)

٦) خولان : بفتح أوله وتسكين ثانيه وأخره نون ، مخلاف من مخاليف اليمن منسوب إلى خولان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة بن مالك بن عمرو بن مرة بن زيد بن مالك بن حمير بن سبأ (ياقوت : معجم البلدان : مج٢، ج٣، ص ٢٦١.)

٧) ابن عبد المجيد : بهجة الزمن : ص ١٣١،١٣٣، الأهدل : تحفة الزمن : ج٢، ص ٤٦٨. ٤٧٣، الحداد : التاريخ العام : ج٢، ص ٣٩١،٣٩٠، هارون : عبده علي عبد الله علي هارون : الدر النضيد في تحديد معالم وأثار مدينة زبيد : إصدارات وزارة الثقافة والسياحة ، صنعاء ، ط١، سنة ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م ، ص ٤٣٨. ٤٤٠، الثور : عبد الله أحمد الثور : هذه هي اليمن ،منشورات دار العودة ، بيروت ، ط٣، سنة ١٩٨٥، ص ٢٩٨،٢٩٩.

فقد تغلب نوابه في اليمن على ما تحت أيديهم أو نفوذهم ، ولم يرفعوا شيئاً من إيراداتها المالية إلى مصر ، وضرب كل نائب السكة باسمه وحرم على أهل ولايته التعامل بغيرها ، وطمع كل منهم بما تحت يد الأخر، إلا مظفر الدين قايماز فانه ضعف عن ضبط المخلاف (ذي جبلة) فطلع إليه عثمان الزنجيلي فتسلم حصن التعكر([1]).

وأما حطان بن كامل ، فإن الناصر صلاح الدين بعث مملوكه صارم الدين خطلبا ـ كان والياً على القاهرة ـ والياً على اليمن سنة ٥٧٧هـ / ١١٨١م وكتب للأمراء بها أن يجتمعوا على حطان بن كامل ويخرجوه من زبيد وينوب خلطبا على زبيد ، فلما وصل خطلبا إلى عدن تلقاه عثمان الزنجيلي بالطاعة ، وخرج معه إلى الجند ووصل إليه إلى مدينة الجند ياقوت من تعز و قايماز من التعكر وتوجه الجميع نحو زبيد ، فلما علم حطان بن كامل بذلك هرب إلى حصن قوارير([2])، فاستولى خطلبا على زبيد ، وعاد كل أمير من الأمراء إلى بلده ، وبقي خطلبا على زبيد ثم مرض. ولما توفي دخل حطان زبيد واستولى عليها وأطاعه الناس([3]).

ولما قدم الملك طغتكين إلى اليمن قبض على حطان بن الكامل بعد أن أمنه وأخذ أمواله ، ووصل إلى الملك طغتكين ياقوت التعزي حيث نزل من تعز إلى زبيد وسلم له مفاتيح الحصن فأعجبه وأكرمه ثم أعاده على ولايته وبعث معه حطان بن كامل وأمره أن يسجنه في حصن تعز ، ثم بعد أيام أمر بقتله فقتل سراً، أما مظفر

---

١) يحيى بن الحسين : غاية الأماني : ج١، ص ٣٢٦ . ٣٢٨، ابن الديبع : الفضل المزيد : ص ٧٩ . ٨٣، ابن حاتم : السمط : ص ٢٠ ـ ٢٤، الأهدل : تحفة الزمن : ج١، ص ٤٦٨ . ٤٧٣، بامخرمة : قلادة النحر : ج٢، ص ٢٥٠٦،٢٥٠٧.

٢) حصن قوارير: حصن مشهور في جبل الد اشر من مديرية وصاب السافل وأعمال محافظة ذمار ، وهو من الحصون المنيعة ويطل على مدينة زبيد من شرقيها (المقحفي : معجم البلدان والقبائل اليمنية : ج٢، ص ١٣٠٣.)

٣) الفرح : اليمن في تاريخ ابن خلدون : ص ٦١٢، ابن حاتم : السمط : ص ٢٠. ٢٤، ابن الديبع : قرة العيون : ص ٢٧٢.٢٧٥، بامخرمة : قلادة النحر : ج٢، ص ٢٥٠٦،٢٥٠٧، الأهدل : تحفة الزمن : ج٢، ٤٦٨. ٤٧٣، يحيى بن الحسين : غاية الأماني : ج١، ص ٣٢٦. ٣٢٨، الحضرمي : عبد الرحمن عبد الله أحمد صالح : تهامة في التاريخ : المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية ، صنعاء ، والمعهد الفرنسي للشرق الادنى دمشق ، ط١ ، دمشق ، سنة ٢٠٠٥م ، ص ٧٤، ابن عبد المجيد : بهجة الزمن : ص ١٣١. ١٣٣، الحداد : د/ عبد الله عبد السلام صلاح الحداد : الاستحكامات الحربية بمدينة زبيد :اصدرات وزارة الثقافة والسياحة ، صنعاء ، ط١، سنة ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م : ص ٤٤،٤٥، الجندي : السلوك : ج٢، ص ٥٢٤.

الدين قايماز فأرسل إليه من أتى به ، أما عثمان الزنجيلي فإنه لما علم بما حدث لحطان حمل أمواله في البحر وخرج من عدن فأرسل لملك طغتكين سفناً للقبض عليه إلا أنه نجا بسفينته واستولى على بقية السفن والأموال التي كان قد أخذها معه ، ثم عين الملك طغتكين والياً على عدن يعرف بابن عين الزمان(١).

كما ولى الملك طغتكين على ذمار مظفر الدين قايماز وذلك سنة ٥٨٣هـ /١١٨٧ م(٢) وولى على الحقل ياقوت الشمسي في العام نفسه(٣) وأقطع صنعاء للأمير الهمام أبي زبا وجعل في رداع وبلاد عنس أميراً ، وفي جهران وبلاد إلهان(٤) أميراً ، وفي الحقل أميرا يسمى ياقوت الشمسي ، ثم أمر الأمراء المقطعين بالطاعة لأبي زبا وأن يأتمروا بأمره وذلك في سنة ٥٨٧هـ/١١٩١ م(٥) وعين القاضي الأسعد والياً على حرض(٦) كما ولى ابنه المعز إسماعيل بن طغتكين على كوكبان وبلاد الظاهر ، كما ولى الولاة على شبام حضرموت(٧) وتريم(٨) وذلك في العام نفسه(٩) وعين على الجوف وصعدة ولاة من قبله(١٠).

---

١) الجندي : السلوك : ج٢، ص ٥٢٨، يحيى بن الحسين : غاية الأماني : ج١، ص ٣٢٦ . ٣٢٨، الأهدل : تحفة الزمن : ج١، ص ٤٦٨ . ٤٧٣، بامخرمة : قلادة النحر : ج٢، ص ٢٥٠٦، ٢٥٠٧، ابن الديبع : قرة العيون : ص ٢٧٢ . ٢٧٥.

٢) ابن حاتم : السمط : ص ٢٧، الحداد : التاريخ العام : ج٢، ص ٣٩٤، يحي بن الحسين : غاية الأماني : ج١، ص ٣٢٩، ابن الديبع : قرة العيون : ص ٧٦، الكبسي : اللطائف السنية : ص ٩٩، ١٠٠.

٣) ابن حاتم : السمط : ص ٣٠.

٤) إلهان: بوزن عطشان. اسم قبيلة وهو إلهان بن مالك بن زيد بن أوسلة بن ربيعة بن الخيار بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ، وهو مخلاف باليمن بينه وبين العرف ستة عشر فرسخاً وبينه وبين جبلان أربعة عشر فرسخاً (ياقوت : معجم البلدان : مج١، ج١، ص ١٩٩.)

٥) يحيى بن الحسين : غاية الأماني : ج١، ص ٣٣٦، ابن حاتم : السمط : ص ٣٨، ٣٩، الكبسي : اللطائف السنية : ص ١٠٣، ١٠٤.

٦) ابن حاتم : السمط : ص ٤٣.

٧) شبام حضرموت : مدينة مشهورة في قلب وادي حضرموت ، مابين سيئون شرقاً والقطن غرباً (المقحفي : معجم البلدان والقبائل اليمنية : ج١، ص ٨٤٥.)

٨) تريم: اسم إحدى مدينتي حضرموت لأن حضرموت أسم للناحية بجملتها ومدينتاها شبام وتريم وهما قبيلتان سميت المدينة باسميهما (ياقوت: معجم البلدان: مج١، ج٢، ص ٤٤٢.)

٩) الكبسي : اللطائف السنية : ص ١٠٣، ١٠٤، يحي بن الحسين : غاية الأماني : ج١، ص ٣٣٨.

١٠) يحيى بن الحسين : غاية الأماني : ج١، ص ٣٣٥.

وفي عهد الملك المعز نجد أن المعز قام بتغيير العمال الذين تم تعيينهم من قبل أبيه الملك طغتكين ، حيث نجد أن الملك المعز يعين على صنعاء والياً جديدا هو الشهاب الجزري وبجانبه الأمير حكوبن محمد من الأكراد وكان رجلاً عظيماً في الشجاعة والشهامة والإقدام وممارسة الحرب([1]) كما ولى على عدن الأمير علم الدين ورد سار وعلى حجة الأمير هلندري ، ثم اقطعه بعد ذلك بلاد حرض([2]) وذكر ابن حاتم أن الملك المعز أقطع الأمير هلندري حرض والحموس وصعدة ([3]) كما ولى على عدن شجاع الدين مهكار بن محمد بن محمود([4]).

وفي عهد الملك الناصر بقي الشهاب الجزري على صنعاء ، والأمير هلندري على حرض والحموس وصعدة ، ثم قام سنقر أتابك الملك الناصر بعزل والي عدن شجاع الدين مهكار بن محمد بن محمود، وأعطى سنقر لمهكار الأمان وعشرة ألاف دينار ، وولى بدلاً عنه والي اسمه الشريف برعش ، وابقى على شجاع الدين مهكار في الجيش فترة ثم ولاه زبيد([5]) ونستدل من هذه الرواية أن الأمير مهكار شخصية مرموقة ذات تقدير واحترام عند الأتابك سنقر وأنه قائد عسكري يعتمد عليه لذا فإننا نرجح أن عزله عن إمارة عدن لم يكن عقاباً له ، وإنما استوجبت ظروف البلاد الاستفادة منه في الجيش ثم بعد ذلك ولاه زبيد ، كما قام الأتابك سنقر بعزل هلندري عن حجة وأقطعه لحج وأبين([6]).

كما أقطع الأتابك سنقر الأمير علم الدين ورد سار صنعاء من نقيل سرح إلى البون وأضاف إليه رمع ـ منطقه ـ معونة لأجل نفقات الجند ، كما ولى على ذمار ورداع الأمير البغش المعظمي وذلك سنة ٥٩٨هـ /١٢٠٢م([7]) كما قام الأتابك سنقر بعزل الأمير برعش عن عدن وولى بدلاً عنه أحمد بن عبد الله بن عبد الوهاب

---

١) ابن حاتم : السمط : ص ٤٥، يحيى بن الحسين : غاية الأماني : ج١، ص ٣٤٤.
٢) يحيى بن الحسين : غاية الأماني : ج١، ص ٣٥٦.
٣) السمط : ص ٧٨،٧٩.
٤) ابن حاتم : السمط : ص ٨٤،٨٥.
٥) ابن حاتم : السمط : ص ٨٤،٨٥.
٦) ابن حاتم : السمط : ص ٩٢،٩٣.
٧) ابن الديبع : قرة العيون : ص ١٨٧، الحداد : التاريخ العام : ج٢، ص ٤١٢، ابن حاتم : السمط : ص ٩٥،٩٦.

وذلك سنة ٥٩٩هـ /١٢٠٣م([1]) وهو من أهل اليمن ، فقد كان الأيوبيون يستعينون ببعض اليمنيين في حكم بعض المدن ، ولكنهم قلة بالنسبة إلى الولاة الأيوبيين ، وفي العام نفسه ولى الأتابك سنقر على المهجم الأمير بكتمر السيفي، كما اقطع وصاب للأمير فخر الدين أبي بكر علي بن رسول ، كما أقطع الأمير بدر الدين الحسن بن علي بن رسول ريمة ، وولى الأمير الكبير شمس الدين على بن رسول حصن حب وسيف الدين بكتمر السيفي على لحج([2]) وولى على كوكبان رجلاً من الغز([3]) يسمي ابن نصر الله([4]) وفي سنة ٦٠١هـ /١٢٠٤م دخل الأتابك سنقر الجوف وصعدة وولى على صعدة أسد الدين قراسنقر، وكان على براقش الأمير لؤلؤ([5]) وفي العام نفسه ولى الأتابك سنقر المؤيد بن القاسم على حرض ، كما نلحظ أن والي حرض المؤيد بن القاسم أحد الولاة اليمنيين الذين كان يتم تعيينهم على بعض المدن من قبل الأيوبيين وهؤلاء الولاة من أهل اليمن ، وكان يتم استمالتهم من قبل الأيوبيين ، وذلك لمكانتهم الاجتماعية أو لنفوذهم في قبائلهم، وفي العام نفسه استعاد الإمام عبد الله بن حمزة صعدة([6]) وفي سنة ٦٠٣هـ /١٢٠٦م تمكن الأتابك سنقر بواسطة الأمير ورد سار والي صنعاء من الوصول إلى حضرموت بعد أن أطاعه أهل مأرب فعين الولاة على تلك البلاد([7]) وفي سنة ٦٠٤هـ/١٢٠٧م عزل الأتابك سنقر ورد سار عن صنعاء([8]) وفي سنة ٦٠٥هـ /١٢٠٨م أعاد الأتابك سنقر ورد سار على صنعاء([9]) وفي سنة ٦٠٥هـ /١٢٠٨ م ولى الأتابك سنقر على براقش محمد بن حجاج كما ولى على حجة علي بن حجاج ، ولم تلبث براقش إلا

---

١) ابن حاتم : السمط : ص ١٠٤،١٠٥.

٢) ابن حاتم : السمط : ص ١٠٥.

٣) كثير من المؤرخين اليمنيين مثل يحيى بن الحسين ، وابن حاتم ، وغيرهم ، يطلقون على الأيوبيين اسم الغز.

٤) ابن حاتم : السمط : ص ١١٨،١١٩.

٥) ابن حاتم : السمط : ص ١٢٠،١٢٢.

٦) ابن حاتم : السمط : ص ١٢٣،١٢٥.

٧) يحيى بن الحسين : غاية الأماني : ج١، ص ٣٨٩،٣٩٣، ابن حاتم : السمط : ص ١٣٢.

٨ ابن حاتم : السمط : ص ١٣٩.

٩) ابن حاتم : السمط : ص ١٤٣.

أيام حتى سلمها محمد بن حجاج إلى الإمام عبد الله بن حمزة([1]) وكان هذا الوالي من أقارب الإمام وأراد الأيوبيون استمالته إلى صفوفهم بتوليته على براقش ، إلا أنه ما إن تسلم المدينة من الأيوبيين ،حتى سلمها للإمام عبد الله بن حمزة، وفي سنة ٦٠٩هـ /١٢١٢م ذهب الأتابك سنقر إلى حضرموت ووصل إلى حصن الزنبيل([2]) وقام بتعيين الولاة على تلك البلاد ثم عاد إلى تعز وتوفي في العام نفسه([3]).

ثم استقل الملك الناصر بالأمر وقام بتعيين الولاة فنقل الأمير بدر الدين الحسن بن رسول من ريمة إلى حرض والهلبة ، وعزل المؤيد بن القاسم عنهما ، كما أقطع أمير يسمى سيف الدين ابن عصية المحاليب ، وابقى الأمير فخر الدين أبا بكر علي بن رسول على ولاية البلاد الوصابية ، كما أضاف إلى علم الدين ورد سار إلى جانب صنعاء حصن السمدان([4]) ولما تولى الأمير غازي بن جبريل بعد موت الملك الناصر، ولى على صنعاء والي يقال له القيسي مع الشيخ صارم الدين راشد بن مظفر بن الهرش وذلك سنة ٦١١هـ /١٢١٤م ،كما ولى على براش واليا يقال له محمود العجمي([5]) وبعد موت الملك الناصر استولى الإمام عبد الله بن حمزة على صنعاء وذمار وذلك سنة ٦١١هـ /١٢١٤م وولى على صنعاء الشريف محمد بن علي العلوي ، كما ولى على ذمار ومخاليفها الأمير سليمان بن موسى ، ثم اخذ براش وكان واليها من الغز الأمير القيسي وابنه محمود العجمي([6]) وكان على حرض والهلبة الأمير بدر الدين الحسن بن علي بن رسول وفي المحالب الأمير سيف الدين بن عصية([7]).

---

١) ابن حاتم : السمط : ص ١٤٤،١٤٥.

٢) حصن الزنبيل : من قرى تريم بمديرية سيئون وأعمال حضرموت (المقحفي : معجم البلدان والقبائل اليمنية : ج١، ص ٤٧١.)

٣) ابن حاتم : السمط : ص ١٤٧.

٤) ابن حاتم : السمط : ص ١٤٨،١٤٩.

٥) يحيى بن الحسين : غاية الأماني : ج١، ص ٣٩٨،٤٠١، ابن حاتم : السمط : ص ١٥٢،١٥٣.

٦) ابن الديبع : قرة العيون : ص ٢٩٠،٢٩١، يحيى بن الحسين : غاية الأماني : ج١، ص ٣٩٨،٤٠١، ابن حاتم : السمط : ص ١٥٥،١٥٦، الحداد : التاريخ العام لليمن : ج٢، ص ٤١٨.

٧) ابن حاتم : السمط : ص ١٥٨،١٥٩.

ولما تولى الملك سليمان بن شاهنشاه أقطع صنعاء للأمير أبي شامة ، وأقطع ذمار لأحد الأكراد يدعى صالح بن هشام وذلك سنة ٦١١هـ /١٢١٤م(١) ثم لم يلبث أن قام الملك شاهنشاه أن اقطع صنعاء للأمير بدر الدين الحسن بن علي بن رسول ، لان الوالي السابق لم يكن قادرا على ضبط النظام في صنعاء ، وكان على الدملوة عيسى بن الأتابك ، وكان سيف الدين ابن عصية على أبين ، وابقي على فخر الدين أبي بكر بن علي بن رسول على البلاد الوصابية ، ونور الدين عمر بن علي بن رسول على ريمة ، وعلى زبيد الأمير عز الدين بن ورد سار(٢) وقيل كان الأمير عز الدين ورد سار على المهجم(٣).

ولما قدم الملك المسعود مع أتابكه جمال الدين بن فليت ، أقطع الملك المسعود الأمير بدر الدين الحسن بن علي بن رسول القحمة ، ونور الدين عمر بن علي بن رسول على صهبان(٤) وأقطع جمال الدين ابن فليت الكد راء ، وكان ذلك في أواخر سنة ٦١١هـ /١٢٤١م وبداية سنة ٦١٢هـ /١٢١٥م(٥) كما جعل جمال الدين كنج على صنعاء وذلك سنة ٦١٣هـ /١٢١٦م(٦) كما جعل الملك المسعود الأمير بدر الدين الحسن بن علي بن رسول أستاذ داره ، وكان على حصن حب وليًا اسمه الحاولي سنة ٦١٤هـ /١٢١٧م (٧) كما ولى الملك المسعود الولاة على الظاهر و حوث والجوف وذلك عند وصوله إلى تلك المناطق في سنة ٦١٥هـ /١٢١٩م(٨)

وفي سنة ٦١٨هـ /١٢٢١م اقطع صنعاء للأمير بدر الدين الحسن بن علي بن رسول ، ثم استولى الملك المسعود على مكة من الشريف حسن بن قتادة وولى عليها

١) يحيى بن الحسين : ج١، ص ٤٠٢،٤٠٤، ابن حاتم : السمط : ص ١٥٨،١٥٩.

٢) ابن حاتم : السمط : ص ١٦١، يحيى بن الحسين : غاية الأماني : ج١، ص ٢٤٢،٢٤٤، الكبسي : اللطائف السنية : ص ١٢١.

٣) يحيى بن الحسين : غاية الأماني : ج١، ص ٤٠٢،٤٠٤ ، ابن حاتم : السمط : ص ١٦٤.

٤) ابن حاتم : السمط : ص ١٦٧، يحيى بن الحسين : غاية الأماني : ج١، ص ٤٠٢،٤٠٤.

٥) يحيى بن الحسين : غاية الاماني : ج١، ص ٤٠٤،٤٠٥، ابن حاتم : السمط : ص ١٧٠،١٧١.

٦) ابن حاتم : السمط : ص ١٧٠،١٧١، يحيى بن الحسين : غاية الاماني : ج١، ص ٤٠٤،٤٠٥.

٧) يحيى بن الحسين : غاية الاماني: ج١، ص ٤٠٦،٤٠٧، ابن حاتم : السمط : ص ١٧٢،١٧٣.

٨) ابن حاتم : السمط : ص ١٧٣،

نور الدين عمر بن علي بن رسول ، ثم عاد الملك المسعود إلى مصر بعد أن جعل على البلاد الأمير الحسام لؤلؤ([1]).

ولما رجع الملك المسعود من مصر إلى اليمن وذلك سنة ٦٢٤هـ/١٢٢٧م واستقر في تعز، فنزل إليه من صنعاء بدر الدين الحسن بن رسول ، كما وصل شرف الدين بن على بن رسول والي جهران ، وكذلك وصل فخر الدين بن علي بن رسول والي التريبة([2]) ، والأمير نور الدين عمر بن رسول حيث كان على وصاب ، ثم أقطع صنعاء للأمير الحسام لؤلؤ([3]) وفي سنة ٦٢٦هـ/١٢٢٩م لما أراد الملك المسعود العودة إلى مصر أقطع صنعاء لنجم الدين ابن أبي زكريا ، وجعل نائبه على اليمن الأمير نور الدين عمر بن علي بن رسول([4]).

قام على إدارة هذه المدن والمناطق عدد من الولاة والأمراء المقطعين، ويتم عادة تعيين الوالي بمنشور يصدره الملك ويتسلمه الوالي قبل مباشرته العمل. بينما يتم تعيين الأمير بتوقيع يصدره الملك أو نائبه ويحدد فيه مكان الإقطاع . وعادة يكتفي بوالٍ أو أمير واحد على كل إقليم من الأقاليم السالفة الذكر ؛ إلا أنه فى بعض الأحيان يعين أكثر من أمير فى الإقليم الواحد ، وكل منهم مستقل عن صاحبه كما سبقت الإشارة إليه في إقليم تهامة ، وأحيانا يتم تزويد الوالي أو الأمير الاقطاعي بعدد من الأمراء المساعدين له في حماية الإقليم ، ويكونون تحت إمرته([5]). وعلى الرغم من أن المنشور لا يحدد المدة التي يمكثها الوالي أو الأمير فى ولايته ، إلا أن معظم الولايات لا تدوم إلا فترة قصيرة حيث يعزل الوالي الأول ويتولاها شخص غيره ، وكثرة تغيير الولاة دلالة على عدم الاستقرار السياسي ، ودليل على كثرة المشاكل والتمردات ، ومع ذلك فإن هناك بعض الأمراء الذين استمرت ولايتهم فترة

---

١) يحيى بن الحسين : غاية الاماني : ج١، ص ٤١٠، ابن حاتم : السمط : ١٧٤،١٧٦.

٢) التريبة : تصغير تربة . قرية كبيرة بالقرب من مدينة زبيد من الجهة الشرقية الجنوبية . وهي من بلاد الأشاعر (المقحفي : معجم البلدان والقبائل اليمنية : ج١، ص ٢٢٧.)

٣) ابن حاتم : السمط : ص ١٩٣،١٩٤، يحي بن الحسين : غاية الاماني : ج١، ص ٤١٦.

٤) يحيى بن الحسين : غاية الاماني : ج١، ص ٤١٧، ابن حاتم : السمط : ١٩٤،١٩٥، الكبسي : اللطائف السنية : ص ١٢٦.

٥) ابن حاتم : السمط : ص ٣٨.

طويلة نسبياً مثل الأمير ورد سار أمير إقليم صنعاء ، حيث مكث فى الإمارة ما يقرب من اثنتي عشرة سنة([1]).

صلاحيات الوالي:

واختصاصات الوالي تتعلق بحماية الأمن والنظام في ولايته، وتعقب اللصوص والمجرمين والقبض عليهم وتطهير البلاد منهم، كما يتولى مهمة تنفيذ الأحكام الشرعية التي يصدرها القاضي في جهته بصفته صاحب سلطات تنفيذية لا يملكها القاضي.

وعليه أيضاً أن يشرف على جباية الضرائب المطلوبة ، ويساعد الموظفين الذين توكل إليهم مهمة تحصيلها ، وعليه أيضاً أن يحرص على ولايته ومواطنيه من كل خطر ، وأن ينصف المظلوم من رعيته قبل أن يصل بشكواه إلى الملك . فإذا حدث أن تهاون الوالي في عمله أو لحق بأحد رعيته ظلم وبلغ ذلك الملك ، فإنه يعرض نفسه للعقوبة التي قد تصل إلى عزله من ولايته ، كما فعل الملك طغتكين مع والي مدينة الكد راء([2]).

أما الأمير المقطع فإن المهام التي يقوم بها تتبع نوع الإقطاع الذي يتولاه ، فهناك الإقطاع الحربي وهناك الإقطاع الاداري . والذي يهمنا هنا هو النوع الأخير الذي يتفق مع الوحدة الإدارية والإقليمية([3]).

ومهام الأمير الاقطاعيفي هذا النوع من الإقطاع لا تختلف كثيراً عن مهام الوالي ، وأن كان الأمير الاقطاعي يزيد على الوالي بأنه ملزم أن يضم إلى حلقته عدداً من الجنود بما يتفق ومساحة إقطاعه ، ويقوم بالإنفاق عليهم وتجهيزهم بالأسلحة والعتاد ليقدمهم إلى الملك إذا احتاج إليهم ، وليقوموا بالدفاع عن الإقليم الذي يقيمون فيه. ولعل هذا التفاوت فى الخدمة بين الأمير الاقطاعي وبين الوالي هو الذي جعل الأمراء الإقطاعيين يتمركزون في المناطق المجاورة للدولة الزيدية

---

١) يحيى بن الحسين : غاية الاماني : ج١، ص ٣٩٧.

٢) بامخرمة : تاريخ ثغر عدن : ص ١٣٤،١٣٥.

٣) هذا النوع من الإقطاع كان في مصر خاصاً بأمراء الأسرة الأيوبية وكبار الأمراء والموظفين، أما في اليمن فنظراً لقلة عدد أفراد الأسرة الأيوبية فقد توزع على الأمراء وبعض المشايخ.

في كل من صنعاء ، وتهامة ، وحجة ، بينما يكثر الولاة في مناطق الاستقرار البعيدة عن نفوذ الأئمة الزيدية مثل زبيد ، وعدن ، وتعز ، وغيرها. ويستعين الأمير المقطع فى إدارة بعض جهات إقطاعه بعدد من الأمراء ولاسيما إذا كان الإقطاع كبيراً (١) ، فإذا حدث من الأمير الاقطاعي أي إهمال في الدفاع عن إقطاعه أو حصل منه ظلم للرعية ، فإن الحاكم يقوم في الغالب بعزله، كما عزل الأتابك سنقر أميره على صنعاء وهو الأمير ورد سار، ولم يسمح بعودته إلى ولايته إلا بعد أن أزال معظم المظالم التي أحدثها فى صنعاء ، وبعد أن تعهد ببذل ما فى وسعه فى مقاومة الإمام عبد الله بن حمزة(٢).

أما إذا أثبت الأمير الاقطاعي جدارته فى إدارة إقليمه ، فإن ذلك يؤهله لتولى أرقى المناصب فى الدولة اكراماً له وتقديراً لجهوده وخدماته ، كما حدث مع الأمير غازي بن جبريل الذي وصل إلى مرتبة نائب الملك بعد وفاة الأمير سيف الدين سنقر الأتابك الذي كان نائباً عن الملك الناصر . وكان الأمير غازي المذكور مقطعاً في إقليم لحج(٣).

وقد عاون الأمير أو الوالي فى إدارة أعماله موظفون عديد ون وهم : كتاب الدواوين ، وكتاب الرسائل ، وصاحب بيت المال(عامل الخراج وصاحب الشرطة)

كاتب الرسائل : كانت مهمته الاشراف على ديوان الرسائل ، وهو الذي يحرر الكتب للملك أو للأمير، فهو أشبه بالسكرتير فى أيامنا هذه ، ومن أشهر الكتاب فى الدولة الأيوبية باليمن علوان الخاوي حيث كان كاتب إنشاء للملك المسعود ,كان كاتب حسن الخط ، قال عنه أهل العراق لما كتب نسخة البيان ووصلت إليهم جعلوها فى أطباق من ذهب(٤) كما نجد أن والى حرض القاضي

١) ابن حاتم : السمط : ص ١٨٩.

٢) ابن حاتم : السمط : ١٤٠،١٣٩.

٣) ابن حاتم : السمط : ص ١٤٨.

٤) بامخرمة : قلادة النحر : ج٣، ص ٢٧٤٥،٢٧٤٤.

الأسعد قبل توليه حرض كان كاتباً مع الملك طغتكين([1]) وكان علوان والأسعد من أهل اليمن ومع ذلك كانا كاتبين ، الأول للملك المسعود والثاني للملك طغتكين ، كما كان أبو الغيث ابن الأصفهاني كاتب الإنشاء للأمير بدر الدين الحسن بن على ابن رسول([2]) كما نجد أن الأتابك سنقر لما تقرر الصلح بينه وبين الإمام عبد الله ابن حمزة أرسل الأتابك سنقر قاضيه أبى عزيز الكرماني لإتمام الصلح ويكون شاهداً على توقيع المصالحة([3]) وفى بعض الأحيان كان القاضي هو الكاتب حيث ندب الأمير ورد سار قاضيه وكاتبه القاضي الاشراف وكان من الكتاب المصريين لاستحلاف الأمراء على الصلح فذهب إلى حوث وكان تمام الصلح بين الأمير ورد سار والأمام عبد الله بن حمزة([4]).ومما سبق نعرف أنه كان لكل والٍ من ولاة الأقاليم في اليمن كاتب رسائل خاصٌ به.

ثالثاً: مراقبة الولاة:

أما من حيث مراقبة الولاة ومحاسبتهم فالملك الأيوبي نفسه هو الذي كان يتولى ذلك. وقد كان بعض الملوك الأيوبيين شديدي المراقبة للولاة ، وكان الملك يعاقب أيوالٍ يرتكب بعض الأعمال أو التصرفات في ولايته ، وإذا رفعت إليه شكوى بأحد الولاة فلا يتغافل عنها بل يعمل على أن ينصف الشاكي من الوالي أو غيره ويعيد له حقه.

وهكذا بقية الصورة التي تحدثت عن الوالي كان الملك الايوبي يتابع أي أمر سواء كان متصلاً بالمال العام للمدينة أو المنطقة ، أم يمس رعايا المدينة، أم ظهور

١) ابن حاتم : السمط : ص ٤٣،٤٤.

٢) ابن حاتم : السمط : ص ١٨٤.

٣) يحيى بن الحسين : ج١، ص ٣٧٧.

٤) ابن حاتم : السمط : ص ١٣١.

بعض التصرفات من بعض الولاة لا تليق به كوالٍ ، لأنه يمثل الملك الأيوبي الذي يعد هو المسؤول عن تصرفات الوالي.

وهكذا كان الملك الايوبي يقوم بمراقبة تصرفات الوالي وهل هو قادر على إدارة المدينة أو المنطقة أم لا ؟

وسنضيف نماذج من تلك الأعمال الرقابية لنتعرف إلى أي مدى كانت مراقبة الملوك الأيوبيين للولاة ، وما كان يتخذ بحقهم من عقوبات وإن كان بعض الولاة من أقرب الناس إلى الملك كابنه. وقد أشرنا في فقرة سابقة إلى الأسباب التي أدت إلى عزل بعض الولاة في بعض المدن أو المناطق ، وهذا يعد جزءاً من مراقبة الولاة ومحاسبتهم ، وسنضيف هنا مالم يذكر هناك.

المثال الأول: ولى الملك طغتكين ابنه المعز إسماعيل بن طغتكين ولاية كوكبان وبلاد الظاهر فساءت سيرة أصحابه في تلك البلاد وأفسدوا فيها ، فقامت القبائل في تلك البلاد تريد حربه ، فلما بلغ الأمر إلى أبيه الملك طغتكين قام بعزله عن ولاية كوكبان وبلاد الظاهر ، ولم يوله على بلاد أخرى فما كان منه إلا أن خرج يريد الذهاب إلى مصر غضبا من أبيه لأنه لم يوله([1]) ولو كان الملك طغتكين سيجامل أحدا من الولاة لكان ابنه أولى بهذه المجاملة. كما نجد أن الملك طغتكين لم يتخذ موقفاً من القبائل التي أرادت قتال ابنه ، ولكن لما قامت هذه القبائل بالاعتداء على الجنود الأيوبيين وقتلهم حيث قتلت منهم نحو سبعمائة جندي جهز الملك طغتكين جيشاً لمحاربتهم باعتبارهم خارجين على السلطة([2]).

المثال الثاني: قعد الملك طغتكين يوماً بجبلة وذلك لكشف المظالم ، إذ جاءه رجل من عامة السوق يشكو أن أحد الأجناد وصل إليه يريد طعاما، وأراد منه أن يبيعه بأقل من السعر ، فكره وقال له: لا اجعل لي بيعين (سعرين) وتنازعا في ذلك ، فحملت الجندي العزة وكره إلا البيع بالناقص على السعر، وبطش بالبائع ، وعمد إلى مكياله فكسره وفرق طعامه ، فلما سمع الملك طغتكين الشكوى أمر بالبحث عن

---

١) الكبسي : اللطائف السنية : ص ١٠٤، يحيى بن الحسين : غاية الاماني : ج١، ص ٣٣٨ .

٢) يحيى بن الحسين : غاية الاماني : ج١، ص ٣٣٨.

الجنـدي وإحضـاره ، فبحـث عنـه وتبـين أنـه أحـد المقـدمين مـن أمـراء الحلقـة (احدالمقربين من الملك) وأبلغ أمره إلى الملك طغتكين وخوطب في الإصلاح بينه وبين خصمه على ما يليق بـه ، والا يقوم هو وخصمه بين يدي الملك طغتكين ، فأبى الملك طغتكين إلا حضوره والقصاص منه ، فأحضر كارهاً راغماً ، فعاتبه الملك طغتكين على ذلك وأوقفه . ثم أمر بقطع يده تنكيلاً وإرهابا للباقين من الأمراء والعسكر أن يستنوا بسنته ، فتشفع بكل شفيع ، وتوسل بكل وسيلة ، وبذل الاموال على أن يعفى من قطع اليد ، والملك طغتكين مصر على ما أمر به ، ولم يقبل شفيعاً ولا مالاً ، بل قطع يده بحضرة الملأ من الناس ، فتأدب به كل جبار من الأمراء والجند وغيرهم([1]).

المثال الثالث: كان الملك طغتكين منصفاً إذا تعرض له متظلم وهو في موكبه امسك رأس حصانه ولا ينصرف من مكانه حتى يكشف ظلامته([2]) ، يذكر أن رجلاً من أهل وادي سهام ذهب إلى سوق الكد راء بشيء من العزف ـ شيء يصنع من القصب ـلبيعه فلقيه صاحب السوق فقال : سلم درهماً لهذا الغلام فقال : ما عندي شيء مما يتوجب فيه الضمان ، فقال : سلم درهمين فقال : سبحان الله العظيم أقول لك ما معي شيء يتوجب فيه الضمان وتقول سلم درهمين ، فلكمه لكمة شديدة ، وقال : سلم ثلاثة دراهم وأمر بعض أعوانه أن يأخذها منه فلم يجد بدا من تسليمها ، ورجع الرجل إلى بيته بغير شئ فقالت له: امرأته لا صبر على هذا اذهب إلى الملك طغتكين واشك عليه فذهب الرجل إلى صنعاء ، فوجد الملك طغتكين خارجاً من صنعاء لبعض أمور فاستوقفه الرجل فنظر إليه فرأى هيئته غير هيئة أهل صنعاء فاستدعاه وسأله عن بلده وما أقدمه فاخبره بقصته مع الضامن فأمر بعض خواصه أن يجعله عنده حتى يرجع ، ثم ذهب إلى مقصده فلما رجع أخر النهار كسا الشاكي وزوده ، وأمره بالرجوع إلى بلده وقال له: إذا كان اليوم الفلاني تواجهني في السوق، فلا تتأخر ، فرجع الرجل إلى بلاده ، فلما كان يوم ميعاده

---

١) ابن حاتم : السمط : ص ٤٠،٤١.

٢) ابن الديبع : قرة العيون : ص ٢٨٠، ابن عبد المجيد : بهجة الزمن : ١٣٤.

ذهب المتظلم إلى السوق ينتظر وصول الملك طغتكين ، فبينما هو واقف في السوق ، وقد اشتد الزحام إذ اقبل الملك طغتكين في مجموعه من العسكر إلى الكد راء ، فلما توسط السوق استدعى الوالي والضامن والمشتكي ، فلما حضروا أمر بشنق الضامن في السوق ، وعزل الوالي عن الكد راء ، وقال : يظلم مثل هذا عندكم ولا تنصفونه ، وتكفني الوصول ، والله لئن أتاني أحد شاكياً لا شنقن الوالي([1])

رابعاً : عزل الولاة

كما كان التعيين بيد الملك الأيوبي فالعزل بيده بداهة ، ويلاحظ الدارس بروز ظاهرة عزل الولاة في اليمن في العصر الأيوبي.

وإذا حاولنا تتبع الأسباب التي دفعت الملوك الأيوبيين في اليمن لعزل الولاة لوجدنا مجموعة من الأسباب مجتمعة تارة، ومتفرقة تارة أخرى.

١) تحويل الولاة من مدينة إلى مدينة أخرى بسبب أهمية المدينة ، أو كون المدينة تعيش في وضع مضطوب ، أو أنها تواجه خطراً يتهددها وتحتاج إلى وال قوى قادر على إدارتها وتسيير شؤونها ، فقد قام الملك الناصر أيوب بن طغتكين سنة ٦٠٩هـ /١٢١٢م بعزل الأمير بدر الدين الحسن بن على بن رسول من ريمة وولاه على حرض والهلبة وذلك لأن حرض والهلبة مواجهة للائمة الزيدية في حجة وكانوا كثيري الإغارة على حرض والهلبة([2])

٢) تحويل الولاة من مدينة ذات أهمية مخافة أن يستقل الوالي بهذه المدينة إلى حصن أو قلعة بحيث لا تشكل خطر من قبل الوالي في حال الاستقلال بها ومثال ذلك(قصة الأمير برعش السالفة) ، وهي أنه لما تخلص الأتابك سنقر من أكراد زبيد ، توجه إلى عدن فحط عليها العسكر وحاصرها وضيق على أهلها ، وقطع المواد الغذائية والمياه عنهم حتى ضاق الناس ، وضاق برعش لضيقهم ، فلم يسعه إلا المراسلة للاتابك سنقر في طلب الذمة والعفو عنه ، على أن يسلم المدينة فوافق

---

١) بامخرمة : قلادة النحر : ج٢، ص ٢٥٥٣،٢٥٥٢.

٢) ابن حاتم : السمط : ص ١٤٨.

الأتابك سنقر على ذلك ، ودخل الأتابك سنقر عدن ، وأعطى الأمير برعش حصناً يقال له الرماء في أعالي لحج وولى على عدنولياً اسمه احمد بن عبد الله بن عبد الوهاب وذلك سنة ٥٩٩هـ /١٢٠٣م([1]).

٣) رفض احد الولاة لطلب الملك الأيوبي بشيء يخص الوالي وليس له علاقة بالحكم ومثال ذلك ماحدث في عهد الملك المسعود فقد أقطع حرض والهلبة للمؤيد ابن القاسم ثم عزله وذلك بسبب أن الملك المسعود علم أن للمؤيد بن القاسم حصاناً يسمى الحوماني وكان مشهورا فكتب الملك المسعود للمؤيد يطلب منه الحصان فاعتذر المؤيد وأرسل للملك المسعود فهداً وحصانين عوضاً عن الحصان المطلوب فعظم ذلك على الملك المسعود ، أن يرفض طلبه منوالٍ من ولاته ، فما كان منه إلا أن أقطع حرض لأمير يسمى الخوارزمي ، وأقطع الهلبة لأمير يسمى المجاهد النظامي([2]).

الجهاز الإداري:

يتكون الجهاز الاداري للدولة ـ بعد الأقاليم ـ من الدواوين، والقضاء.

قبل الدخول فى تفصيلات النظام المالي للدولة الأيوبية في اليمن ينبغي أن نلم بالإدارات (الدواوين) التي كانت تنظم مالية الدولة فى إيراداتها ومصروفاتها.

إن المصادر المتوافرة لم تسعفنا بمعلومات وافية عن الدواوين المالية فى الدولة الأيوبية باليمن غير أن هناك عبارة أوردها الخزرجي([3]) فى معرض حديثه عن القاضي المكين قال فيها : (هو رجل من أهل مصر كان صاحب الدواوين فى الدولة المسعودية) . ونستشف من هذه العبارة وجود ديوان النظر ، وهو الديوان الذي يشرف على جميع دواوين الإدارة المالية فى الدولة([4]) ، ولا شك أن وجود هذا

---

١) ابن حاتم : السمط : ص ١٠٤،١٠٥.

٢) ابن حاتم : السمط : ص ١٧٤.

٣) الخزرجي : العسجد : ص ٢٠١.

٤) ربيع : حسنين محمد ربيع ، النظم المالية فى مصر زمن الأيوبيين ، ط١، مطبعة جامعة القاهرة ، سنة ١٩٦٤م ، ص ٤٠.

الديوان يدل على وجود عدد من الدواوين التي تتولى الإشراف على الإدارة المالية لدولتة فى إيراداتها ومصروفاتها . وعلى الرغم من سكوت المصادر عن ذكر شيء عن هذه الدواوين ، حتى الأسماء ، ومع ذلك يمكن استنتاج وجود بعض الدواوين من خلال بعض الإشارات التي وردت في المصادر.

ومن أهم الدواوين:

ديوان الخراج

ومهمته جمع الأموال المقررة للدولة من وجوه عديدة ، وأهمها خراج الأراضي الزراعية ورسوم النخيل والعشور والجزية والمكوس ، وتوريدها إلى بيت المال . ويظهر أن لهذا الديوان عدة فروع فى الأقاليم المختلفة من الدولة بدليل وجود أسرة بكاملها تخصصت فى كتابة الخراج فى تهامة وتوارث أفرادها هذا المنصب([1]).

ديوان الجيش:

يعد هذا الديوان من الدواوين المهمة فى دولة حربية مثل الدولة الأيوبية فى اليمن ، لذلك فإن رياسة هذا الديوان يعهد بها فى الغالب إلى الأشخاص ذوى المكانة والخبرة العالية مثل عبد الله بن العباس بن المبارك الهمداني الذي ولى كتابة ديوان الجيش فى زمن الملك المسعود([2]).

وقام هذا الديوان فى الإدارة المالية بوظيفة مزدوجة ، فهو من ناحية يشرف على الإقطاع الذي يعتبر مورداًرئيسياً من موارد الدولة المالية ، ومن ناحية أخرى فإنه يتولى الصرف على بعض الجوانب الأخرى مثل الرواتب ، وشراء الأسلحة والمؤن([3]) ، والإنفاق على المباني العسكرية .

---

١) الرسولي : الملك الأفضل العباسي بن علي بن داؤد بن يوسف بن عمر بن علي (ت٧٧٨هـ / ١٣٧٧م) العطايا السنية والمواهب الهنية في المناقب اليمنية ، دراسة وتحقيق عبد الواحد عبد الله أحمد الخامري ، اصدارات وزارة الثقافة والسياحة صنعاء ، ط١، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م: ص ٣١٤.

٢) الجندي : السلوك : ج١، ٣٠٤، الرسولي : العطايا السنية : ص ٣٨٤.

٣) ابن المجاور : تاريخ المستبصر : ص ٢٠٤.

ولتوضيح ماسبق نقول : إن ديوان الجيش فى عصر الأيوبيين كان هو مركز توزيع الإقطاع فى الدولة الأيوبية في اليمن . ويتولى الكاتب فى ديوان الجيش تسجيل أسماء أصحاب الاقطاعات على اختلاف طبقاتهم ، وجميع الأمراء ومراتبهم وما يخص كل واحد منهم من الإقطاع فى كل سنة خراجيه . وفي الوقت نفسه يقوم موظف آخر بإعداد جريدة الجيش (كشف بأسماء الجند) يدون فيها أسماء الجند ويخص الجنود الذين يتقاضون أجورهم نقداً أو غلة لا إقطاعاً بقائمة مستقلة.

ديوان الرسائل:

يتولى هذا الديوان المكاتبات في الدولة ولا سيما الرسائل التي تشتمل على التعليمات الصادرة للولاة وعمالهم ، واستمد هذا الديوان تقاليده من الأسس التي وضعها الكتاب السابقون للدولة الأيوبية ، وكانت المراسلات فى عصر الدولة الأيوبية في اليمن قصيرة ومحتوياتها مباشرة. واشتهر من كتاب هذا الديوان فى عصر الدولة الأيوبية في اليمن علوان الخاوي الذي كان كاتباً للملك المسعود([1]).

القضاء

يعد منصب قاضى القضاة من أعلى المناصب فى الدولة الأيوبية ، وصاحب هذه الوظيفة (قاضي القضاة) أكبر موظف فى السلم القضائي ، بل يقف على رأس السلم القضائي ، وهو بمنزلة وزير العدل فى وقتنا الحاضر.

أما القاضي فهو الذي يتولى إصدار الأحكام فيما يصل إليه من القضايا على أساس الشريعة الإسلامية ، ولم يكن القاضي مقيداً بمذهب معين من المذاهب الفقهية فى أحكامه ، إلا أن معظم القضاة كانوا على مذهب الشافعي نظراً لانتشاره فى اليمن فى هذه الفترة.لأنه مذهب الدولة الأيوبية.

ويقوم الملك الأيوبي باختيار قاضى القضاة ، ومن عادته أن يقيم فى عاصمة الدولة قريباً من الملك ، ونظراً لخطورة هذا المنصب فإن الملك يحرص على اختيار الشخص الملائم له ممن عرف بسعة علمه وحسن خلقه وكمال نبله([2]). وقد

---

١) بامخرمة : قلادة النحر : ج٣، ص ٢٧٤٤،٢٧٤٥.

٢) ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن :ص ٢٤٢.

حرص الأيوبيون على ألا يلي هذا المنصب إلا من هو موضع ثقتهم ، لذلك اختار بعض الملوك الأيوبيين قاضي القضاة من بين الشخصيات البارزة التي قدمت معهم من مصر مثلما فعل الملك توران شاه بن أيوب ، وكان قاضى القضاة فى عهده هو جمال الدين أبو محمد عبد الله بن عمر الدمشقي([1]). وفى عهد الملك طغتكين بن أيوب : القاضي أثير الدين ذو الرياستين محمد بن بنان الأنبارى ، وكان قد قدم معه من مصر([2]).على أن ذلك لم يمنع من إضافة هذا المنصب إلى علماء وفقهاء يمنيين.

وكان القضاة خاضعين لسلطان الملوك الأيوبيين فهم الذين يقومون بتعيين القضاة أو عزلهم، ويرتبون لهم أرزاقهم ، أو من قبل قاضى القضاة الذي يقوم بتعيينه الملك الايوبي ، ويقوم هو بدوره بتعيين القضاة على المدن والنواحى والعزل، ومع أن مركز القضاة كان متعلقاً بالملك الايوبي على اليمن أو بقاضي القضاة ، إلا أنهم كانوا أكثر استقراراً في مناصبهم من الحكام بحيث لايؤثر عليهم تغيير الحكام أو عزلهم، وهذا طبعاً مما يستدعيه حسن سير العدالة.

ففي كثير من الأحيان كان القاضي يشغل منصبه فى عهد أكثر من حاكم ، أو في عهد دولتين مختلفتين فنجد أن هناك من القضاة من تولى القضاء في عهد الدولة الزريعية ثم في عهد الدولة الأيوبية، حيث تولى القاضي أحمد بن عبد الله القريضي القضاء في عدن لمدة أربعين عاماً ([3]) وعمل مع حكام مختلفين منهم من كان تابعاً لدولة بني زريع، ومنهم من كان تابعاً للدولة الأيوبية ، كما ولى قضاء مدينة الجند عيسى بن علي الذي شغل منصب القضاء فيها مدة خمس وأربعين سنة([4]) وهي أطول مدة بقاءً في القضاء في تلك الحقبة.

---

١) بامخرمة : قلادة النحر : ج٢، ص ٢٤٧٠، الأهدل : تحفة الزمن : ج١، ص ٣٣٢،٣٣١، ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن : ص ٢٤٢.

٢) ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن : ص ٢٣٠، بامخرمة : ثغر عدن : ص ١٠٩، الأهدل : تحفة الزمن : ج١، ص ٣٨٠،٣٧٩.

٣) الرسولي : العطايا السنية: ص ٢٣٠، بامخرمة : ثغر عدن : ص ٣٥، الأهدل : تحفة الزمن : ج١، ص٣٧٨.

٤) الخزرجي : العقود اللؤلؤية : ج١، ص ١٨٩.

أما من حيث التعيين فنجد أن هناك قضاة تم تعيينهم من قبل الملك الايوبي حيث نجد أن الملك توران شاه قد ولى القاضي على بن أسعد بن المسلم قضاء إب وجبلة([1]) كما ولى الملك طغتكين القاضي عيسى بن علي بن المسلم قضاء الجند([2]).

كما نجد أن الملوك الأيوبيين كانوا يقومون بتعيين قاضي القضاة الذي كان بدوره يقوم بتعيين القضاة ، حيث إن الملك توران شاه قدم معه القاضي جمال الدين أبو محمد عبد الله بن عمر الدمشقي فعينه قاضي القضاة فقام هو بتولية القضاة حيث ولى القاضي علي بن حسين التستري قضاء زبيد([3]) كما أن الملك طغتكين قدم معه القاضي أثير الدين محمد بن بنان الأنباري ، وكان يعرف بعلمه وأمانته فعينه قاضي قضاة اليمن([4]).

وقام هو بتعيين القضاة حيث ولى القاضي عمر بن يحيى ([5]) قضاء المعافر، كما قام بتولية القاضي عبد الله بن محمد قضاء زبيد([6]) وقام بتولية القاضي عبد الوهاب بن علي المالكي على قضاء عدن([7]) كما قدم الملك المسعود إلى اليمن ومعه القاضي معافى فعينه قاضي القضاة وقام هو بدوره بتعيين القضاة([8]).

ولم يكن منصب قاضي القضاة مقتصراً على من يقدمون مع ملوك بني أيوب إلى اليمن بل نجد أن عدداً كبيراً من القضاة اليمنيين تولوا منصب قاضي القضاة .

---

١) ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن : ص ٢٣٥، الأهدل : تحفة الزمن : ج١، ص ٣٣١، بامخرمة : قلادة النحر : ج٢، ص ٢٤٧١.

٢) بامخرمة : قلادة النحر :ج٢، ص ٢٥٠٣، اليافعي: مرآة الجنان : ج٣، ص ٣٢٢، ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن :ص ٢٣٦.

٣) الجندي : السلوك: ج١، ٤٠٨، ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن : ص ٢٤٢،٢٤١، بامخرمة : قلادة النحر: ج٢، ص ٢٤٧٠، الرسولي : العطايا السنية : ٣٨٠،٣٧٩، الأهدل : تحفة الزمن : ج١، ص ٣٣٢،٣٣١.

٤) العامري :غربال الزمان: ص ٤٦٠،ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن : ص ٢٣٠، الأهدل : تحفة الزمن : ج١، ص ٣٨٠،٣٧٩، بامخرمة : تاريخ ثغر عدن: ص ١٠٩.

٥) الأهدل : تحفة الزمن : ج١، ص ٣١٢، ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن : ص ٢٢٩.

٦) ألرسولي : العطايا السنية : ص ٣٩٤، الأهدل : تحفة الزمن : ج١، ٣٠٨.

٧) بامخرمة : قلادة النحر : ج٢، ص ٢٥١١، ألرسولي : العطايا السنية : ص ٢٣٠، الأهدل : تحفة الزمن : ج١، ص ٣٧٨.

٨) الجندي: السلوك : ج١، ص ٤٢٤، الاهدل : تحفة الزمن : ج١، ص ٣٤٩،٣٤٨، ألرسولي : العطايا السنية : ص ١٨٧،١٨٦.

فقد ولى الملك توران شاه القاضي طاهر بن يحيى بن أبي الخير العمراني ولاية القضاء([1]) فقام هو بتولية عمر بن علي بن الحسين بن سمرة القضاء في عدة أماكن من مخلاف جعفر ([2]) كما ولى الملك طغتكين القاضي أحمد بن علي بن أبى بكر العرشاني قاضي قضاة اليمن بدلاً عن القاضي أثير الدين الذي قدم معه من الشام ثم لبث العرشاني مدةفي القضاء ثم عزله الملك طغتكين وولى بدلاً عنه قاضي آخر هو القاضي مسعود بن على بن مسعود العنسي حيث جعله قاضي قضاة اليمن([3]) فقام بتعيين القضاة حيث ولى على قضاء جبلة القاضي إسماعيل بن الإمام([4]) كما جعل الملك المسعود على قضاء اليمن بدل القاضي معافى الذي قدم معه من مصر القاضي أبو بكر بن أحمد بن محمد بن موسى العمراني([5]) فقام هو بتولية القضاة حيث ولى على قضاء الجند القاضي عبد الرحمن بن أبي رازم([6]).

كما نجد أن النواب الذين ينوبون عن الملك الأيوبي في حكم اليمن أو مدينة من المدن كان من حقهم تعيين القضاة حيث نجد عثمان الزنجيلي نائب توران شاه في عدن ونواحيها استقضى على لحج القاضي منصور بن إبراهيم الموصلي من سنة ٥٧٠- ٥٧٩هـ/١١٧٥- ١١٨٤م ([7]).

ولم يكن القضاء مقتصراً على المدن التي ذكرت بل شمل المدن اليمنية كلها حيث ولى القضاء فى تعز القاضي سليمان بن علي الجنيد([8]) وولى على القضاء في

---

١) اليافعي: مرآة الجنان: ج٣، ص ٣٠٥، العامري : غربال الزمان : ص ٤٥٩.

٢) ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن : ص ٢٢٤،٢٢٣، بامخرمة : قلادة النحر : ج٢، ص ٢٥٢٢، ألرسولي : العطايا السنية : ص ٤٩٤، الاهدل : تحفة الزمن : ج١، ص ٣٧٩.

٣) بامخرمة : قلادة النحر : ج٣، ص ٢٦٤٢،٢٦٤١، الجندي : السلوك : ج١، ص ٣٦٦، الاهدل : تحفة الزمن : ج١، ص٢٩٤،٢٩٣.

٤) الجندي: السلوك: ج١، ص ٤٠٨.

٥) الرسولي : العطايا السنية : ص ١٨٧،١٨٦، الجندي : السلوك : ج١، ص ٤٢٤، الاهدل : تحفة الزمن : ج١، ص ٣٤٩،٣٤٨.

٦) بامخرمة : قلادة النحر : ج٣، ص ٢٧٠٥، الاهدل : تحفة الزمن : ج١، ص ٤٨١، الجندي : السلوك : ج١، ٤٢٥،٤٢٤، الرسولي: العطايا السنية : ص ١٨٧،١٨٦.

٧) الجندي : السلوك : ج١، ص ٣٤٩، ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن : ص ٢٠٤، الرسولي : العطايا السنية : ص ٦٤٧، الاهدل : تحفة الزمن : ج١، ٢٧٧.

٨) بامخرمة : ثغر عدن: ص ١٢٨،١٢٧.

صنعاء سرى بن ابراهيم بن فضل العرشاني([1]) وتولى قضاء عدن القاضي محمد بن طاهر بن يحيى العمراني([2]) وولى القضاء في لحج القاضي محمد بن سعيد القريضي([3]) كما ولى القضاء في زبيد القاضي عبد الله بن محمد بن على([4]) وتولى القضاء في جبلة القاضي علي بن عبد الله بن أبى الفتح([5]) كما ولى على قضاء أبين القاضي عمر بن على بن الحسين بن سمرة([6]) وكان على قضاء تريم القاضي أبو اكدر([7]) .

كما كان يتم تعيين القضاة على النواحي حيث ولى القضاء في وصاب القاضي على بن محمد بن سليمان بن مغلس([8]) وتولى القضاء في حيس([9]) القاضي عبد السلام بن أبى بكر([10]) كما ولى القضاء في الكد راء القاضي يوسف القطراني([11]) وعين على القضاء في موزع ([12]) القاضي عمران بن أحمد بن محمد([13]) وتولى قضاء ذي أشرق([14]) القاضي عمر بن محمد بن علي

---

١) الجندي : السلوك : ج١، ص ٣٦٧، الرسولي : العطايا السنية : ص ٣٣٣، بامخرمة : قلادة النحر : جد٣، ص ٢٧٥٠، ٢٧٥١، الاهدل : تحفة الزمن : ج١، ص ٢٩٤، ٢٩٥، الخزرجي : العقود اللؤلؤية : ج١، ص ٤٣، ٤٤.

٢) بامخرمة : قلادة النحر : ج٢، ص ٢٥٨٣، الجندي : السلوك : ج١، ص ٣٧٧.

٣) ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن : ص ٢٢٦، بامخرمة : قلادة النحر : ج٢، ص ٢٥٥٧.

٤) الرسولي : العطايا السنية : ص ٣٩٤، الاهدل : تحفة الزمن : ج١، ص ٣٠٨.

٥) بامخرمة : قلادة النحر : ج٢، ص ٢٤٥٧.

٦) الرسولي : العطايا السنية : ص ٤٩٤، بامخرمة : قلادة النحر : ج٢، ص ٢٥٢٢، ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن : ص ٢٢٣، ٢٢٤، الاهدل : تحفة الزمن : ج١، ص ٣٧٩.

٧) ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن : ص ٢٢٠، ٢٢١، الاهدل : تحفة الزمن : ج١، ص ٣٧٥.

٨) الوصابي : تاريخ وصاب : ص ٢٦٢، ٢٦٣.

٩) حيس : بلد وكورة من نواحي زبيد باليمن بينها وبين زبيد نحو يوم للمجد (ياقوت : معجم البلدان : مج٢، ج٣، ص ٢٠٤).

١٠) الجندي: السلوك : ج١، ص ٤٠٩، الاهدل : تحفة الزمن : ج١، ص ٣٣٣.

١١) الاهدل : تحفة الزمن : ج١، ص ٣٣٦، الجندي : السلوك : ج١، ص ٤١٢، ٤١٣.

١٢) موزع: موضع باليمن وهو المنزل السادس لحاج عدن. وقال ابن الحائك فمن مدن تهائم اليمن موزع (ياقوت : معجم البلدان :مج٤، ج٨، ص ٣٣٨.)

١٣) الرسولي : العطايا السنية : ص ٥١٣.

١٤) ذي أشرق : قرية مشهورة من أعمال ذي السفال في عزلة نخلان بسفح جبل التعكر (الحجري : مجموع بلدان اليمن وقبائلها : مج١، ج١، ص٨٠.)

الجرهمي([1]) كما ولى قضاء المعافر القاضي ابراهيم بن أبى الأغر([2]) وتولى القضاء في الجؤة ([3]) القاضي مبارك بن إسماعيل([4]) وعين على قضاء السحول القاضي احمد بن محمد([5]) كما ولى قضاء صبر القاضي أحمد بن محمد بن عبد الله([6]) وتولى القضاء في بعدان([7]) القاضي اسعد بن منصور، وفي دلال([8]) القاضي عبدا لله بن منصور ، وفي المحلة([9]) القاضي اسعد بن أحمد بن عبد الله بن أبى الفتح([10]) كما تولى القضاء في فشال([11]) القاضي أبو بكر العبادى ([12]) كما تولى القاضي عمر بن على بن الحسين بن سمرة القضاء بعدة أماكن من مخلاف جعفر ([13]) وتولى القاضي عبد الله بن أحمد بن أسعد الخطابي([14]) قضاء المشيرق([15]) ووحاضة([16]).

---

١) الاهدل : تحفة الزمن : ج١، ص ٣٦٦.

٢) ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن : ص ٢٣٠.

٣) الجؤة : بلد قريب من الجند من ارض اليمن . الجؤة من قرى زبيد باليمن (الحجري : مجموع بلدان اليمن وقبائلها : مج١ ، ج٢ ، ص ٢٣٥.)

٤) الاهدل : تحفة الزمن : ج١، ص ٣١١.

٥) الجندي: السلوك : ج١، ص ٣٢٢، بامخرمة : قلادة النحر: ج٢، ص ٢٥١٦،٢٥١٧.

٦) الرسولي : العطايا السنية : ص ١٣٦.

٧) بعدان : جبل باليمن قرب تعز ، واسع ، وفيه قرى وحصون كبيرة (بامخرمة : أبو الطيب عبد الله الطيب بن عبد الله بن أحمد أبى مخرمة : النسبة إلى المواضع والبلدان : الناشر ، مركز الوثائق والبحوث ، ديوان رئيس الدولة ، أبو ظبي ، ط١، سنة ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م ، ج١، ص ١١٩.)

٨) دلال : عزلة من بعدان واعمال محافظة إب (الحجري : مجموع بلدان اليمن وقبائلها :مج١ ، ج٢، ص ٣٣١.)

٩) المحلة: بفتح الميم وكسر الحاء. قرية من قرى ذمار بأرض اليمن (ياقوت : معجم البلدان : مج٤، ج٧ ، ص ٢١٤.)

١٠) ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن : ص ٢٣٧.

١١) فشال : قرية كبيرة بينها وبين زبيد نصف يوم على وادي رمع وفشال أم قرى وادي رمع (ياقوت : معجم البلدان : مج٣ ، ج٦، ص ٤٣٨.)

١٢) الجندي: السلوك: ج١، ص ٤٠٩.

١٣) بامخرمة : قلادة النحر: ج٢، ص٢٥٢٢، الرسولي : العطايا السنية : ص ٤٩٤، ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن : ص ٢٢٣،٢٢٤، الاهدل : تحفة الزمن : ج١، ص ٣٧٩.

١٤) الجندي : السلوك : ج١، ص ٢١٢، بامخرمة : قلادة النحر: ج٣، ص ٢٧٩٦.

١٥) المشيرق : عزلة من ناحية حبيش وأعمال إب (الحجري : مجموع بلدان اليمن وقبائلها : مج٢، ج٤، ص ٧٠٩.)

١٦) وحاضة : بضم الواو . حصن اثري في أعلى منطقة شباع من جبل حبيش وأعمال محافظة إب (المقحفي : معجم البلدان والقبائل اليمنية : ج٢، ص ١٨٥٨.)

من خلال ما تقدم نلاحظ أن القضاة لم يقتصر تعيينهم على المدن الرئيسية بل تعدى ذلك وأصبح يتم تعيينهم على مستوى النواحي والعزل ، وكان هناك قضاة يتم تعيينهم على مستوى القرى ، ومما لاشك فيه أن هذا الأمر كان يسهل على الناس الوصول إلى القاضي في يسر وسهولة كما كان يساعد القاضي على سرعة البت في القضايا المرفوعة إليه بسبب قلتها. بعكس لو كان القضاء في المدن فإن ذلك سيشكل ضغطاً كبيراً على المحاكم بسبب الشكاوى الكثيرة من المتخاصمين الذين في المدن ومن الذين يفدون من النواحي والعزل ، مما يجعل القاضي غير قادر على البت في كل الشكاوى المقدمة بسبب كثرتها مما قد يجعله يقوم بتأخير بعض القضايا ، ومن جانب آخر فإن ذلك يكلف جهداً وعناء لمن يريد الوصول إلى القاضي بحيث يحتاج للسفر والإقامة في المدينة حتى يصل إلى القاضي ويشرح له مشكلته ثم استدعاء خصمه ، ثم مثولهما أمام القاضي والاستماع للخصمين ثم صدور حكم القاضي ، وهذا الأمر قد يستدعي الإقامة لفترة ، وهذا الامر لا يتمكن من القيام به عامة الناس بحيث لا تساعدهم أحوالهم المادية على ذلك ، وكذلك عدم تعود البعض منهم على الإقامة في المدن ، مما يجعل البعض من العامة لا يقوم برفع مظلمته إلى القاضي بسبب المشقة الكبيرة والذهاب إلى المدينة .

ومن نافلة القول أن نشير إلى أن تعيين القضاة لم يكن من الأمور الميسرة فقد كان قاضي القضاة يحرص على اختيار من هو صالح للقضاء ويجتهد فى السؤال عنه وعن أحواله وماله ، بالإضافة إلى معرفته بعلوم القرآن والحديث ، وأن يتصف بالعدالة ، وأن يكون صادق اللهجة ظاهر الأمانة ، عفيفاً عن المحارم ، ومأموناً في الرضا والغضب ، كما كان قاضي القضاة يتصف بأنه أفقه القضاة بالإضافة إلى ما يتمتع به من الورع والثبات على الحق وأن لا يخشى في الله لومة لائم . كما كانت تحال إليه القضايا المهمةليدلى فيها برأيه . وقد يتولى أحياناً النظر في المظالم ويحكم فيها([1]).

١) ، بامخرمة : قلادة النحر : ج٣، ص ٢٦٢٧ ، الجندي : السلوك : ج١، ص ٣٧٦.

ونظراً لصعوبة عمل القاضي وأهميته وحساسيتهفإن كثيراً من الفقهاء والعلماء كانوا يرفضون توليالقضاء ولا يقبلون به تورعاً ، مع إغراء الملك وتهديده لهم(١). فنجد الفقيه حسن بن أبى بكر الشيباني عرض عليه القضاء في عهد الملك توران شاه فرفض تولي القضاء ، ثم عرض عليه في عهد الملك طغتكين قضاء زبيد فرفض ، فطلبوا منه أن يشير عليهم بمن هو صالح للقضاء فأشار عليهم بالقاضي عبد الله بن عقامة التغلبي فتم تعيينه على قضاء زبيد(٢) ومن الذين رفضوا القضاء واستعفي منه القاضي ضياء الدين أحمد بن محمد بن موسى بن الحسين(٣) وكذلك القاضي علي بن عيسى بن مفلح بن المبارك المليكي أرادوا إكراهه على قضاء عدن في عهد الملك طغتكين ، وكان ورعاً فامتنع وخرج إلى الخبت (الصحرا) فأقام به أياما ولحقته مشقة فعاد إلى عدن ولم يتولَ القضاء(٤). من جانب آخر هناك من القضاة من شعر بأن اضطلاعه بالقضاء يعد واجباً عليه القيام به دون أجر، مثل القاضي علي بن القسم الحميري الذي رفض أخذ الراتب المقرر له على قضاء مدينة آب(٥). والأمثلة على ورع القضاة فى اليمن فى عهد الدولة الأيوبية كثيرة.

كما كان قاضي القضاة يقوم بزيارات لبعض المدن لتفقد أحوالها حيث يجتمع بالحكام والقضاة ويطلع على ما يقومون به من الأعمال فمنوجده صالحاً أبقاه ومن لا يصلح عزله(٦).

ومن نافلة القول أن القضاة كان لديهم إلماماً بأمور الشرع وكان القاضي يستمد أحكامه من مصادر التشريع الإسلامي ، وبالإضافة إلى العلوم التي كان

---

١) ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن : ص ٢١٨،٢١٩، بامخرمة : قلادة النحر : ج٢، ص ٢٥٠٤.

٢) العامري : غربال الزمان : ص ٤٦٨، اليافعي : مرآة الجنان : ج٣، ص ٣٢٢، الجندي : السلوك : ج١، ص ٣٢٩، بامخرمة : قلادة النحر : ج٢، ص ٢٥٠٤، الاهدل : تحفة الزمن : ج١، ص ٢٥٢، ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن : ص ٢٤١.

٣) ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن : ص ٢٣٦.

٤) الرسولي : العطايا السنية : ص ٤٥١،٤٥٢، الاهدل : تحفة الزمن : ج١، ص ٢٩٢،٢٩٣،ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن : ص ٢١٨،٢١٩.

٥) الخزرجي : العقود اللؤلؤية : ج١، ص ٥٨ ، الرسولي : العطايا السنية : ص ٤٦١،٤٦٢.

٦) الجندي : السلوك : ج١، ص ٤٢٤،٤٢٥، بامخرمة : قلادة النحر : ج٣، ص ٢٦٢٧.

يدرسها القاضي حتىيصبح مؤهلاً لتولى القضاء ، فنجد أن هناك عدداً كبيراً من القضاة لهم مؤلفات في علوم شتى ، ومن الأمثلة على ذلك القاضي أحمد بن مقبل بن عثمان الذي تولى قضاء عدن ألف كتاباً اسمه (الجامع) من أربعة مجلدات وصنف الإيضاح في أصول الفقه([1]) كما نجد القاضي المؤرخ عمر بن علي بن الحسين بن سمرة الذي تولى القضاء في أكثر من مكان فقد ألف كتابه المشهور(طبقات فقهاء اليمن) والمتداول بيننا حتى الآن، تناول فيه تراجم فقها اليمن منذ ظهور الإسلام إلى سنة (٥٨٦هـ/١١٩٠م) وقسمه إلى طبقات ، ويعد هذا الكتاب أول كتاب من نوعه في تاريخ فقهاء اليمن لذلك فقد حاز شهرة كبيرة ، واعتمد عليه من جاء بعده من المؤرخين ([2]) كما نجد القاضي سري بن ابراهيم ابن فضل له تذييل على تاريخ صنعاء للرازي([3]) كذلك القاضي أبو الطيب طاهر بن يحيى كان يقول أنا ابن ثمانية عشر علماً وله عدة مصنفات منها كتاب (مناقب الشافعي) وكتاب آخر اسمه (معونة الطلاب بفقه معاني كلام الشهاب) وكتاب (جلاء الفكر في الرد على نفاة القدر)([4]) جمع فيهما بين علم القراءات والحديث والفقه وعلم الكلام ، كما نجد قاضي زبيد علي بن الحسين التستري أجاب عن ألف مسألة امتحن بها من قبل أهل زبيد وذلك من باب التعنت([5]) كما نجد القاضي معافى الذي قدم مع الملك المسعود وعينه المسعود قاضي القضاة وكان ضعيف الفقه وكان إذا ذاكره الفقهاء بشيء من الفقه تصدر عنه للجواب القاضي أبو بكر بن أحمد بن موسى العمراني أو حاجج عنه الفقهاء فأحبه القاضي وقربه

---

١) بامخرمة : ثغر عدن : ص ٤٧.

٢) الجندي: السلوك : ج١، ص ٤٢٥، بامخرمة : قلادة النحر : ج٣، ص ٢٦٢٧.

٣) الرسولي : العطايا السنية : ص ٣٣٣، الاهدل : تحفة الزمن : ج١، ص ٢٩٥،٢٩٤، الخزرجي : العقود اللؤلؤية : ج١، ٤٤،٤٣، الجندي : السلوك : ج١، ص ٣٦٧، بامخرمة : قلادة النحر : ج٣، ص ٢٧٥١،٢٧٥٠.

٤) ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن : ص ١٨٨، الجندي : السلوك : ج١، ص ٣٣٨، الاهدل : تحفة الزمن : ج١، ص ٢٦٦،٢٦٥.

٥) العامري : غربال الزمان : ص ٤٦٣، اليافعي : مرآة الجنان : ج٣، ص ٣١٤، الرسولي : العطايا السنية : ص ٣٨٠،٣٧٩، ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن :ج١، ص ٤٠٨، الاهدل : تحفة الزمن : ج١، ص ٣٣٢،٣٣١، بامخرمة : قلادة النحر : ج٢، ص ٢٤٧٠.

وصار أول داخل عليه وآخر خارج عنه ، وكان يثنى عليه عند الملك المسعود ويقول هو أفقه أهل اليمن([1]).

وكانت وظيفة القضاء من الوظائف السامية التي تحاط بالهيبة والإجلال ، كما كان لصاحبها نفوذ كبير يتفق مع خطورة العمل الذي يؤديه ، حتى إن أحد أرباب هذا المنصب قد جمع بين قضاء القضاة والوزارة في وقت واحد ، وهو القاضي أثير الدين ذو الرياستين محمد بن بنان الأنبارى فى عهد الملك طغتكين ابن أيوب([2]). ولم أجد ـ بحسب اطلاعي ـ انه حدث تصادم بين حكم القاضي والملك الايوبي أو الحاكم في العهد الذي نحن بصدد دراسته.

وكان القاضي مستقلاً في أحكامه ، ولا يقبل أي وساطة ، أو شفاعة وكان شديدً في أحكامه إذا ما تبين له الحق.

ومع ذلك نجد أن خلافاً حدث بين الملك طغتكين وبين القاضي أثير الدين محمد بن بنان الأنبارى ، الذي قدم معه وولاه القضاء ، وكان عمره ٧٣سنة وقد عرف الملك طغتكين علمه وأمانته ، ومع ذلك عزله عن القضاء ، وانتهك حرمته ، وصغر جاهه، واحتقره، وخاصمه، ونسبه إلى الخيانة ـ ولم تورد المصادر سبب العزل ـ وبعد عزله حمله رسالة إلى بغداد ، في صورة طرد وإبعاد، فسلم الرسالة ، ثم عاد إلى مكة وكتب إلى الملك طغتكين([3]):

وما أنا إلا المسك عند ذوي النهى   يضوع وعند الجاهلين يضيع .

وحدث مع الملك المسعود أن القاضي معافى الذي قدم معه من مصر فتولى القضاء ، وأصبح القاضي معافى في آخر يوم من شعبان صائماً وهو على القضاء وأمر الناس بالفطر، فأنكر عليه الفقهاء ، فرفع ذلك إلى الملك المسعود ، فاستدعى به فقال له : يا قاضي اليوم من رمضان ، فقال له : لم يثبت ذلك ،

---

[1]) الجندي : السلوك : ج١، ص ٤٢٤، الاهدل : تحفة الزمن : ج١، ص ٣٤٨،٣٤٩، الرسولي : ص ١٨٦،١٨٧.

[2]) ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن : ص ٢٣٠، الاهدل : تحفة الزمن : ج١، ص ٣٧٩،٣٨٠، بامخرمة : ثغر عدن : ص ١٠٩.

[3]) بامخرمة : ثغر عدن : ص ١٠٩، ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن : ص ٢٣٠، العامري : غربال الزمان : ص ٤٦٠،الاهدل : تحفة الزمن : ج١، ص ٣٧٩،٣٨٠.

فاستدعى بالغداء(الطعام) فلما حضر اعتزل ، فقال له الملك المسعود تحققت انك خارجي على غير السنة ، ثم طرده من مجلسه ، ثم طلب الملك المسعود أبا بكر أحمد بن محمد بن موسى العمراني فولاه القضاء([1]).

ومن مكائد القضاة بعضهم لبعض التي وصلت إلى الملك الايوبي ، ما كان من القاضي أحمد بن علي بن أبى بكر العرشاني ، وكان يصحب الملك طغتكين وقرأ عليه الملك طغتكين موطأ مالك ، وكتب إليه إجازة ، ولما اشتهر القاضي مسعود بن علي بن مسعود بجودة الفقه والفتوى بذي أشرق ، حسده أهل عرشان([2]) ، وحمل إلى القاضي مسعود جواب من بعض فقهاء عرشان وهو خطأ، فلما وقف عليه القاضي مسعود كتب بعده : هذا المجيب لا يعرف شيئاً ، وذلك بمداد يعمله أهل اليمن من (الصبر) يميل لونه إلى الحمرة ، فعاد الرجل بالمسالة إلى عرشان ، فلما وقف القاضي أحمد على ذلك لحت له مكيدة القاضي مسعود فنقط الجيم نقطة من فوق ونقط الياء نوناً وثلث الموحدة، فأصبحت (المخنث) وذلك بمداد اسود يخالف مداد القاضي مسعود ، ثم أخذ المسألة ودخل على الملك طغتكين وهو بجبلة وقال له : يا مولانا ظهر رجل يدعي الفقه ويحتقر الفقهاء ويسفه عليهم ثم لا يقنع باللفظ حتى صار يكتب ذلك بخطه ، ثم فتح المسالة ووضعها بين يديه ، فعظم ذلك عليه ، وأمر بإحضار القاضي مسعود ، فلما احضر نبذ الورقة إليه ، وقال له : الجواب الثاني جوابك فتأمله القاضي مسعود وعرف من أين أتى وقال : سبحان الله ألا عقول تميز، يا مولانا أمعنوا النظر فإن مداد النقط غير مداد الخط والقبح من الذي نقط الحروف فليتأمل مولانا السلطان ذلك ، ثم أعاد إليه الورقة ، فتأملها السلطان وعرف أنها مكيدة

1) الرسولي : العطايا السنية : ص ١٨٦،١٨٧، الجندي : السلوك : ج١، ص ٢٤٢، الاهدل : ج١، ص ٣٤٨،٣٤٩.

٢) عرشان: بفتحات. قرية مشهورة أسفل جبل التعكر وجوار مدينة (جبلة) من الناحية الجنوبية الشرقية (المقحفي :معجم البلدان والقبائل اليمنية : ج٢، ص ١٠٤٣.)

من القاضي أحمد للقاضي مسعود ، فقال : يا قاضي أحمد الزم بيتك ، وأنت يا قاضي مسعود قد وليتك القضاء([1]).

وحظي القضاة باحترام الناس ورجال الدولة لما لهذه الوظيفة من المكانة السامية ، وكان القاضي لا يرضى لأحد التدخل في أحكامه ولم يحدث أن تدخل أحد الحكام في اختصاصه بل على العكس كان القاضي يتدخل لرد الحاكم فيما إذا خالف الشرع في أحكامه.

فقد قدم رجل من ذي جبلة إلى القاضي أبي بكر أحمد بن محمد بن موسى العمراني ، وكان قاضي القضاة ، فشكا إليه ، أن حاكم ذي جبلة سفهه فأحضره إلى مدينة الجند ، وسأله فاعترف فعزله ، وقال : إنما جعلتك حاكماً لا مسافهاً ، ومتى كان الحاكم ظالماً فالذي يتركه أظلم([2]).

وقد بلغ بعض من تولى منصب قاضي القضاة درجة كبيرة من العدالة والمساواة بين المتخاصمين مهما اختلفت درجاتهم ، ومنهم القاضي مسعود بن على العنسي قاضى القضاة فى عهد الملك طغتكين بن أيوب الذي ساوى بين الملك وخصمه فى مجلس القضاء ، وأنصف الرجل المظلوم من الملك دون محاباة أو مجاملة للملك([3]). حيث استدعى القاضي مسعود الملك الايوبي طغتكين عندما قام احد التجار وشكاه عند قاضي القضاة مسعود بن على بن مسعود العنسي ، علماً بان الملك الايوبي طغتكين هو الذي عين القاضي مسعود قاضي قضاة اليمن، وحدث أن باع أحد التجار للملك طغتكين بضاعة، بمال كثير وماطله بالخلاص ، حتى قلق التاجر فرفع أمره إلى القاضي مسعود ، فكتب له إحضاراً فيه :چ ي ﭽ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □

---

١) الجندي : السلوك :ج١، ص ٣٦٦، الاهدل : تحفة الزمن : ج١، ص ٢٩٤،٢٩٣، بامخرمة : قلادة النحر : ج٣، ص ٢٦٤٢،٢٦٤١.

٢) الاهدل : تحفة الزمن : ج٢، ص ٤٨١.

٣) بامخرمة : قلادة النحر : ج٣، ص ٢٦٤٢،٢٦٤١، الجندي : السلوك : ج١، ص ٣٦٦، الاهدل : تحفة الزمن : ج١، ص ٢٩٤،٢٩٣.

□ □□چ (1) ليحضر فلان بن فلان إلى مجلس الشرع الشريف ، بذي أشرق ، ولايتأخر إن كان يؤمن بالله واليوم الآخر، وأمر العون(2) أن لا يسلمه إلا ليد السلطان ، وكان السلطان الايوبي طغتكين يومئذٍ بالمنصورة(3) بقرب ذي أشرق ، فلما وقف عليه قال : نعم أؤمن بالله واليوم الآخر، نعم أؤمن بالله واليوم الآخر، ثم خرج من فوره وركب دابة من دواب النوبة (4) وسار إلى القاضي فلما وصل إليه ، وقرب من مجلسه بحيث يراه ويسمع كلامه قال له : رافعاً صوته : اتق الله وساو خصمك فقام التاجر بإزاء السلطان ، وادع عليه بالمال فاعترف فقال : التاجر: التسليم بموجب الشرع ، فقيل للتاجر: ألا تصبر حتى يصل السلطان إلى داره ثم يسلم لك، فامتنع التاجر وقال : لا أفارقه عن هذا المكان حتى أقبض ما هو لي ، فبادر السلطان وأمر من جاءه بالمال والسلطان يومئذ مقيم بمجلس قريب من مجلس القاضي ، فلما وصل المال فسلمه للتاجر وأبرأ ذمة السلطان فحينئذ قام القاضي وسلم على السلطان واعتنقه فقبل السلطان بين عينيه ، وقال : صدق من سماك كمال الدين(5).

من خلال ماسبق نجد أن الملك طغتكين خضع لطلب القاضي عندما طلبه للحضور ، وكذلك خضوعه لحكم القاضي ، بل اثنى على القاضي عندما حكم بالحق ، ولم يحابِ الملك طغتكين ، وهذا إن دل على شي فإنما يدل على احترام ملوك بني أيوب للقضاة ، كما أن الملك المسعود ولى القاضي أبا بكر أحمد بن محمد بن موسى العمراني ، القضاء (قاضي القضاة) ، ثم سافر الملك المسعود إلى مصر

---

1) سورة النور ، الآية:51.

2) العون : هم الجنود الذين يحفون بالقاضي لإحضار الخصوم ، وهو الظهير على الامر (ابن منظور : جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن على (ت711هـ / 1311م) لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، ط3، 2004م. مج10، ص 343.

3) المنصورة : بلدة مشهورة في أعلى وادي خنوة من مديرية ذي السفال وأعمال محافظة إب . هي اليوم قرية صغيرة اتصل عمرانها بالطرف الشرقي الشمالي من مدينة القاعدة ، وهي يمين الطالع من القاعدة نحو مدينة إب . وقيل أنها من بناء طغتكين بن أيوب .(المقحفي : معجم البلدان والقبائل اليمنية : ج2، ص 1657).

4) النوبة : اصطبل الخيل والبغال والحمير : الركوب للسلطان.

5) الجندي : السلوك : ج1، ص 366، بامخرمة : قلادة النحر: ج3، ص 2641،2642، الاهدل : تحفة الزمن : ج1 ، ص 293،294.

فلبث سنة ثم عاد فلقيه أهل الجبال إلى تعز ، والقاضي أحمد فيهم ، فترجل له القاضي ثم ترجل الملك المسعود فعانقه وقال الملك المسعود لأصحابه ودعني هذا الفقيه على دابة شهباء وعليه ثياب قطن ، وعلى دابته محبس وسجاد ، ولقيني بذلك الحال ، وغيره قد غير حاله ، فعلمت ورعه وزهده (١). ومن الأمثلة على احترامهم للعلماء ما فعله الملك توران شاه حيث ذهب إلى ذي أشرق لزيارة الفقيه أبي بكر بن سالم حيث كان مشهوراً بالزهد والورع والصلاح ، وطلب منه الدعاء(٢).

كما نجد أن هناك من القضاة من تعرض للابتزاز من قبل بعض المتخاصمين لديه ، حيث إن البعض لم يرض عن حكم القاضي ، ومن ذلك ماحدث للقاضي سري بن ابراهيم بن فضل العرشاني وكان على قضاء صنعاء ، وكان أحد عدول القضاء ، ثم انه اشترى أرضاً فيها أصول كرم ، ثم حضر عنده خصمان فحكم على احدهما بماأوجبه الشرع ، ثم أن المحكوم عليه وصل ليلاً إلى القاضي ومعه شريم (منجل) فقال للقاضي: هذا شريم ، وقد اشتريته ، وأنا متقدم إلى حضيرتك(مزرعتك) لأقطعها مكافأة لحكمك على ، فلاطفه القاضي وواجب على نفسه غرم ما حكم به ، فلما أصبح باع الأرض التي اشتراها ، وقال : لا تصلح لحاكم (قاضي) مزرعة(٣). يطلق اليمنيون على القاضي اسم الحاكم ، وعلى مكان القضاء مجلس الحكم(٤) ، ونستدل من هذه التسمية على وجود مكان مخصص لعقد جلسات القضاء وهو بمنزلة المحكمة في الوقت الحاضر.

ولابد أن ولاية القاضي كانت تمتد على الأرض التي تدخل تحت سلطة الحاكم الإدارية، كما أن الاختصاص النوعي للقاضي كان غير محدد سواء في الأمور المدنية أم الجنائية، وكان القاضي يستمد أحكامه القضائية من مصادر التشريع الإسلامي.

---

١) الاهدل : تحفة الزمن : ج٢، ص ٤٨١.

٢) الرسولي : العطايا السنية : ص ١٧٩،١٨٠، الاهدل : تحفة الزمن : ج١، ص ٢٧٩، الجندي : السلوك : ج١، ص ٣٥١.

٣) الخزرجي : العقود اللؤلؤية : ج١، ص ٤٣،٤٤، الجندي: السلوك : ج١، ص ٣٦٧، الرسولي : العطايا السنية : ص ٣٣٣، الاهدل : تحفة الزمن : ج١، ص ٢٩٤،٢٩٥، بامخرمة : قلادة النحر : ج٣، ص ٢٧٥١،٢٧٥٠.

٤) ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن : ص ٢٢٥.

وكان للقاضي من يعاونه في استكمال إجراءات القضايا والفصل فيها ، فكان له كاتب بين يديه يدون أقوال الخصوم والشهود ، ويتثبت ويعرض أركان القضية أمام القاضي ، بالإضافة إلى الشرطة التي كانت يداً معاونة ومساعدة للقاضي . كما كان للقاضي مجلس مخصص للقضاء ينعقد فيه القضاء ويحضر الناس إليه في مجلس القضاء.

أما المخصصات التي يتقاضاها القاضي فقد صار هذا العهد معروفاً بتحديد رواتب للعمال والقضاة وغيره. حيث كان القضاة يتقاضون رواتب شهرية تعين لهم من قبل قاضي القضاة أو حكام المدن ، فقد كان قاضى الجند عيسى بن على كانت جامكيته (الراتب) من جزية اليهود في مدينة الجند وهي خمسة عشر ديناراً شهرياً[1] بينما كان راتب قاضي القضاة يحدده الملك الايوبي.

وتقتصر مهمة القاضي على إصدار الأحكام فقط فيما يتعلق بالحدود من الجلد والتغريب (نقله من بلد إلى بلد آخر) والقصاص، بينما يتولى الوالي أو الأمير مهمة تنفيذها بما لديه من قوة وسلطات واسعة.

أما اختصاصات القاضي فقد تناولت النظر فى القضايا المدنية سواء منها المتعلق بالأسرة مثل الزواج والطلاق والميراث ، أو ما يتعلق بالمعاملات مثل المداينات والبيع والشراء ومشاكله المختلفة التي تحدث فى السوق ، مثل الغبن وادعاء العيب وخلاف ذلك[2].

وينظر القاضي أيضاً فى القضايا الجنائية مثل القتل والسرقة..الخ، والقضايا الأخلاقية مثل الزنا والقذف..الخ، وقد اتسعت مهام القاضي فى هذا العصر لتشمل بعض الأعمال الدينية التي لا علاقة لها بالقضاء مثل الاشراف على أموال الأيتام والأوقاف.

---

١) الخزرجي : العقود اللؤلؤية : ج١، ص ١٨٩، الأهدل : تحفة الزمن : ج١، ص ٣٦٨.

٢) ابن المجاور : تاريخ المستبصر ،ج١، ص ١٦٥.

فبالنسبة للإشراف على أموال الأيتام كان القاضي يتولى هذه العملية بنفسه أو يوكل من يقوم بها نيابة عنه كالوصي الشرعي مثلاً ، والهدف من ذلك حفظ مال اليتيم من الضياع.

ونظراً لعدم وجود الضبط الكافي من القضاة للأوصياء فقد تتعرض أموال الأيتام للاختلاس ، إلا أن بعض القضاة كانوا على درجة كبيرة من الورع والحرص على حفظ أموال الأيتام ، ومنهم القاضي عمر بن أبي بكر بن القاسم اليحيوى الذي اتخذ أسلوب الإعلان عن أموال الأيتام ، فكان إذا مات أحد وله أولاد صغار أمر من يجهزه ويقضى دينه إن كان عليه دين ، فإذا بقى شئ من تركته أمر المؤذن أن ينادى من على سطح المسجد الجامع المشرف على السوق : ألا إن فلان ابن فلان قد توفى إلى رحمة الله وترك من العيال كذا وكذا ، ومن المال كذا وكذا ، ومن الدين كذا وكذا فقضينا الدين وبقي للعيال ما هو كذا ، ثم يذكر ما فرض لهم ، ثم فى أول كل شهر يعلن للجمهور من المكان نفسه أن اليتيم فلان بن فلان قد صرف من ماله كذا وكذا وبقى له كذا وكذا ، فكان الناس في تعز يعرفون أموال الأيتام ومع من هي وما صرف منها فى كل شهر وما بقى لكل يتيم([1]).

أما الإشراف على الأوقاف فقد كان ضمن اختصاصات القاضي أن تضاف إليه الأوقاف فى بلده([2]).

وهناك العديد من الأسر التي توارثت القضاء فى بعض المناطق والبلدان فى اليمن لمدة طويلة ، ومنهم على سبيل المثال بنو قرة قضاة أبين ، وبنو أبي عقامة قضاة زبيد([3]). يطلق اليمنيون لقب القاضي على بعض الأشخاص الذين هم ليسوا قضاة وذلك تبعاً لأسرته العريقة فى القضاء ([4]). ولا يزال هذا الإطلاق موجوداً إلى اليوم.

---

١) الخزرجي : العقود اللؤلؤية : ج١، ص ٧٤،٧٣، الرسولي : العطايا السنية : ص ٤٩٨.

٢) بامخرمة : ثغر عدن : ص ١٣١.

٣) ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن : ص ٢٢٣. ٢٤١.

٤) الجندي: السلوك: ج١، ص ٣٧٧.

ولعل الشئ الجديد الذي أدخله الأيوبيون على النظام القضائي في اليمن هو قاضي العسكر ، على غرار ماكان موجوداً فى عهد السلطان صلاح الدين الأيوبي فى مصر والشام ، ومهمة هذا القاضي الفصل فى المنازعات التي تحدث بين الجنود ، ويصحب الملك فى أسفاره وحروبه ، وله مكانه رفيعة عنده حتى إنه يعده من المستشارين.

أما النظر فى المظالم فعلى الرغم من عدم وجود ديوان خاص بها ، إلا أن باب الملك لم يغلق فى وجه متظلم ، وقد اشتهر الملك طغتكين بن أيوب بحرصه على إنصاف المظلومين ، وسماع شكاية المواطنين حتى إذا تعرض له شخص بشكاية وهو فى موكبه لوى عنان فرسه ولم يبرح مكانه حتى يسمع شاكيته([١]) ويفهم من كلام ابن حاتم([٢]) أن الملك طغتكين كان يجلس بنفسه للنظر فى المظالم.

ولم يكن النظر فى المظالم قاصراً على الملك وحده ، بل ساعده فى ذلك قاضى القضاة أحياناً . وكانت معظم الشكايات أو المظالم من المواطنين تتعلق بجور الولاة وعسفهم ، واشتطاط جامعي الضرائب وظلمهم ، كما فى الأمثلة السابقة.

السياسة المالية:

من المعروف أن النظام المالي في الدولة الإسلامية يتمثل في الواردات والمصروفات . فأما الواردات فمحدده بالزكاة والخراج والجزية وعشور التجارة والضرائب.

١) ابن الديبع : قرة العيون : ص ٢٨٠، ابن عبد المجيد : بهجة الزمن : ص ١٣٤.

٢) السمط : ص ٤٠.

ومن موارد بيت المال:

الزكاة:

وهى الركن الاجتماعي البارز من أركان الإسلام والحق المعروف من أموال أغنياء المسلمين إلى فقرائهم بحسب أنصبتها وتجب فى الزروع والثمار، و في النقد من الذهب والفضة ، وفي عروض التجارة ، والماشية من الإبل والبقر والغنم ، وفى المعدن.([1]) وتفصيل ما يجب في كل نوع من هذه الأنواع موجود فى كتب الفقه. وتقوم الدولة بجمع أموال الزكاة ممن وجبت عليهم وإيداعها في بيت المال ، ثم صرفها فى وجوهها الشرعية . ومن المعروف أنه قد صاحب قيام الدولة الأيوبية في اليمن عودة فريضة الزكاة في بعض أجزاء من بلاد اليمن ، فكان ذلك دليلاً على غلبة مذهب أهل السنة ، ولقضاء نهائياً على المذهب الشيعي.

ورغبة من الأيوبيين في تحصيل مزيد من الاموال فقد قاموا بإنشاء دار الزكاة في ميناء عدن سنة ٦٢٥هـ / ١٢٢٨م تجمع فيها أموال الزكاة التي تؤخذ من التجار القادمين إلى ميناء عدن([2]) ممن لم تجب عليهم العشور([3])، وكانت هذه الزكاة تؤخذ من التجار على جميع الأشياء الواصلة إلى ميناء عدن سوء حال عليها الحول أم لا، ولم يعف منها شيء حتى المواد الغذائية.

الجزية:

وهى ما يفرض على رؤوس المصالحين من أهل الكتاب ، ولما كان المسلم يؤدي ضريبة الدم لحماية الدولة (أي الدفاع عن الوطن بالدم والنفس) ، والزكاة لحماية المجتمع ، ولما كانت الزكاة عبادة إسلامية خالصة فوق أنها ضريبة مالية ، ولما

---

١) د/ بدوي (عبد اللطيف) النظام المالي المقارن في الإسلام، مطابع شركة الإعلانات الشرقية، بيروت، ط١، سنة ١٩٦٢م، ص ١٠٧.

٢) ابن المجاور : تاريخ المستبصر : ج١، ص ١٤٠.

٣) ضريبة العشور ضريبة تشريعية ، أول من فرضها هو الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه على التجار الأجانب الذين يصلون إلى البلاد الإسلامية على أساس العشر من التجار غير مسلمين ، ونصف العشر من أهل الذمة ، وربع العشر من التجار المسلمين إذا بلغ ثمن السلعة مائتي درهم فأكثر، وللإمام أن يزيد على العشر أو ينقص عنه إلى نصف العشر أو أن يرفع ذلك عنهم إذا اقتضت المصلحة ذلك (د/ حسن و علي ابراهيم حسن : النظم الإسلامية :مكتبة النهضة العربية ، القاهرة ، ط١، سنة ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م ، ص ٢٠٦،٢٠٧.

كان الفرد غير المسلم يتمتع بالأمن والحماية الداخلية والخارجية في ظل الدولة الإسلامية ، لما كان الامر كذلك وجب عدلاً أن يسهم أهل الكتاب فى هذا كله بالمال ، وذلك بأن أخذ الإسلام منهم الفريضة المالية في صورة (جزية) لا في صورة (زكاة) معتبراً في تقديرها إلى ضريبة الدم التي لا يؤديها إلا المسلم، وهى ضريبة الرؤوس المفروضة على أهل الذمة من اليهود والنصارى ، وقد جبتها الدولة الأيوبية في اليمن من اليهود الموجودين في بعض المدن اليمنية مثل جبلة والجند وصنعاء ، وخصصت جزءاً منها لرواتب بعض القضاة وأهل العلم([1]) مثل القاضي عيسى بن علي الذي شغل القضاء فيها ، وكانت جاميكيته من جزية اليهود فى مدينة الجند ومقدارها خمسة عشر دينارا شهرياً([2]).

ضرائب الدولة الأيوبية في اليمن:

لم تمدنا المصادر بمعلومات عن تقدير الضرائب الزراعية زمن الأيوبيين سوى إشارات عامة غير محددة تفيد بأن منطقة أو ناحية ما كانت من أكثر الأراضي خراجاً([3]). ويقصد بمصطلح الخراج - على ما يبدو- جباية الأراضي الزراعية ، حيث تورد المصادر أن نواب الملك توران شاه ، كانوا يحملون إليه الأموال من زبيد وعدن وما بينهما من البلاد والمعاقل التابعة للدولة الأيوبية في اليمن إلى الإسكندرية وبلاد الشام ، فكانوا يدفعون خراجها إليه ولما، توفي الملك توران شاه أظهروا الخلاف ، ولم يرفعوا شيئاً من إيراداتها إلى مصر([4]).

---

١) عليان : (محمد عبد الفتاح عليان) الحياة السياسية ومظاهر الحضارة فى عهد دولة بني رسول فى اليمن) رسالة دكتوراه مقدمة إلى كلية الآداب جامعة القاهرة سنة ١٩٧٣م ، ص ١٧٨. رسالة لم تنشر.

٢) الخزرجي : العقود اللؤلؤية : ج١، ص ١٨٩.

٣) ابن دعثم : ،مج١، ج٢، ص ١٥٣. ١٦٧.

٤) ابن الأثير : الكامل في التاريخ : ج٩، ص ٤٥١،٤٥٢، الفرح : اليمن في تاريخ ابن خلدون : ص ٦١٢،٦١١، يحيى بن الحسين : غاية الاماني : ج١، ص ٣٢٦. ٣٢٨، ابن الديبع : قرة العيون : ٢٧٥.٢٧٢، ابن حاتم : السمط : ص ٢٠. ٢٢، بامخرمة : قلادة النحر : ج٢، ص ٢٥٠٧،٢٥٠٦، الاهدل : تحفة الزمن : ج٢، ص ٤٧٠، الحداد : التاريخ العام لليمن : ج٢، ص ٣٩١،٣٩٠.

وقام الملك طغتكين بإيجاد تنظيم جديد للضرائب من حيث الأسس والقواعد المتبعة في جبايتها وأنواعها حيث تصفه المصادر بأنه : هو الذي قرر القواعد واصل (أسقط) الضرائب القديمة ،وسنّ القوانين ، في الدواوين ، والى وقتنا هذا (عهد المؤرخ) إذا حدث خلاف بين الرعايا وأهل الدواوين رجعوا فيها إلى الضرائب القديمة ، ويقولون : هذا شيء من عهد سيف الإسلام (الملك طغتكين)(1) فيبدو أنه قد طرأ تغير على النظام الضرائبي رافق ذلك التغيير في النظام الإداري.

اتبع الأيوبيون العديد من أساليب الجباية ، كنظام الالتزام إذ يعهد به إلى زعامات كبيرة حتى يضمن الملك الايوبي تسليم الضامن ما التزم به ، وإلا تعرض الملتزمون للمصادرة في حال عدم الإيفاء بالمبالغ المحددة ، فقد كان الشيخ علي بن أحمد المعلم ملتزماً للملك طغتكين بضرائب منطقة تمتد من مصابيح(2) إلى ضربة عمر(3) بمبلغ قدره خمسون ألف ريال(4) فعجز بن المعلم عن أدائه فهرب فقام الملك طغتكين بمصادرة أملاكه وكانت جليلة في أماكن كثيرة(5) .

كما استعمل الأيوبيون نظام المصالحة في المنطقة التي دار فيها الصراع بين الإمام عبد الله بن حمزة والملوك الأيوبيين وكانت المصالحة تتم بين الزعامات الموجودة بعد انسحاب الإمام عبد الله بن حمزة إلى منطقة نفوذه ، بعد أن يدفع الأهالي مبلغاً مالياً في كل سنة يسلم للملك الايوبي عن خراج أرضيهم الزراعية ، كما فعل السلطان علي بن حاتم عندما أرسل ابن عمه القاضي حاتم بن أسعد إلى الملك طغتكين في ذمار فصالحه على ثمانين ألف دينار حاتمية ومائة حصان ويكون الصلح لمدة سنة كاملة وذلك سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م ، وكانت تجدد المصالحة في كل

---

١) ابن الديبع : قرة العيون : ص ٢٨٠، يحيى بن الحسين : غاية الاماني : ج١، ص ٣٣٨،٣٣٦، ابن حاتم : السمط : ص ٣٩، بامخرمة : قلادة النحر :ج٢، ص ٢٥٥٣.

٢) المصابيح : جبل في شمال مدينة القاعدة ، الواقعة بوادي خنوة . يعرف اليوم باسم (الجبل) وفيه قرية المداجر ، كما انه جنوب . بلدة السفنة (سهفنه) (المقحفي : معجم البلدان والقبائل اليمنية : ج٢، ص ١٥٤٣.)

٣) ضربة عمر : قرية في طرف قاع الحقل أسفل نقيل سمارة من المشرق على الطريق القديمة وقرب قرية قتاب : كتاب . فيها مسجد أثري قديم البناء يقال أنه من عمارة الصحابي معاذ بن جبل(المقحفي : معجم البلدان والقبائل اليمنية : ج١، ص ٩٤٤.)

٤) الجندي : السلوك : ج١، ص ٣٢١.

٥) ابن الديبع : قرة العيون : ص ٢٨٤،٢٨٣.

سنة ، حيث نجد أن السلطان علي بن حاتم أرسل أخاه بشر بن حاتم إلى الملك طغتكين فوجده محاصراً لحصن الدملوة فأكرمه الملك طغتكين وأعطاه الهدايا واسقط عن أخيه السلطان علي بن حاتم بعض الخراج ، وجدد له صلح تلك السنة (أي سنة ٥٨٤هـ/١١٨٨م)([١]).

وعرفت أساليب جديدة في الجباية ، كالقطعة والتغطية والوتدية استخدمها الملوك الأيوبيون لإرغام الأهالي على دفع الضرائب عن محاصيل أراضيهم الزراعية ، وكان هذا الامر مقصراً على المنطقة الزيدية التي كان يدور فيها الصراع بين الإمام عبد الله بن حمزة والملوك الأيوبيين ، واذا تمكن الأيوبيون من العودة إلى هذه المناطق كانوا يقومون بفرض الضرائب على أهلها . وخوفا من عدم استمرارهم فيها ، كانوا يقومون بمطالبة الأهالي بمبالغ عن السنة كاملة ، ويضطر الأهالي للاستجابة خوفاً من مصادرة أراضيهم أو إتلاف المحاصيل الزراعية ، مما دفع الأهالي إلي القيام بتوزيع المبالغ المحددة فيما بينهم ، وتسليمها للأيوبيين وكانت ضريبة النخيل ضمن الضرائب الرئيسية للأيوبيين وكان النخيل يجود غرسه في منطقة النخل من تهامة ، ولقد بلغ خراج النخل(غير النخيل السلطانية والأوقاف) في عهدهم تسعين ألف دينار غير ما كان يأخذه عمال الملك الايوبي ، ونواب الديوان وأرباب الجاهات وأصحاب الدولة ويقدر بأربعين ألف دينار فيكون مجموع ما يحصل عليه من خراج النخل مائة وثلاثين ألف دينار([٢]). وكان يؤخذ نقداً.

وزاد مقدار الخراج عما كان عليه في زمن الدولة النجاحية ودولة بني مهدي ، فقد كان الخراج في زمنهما لا يزيد على سبعين لَف دينار ، وكان يؤخذ عيناً من الغلة نفسها([٣]) ويعود السبب في ارتفاع الخراج إلى أن الملك طغتكين أمر بالعدل على أهل الحرث وبظلم أصحاب النخل وذلك بزيادة الخراج عليهم بحجة أن المزارعين يبذلون جهداً أكبر من جهد أصحاب النخل ،حيث قال : إن الفلاح يحرث ويسقى ويبذر ويحصد ويعزق ويذرى في الهواء ويجد مشقة عظيمة فالواجب أن

١) يحيى بن الحسين : غاية الاماني : ج١، ص ٣٣٢،٣٢٩.

٢) ابن المجاور : تاريخ المستبصر ، ج١، ص ٩٦.

٣) ابن المجاور : تاريخ المستبصر : ج١، ص ٩٦.

يرفق بهم ، أما أصحاب النخل فإنهم يجنون الثمرة من العام إلى العام بلا عناء ولا تعب ، وإذا ما هرب مالكو النخل ولم يسلموا ما عليهم قام الملك بمصادرة نخلهم نظير الخراج ، وإذا لم يستطع مالكو النخل أو أحدهم دفع الخراج الذي يجب عليه كان الملك الايوبي يأخذ ذلك النخل فيسمى الصوافي أي ما يصفو لبيت المال([1]).

واستخدم الملوك الأيوبيون نظام القبالة كأسلوب لجباية ضريبة النخل، ويفهم مما ورد لدى ابن المجاور أن الملوك الأيوبيين كانوا يلزمون الرعية في تهامة بشراء ثمرة نخيل الصوافي والقيام ببيعها ويكون ذلك التقبيل بسعر يفوق ما سيباع به التمر ، فيخسر من يتقبل النخل. ويورد ابن المجاور شعراً في ذلك([2]).

من عف النخل والقبالة	أمسى وفي قلبه ذباله
وعاش فيه معاش سوء	وناله الدين لا محاله

وفرض الملوك الأيوبيون ضرائب أخرى على الأهالي في تهامة، كالمعونة والضيفة والفرقة وكانت تؤخذ كرهاً من الرعية دون وجه حق. وكان الأيوبيون يطالبون المزارعين بدفع مستحق الضرائب نقداً لا عيناً كما كان سائداً من قبل ، إذ كان المزارعون يدفعون المستحق عليهم عيناً من الغلة نفسها ، مما أدى إلى إرهاق المزارعين . حيث كانت طرق جبايتهم غير عادلة. وهناك إشارات كثيرة حول العسف في الجباية([3]).

وكانت الضرائب التجارية مورداً مالياً رئيسياً للأيوبيين ، وقد سبقت الإشارة إلى الأسباب التي دفعت الأيوبيين إلى دخول اليمن وكان منها إدراكهم لأهمية اليمن بوصفه مركزاً من مراكز التجارة العالمية. وقد كانت ضرائب مدينة عدن من أهم الضرائب التي قام بتحصيلها الملوك الأيوبيون حيث كانت إيرادات عدن في دولة بني زريع مائة ألف دينار وارتفعت في عهد الأيوبيين إلى ستمائة ألف دينار([4]).

---

١) ابن الديبع : قرة العيون : ص ٢٨١،٢٨٢، ابن المجاور : تاريخ المستبصر : ج١، ص ٩٦.

٢) ابن المجاور : تاريخ المستبصر :ج١، ص٩٥.

٣) ابن دعثم : السيرة المنصورية : ج٢، ص ٣٠٠.

٤) ابن المجاور : تاريخ المستبصر : ج١، ص ١٦٣،١٦٤، د/ شوقي ضيف : تاريخ الأدب العربي :ج٥، ص ٢٤،٢٥.

وسار الأيوبيون على التنظيم الذي استحدثه الزر يعيون ، لتقدير العشور على السلع التجارية التي تدخل إلى مدينة عدن فقد ظل مقدار العشور على بعض السلع كما كان عليه زمن الزريعيين . ورفع الأيوبيون مقدار العشور على بعض السلع كالحديد إذ ارتفع مقدار العشور عليه إلى النصف من كمية الحديد . وقد حدث ذلك زمن الملك طغتكين ، وكان أول من اخذ منه ذلك المقدار هو أبو الحسن البغدادي أو الفروتي سنة ٥٩٨هـ / ١٢٠١م. كما ارتفع مقدار العشور على الفوة([١]) إذ وصل إلى اثني عشر ديناراً . وكان ذلك زمن الملك الايوبي المعز إسماعيل بن طغتكين(٥٩٣ ـ ٥٩٨هـ / ١١٩٧ ـ ١٢٠٢م)، وكان عليه زمن الزريعيين دينارين أو ثلاثة ، وكذلك الخيل ، فقد كان يؤخذ على الرأس عند دخوله إلى عدن خمسون ديناراً ، وعند خروجه للتصدير الخارجي سبعون ديناراً ، واستجد هذا زمن الملك الايوبي الناصر أيوب بن طغتكين([٢]). وعن مقدار الضرائب التي كان يقوم بتحصيلها الأفراد الأيوبيون بعد دخولهم اليمن سنة (٥٦٩هـ / ١١٧٣م) في ميناء عدن فيفهم مما ورد لدى ابن المجاور أن عدد المراكب التي كانت تصل إلى ميناء عدن زمن الزريعيين استمرت في الوصول إليها زمن الأيوبيين و كانت تصل إلى ثمانين مركباً في كل عام([٣]) . وكان في ميناء عدن أربع ضرائب تجارية رئيسة وهي ضريبة المراكب الواصلة من الهند وضريبة دخول الفوة إلى عدن وضريبة خروج الخيل من عدن إلى الهند وضريبة سفر المراكب إلى الهند وأن كل ضريبة من هذه الضرائب كان مبلغها مائة وخمسين ألف دينار قد يزيد هذا المبلغ ولا ينقص([٤]). وبذا يبلغ إجمالي ضرائب ميناء عدن في العام ستمائة ألف دينار.

---

١) سبق التعريف به.

٢) ابن المجاور : تاريخ المستبصر :ج١، ص ١٤٠، ١٤١.

٣) ابن المجاور : تاريخ المستبصر : ج١، ص ١٦٣.

٤) ابن المجاور : تاريخ المستبصر :ج١، ص ١٦٣،١٦٤ .

واستجدت ضرائب كضريبة الشواني([1]) التي لم تكن موجودة زمن الزريعيين ، ولم تعرف إلا بعد دخول الأيوبيين إلى اليمن ، حيث دخل الملك توران شاه بن أيوب اليمن ومعه شوانٍ ، فلما عاد إلى بلاد الشام ولى عثمان بن على الزنجيلي على عدن وبقيت عنده الشواني إلى أن هرب عثمان الزنجيلي بعد دخول الملك طغتكين اليمن ، وكان سبب استحداث هذه الضريبة زمن الملك طغتكين إذ أشير عليه بالبحث عن عمل لتلك الشواني التي جاء فيها الأيوبيون إلى اليمن والتي كانت ترسو في ميناء عدن.

وقد تقدم أحد الأهالي الأذكياء بسؤال للملك طغتكين قائلا له : بم تستحل أخذ العشور من التجار؟ قال : أجري على ما كانت عليه ملوك بني أيوب فيما تقدم من الأيام ، فقال له التاجر: إنهم كانوا يأخذون الناس بيد القوة ، واقترح عليه أن يأخذها بطريقة يشكرونه عليها ، ولما طلب منه الملك طغتكين بيان رأيه ، أجابه بأن يخرج هذه الشواني إلى البحر لحماية التجار وتجارتهم من السراق (قراصنة)البحار فيدفع التجار العشور مقابل حراسة الشواني لأموالهم ، وذلك أفضل من بقاء تلك السفن عاطلة فى المرسى تتلف الشمس أخشابها ، فاستحسن الملك طغتكين ذلك الراي ، وأخرج الشواني لحماية التجار والمراكب التجارية من القراصنة فى البحر العربي حتى الهند، بعد اشتداد نفوذ القراصنة فى البحر ، وقد أصبح رسم الشواني نافذ المفعول منذ عهد الملك طغتكين بن أيوب([2]) ونرجح أن يكون ذلك سنة ٥٧٩هـ /١١٨٤م وهى السنة التي دخل فيها الملك طغتكين اليمن وتمكن من إخضاعه للسلطة الأيوبية ، كما نجد انه فى عهد الملك الناصر بن طغتكين سنة ٦٠٢هـ /١٢٠٥م عادت الشواني إلى البحر بعد أن توقفت مراكب الهند لمدة سنة بسبب السراق ، ووصلت الشواني إلى قلهات([3]) وقضت على اللصوص(القراصنة) من

---

١) الشواني : جمع شينى أو شينية وهى سفن حربية كبيرة وتجمع ايضا شون ، ويظهر أن الشواني كانت اكبر السفن الحربية ، وأكثرها استعمالاً (المقريزي :الخطط المقريزية ، ج٣، ص ١٨،١٩.)

٢)ابن المجاور : تاريخ المستبصر : ج١، ص ١٦٠،١٦١، كريم : عدن : ص ٢٥٩،٢٦٠.

٣) قلهات : بالفتح ثم السكون ، وأخره تاء لعله جمع قلهة ، وهى مدينة بعمان على ساحل البحر إليها ترفا أكثر سفن الهند ، وهي الآن فرضة تلك البلاد وأمثل أعمال عمان عامرة أهلة ، وليست بالقديمة في العمارة ، ولا أظنها تمصرت

البحر(١) واستمرت فى عملها حتى سنة (٠٦١٣هـ / ١٢١٦م) ثم توقفت الشواني عن الخروج بعد ذلك ولكن الضريبة ظلت قائمة إلى سنة (٦٢٥هـ /١٢٢٨م) وكان ذلك قد تم في عهد الملك المسعود ثم ألغي ذلك ، لان الناس اشتكوا للملك المسعود بأن مال الشواني يؤخذ سواء سافرت الشواني في البحر لحماية السفن التجارية أم لم تسافر ، فأمر الملك المسعود بإبطال عشور الشواني(٢) وبلغ مقدار تلك الضريبة عشر ضريبة العشور بمعنى أنه إذا بلغ مقدار العشور ألف دينار فإن ضريبة الشواني مائة دينار(٣).

وكان ميناء عدن يزود مالية الدولة الأيوبية برفد من الاموال وذلك على أثر انتعاش طريق البحر الأحمر ، وقد اهتمت الدولة الأيوبية اهتماما كبيراً بميناء عدن وسنت له نظماً وقوانين دقيقة.

يعدُ وصول السفينة إلى ميناء عدن سعادة كبيرة للتجار ورجال الجمرك حيث أنهم يجنوآمن قدومها مكسباً كبيراً. ذكر ابن المجاور بعضٌ من التقاليد المتبعة عند وصول السفن إلى ميناء عدن ومما يذكر انه إذا وصلت سفينة أعلن عن قدومها بكلمة (هيريا هيريا)(٤) ويبعث غلام يبشر التجار بقدوم السفينة (فإن كان ما ذكره صحيحاً يعطى له عن كل سفينة دينار ملكي وذلك من الفرضة وإذا كان كاذباً يضرب عشر جلدات على ظهره(٥).

وبعد أن ترسو السفينة في الميناء تأتى مرحلة أخرى يستفسر فيها عن أحوال القادمين ويسألونه من أين وصل ويسألهم الناخوذة (قائد السفينة) عن البلد ومن الوالي فى المدينة وسعر البضائع وكل من يكون له فى البلد أهل وأقارب يسأل عنهم

إلا بعد الخمسمائة ، وهي لصاحب هرمز ، وأهلها كلهم خوارج إباضية إلى هذه الغاية يتظاهرون بذلك ولا يخفونه (ياقوت : معجم البلدان : مج٤، ج٧، ص ٨٥.)

١) ابن حاتم : السمط : ص ١٣١.

٢) ابن المجاور : تاريخ المستبصر : ج١، ص ١٦١، الحبشي : جوانب : ص ١٠٨.

٣) ابن المجاور : تاريخ المستبصر : ج١، ص ١٦١.

٤) بامخرمة : ثغر عدن : ص ٥٦.

٥) ابن المجاور : تاريخ المستبصر : ج١، ص ١٥٧.

. ثم إن كاتب الجمرك يدون كل المعلومات التي يدلي بها ربان السفينة وبعد الانتهاء يوقع الربان عليها. وتحوي تلك المعلومات تفاصيل أسماء البضائع التي تحملها السفينة، واسم الربان وأسماء التجار، فيرجع المبشرون ويسلمون الوالي رقعة كاتب الجمرك ويعطونه المعلومات المتعلقة بالسفينة التي وصلت بصورة تفصيلية.

وبعد انتهاء عملية تسجيل محتويات السفينة من البضائع والتجار القادمين ترسو السفينة عند دائرة الجمرك في الميناء فيصعد إليها والي المدينة يرافقه الكشاف، وهو المفتش الذي يفتش الرجال واحداً واحدا بدقة متناهية ، يبحث بين طيات ملابسهم وعمائمهم وكل أجسادهم . وقد وصف لنا ابن المجاور ذلك التفتيش فيقول([1]): ويصل التفتيش إلى العمامة والشعر والكمين وحزة السراويل وتحت الآباط ...الخ ، أما بالنسبة إلى النساء فهناك عجوز تفتشهن بطريقة تفتيش الرجال نفسها من حيث الدقة([2]) ولعل السبب فى دقة التفتيش يعود إلى ضبط عمليات تهريب الكثير من المواد الصغيرة الحجم الخفيفة الوزن الغالية الثمن كالذهب ، إضافة إلى الخوف من التجسس أو نقل الرسائل السرية.

وبعد الفراغ من التفتيش ينزل التجار من السفينة مخلفين وراءهم بضائعهم داخل السفينة فلا تنزل إلى الميناء إلا بعد ثلاثة أيام([3]) حيث تعرض على موظفي الجمرك ليجري العد والوزن بخصوصها ، ومن ثم يقدر رئيس الجمرك قيمة كل بضاعة ليفرض عليها ما يراه مناسباً من الضرائب.

إن تنزيل البضائع بعد ثلاثة أيام يرجع إلى دقة التفتيش فى الميناء ، ونفهم من كلام ابن المجاور أن العد والوزن اتصف بالدقة والشدة إذ يقول : وبعد ثلاثة أيام تنزل الأقمشة والبضائع إلى الفرضة تحل شدة شدة وتعد ثوباً ثوباً..الخ([4]) ، ومن المحتمل أن التأخير يعود إلى ازدحام الميناء بالسفن التجارية وانتظار الدور لكل سفينة ، حتى يتم تفريغه وتسجيل البضائع التي يحملها.

---

١) ابن المجاور : تاريخ المستبصر : ج١، ص ١٥٨.

٢) لمعرفة المزيد من التفاصيل فى هذا الجانب : انظر : ابن المجاور : تاريخ المستبصر : ج١، ص ١٥٨.

٣) ابن المجاور : تاريخ المستبصر : ج١، ص ١٥٨، الحبشي : جوانب : ص ١٠٧ ، كريم : عدن : ص ٢٥٧.

٤) ابن المجاور : تاريخ المستبصر : ج١، ص ١٥٨، الحبشي : جوانب : ص ١٠٧، كريم : عدن : ص ٢٥٧.

وفى الميناء ربما وقعت مآسٍ إنسانية نتيجة ذلك التفتيش الصارم وعدم التساهل فى اخذ الرسوم الباهظة ، قال ابن المجاور([1]): وحينئذ يظهر على التاجر الحراف(الفقر) ويقتله الحزن ويبقى فى وادي الدبور بما يعملون معه من الفعل الذي يطير منه البركة والسعادة.

ونستنتج من هذا النص مدى المعاناة التي كان يعاني منها التاجر بسبب التفتيش والرسوم العالية فيصيبه اليأس والحزن وتنقلب سعادته إلى ألم ومأساة ، ويشبه ابن المجاور خروج الإنسان من البحر كخروجه من القبر ، ويوضح حال التاجر فى الميناء فيقول([2]): وخروج الإنسان من البحر كخروجه من القبر ، والفرضة كالمحشر ، فيه المناقشة والمحاسبة والوزن والعدد، فإن كان رابحاً طاب قلبه ، وان كان خاسراً اغتم.

والآن نورد قائمة بمقدار العشور المفروضة على البضائع الواردة إلى ميناء عدن والصادرة منه حسبما رصدها ابن المجاور([3]) فى القرن السادس الهجري (القرن الثاني عشر الميلادي).

١- الفلفل([4]) : يؤخذ على البهار([5]) ثمانية دنانير عشور ودينار شواني وديناران على خروجه من الميناء.

٢- النيل([1]) : يؤخذ على قطعة النيل أربعة دنانير عشور وربع دينار عند خروجه من الميناء.

---

١) ابن المجاور : تاريخ المستبصر : ج١، ص ١٥٨، الحبشي : جوانب : ص ١٠٧ ، كريم : عدن : ص ٢٥٨.

٢) ابن المجاور : تاريخ المستبصر : ج١، ص ١٤٨، كريم :عدن : ص ١٥٨.

٣) عن تفاصيل هذه العشور أنظر : ابن المجاور : تاريخ المستبصر ، ج١، ص ١٥٩. ١٦٤، الحبشي : جوانب : ص ١١٠،١٠٩.

٤) الفلفل : شجرة تنبت في بلاد الهند ، لها ثمر يكون في بداية ظهوره طويلاً كاللوبيا ، وهو الدار فلفل ، وقوة الفلفل في الجملة مسخنة هاضمة للغذاء ، ميسرة للبول ، ويستعمل الفلفل مع الغذاء ولإغراض طبية عديدة (المظفر الرسولي: المعتمد في الأدوية ، ص ٣٣٨،٣٣٧.)

٥) البهار : وهو من الأوزان ، فقيل وزنه (٣٠٠) رطل وهذا الوزن بالرطل المكي الذي يزن (٢٦٠) درهماً ، أي الوزن المضاعف وبذلك يكون وزن البهار (٢٤٣ ,٧٥) كغم ، وذكر ابن خرداذبة أن البهار يساوي نظرياً (٣٣٣) من ، والمقصود به المن البغدادي الذي يزن (٢٦٠) درهماً ، وبناء عليه يكون وزن البهار (٢٧٠،٥٦٢) كغم وذلك على حساب وزن الدرهم بمعدل(٣،١٢٥غم) .(المقدسي : أحسن التقاسيم ، ص ٩٩.) (ابن خرداذبة : المسالك والممالك ، ص ٨٥).

٣ـ الانكزة : وهو الحلتيت([٢]) ، يؤخذ عليه ثمانية دنانير عشور.

٤ـ قشر المحلب([٣]) : نوع من الأدوية يوجد على البهار يؤخذ عليه ثلاثة دنانير ونصف عشور.

٥ـ الطباشير([٤]) : يؤخذ على البهار واحد وعشرون ديناراً إلا ثلث عشور، ودينار للشواني .

٦ـ عود الدفواء([٥]) : يؤخذ عليه عشور وشواني تساوي نصف المبلغ المفروض على بهار الطباشير(أي عشرة دنانير ونصف كعشور ونصف دينار للشواني).

٧ـ الكافور([٦]) : يؤخذ على الفراسلة منه خمسة وعشرون دينار ونصف وسدس عشور .

٨ ـ الهيل : يؤخذ على البهار سبعة دنانير عشور .

٩ـ الكتان : يؤخذ على البهار سبعة دنانير ونصف . وإذا بيع فى الميناء يؤخذ على المائة عشرة دنانير .

١٠ـ الفوة([١]) : يؤخذ على البهار اثنا عشر ديناراً . وقد استجد فى عهد الملك المعز إسماعيل بن طغتكين ، وكان مقدار عشور بهار الفوة قبل ذلك دينارين ويقال ثلاثة دنانير.

---

١) النيل : ويسمى النيلج ، وهو العظلم الذي يستعمله الصباغون ، وهو نبات له ساق ، وفيه صلابة ، وله شعاب دقاق ، ولونه يميل إلى الغبرة والزرقة ، وساقه مملوءة ، وله منافع طبية كثيرة . (المظفر : المعتمد : ص ٤٨٩،٤٩٠.)

٢) الحلتيت : هو صمغة الانجذان ، ولها قوة تجذب جذباً بليغاً ، وتنقص اللحم وتذيبه ، وهو أكثر ألبان الشجر حرارة ولطافة ، ويعد مادة طبية لكثير من الأمراض (المظفر : المعتمد : ص ٩٤.)

٣) المحلب : هو شجر يابس أبيض النور وثمره يقع في الطيب ، وهو أنواع : أبيض ، وأسود ، وأخضر ، صغير الحبة وكبيرها مثل الجلبانة ، ويستعمل في المسوحات والنقاوات . وأجوده أبيضه ، وأنقاه وأذكاه رائحة ، وأردؤه أسوده ، وله استعمالات طبية كثيرة .(المظفر : المعتمد : ص ٤٤٩.)

٤) الطباشير : هو شيء يكون في جوف القنا الهندي. ويجلب من ساحل الهند كله، وأكثر ما يكون بموضع منه يسمى سندا بو ر من بلد كلى، وأجوده أشده بياضا، وشكله مستدير شكل الدرهم، وسرعان ما يحترق من ذاته عند احتكاك بعضه ببعض بريح شديدة تهب عليه. وقد يغش بعظام رؤوس الضأن المحرقة .(المظفر : المعتمد : ص ٢٧٧.)

٥) يبدو أنه نوع من أنواع البخور لكونه يسمى : عود الدفواء. (كريم : عدن : ص ٢٦١. هامش.

٦) الكافور : هو صمغ شجر لونه أحمر وخشبه أبيض رخو يضرب إلى السواد ، ويوجد فى أجواف الشجر وفى خروق منها ممتدة على طولها، وهو أصناف منها القيصورى ، والرياحى ، ثم الأزاد ، والاسفرل ، والأزرق . وهو المختلط بخشبه ، والمتصاعد من خشبه . ويدخل الكافور فى الطيب ، وله استعمالات طبية كثيرة .(المظفر : المعتمد : ص ٣٧٣.)

١١ـ الحمر([2]) : يؤخذ على البهار ثلاثة جوز وعلى عشرة المقاطع ديناران ونصف وعلى العشرة العقدات نصف وربع دينار.

١٢ـ القرنفل([3]) : يؤخذ على الفراسلة عشرة دنانير عشور وللشواني دينار.

١٣ـ الزعفران([4]) : يؤخذ على الفراسلة ثلاثة دنانير وثلث عشور.

١٤ـ رأس الضان : يؤخذ عليه ربع دينار عشور.

١٥ـ رأس الرقيق : يؤخذ على الفرد الواحد ديناران وإذا صدر من المدينة يؤخذ عليه نصف دينار عشور.

١٦ـ الحصان : على الرأس إذا دخل البلد يدفع عشور خمسين دينار ، وقد استجد ذلك في عهد الملك الناصر أيوب بن طغتكين ويؤخذ على الرأس سبعون دينار إذا صدر من عدن إلى الخارج بطريق البحر ، وهذا يمثل سياسة تجارية متطورة أساسها حماية أنواع الخيول العربية الأصيلة من الانقراض ووضع حد لتصديرها وهي سياسة تدل على رقي التفكير وبعد النظر.

١٧ـ العوبلي السندابوري([5]) ، يؤخذ عليه ثمانية دنانير عشور ودينار للشواني ، وإذا صدر من البلد يؤخذ عليه نصف دينار عشور ، وهو لضامن دار النبيذ ، ولم تحدد المصادر الكمية من هذه المادة التي فرضت عليها عشور الميناء وعشور الشواني هل هي البهار ، الفراسلة ، القطعة .

١٨ـ الحديد : يؤخذ عليه نصف ثمنه أي (٥٠%) وأول من سن هذا الملك طغتكين ابن أيوب وذلك سنة ٥٩٨هـ/١٢٠١م .على احد التجار القادمين من فروان([6]).

---

١) سبق التعريف به.

٢) الحمر : هو التمر هندي ، وهو حامض يتداوى به ، وشجره عظام كشجر الجوز ، وورقه نحو ورق الخلاف البلخي ، وثمره قرون مثل قرون ثمر القرظ ، ويطبخه الناس له فوائد طبية كثيرة (المظفر : المعتمد : ص ٥٢،٥١، ٩٩.)

٣) القرنفل : هو ثمرة وعيدان يستعملان جميعاً ، ويؤتى به من أرض الهند ، وأجوده الرؤوس ذوات الشعب ، وهو حار يابس ، ويستعمل كثيراً في أنواع الأدوية (المظفر : المعتمد : ص ٣٥٠.)

٤) الزعفران : من أسمائه الجادى والجاد والريهقان والكركم ، وهو يهضم الطعام ، ويستعمل لأغراض طبية كثيرة . (المظفر : المعتمد: ص ١٩١، ١٩٠.)

٥) لم أقف على تعريف لهذه المادة واغلب الظن انه تصحيف في النسخة المطبوعة . أما سندابور : موضع في ساحل الهند من بلاد كلى ، ويجلب منه الطباشير (المظفر : المعتمد : ص ٢٧٧.)

٦) فروان : بفتح أوله وآخره نون ، بليدة قريبة من غزنة.(ياقوت : معجم البلدان :مج٣، ج٦، ص ٤٣١.)

١٩- شقق الحرير : وهي من عمل مدينة زبيد يؤخذ على الواحدة منها نصف دينار وجائز.

٢٠- الثوب الظفاري : أي الثوب المصنوع في ظفار باليمن ، يؤخذ عليه عشور ربع دينار وجائز.

٢١- الشقة البيضاء([1]) : وعشور الواحدة منها ثمن دينار.

٢٢- الشقة السوسي([2]) : وعشورها ثلاثة قراريط .

٢٣- فوط ألسوسي : عشورها ربع وجائز .

٢٤- السباعي([3]) : وعشورها ديناران ونصف .

٢٥- اللاك : يؤخذ عليه الربع ويقال الثلث وديناران استظهارا .

المواد المعفية من العشور:

هناك بضائع أخرى كانت تأتي إلى اليمن استدعت حاجة البلاد الاقتصادية تشجيع توريدها وذلك بإعفائها من العشور ، وكان أغلبها من المواد التموينية الضرورية ذات الصلة والمساس بحياة الناس .

١- الواصل من ديار مصر([4]):وتشمل المواد التالية : الحنطة والدقيق والسكر والأرز والصابون الرقي والأشنان والقطارة([5]) وزيت الزيتون وزيت الحار والزيتون المملح وكل ما يتعلق بالنقل([6]) وعسل النحل إذا كانت قليلاً .

---

١) الشقة البيضاء صنع زبيد . العقيلي : المخلاف السليماني: ج١، ص ١٩٤.

٢) ألسوسي : بسينين مهملتين الأولى مضمومة بينهما واو ساكنة : نسبة إلى مدينة سوسة بالمغرب ، ومنها يخرج إلى السوس الأقصى ومنه إلى القيروان ، وفي سوسة دار الصناعة ، والحياكة فيها كثيرة ويغزل بها الغزل .(بامخرمة : النسبة إلى المواضع والبلدان ، ص ٣٥٣،٣٥٢.)

٣) تلك العشور على كورجة السباعي (ابن المجاور : المستبصر :ج١، ص ١٦٠) والسباعيات هي نوع من الأردية طول الواحدة منها سبعة اذرع في عرض أربعة أذرع ،وهي صنفان من الحرير الخالص ، وأخر ممزوج بالكتان . (ابن المجاور : المستبصر :ج١، ص ١٠٦.)

٤) ابن المجاور : تاريخ المستبصر : ج١، ص ١٦١، الحبشي : جوانب : ص ١١١.

٥ القطارة: بالضم ما قطر من الحب ونحوه، أي قطارة الحب وقطارة الشيء ما قطر منه، وتقطير الشيء إسالته قطرة قطرة (ابن منظور : لسان العرب : مج١٢، ص ١٣٥،١٣٤.)

٢ـ بعض البضائع الواصلة من الهند[٢]: كل ما يصل عن طريق البحر كالهليلج[٣] المربى والاكرار[٤] والمخاد والمساور والأنطاع والأرز الكجرى[٥] وهو نوع من الأرز والماش[٦] مخلوط والسمسم والصابون ، ومن البضائع المغر[٧] الكلاهى والنشم[٨] وحطب القرنفل وثياب العرابية التي تصنع في دقلي (دلهي) بالهند ، ومن معاملة الشجر التمر المقلف المنزوع منه النواة ويعفى ايضاً السمك المملح إذا كان بلا رأس ، وان كان برأس أخذ عليه ، وتعفى من العشور النعال الهندية إن كانت بلا شراك (سيور) وإن كانت بشراك فرضت عليها العشور.

ومن بضاعة الحبشة التيس والمعز[٩] : تعفى من العشور ، وقد روى لنا ابن المجاور[١٠] عن سبب إعفاء التيوس من العشور حادثة طريفة وهي أنه وصل من الحبشة مجموعة من الغنم واشتغل العدادون بالعد وأثناء انشغال العدادين بالعد قام

---

١) النقل: تحويل الشيء من موضع إلى موضع، نقله ينقله نقلاً فانتقل (ابن منظور: لسان العرب : مج١٤، ص ٣٤٤،٣٤٥، النقل هنا هو النقول والنقول كالفستق والحبوب التي تعمل موالح.

٢) ابن المجاور : تاريخ المستبصر : ج١، ص ١٦١،١٦٢، الحبشي : جوانب : ص ١١١.

٣) الهليلج : ويسمى الاهليلج ، وهو مادة تستعمل كمسهل وأصنافه عديدة : الكابلى نسبة إلى كابل وهو كبير ، والأصفر وهو أجوده وهو الشديد الصفرة الضارب إلى الخضرة ، واسود ، وصيني وهو رقيق . وله ذكر مع الأدوية التي تأتى من الصين (المظفر: المعتمد: ص ٤٩٧، ٤٩٦.)

٤) الاكرار : ويقال له : الكرسنةشجرة دقيقة الورق و الأغصان ، لها ثمر في غلف . ولها استعمالات طبية كثيرة . (المظفر: المعتمد: ص٣٨٧.)

٥) هو الأرز المخلوط بالماش (ابن المجاور : تاريخ المستبصر : ج١، ص ١٦٢، وما تزال هذه الأكلة شائعة في مصر من الأكلات الشعبية وتسمى الكشري ، ويسميها الحبشي : الكخلي : جوانب : ص ١١١.

٦) ألماش : هو حب صغير كالكرسنة الكبيرة ، أخضر اللون براق ، وشجرته كشجرة اللوبيا ، وهو من شجر اليمن ويسمونه الاقطن . وهو طيب الطعم . وله استعمالات طبية كثيرة (المظفر: المعتمد: ص ٤٣٤.)

٧) المغر : لعله القر بالقاف وهو الصبر (المظفر : المعتمد : ص ٤٦٥.) المغرة : مادة طبية أجودها ما كان كثيفاً ولونه شبيه بلون الكندر وليست فيها حجارة ، ولا مختلفة اللون ، ولها قوة قابضة مجففة مغرية ، وإ ما المغرة التي يستعملها النجارون فإنها اضعف من المغرة المنسوبة إلى سوس ، وأجودها ماكان من مصر ، والمغرة مادة باردة يابسة . ولها استعمالات طبية كثيرة (المظفر : المعتمد : ص ٤٦٣.)

٨) النشم : بالتحريك ، شجر جبلي تتخذ منه القسي ، وهو من عتق العيدان ، واحدته نشمة ، من أشجار الجبال النبع (ابن منظور : لسان العرب :مج١٤، ص ٢٦٤.)

٩) ابن المجار : تاريخ المستبصر : ج١، ص ١٦٢، الحبشي : جوانب : ص ١١١.

١٠) تاريخ المستبصر : ج١، ص ١٦٢، ونقلها : الحبشي : جوانب : ص ١٢٦هامش.

تيس وشق الجمع ثم جلس وراء ظهر ياسر بن بلال المحمدي([1]) فلما فرغوا من العدد أرادوا أن يعد التيس مع الغنم والمختفي وراء الوالي فقال لهم معاذ الله أن تأخذوا عليهشيئاً لأنه استجار بي فأزال عنه العشور ، والأصح أنه أبصر لحيته فقال : حاشا أن يوزن على لحيته عشور، ويعفى من العشور([2]) الخرز الذي يجلب من الديبول([3]) وغلمان حودر يجلبون من الهند.

يتضح لنا من قائمة المواد المعفاة من العشور والضرائب التجارية الأخرى سواء الواردة منها من مصر أم من الهند أم الحبشة أن تلك المواد قد تنوعت من حيث طبيعة الحاجة إليها ونوعها ، فهناك مواد تموينية ضرورية تدخل في غذاء السكان كالحنطة والدقيق والسكر والأرز والزيتون المملح والزيت وعسل النحل والأرز الكجرى والسمسم والسمك المجلوب من الهند والماعز من الحبشة ، ومواد أخرى منزلية لا يستغنى عنها كالصابون الرقي والمخاد والفرش وأغطية الموائد والثياب ، وصنف ثالث منها هي المواد الطبية أو التي تستعمل في معالجة الأمراض كالهليلج والأشنان والقطارة والمغر الكلاهى والنشم وحطب القرنفل ، والصنف الرابع منها مواد كمالية كالعطور والبخور والخرز الملون الذي يستعمل لزينة النساء والأطفال والنعال الهندية .

نستدل من تنوع تلك البضائع أن عدن كانت تعتمد بشكل رئيس فى سد معظم حاجاتها على ما يردها من الخارج ، وذلك بسبب انعدام الزراعة فيها ، ولكونها ميناء تجارياً تصلها البضائع المتنوعة من مختلف أنحاء العالم ، فهي أشبه بوسيط تجاري ، مما جعلها تعتمد على ما يصلها من تلك الأرجاء ، وقد أوضح ابن

---

١) حكمه من سنة ٥٦٠هـ / ١١٦٤م)

٢) ابن المجاور : تاريخ المستبصر : ج١، ص ١٦٢.

٣) الديبول : والصحيح الديبل بفتح أوله وسكون ثانيه وباء موحدة مضمومة ولام ، وهى بلدة صغيرة على ساحل ماء السند شديدة الحر، وتقع شرق مهران، وهى فرضة تلك البلاد ، وتشتهر بالسمسم الكثير ، ويجلب إليها التمر من البصرة (القلقشندى :صبح الأعشى ، ج٥، ص ٦٤.)

المجاور هذه الحالة باعتماد أهل عدن على الاستيراد الخارجي ، إذ قال([1]): ومادتهم من الهند والسند والحبشة وديار مصر ومأكولهم الخبز وأدمهم السمك.

وفي أواخر العصر الأيوبي باليمن استحدثت ضرائب جديدة ، حيث أسس في عدن دار الوكالة ودار الزكاة من اجل فرض ضرائب على المواد المعفاة من الضرائب ، ذكر بن المجاور([2]) انه في سنة (٦٢٥هـ/١٢٢٨م) أسس في عدن دار وكالة وعلى كل بضاعة لم يؤخذ عليها عشور يؤخذ منها زكوة (زكاة) وبذلك أصبحت العشور المفروضة على البضائع الواردة إلى عدن خمسة أنواع تؤخذ مرة واحدة ، وهي :

١- عشور قديم وهي رسوم الميناء .

٢- عشور الشواني .

٣- عشور دار الوكالة ، ومقدارها قيراط في الدينار الواحد.

٤- عشور الزكاة .

٥- عشور الدلالة (السمسرة)

العملات والأوزان:

وغالباً ما كان يجري التعامل في الصفقات التجارية بالنقود المضروبة في اليمن أو خارج اليمن ، وكانت العملة المتداولة في اليمن في العصر الأيوبي هي الدينار الملكي والدرهم السيفي نسبة إلى سيف الإسلام طغتكين بن أيوب ،وكان وزنه أربعة قراريط وحبة . وأول من بنى داراً لضرب النقود في اليمن هو المعز إسماعيل بن طغتكين (٥٩٣- ٥٩٨هـ /١١٩٧- ١٢٠٢م) وضرب الدرهم الذي وزنه ثلاثة عشر قيراطا([3]) . وفيما يلي بيان العملات المتداولة في العصر الأيوبي في اليمن.

---

١) تاريخ المستبصر : ج١، ص١٥٦.

٢) ابن المجاور: تاريخ المستبصر : ج١، ص ١٦٣،١٦٢، الحبشي : جوانب : ص ١١٢،١١١، د/ كريم : عدن : ص ٢٦٩.

٣) ابن المجاور : تاريخ المستبصر : ج١، ص ١٠٦، الحبشي : جوانب : ص ١١٢.

١- الدينار المصري ويساوي أربعة دنانير ونصف ملكي([1]).

٢- الدرهم وقيمته ربع دينار

٣- الجائز وقيمته ثلاثة دراهم.

٤- الفلس وقيمته كل ثمانية فلوس جائز واحد.

٥- الدوراس كل أربعة دوارس بفلس واحد([2]).

المكاييل:

أما المكاييل المستعملة للغلال فهي كالتالي:

١- المد([3]): وهو أكبرها ويساوى اثنين وثلاثين ثمناً.

٢- الثمن : ويساوى اثنين وثلاثين زبدياً .

٣- الزبدى : فهو أصغر وحدة لكيل الغلال ، ويساوى مناً .

٤- المن: يساوى رطلين([4]).

أما المعاييرالوزنية فهي:

١- المن: يساوى رطلين.

٢- الرطل: ويزن مائة وعشرين درهماً.

٣- الدرهم: ويساوى ثلاثة عشر قيراطاً([5]).

ويباع السمن بالجمنة ، والجمنة مقياس يساوى خمسة أمنان . ويختلف العيار بحسب السلعة ، فمن الحرير يساوى مائتين وستين درهماً . أما اللحم فإن المن منه يساوى أربعمائة درهم ، وتختلف المعايير الوزنية من مدينة إلى أخرى ، فيذكر ابن المجاور([6]) أن العيار فى مدينة عدن أقوى منه بمدينة زبيد.

---

١) أول من ضرب الدينار الملكي الملك المكرم أحمد بن علي الصليحي بصنعاء . (ابن المجاور : تاريخ المستبصر : ج١، ص ١٦٤، كريم : عدن : ص ٢٨١.)

٢) ابن المجاور : تاريخ المستبصر : ج١، ١٠٦، الحبشي : جوانب : ١١٢.

٣) المد: مد أهل اليمن كان عبارة عن حمل الجمل الضخم الشديد.(الخزرجي : العقود اللؤلؤية : ج١، ص ٢٧٦، الحبشي : جوانب : ص ١١٤.)

٤) ابن المجاور : تاريخ المستبصر : ج١، ص ١٠٦، الحبشي : جوانب : ١١٤، صيري : مظاهر : ص ٢٥٩.

٥) ابن المجاور : تاريخ المستبصر : ج١، ص ١٠٦، الحبشي : جوانب : ١١٣.

٦) تاريخ المستبصر : ج١، ص ١٠٦.

المصادرات:

لم تكن هذه المصادرات الا موردً ماليً طارئاً بخلاف ما تقدم شرحه من ضرائب ومكوس دائمة. ولعل أكبر المصادرات التي حدثت في عهد الدولة الأيوبية فى اليمن هي ما استولت عليه من ممتلكات الدويلات السابقة فى اليمن ، حيث تم القضاء على أكثرها فى حملة توران شاه كما سبق بيانه . وكانت أكبر المصادرات من دولة بني مهدي فى زبيد ، فمن المعروف أنه بعد هزيمة عبد النبي بن مهدي على يد توران شاه تم القبض عليه ، وأمر توران شاه بتسليمه إلى الأمير سيف الدولة مبارك بن منقذ ليستخرج منه الاموال الطائلة (الكثيرة) التي كانت تحويها خزائنه ـ وكانت تحوي أموال خمس وعشرين دولة من دول اليمن السابقة ـ([1]) فأعطاه منها شيئً كثيراً ، ثم لأنه دلهم على قبر كان قد صنعه لأبيه ، وبنى عليه قبة عظيمة وله هناك دفائن كثيرة فأعلمهم بها ، فاستخرجت الأموال منها ، وكانت جليلة المقدار ، ودلتهم زوجته الحرة على ودائع لها فأخذ منهامالاً كثيراً([2]). وعلى العموم فقد جمع الملك توران شاه من دولة بني مهدي أموالاً كثيرة استعان بها على إتمام استيلائه على اليمن.

أما دولة بني زريع فى عدن فإنه على الرغم من القبض على ياسر بن بلال المحمدي وأسره ، إلا أن توران شاه لم يحصل منه على أموال كثيرة ، لأن ياسر المذكور على ما يبدو قد بادر بإرسال خزائنه إلى حصن الدملوة عندما سمع بقدوم الأيوبيين(توران شاه) إلى عدن.

وعن المصادرات المهمة التي حصلت فى عصر الدولة الأيوبية فى اليمن مصادرة الملك طغتكين بن أيوب للأمير حطان بن منقذ الكناني ـ والي زبيد فى غياب توران شاه ـ وقد وصف العماد الأصفهاني مقدار ما تم مصادرته من أموال الأمير المذكور : حيث قال:(وفيما ذكر للسلطان صلاح الدين من خبر ذهبه وماله الذاهب ، وأن نيفاً وسبعين غلافاً من أغلف الزرد كانت مملوءة بالذهب الأحمر النقد

---

١) عمارة: تاريخ اليمن: ص ١٨٠.

٢) ابن الأثير: الكامل: ج١١، ص ٣٩٧.

، وقوم المأخوذ منه بقيمة ألف ألف دينار([1]) ، ولا شك أن هذه المبالغة واضحة ولكنها تدل على كثرة الأموال التي صودرت من هذا الأمير . وقد ذهبت إلى خزائن الدولة.

وتم فى عصر الدولة الأيوبية مصادرة العديد من الأمراء الكبار فى الدولة ، وقد نفى بعضهم من البلاد وبقى البعض الآخر، ونذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر الأميران ياقوت التعزي ، وياقوت القحمي فى عهد الملك طغتكين بن أيوب ، والأمير أبي زبا فى عهد الملك إسماعيل بن طغتكين ، والأميران بكتمر السيفى أمير تهامة ، وورد سار أمير صنعاء فى عهد الملك الناصر أيوب بن طغتكين([2]).

وكانت الأموال التي تأتي من الموارد السابق ذكرها تودع بخزائن الدولة فى حصن تعز وحصن الدملوة . ففي قلعة تعز كانت تودع الأموال التي يتم جمعها من عدن ، حيث كان يرفع من عدن فى كل سنة أربع خزائن إلى حصن تعز: خزانة قدوم المراكب من الهند ، وخزانة دخول الفوة إلى عدن ، وخزانة خروج الخيل من عدن إلى الهند ، وخزانة سفر المراكب إلى الهند ، وكل خزانة من هذه الخزائن يكون مبلغها مائة وخمسين ألف دينار تزيد ولا تنقص ([3]).

ويبدو أن خزانة حصن الدملوة كانت الخزانة الرئيسية للدولة بسبب ما اشتهر به ذلك الحصن من الحصانة والمنعة ، فكان يحمل إليها فائض الأموال ليحفظ بها . والدليل على ذلك أن الأتابك سنقر لجأ إليها عندما نفدت الأموال من خزانة تعز واستدان من أميرها. وكانت الخزائن لا تفتح إلا بأمر الحاكم أو الملك.

أما خزانة زبيد فلا تكاد المصادر التي بين أيدينا تذكر عنها شيئاً ، ومع أن مدينة زبيد كانت هي العاصمة فى أول حكم الدولة الأيوبية ، وبقيت كذلك مركزاً لكثير من الإدارات الحكومية والدواوين ، وأشرفت على منطقة تهامة الغنية الواسعة.

---

١) أبو شامة : الروضتين : مج٢،ج٣، ص ٦٥.

٢) ابن حاتم : السمط : ص ٣٩، ١٥٠،١٥١،١٥٢.

٣) ابن المجاور : تاريخ المستبصر :ج١، ص ١٦٣.

المصارف المالية للدولة الأيوبية فى اليمن:

تعددت المصارف المالية للدولة الأيوبية فى اليمن ، وتنوعت نفقاتها فى مختلف الوجوه ، ومما لاشك فيه أن كل جهة من جهات الصرف فى الدولة كانت تخضع لديوان أو إدارة تتولى الاشراف عليها.

ولكن مصادرنا - مع الأسف - لا تمدنا بمعلومات عن هذه الدواوين أو الإدارات. لذلك سوف نتحدث بإيجاز عن جهات الصرف فى الدولة دون الإدارة المشرفة عليها.

ونبدأ بالنفقات الملكية فنجد أنها كبيرة وشملت نواحي شتى ، منها : نفقات الدور الملكية والحفلات والأعياد ، والأسمطة والولائم التي كانت تمد فى الميدان([1]).

ومنها الهدايا والمنح التي اعتاد ملوك الأيوبيين فى اليمن على إرسالها إلى سلاطين الدولة الأيوبية فى مصر تعبيراً عن تبعيتهم لهم ، ففي سنة ٦٠٥هـ /١٢٠٩م بعث الأتابك سنقر أتابك اليمن إلى الملك العادل فى مصر عشرة ألاف دينار مصرية([2]).

ومما شملته النفقات الملكية الهبات والمنح التي يقدمها الملك لكبار رجال الدولة والشعراء والعلماء وغيرهم ، وعلى الرغم من عطاء ملوك الأيوبيين وكرمهم إلا أن أحداً منهم لم يبلغ ما بلغه الملك المعز إسماعيل بن طغتكين من العطاء والكرم ، وخاصة على الشعراء وإنفاقه الأموال الطائلة لهم([3]).

ومن جهات الصرف فى الدولة رواتب الوزراء والولاة والكتاب والقضاة والفقهاء والمدرسين وغيرهم من موظفي الدولة ، وتدفع لهم رواتبهمنقداً.

واختص الجانب الحربي بقطاع كبير من مصروفات الدولة الأيوبية فى اليمن وهذا غير مستغرب . فقد تطلبت السيطرة الأيوبية على اليمن القيام بحروب واسعة للقضاء على القوى المناوئة فيها ، وتوطيد النفوذ الأيوبي ، وشملت النفقات الحربية

---

١) ابن حاتم : السمط : ص ١١٩.

٢) المقريزي : السلوك : ج١، ص ١٨٧.

٣) الخزرجي : العسجد : ص ١٧٣،١٧٢.

إعداد الجيوش وتسيير الحملات ، وشراء الأسلحة والمؤن . كما أن الجنود كانت تصرف رواتبهم نقداً من قبل الملك ، لذلك فقد غضب الجنود على الملك إسماعيل بن طغتكين بسبب إهماله لهم وبخله عليهم بالمال ، حتى لقد قيل إن ذلك كان من الأسباب التي حملتهم على قتله([1]).

ومن النفقات الحربية أيضاً بناء الأسوار حول المدن والقلاع ، وبناء الحصون فى المواقع المهمة والحصينة وبناء المدن . ومن جهة الصرف فى الدولة إنشاء الدور والقصور الجميلة ، والمساجد ، فضلاً عن المدارس ، وسيرد ذكر هذا الجانب بالتفصيل فى الفصل الخامس.

ومهما يكن من أمر فإن نفقات الدولة ومصروفاتها أقل بكثير من مواردها ، لذا فقد توافر في خزينة الدولة احتياطي كبير من الأموال . ومما يؤسف له أن الأيوبيين فى اليمن لم يحسنوا استخدام هذا الاحتياطي الضخم من الاموال في الإنفاق منها على النهوض باليمن فى مختلف الميادين.

نقود الدولة الأيوبية في اليمن:

توافرت للملوك الأيوبيين مصادر سك العملات وهي مناجم بلاد اليمن ، وساعدت المصادرات الكثيرة التي قاموا بها من حكام بني مهدي حكام زبيد ، ويسربن بلال بن جرير المحمدي حاكم عدن عند دخولهم اليمن سنة (٥٦٩هـ / ١١٧٣م) على توافر كمية من الذهب والفضة بأيدهم .

وقد قام نواب الملك توران شاه(٥٦٩ـ ٥٧٠هـ / ١١٧٣ـ ١١٧٥م) الذين حكموا اليمن نيابة عنه قام كل نائب بسك عملة باسمه ربما إلى جانب اسم الملك توران شاه في الفترة التي امتدت من تاريخ عودته حتى سنة (٥٧٩هـ / ١١٨٣م) وحرم كل واحد منهم على أهل بلده التعامل بغير عملته([2]) ويعد الملك المعز إسماعيل بن طغتكين أول من أسس من الأيوبيين داراً للضرب في زبيد حيث قام

---

١) ابن حاتم : السمط : ص ٨١.

٢) ابن عبد المجيد : بهجة الزمن : ص ١٣٢،١٣١، ابن الديبع : قرة العيون : ص ٢٧٣، يحيى بن الحسين : غاية الاماني : ج١، ص ٣٢٨،٣٢٧، بامخرمة : قلادة النحر : ج٢، ص ٢٥٠٧،٢٥٠٦، ابن حاتم : السمط : ص ٢٤، الاهدل : تحفة الزمن : ج٢، ص ٤٧٠، الحداد : التاريخ العام لليمن : ج ٢، ص ٣٩١،٣٩٠ .

بضرب الدرهم الكبير ووزنه ثلاثة عشر قيراطاً[١] أما في صنعاء فقد تم إنشاء أول دار للضرب فيها في عهد الملك الناصر أيوب بن طغتكين على يد الأتابك سنقر سنة (٦٠٤هـ/١٢٠٨م)[٢].

من جانب آخر فقد عثر على درهم من عهد الملك الناصر أيوب بن طغتكين ضرب في مدينة صنعاء سنة (٦٠٥هـ /١٢٠٩م) وزنه (٢غم) وقطره (٢٢مم)[٣] أما في عدن فقد عثر على دينار من عهد الملك توران شاه ضرب في مدينة عدن سنة (٥٧٢هـ / ١١٧٩م) وزنه (٢،٢غم) وقطره (٢٥مم) كما عثر على درهم من عهد الملك توران شاه وزنه(١،٢غم) وقطره (١٩،٥مم)[٤] كما عثر على درهم من عهد الملك طغتكين بن أيوب وزنه(٢غم) وقطره (٢١مم)[٥].

كما عثر على درهم من عهد الملك المعز إسماعيل بن طغتكين ضرب في مدينة تعز سنة (٥٩٤هـ /١١٩٨م) وزنه (٢،٢غم) وقطره (٢٣مم) كما عثر على درهمين من عهد الملك المعز إسماعيل بن طغتكين ضرب في مدينة تعز سنة (٥٩٧هـ/١٢٠١م) الأول وزنه (٢،١غم) وقطره (٢٣مم) والثاني وزنه (١،٩ غم) وقطره (٢٣مم) كما عثر على درهم يعود إلى عهد الملك المعز إسماعيل بن طغتكين ضرب مدينة عدن وزنه (١،٩غم) وقطره (٢٣مم)[٦].

كما عثر على درهمين من عهد الملك الناصر أيوب بن طغتكين ضرب مدينة تعز سنة (٦٠٦هـ /١٢١٠م) وزن الأول (٢،١غم) وقطره (٢٢مم) والثاني وزنه (١،٩غم) وقطره (٢٢مم) كما عثر على درهمين من عهد الملك الناصر أيوب بن طغتكين ضرب مدينة تعز الأول سنة (٦٠٨هـ /١٢١١ م) ووزنه (٢غم) وقطره (٢٣مم) والثاني سنة (٦١٠هـ /١٢١٤م) ووزنه (٢،١غم) وقطره(٢٣مم) كما عثر على ثلاثة دراهم من عهد الملك الناصر أيوب بن طغتكين ضرب مدينة زبيد الأول

١) ابن المجاور : تاريخ المستبصر : ج١، ص ١٠٦.

٢) ابن حاتم : السمط : ص ١٤٠.

٣) مؤسسة السعيد للعلوم والثقافة (قسم المسكوكات) . تعز ، الجمهورية اليمنية .

٤) موسسة السعيد (قسم المسكوكات).

٥) موسسة السعيد (قسم المسكوكات).

٦) موسسة السعيد (قسم المسكوكات).

سنة (٦٠٦هـ /١٢١٠م) وزنه (١،٩غم) وقطره (٢١،٥مم) والثاني سنة (٦٠٨هـ /١٢١١م) وزنه (٢،١غم) وقطره (٢٢،٥مم) والثالث سنة (٦١٠هـ/١٢١٤م) وزنه (٢،١غم) وقطره (٢٢مم) كما عثر على درهمين من عهد الملك الناصر أيوب بن طغتكين ضرب مدينة عدن الأول سنة (٦٠٩هـ /١٢١٢م) وزنه (٢غم) وقطره (٢٢مم) والثاني سنة (٦١٠هـ /١٢١٤م) وزنه (٢،١غم) وقطره (٢٢،٥مم) كما عثر على درهم من عهد الملك الناصر أيوب بن طغتكين ضرب مدينة صنعاء سنة(٦٠٥هـ /١٢٠٩م) وزنه (٢غم) وقطره (٢٢مم) كما عثر على فلس من عهد الملك الناصر أيوب بن طغتكين ضرب مدينة زبيد سنة (٦٠٩هـ /١٢١٢ م) وزنه (٥غم) وقطره
(٢٣مم)([١]).

كما عثر على فلس من عهد الملك المسعود بن الكامل ضرب مدينة زبيد سنة(٦١٦هـ /١٢١٩ م) وزنه (١،٤غم) وقطره (٢١مم) كما عثر على خمسة دراهم من عهد الملك المسعود ضرب مدينة عدن الأول سنة (٦٢٢هـ / ١٢٢٥م) وزنه (٢،١غم) وقطره (٢٥مم) والثاني سنة (٦٢٣هـ /١٢٢٦ م) وزنه (٢،٢غم) وقطره (٢٤مم) والثالث سنة (٦٢٥هـ / ١٢٢٨م) وزنه (٢،٢غم) وقطره (٢٤،٥مم) والرابع سنة (٦٢٧هـ /١٢٣٠م) وزنه (٢،١غم) وقطره (٢٥،٥مم) والخامس سنة (٦٣٠هـ/ ١٢٣٣م) وزنه (٢،٣غم) وقطره (٢٧مم)([٢]).

كما عثر على ثلاثة دراهم من عهد الملك المسعود ضرب مدينة زبيد الأول سنة (٦٢٦هـ/١٢٢٩م) وزنه (٢، ١غم) وقطره (٢٤مم) والثاني سنة (٦٢٧هـ /١٢٣٠م) وزنه (٢، ٢غم) وقطره (٢٥مم) والثالث سنة (٦٢٨هـ /١٢٣١م) وزنه (٢،١غم) وقطره (٢٥مم) كما عثر على درهم من عهد الملك المسعود ضرب التعكر سنة (٦٢٨هـ/١٢٣١م) وزنه (٢،٢غم) وقطره (٢٥مم)([٣]).

---

١) موسسة السعيد (قسم المسكوكات).
٢) موسسة السعيد (قسم المسكوكات)
٣) موسسة السعيد (قسم المسكوكات)

كما عثر على أربعة دراهم تعود إلى عهد الملك المسعود ضرب مدينة تعز الأول سنة(٦٢٠هـ / ١٢٢٣م) وزنه (٢،١غم) وقطره (٢٣،٥مم) والثاني سنة(٦٢١هـ / ١٢٢٤م) وزنه (٢،١غم) وقطره (٢٤مم) والثالث سنة (٦٢٥هـ /١٢٢٨م) وزنه (٢،٢غم) وقطره (٢٥مم) والرابع سنة(٦٢٦هـ /١٢٢٩م) وزنه (٢،٢غم) وقطره (٢٦مم)كما عثر على أربعة دراهم من عهد الملك المسعود ضرب مدينة صنعاء الأول سنة(٦٢٠هـ/١٢٢٣م) وزنه(٢،١غم) وقطره (٢٣مم) والثاني سنة (٦٢٣هـ/١٢٢٣م) وزنه (٢،١غم) وقطره (٢٣،٥مم) والثالث سنة (٦٢٦هـ/١٢٢٩م) وزنه(٢،١غم) وقطره(٢٤مم) والرابع سنة(٦٢٧هـ/١٢٣٠م) وزنه(٢،١غم) وقطره(٢٤مم)([1]).

ومن خلال استعراض هذه الدراهم والدنانير التي تم العثور عليها نجد أن دار الضرب فى العهد الأيوبي لم تقتصر على مدينة بعينها ، فهناك دراهم تم ضربها فى مدينة زبيد مما يدل على وجود دار ضرب بها ، وكذلك الحال بالنسبة لمدينة تعز حيث عثر على عدد من الدراهم التي تم ضربها فى مدينة تعز ، كما تم العثور على دراهم تم ضربها فى مدينة عدن ، وهناك دراهم تم العثور عليها من ضرب مدينة صنعاء ، كما تم العثور على دراهم ضربت فى التعكر.

درهم أيوبي للملك الناصر أيوب بن طغتكين ضرب عدن سنة ٦١٠ هـ (٢)

الوزن : ٢,١ غم ، القطر : ٢٢,٥ مم





الوجه

المركز:

لا إله إلا الله
محمد رسول
الله صلي الله
عليه

الهامش:

بسم الله الرحمن الرحيم ضرب هذا
الدرهم بعدن سنة عشر وستمائة

الظهر

المركز:

الإمام الناصر
لدين الله أحمد
أمير المؤ
منين

الهامش:

الملك العادل أبو بكر والملك الناصر أبو
المظفر أيوب بن طغتكين

درهم أيوبي للملك المسعود يوسف ضرب عدن سنة ٦٢٢ هـ

الوزن : ٢,١ جم ، القطر : ٢٥ مم



الوجه

المركز:

الله لـ
لا إله إلآ الله محمد رسو
الإمام الناصر لدين الله احمد
أمير المؤمنين ضرب بعدن سنة
اثني عشرين وستمائة



الظهر

المركز:

بسم الله
الملك الكامل أبو
المعالي محمد ولى عهده
المـلك المسعود
يوسف

، لم تكن م يـتم

ضرب العملة فى عدد من المدن اليمنية ، كما نجد أن هذه الدراهم والدنانير التـي تم ضربها فى هذه المدن لم تكن فى عهد ملك أيوبي معين ، فهناك دنـانير من عهد الملك توران شاه ، ودراهم من عهد الملك طغتكين بن أيوب ، كمـا أن هنـاك دراهم من عهد الملك المعز إسماعيل بن طغتكين ، وهناك دراهم من عهد الملك الناصر أيوب بن طغتكين ، بالإضافة إلى وجود دراهم من عهد الملك المسعود.

وكل ملك منهم قد قام بضرب العملة فى أكثر من مدينة ، فعلى سبيل المثال ، هنـاك دراهم من عهد الملك المسعود تم ضربها فـى مدينـة زبيد ، وأخرى فـى عدن ،

وهناك دراهم ضرب التعكر ، كما ضربت دراهم فى تعز ، وكذلك عثر على دراهم ضرب فى صنعاء. مما يعني أن دور الضرب قد تعددت فى عهد كل ملك منهم.
وقد ورد تضمين دار الضرب في عهد الأيوبيين في اليمن ، فقد بلغ ضمان دار الضرب في مدينة زبيد ثلاثة عشر ألف دينار([1]).

---

١) ابن المجاور : تاريخ المستبصر : ج١، ص ١٠٧.

المنشات العمرانية:

على الرغم من قصر المدة الزمنية التي حكم فيها الأيوبيون اليمن.وانشغالهم بالحروب المستمرة مع القوى المختلفة (وخاصة الأئمة الزيدية) من أجل توطيد النفوذ الأيوبي ، إلا أن هنالك عدداً من الشواهد التي تدل على اهتمام الأيوبيين في اليمن بالعمران والمنشآت العامة ، والواقع أن الطبيعة الحربية للدولة الأيوبية في اليمن قد جعلت تركيزها يتجه إلى المنشآت الحربية مثل القلاع والحصون والأسوار، أما المنشآت المدنية فقد حظيت بعناية كبيرة من بعض الملوك الأيوبيين، مثل المدن والقصور وكذلك المساجد والمدارس ، فمن المعروف أن الأيوبيين قد اهتموا ببناء الحصون والقلاع والأسوار وكذلك المدارس في بلاد الشام ومصر ، لذلك سنحاول تتبع تلك الأعمال في بلاد اليمن على الرغم من شح المصادر في هذا الجانب.

منشات عسكرية:

الأسوار:

إذا كانت سياسة الأيوبيين في اليمن مرتبطة بالسياسة العامة للدولة الأيوبية ، فإن سياستهم الداخلية كانت معتمدة على إقامة المنشآت العسكرية والمدنية والإدارية منها والعلمية والمرفقية وتحديد الأوقاف لها.

لذلك اهتم الأيوبيون ببناء الأسوار حول المدن وذلك لحمايتها من أي اعتداء قد تتعرض له ولاسيما وأن الدولة الأيوبية في اليمن بقيت في حالة شبه حرب سواء تمثل ذلك في الأئمة الزيدية بصفتهم المنافس الأقوى في اليمن للأيوبيين أو تمثل ذلك في حروبها مع القبائل، فكانت الأسوار تقوم بحماية المدن ، أو منع تهريب التجارة وعدم دفع الضرائب عنها ـ كما كان يحدث في عدن ـ ومن ذلك ما قام به عثمان الزنجيلي نائب الملك توران شاه في عدن حيث قام ببناء سور دائري على جبل المنظر إلى آخر جبل العر وجعل له باباً سمي باب حقات وأدار سوراً ثانياً على الجبل الأخضر ومده من حصن الأخضر إلى التعكر على رؤوس الجبال ، كما أدار سوراً على الساحل من الصناعة إلى جبل حقات وجعل له ستة أبواب ، باب

الصناعة ، باب حومة ، باب السكة ، وهما بابان يخرج منهما السيل إذا نزل المطر بعدن ، وباب الفرضة ومنه تدخل البضائع وتخرج ، وباب مشرف يبقى مفتوحاً للداخل والخارج ، وباب حيف ويبقى مغلقاً ، وباب البر، وكان بناء السور بالحجارة والجص ، وبنى الفرضة وجعل لها بابين([1]).

كما نجد أنه بعد الجهود الحربية للملك طغتكين استقرت له الأوضاع فاستغل فترة الاستقرار التي سادت اليمن في المدة من سنة ٥٨٦ - ٥٩٣هـ /١١٩٠/١١٩٧م وهي السنوات الأخيرة من حكمه فولى نظره صوب الاهتمام بأحوال البلاد فقام بإعاده بناء سور صنعاء الذي كان بنو حاتم قد هدموه قبيل استيلاء توران شاه عليها ، واهتم أيضا بمدينة زبيد وقام بتحصينها لتكون بمثابة مركز الإمداد والتموين للعاصمة تعز ، وبنى عليها سوراً وركب عليه أربعة أبواب ثم تلاه بسور آخر يحيط بالسور الأول وأمر الجند بالإقامة بين السورين وذلك سنة ٥٨٩هـ /١١٩٣م([2]).

كما قام الملك طغتكين بعمل سور على مدينة الجند وكان السور من الحجر والجص وأعلاه من الطين وذلك سنة ٥٩٣هـ/١١٩٧م وجعل للسور خمسة أبواب ، باب المنصورة ، وباب الحديد ، باب الأقطع ،، باب السر ، وباب ينفذ منه السلطان إلى البستان([3]).

كما قام الملك طغتكين ببناء درب القاضي بصعدة (وهو عبارة عن سور) وجعل أبواباً لسوره ([4])

---

١) ابن المجاور : تاريخ المستبصر: ج١، ص ١٤٧.

٢) ابن عبد المجيد : بهجة الزمن : ص ١٣٤٤، يحيى بن الحسين : غاية الاماني : ج١، ص ٣٣٦،٣٣٧، ابن الديبع : قرة العيون : ص ٢٨٠، الجرافي: عبد الله عبد الكريم الجرافي : المقتطف من تاريخ اليمن ، منشورات دار العصر الحديث ، بيروت ، ط٢، سنة ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م : ص ١٢٩، بامخرمة : قلادة النحر : ج٢، ص ٢٥٥٢، باوزير : معالم تاريخ الجزيرة العربية : ص ١٨٦، الحداد : التاريخ العام : ج٢، ص ٣٩٩،٤٠٠، عبد الرحمن الحضرمي : تهامة في التاريخ : ص ٧٥، الحداد : الاستحكامات الحربية بمدينة زبيد : ص ٤٥،٤٦.

٣) ابن المجاور : تاريخ المستبصر: ج٢، ص ١٨٢.

٤) العقيلي : المخلاف السليماني :ج١، ص ١٩٧.

كما قام الأتابك سنقر بعمارة درب الراحة وكان غير موجود قبل ذلك واستغرق بناؤه مدة شهرين وبعد الانتهاء من ذلك عاد إلى زبيد وكان ذلك سنة ٦٠٣هـ/١٢٠٦م(١).

الحصون:

من جانب آخر نجد الملك طغتكين عندما استولى على حصن الدملوة وكان شبه مهدم وقيل هدمه ثم أعاد بناءه ثانية وجعل له ستة أبواب ومن تلك الأبواب باب الذراع ، وباب نبهان ، وباب الأسد ، وباب الغزال . وحفر في الحصن ثلاث برك (سدود صغيره) إحداها في الشمس على قمة الجبل والاثنتان الأخريان في الظل، وغرس فيها بستاناً حسناً وبنى ميدلاً وحصنه غاية التحصين ، وقد جعل الملك طغتكين تحت الحصن بستاناً يسمى الجنان ويقال الجنات فيه من جميع الفواكه(٢).

ولما استولى الملك طغتكين على حصن النعمان في وصاب، بعد أن حاصره ورماه بالمنجنيق، ثم أعاد بناءه من جديد وبنى الدار العالي في حصن النعمان(٣).

كما قام الملك طغتكين ببناء عدد من الحصون حيث بنى حصن االتعكر وحصن حب وحصن خدد وحصن تعز وعمر عدداً آخر من الحصون في اليمن(٤).

كما قام الملك طغتكين بعمارة حصن كوكبان وهو حصن كبير وهذا الحصن مشهور بمناعته وحصانته(٥).

وفي عهد الملك المسعود سنة ٦١٤هـ/١٢١٧م أدار حول جميع الحصن(حصن الدملوة) سوراً ثانياً لإحكام الحصن(٦)

---

١) ابن حاتم : السمط : ص ١٣٢.

٢) ابن المجاور : تاريخ المستبصر : ج٢، ص ١٨١،١٨٢.

٣) الوصابي : تاريخ وصاب : ص ١٤٢.

٤) يحيى بن الحسين : غاية الاماني : ج١، ص ٣٣٦،٣٣٧، ابن حاتم : السمط :ص ٣٩، بامخرمة : ثغر عدن : ص ١٣٣، ابن الديبع : قرة العيون : ص ٢٨٠، الأهدل : تحفة الزمن : ج٢، ص ٤٧٤٤، الحداد : التاريخ العام : ج٢، ص ٣٩٩،٤٠٠، عبد الرحمن الحضرمي : تهامة في التاريخ : ص ٧٥.

٥) ابن حاتم : السمط : ص ١١٢.

٦) ابن المجاور : تاريخ المستبصر : ج٢، ص ١٨٢ .

كما قام الأتابك سنقر في عهد الملك الناصر بن طغتكين ببناء بعض المباني العظيمة في حصن الدملوة وكتب اسمه على أبواب تلك المباني([1]).

المنشآت المدنية:

المدن والقصور:

اختط الملك طغتكين في اليمن مدينة سماها المنصورة نسبة اليه وذلك سنة ٥٩٢هـ/١١٩٦م وهي قبلي مدينة الجند حيث تبعد عنها (١٢كم) وأجرى الغيل - ينبوع ماء - اليها من جبل صبر وابتنى فيهقصراً كبيراً وحماماً وابتنى للجند فيها بيوتاً كثيرة ولمر معظم جنده بالإقامة فيها، وكان مشغوفاً بها واتخذها مسكناً([2]).كما ابتنى بقرية خنوة دار مصيف([3]).

وفي سنة ٥٨٧هـ/١١٩١م لما استقر الملك طغتكين في تعز وجه اهتمامه إلى هذه المدينة حيث شيد فيها العديد من الدور والقصور وحفر الآبار وغرس البساتين الواسعة بأنواع الأشجار التي جلب بعضها من مصر([4]).

كما قام الملك طغتكين بإدخال البستان الواقع غرب مدينة صنعاء داخل السور وأجرىلليه الماء من غيل البرمكي ،وبنى في وسط هذا البستان قصراً فخماً سمي باسم الدار السلطانية وبالغ في البناء ، وزخرف غرفه بالذهب وألوان الصناعات ، وبنى فيه حماماً وبركة وعمل فيه نافورة بديعة . والأنهار تجرى من

١) ابن عبد المجيد : بهجة الزمن : ص ١٣٦،١٣٥، يحيى بن الحسين : غاية الأماني : ج١، ص ٣٩٥.

٢) ابن حاتم : السمط : ص ٣٩، بامخرمة : قلادة النحر : ج٢، ص ٢٥٥٢، الأهدل : تحفة الزمن : ج٢، ص ٤٧٤، يحيى بن الحسين : غاية الأماني : ج١، ص ٣٣٧،٣٣٦، ابن الديبع : قرة العيون : ص ٢٨٠، الجرافي : المقتطف : ص ١٢٩، الحداد : التاريخ العام : ج٢، ص ٤٠٠،الواسعي : تاريخ اليمن : ص ١٩٠، باوزير : معالم تاريخ الجزيرة العربية : ص ١٨٦، الثور : هذه هي اليمن : ص ٢٩٩.

٣) الجندي: السلوك: ج٢، ص ٥٣٠.

٤) يحيى بن الحسين : غاية الأماني : ج١، ص ٣٣٧،٣٣٦، ابن حاتم : السمط : ص ٣٩، الواسعي : عبد الواسع بن يحي الواسعي : تاريخ اليمن المسمى فرجة الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن ، النشر ، الدار اليمنية ، ط٤، سنة ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م : ص ١٩٠، الجرافي : المقتطف : ص ١٢٩.

حولها والبساتين حافة بها، وفيها أصناف الأشجار وأنواع الرياحين والأزهار(وما يزال حتى وقتنا الحاضر يعرف باسم بستان السلطان)(١).

كما بنى الملك طغتكين سوقاً للعطارين بمدينة عدن وكان لها باب يغلق بالليل ، كذلك قام المعتمد رضى الدين محمد بن على التكريتي والي عدن ببناء حمام، وكان ذلك الحمام مشهوراً في عدن(٢).

كما قام الملك طغتكين ببناء دار تسمى دار السعادة في عدن مقابل الفرضة(٣).

وهناك دار تسمى دار المنظر بناها الملك المعز إسماعيل بن طغتكين على جبل حقات في عدن(٤).

ولم يقتصر الامر في بناء القصور على الملوك الأيوبيين في اليمن فهناك بعض الأمراء الذين قاموا ببناء القصور ومن هؤلاء الأمراء الأمير بدر الدين حسن بن علي بن رسول الذى قام ببناء قصرعظيم، في صنعاء عندما كان أميراً عليها سنة ٦١٨هـ/١٢٢١م(٥).

كما قام الأمير وردسار ببناء قصر له في الجانب الغربي من صنعاء ونقل اليه أمواله وذخائره وجعل في بستان القصر حماماً وأجرى اليه الماء من أحد غيول صنعاء وكان ذلك سنة ٦٠١هـ/١٢٠٤م(٦).

---

١) يحيى بن الحسين : غاية الأماني : ج١، ص ٣٣٦،٣٣٧، ابن حاتم : السمط : ص ٣٨، الجرافي : المقتطف : ص ١٢٩، الواسعي : تاريخ اليمن : ص ١٩٠، الحداد : الاستحكامات الحربية بمدينة زبيد : ص ٤٥،٤٦، عبد الرحمن الحضرمي : تهامة في التاريخ : ص ٧٥.

٢) بامخرمة : ثغر عدن : ص ٢٤٥.

٣) ابن المجاور : تاريخ المستبصر : ج١، ص ١٢٩.

٤) ابن المجاور : تاريخ المستبصر : ج١، ص ١٢٩.

٥) ابن المجاور : تاريخ المستبصر : ج١، ص ٢١٠.

٦) يحيى بن الحسين : غاية الأماني : ج١، ص ٣٨٧.

المنشآت الدينية:

المساجد:

كما اهتم الأيوبيون بالعلماء اهتموا كذلك بالمساجد فقاموا ببناء بعض المساجد وتوسع البعض الآخر منها، وكذلك ترميم ما تهدم.

ولم يكن ذلك مقتصراً على الملوك الأيوبيين وحدهم بل شاركهم في ذلك بعض الأمراء وكذلك العلماء وبعض أصحاب الخير من الأغنياء.

فقد قام عثمان الزنجيلي نائب الملك توان شاه في عدن ببناء مسجد في مدينة عدن وأوقف عليه عدداً من المتاجر وبعض الدور، وهذه الأوقاف كانت تعود على المسجد بالكثير من الأموال التي ينفقها القائم على المسجد في الاحتياجات الخاصة بالمسجد (وهذه الأوقاف مازال الناس يتوارثون العمل بها حتى وقتنا الحاضر)([١]).

كما قام المبارك بن منقذ نائب الملك توران شاه في زبيد ببناء المسجد المعروف بمسجد المناخ في مدينة زبيد وأوقف عليه عقاراً كثيراً في زبيد([٢]).

وإلى جانب ما قام به الملك طغتكين من بناء الأسوار والقصور والمدن ، فقد كان له دور في بناء بعض المساجد وتوسع البعض الآخر، إلا أنها لا ترقى إذا قارناها بمنشآته الأخرى.

ومن المساجد التى أعاد عمارتها الملك طغتكين بناء مسجد الجند وذلك بعد أن أحرقه علي بن مهدي الرعيني فأعاد بناءه من جديد، ورفع سقفه بالآجر والجص([٣]).

كما قام الملك طغتكين ببناء المؤخرة من جامع زبيد كما بنى الجناحين الشرقي والغربي والمنارة([٤]).

---

١) الخزرجي : العسجد المسبوك : ص ١٥٧، ابن الديبع : قرة العيون : ص ٢٧٢، بامخرمة : قلادة النحر : ج٢، ص ٢٥٠٧.

٢) الأهدل : تحفة الزمن : ج٢، ص ٤٧٠.

٣) ابن المجاور : تاريخ المستبصر : ج٢، ص ١٩٣،١٩٤.

٤) ابن الديبع : قرة العيون : ص ٢٨٠، بامخرمة : ثغر عدن : ص ١٣٥، الحداد : التاريخ العام : ج٢ص ٤٠٠.

كما قام الملك طغتكين بتوسيع الجامع الكبير بصنعاء حيث قام بتوسعته من المؤخرة وكذلك من الجناح الشرقي والغربي(١).

كما قام الأتابك سنقر ببناء عدد من المساجد وجدد البعض الآخر منها فقد قام ببناء جامع المغربه بمدينة تعز وعمل له المنبر وهو من عجائب البناء في عصره(٢).

وكان الأتابك سنقر بن عبد الله محباً للعلماء حيث كان محمد بن سعيد من أهل أبين وكان عالماً فحمل اليه الأتابك مالاً وطلب منه قبوله لنفسه أو إنفاقه على من يراه مستحقاً له فلم يقبل الفقيه ذلك بل قال له الصواب : أن تبنى به مسجداً، فقام الأتابك سنقر وبنى جامع خنفر المشهور في أبين(٣).

كما قام الأمير وردسار ببناء المنارتين في جامع صنعاء عندما كان والياً عليها ، كما قام بإصلاح الجبانه (مصلى العيدين بصنعاء) ، وهو الذى بنى المطاهير (الحمامات) والبركه في جامع صنعاء ولم تكن هذه الأشياء موجودة قبل ذلك وكان ذلك بمشورة القاضي ابراهيم بن أبى بكر بن فضيل قاضي مدينة صنعاء وأعمالها وكان ذلك سنة ٦٠٢هـ/١٢٠٥م(٤).

المدارس:

---

١) عبد الرحمن الحضرمي : تهامة في التاريخ : ص٧٥.

٢)ابن الديبع : قرة العيون : ص ٢٨٩، بامخرمة : أبو محمد عبد الله الطيب بن عبد الله بن أحمد بن علي بن مخرمة (٩٤٧هـ/ ١٥٤٠م) قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر ، تحقيق ، محمد يسلم عبد النور، أصدرات وزارة الثقافة والسياحة ، الجمهورية اليمنية ، ط١، سنة ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م : ج٣، ص ٢٦٤٧ عبد الرحمن الحضرمي : تهامة في التاريخ : ص ٧٥،، الأهدل : تحفة الزمن : ج٢، ص ٤٧٩.

٣) بامخرمة : قلادة النحر : ج٣، ص ٢٧٠٤، ابن الديبع : قرة العيون : ص ٢٨٩، الأهدل : تحفة الزمن : ج٢، ص ٤٧٩.

٤) الخزرجي : العقود اللؤلؤية : ج١، ص ٤٤٣.

لم تقتصر عناية الأيوبيين في اليمن بالعلم ونشره على حب العلماء والأدباء وتقديرهم، وبذل العطاء والهدايا لهم . بل تجاوزت ذلك إلى إنشاء المدارس التي هي بمثابة المراكز الأساسية لنشر العلم بين الناس.

وهذا لا يعني أن اليمن لم تعرف المدارس قبل الوجود الأيوبي فقد كان هناك مراكز علميه كثيرة في اليمن مثل زبيد وتعز والجند وذي أشرق والشوافي وضراس وغيرها إلا أنه كان السائد فيها الاعتماد على المساجد كمنشاة تؤدي دور المدرسة من الناحية التعليمية وخير دليل على ذلك أن اليمن شهدت قبيل قيام الدولة الأيوبية فيها فترة تعد من أزهى العصور اليمنية في نشاطها الأدبي والعلمي ، على الرغم من الحروب السياسية والفتن المذهبية ، حيث شهدتنشاطاً فكرياً وعلمياً ملحوظاً فقد عمل الحكام والأمراء وأعيان البلاد والمشايخ على تشجيع العلماء والفقهاء وغيرهم من أهل الأدب والشعر مما ساعد على ظهور عدد من العلماء لعل من أشهرهم الفقيه([1]) يحيى بن أبى الخير العمراني([2]).وسعيد بن نشوان الحميري([3]).

---

١) جار الله :عبد الرحمن جار الله : ذي السفال مدينة الآثار الاسلامية ، الناشر ، وزارة الثقافة والسياحة ، الجمهورية اليمنية ، صنعاء ، ط١، سنة ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م : ص ٦٤،٦٥.

٢) هو الفقيه يحي بن أبى الخير العمراني ، ولد في مصنعة سير سنة ٤٩٨هـ/١٠٩٥م وفيها تلقى علومه الأولى ، وحفظ القرآن في صغره ، ثم تفقه بجماعة من أعيان عصره ، ثم ألمَّ بعدد من كتب الفرائض والاصول والفقه والحديث والتفسير ، وارتحل في طلب العلم إلى أنحاء اليمن مثل سفهنة والجند وذي أشرق وذي السفال وغيرها من مراكز العلم في عصره ، ثم ذهب إلى مكة لطلب العلم فاخذ من علمائها ومن العلماء الوافدين اليها حتى أصبح حجة في الفقه الشافعي ، ثم عاد إلى اليمن وتفقه عليه الكثيرون حتى أصبح صاحب مدرسة فقهية كبرى ، ومن أشهر مؤلفاته كتابه (البيان) في الفقه الشافعي ، ويقع في عشرة مجلدات ، وقد أحدث هذا الكتاب ضجة كبرى في اليمن ، كما حظي بتقدير أهل العراق ، فيقال أنه لما دخل كتاب (البيان) إلى العراق طيف به فى أطباق الذهب ، وقال أهل العراق : ماكنا نظن أن باليمن إنساناً حتى رأينا البيان بخط علوان. كما صنفاً كتب آخرى منها:

(الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الاشرار) ومن مؤلفاته (غرائب الوسيط) وتفقه به عدد من فقهاء اليمن ، وأسس مدرسة فقهية استمرت بعده مدة من الزمن، وتوفي بذي السفال سنة ٥٥٨هـ/١١٦٢م (ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن : ص ١٧٤،١٨٤).

٣) هو نشوان بنسعيد الحميري ولد بحوث من بلاد حاشد شمال صنعاء ، وكان نشوان بن سعيد فقيهاً فاضلاً ، عارفاً باللغة والنحو والتاريخ والأنساب وسائر فنون الأدب ، وشاعراً ، وكان إلى جانب ذلك تواقاً للملك فاستولى على ناحية من جبل صبر ثم تلاشى الأمر عليه ولم يظفر من الملك بطائل ، توفي بحوث سنة ٥٦٣هـ/ ١١٧٨م ، ومن اشهر مؤلفاته كتاب شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم ، ويقع في ثمانية اجزاء ، وهو معجم لغوى وموسوعة علمية

ونخلص من هذا إلى القول أن اليمن عرفت المدارس قبل العصر الأيوبي وإن كان استخدام المسجد كمؤسسة تعليمية تقوم بدور المدرسة.

وأول من اشتهر من الملوك الأيوبيين في اليمن بإنشاء المدارس النظامية ، الملك المعز إسماعيل بن طغتكين([1]) فقد قام بإنشاء المدرسة السيفية نسبة إلى أبيه سيف الإسلام طغتكين بن أيوب ، وكانت هذه المدرسة داراً للأتابك سنقر بن عبد الله فاشتراها المعز اسماعيل وحولها إلى مدرسة ونقل رفات والده اليها من حصن تعز وهي أول مدرسة نظامية أنشات في اليمن ، وأوقف عليها وادي الضباب ، وهو من أخصب الوديان في اليمن ، ويقع جنوب غرب مدينة تعز على بعد ١٨كم منها([2]) للإنفاق من عائداته على تلك المدرسة ورتب سبعة من القراء يقرؤون على قبر أبيه الذى جعله مؤخرة المدرسة ، كل يوم ختمة من القران([3]).

كما قام الملك المعز اسماعيل ببناء مدرسة الميلين في زبيد(وتعرف بمدرسة المعز أو المعزية) وهي الواقعة شرقي رحبة الدار الناصري ، وذلك سنة ٥٩٤هـ/١١٩٨م ، وأوقف عليها وقفاً جيداً([4])

كما أن الملك المسعود لم يكن له من الآثار في المدارس غير تجديد مدرسة الميلين(المعزية) بزبيد([5]).

كما قام الأتابك سنقر نائب الملك الناصر ببناء عدد من المدارس منها.

كبيرة ، وله القصيدة الحميرية أو النشوانية وهي خلاصة السيرة الجامعة لأخبار ملوك التبابعة ، ورسالة الحور العين وتنبيه السامعين وشرحها (تاريخ اليمن : عمارة اليمنى : تحقيق الاكوع ص ٣٣٣.٢٢١) (نشوان بن سعيد الحميري : الحور العين : تحقيق كمال مصطفى، ط٢، بيروت ، سنة ١٩٨٥م ، ص ٢٥.١٦.)

١) الأهدل : تحفة الزمن : ج٢، ص ٤٧٨،ابن الديبع : قرة العيون : ص ٢٨٥، الجندي : السلوك : ج٢، ص ٥٣٦ .

٢) الجندي: السلوك :ج٢، ص الأهدل : تحفة الزمن : ج٢، ص ٤٧٨، ٥٣٦، ابن الديبع : قرة العيون : ص ٢٨٣، الحداد : التاريخ العام : ج٢، ص ٤٠٠،٣٩٩، عبد الرحمن الحضرمي : تهامة في التاريخ : ص ٧٥.

٣) الخزرجي : العسجد المسبوك : ص ١٧١، الأهدل : تحفة الزمن : ج٢، ص ٤٧٨، ابن الديبع : قرة العيون : ص ٢٨٦.٢٨٣، ابن حاتم : السمط : ص ١٤٧، الجندي : السلوك : ج٢ ، ص ٥٢٦.

٤) الحضرمي: عبد الرحمن بن عبد الله الحضرمي : زبيد مساجدها ومدارسها العلمية في التاريخ ، الناشر ، المعهد الفرنسي للدراسات اليمنية ، صنعاء ، دمشق ، ط١، سنة ٢٠٠٠م ، ص ١٥٣، ٤٧٨ ، الأهدل : تحفة الزمن : ج٢، ابن الديبع : قرة العيون : ص ٢٨٥، ، عبد الرحمن الحضرمي : تهامة في التاريخ : ص ٧٥.

٥) ابن الديبع : قرة العيون : ص ٢٩٨.

المدرسة الدحمانية : نسبة إلى المدرس فيها الفقيه محمد بن إبراهيم بن دحمان ، وخصصها للمذهب الحنفي ، وقيل أن الأتابك سنقر كان أذا اقام في زبيد لا ينقطع عن ابن دحمان وأنه بنى له هذه المدرسة المعروفة بالدحمانية ، وكانت المدرسة مؤلفة من مقدمة بقبتين ومساحة ومصلى وبركة بالإضافة إلى المقصورة وكان بناؤها سنة ٦٠٦هـ/١٢١٠م(١).

المدرسة العاصمية : نسبة إلى المدرس فيها عمر بن عاصم ، وهي أيضاً في زبيد ، وخصصها للمذهب الشافعي(٢).كما بنى المدرسة الاتابكية بذي هزيم - إحدى ضواحي مدينة تعز- جنوب غرب مدينة تعز، ولم يبق من هذه المدرسة إلا آثارها ، وقبر بها(٣).

كما بنى الأمير سيف الدين سنقر المدرسة الاتابكية الثانية وذلك في مغربة تعز إلى جانب جامعه الذى شيده هناك(٤).

كما أنشا جمال الدين ياقوت الجمالي الذي كان أيام الملك طغتكين والياً على حصن تعز مدرسة في مدينة تعز هي المدرسة الأشرقية نسبة إلى الفقيه أحمد بن علي الاشرقي الذي تولى التدريس بها(٥).

كما أنشا جمال الدين ياقوت مدرسة آخرى تسمى مدرسة القبة الجمالية في تعز أثناء ولايته على حصن تعز في دولة الملك طغتكين(١).كما أنشا جمال الدين ياقوت الجمالي المدرسة الياقوتية في ذي السفال(٢).

---

١)بامخرمة : قلادة النحر : ج٣، ص ٢٧٠٣، الرسولي : العطايا السنية : ص ١٨٩، ابن الديبع : قرة العيون : ٢٨٩، يحيى بن الحسين : غاية الأماني : ج١، ص ٣٩٥، عبد الرحمن الحضرمي : زبيد مساجدها ومدارسها في التاريخ : ص ١٥٥.

٢) يحيى بن الحسين : غاية الأماني : ج١، ص ٣٩٥، ابن الديبع : قرة العيون : ص ٢٨٩، بامخرمة : قلادة النحر : ج٣، ص ٢٧٠٣، عبد الرحمن الحضرمي : تهامة في التاريخ : ص ٧٥.

٣) الاكوع : اسماعيل بن علي الاكوع : المدارس الإسلامية في اليمن ، الناشر مؤسسة الرسالة بيروت ومكتبة الجيل الجديد صنعاء ، ط٢، سنة ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م ، ص ١٨، ابن الديبع : قرة العيون : ص ٢٨٩، يحيى بن الحسين : ج١، ص ٣٩٥، الأهدل : تحفة الزمن : ج٢، ص ٤٧٩، بامخرمة : قلادة النحر : ج٣، ص ٢٦٤٧.

٤)ابن الديبع : الفضل المزيد : ص ٨٥، ابن عبد المجيد : بهجة الزمن : ص ١٣٥.

٥)الجندي: السلوك: ج٢، ص ١٠٩.

كما أنشا القاضي الرشيد ذو النون محمد المصري المدرسة الرشيدية في ذي عدينة ـ أحد أحياء مدينة تعز ـ وكان القاضي الرشيد من أعيان الزمان قدم إلى اليمن صحبة الملك المسعود([3]).

كما ابتنى أبو محمد ميكائيل بن أبي بكر بن محمد الموصلي التركماني ، مدرسة ميكائيل في مدينة الجند ووقف عليها وقفاً جيداً كما وقف عليها كتباً كثيرة وقام بالتدريس بها عدة سنين ، وكان مخالطاً لأهل العلم ، قدم اليمن مع الملك المسعود ، فولاه مدينة الجند([4]).

كما لم يقتصر الأمر في بناء المدارس على الملوك الأيوبيين والأمراء ، فقد قام ببناء المدارس الفقهاء والخدام فقد قام أبو المسك كافور التقي (التقوي) المعروف بمجير الدين ببناء المدرسة المجيرية في مدينة تعز في قرية المحاريب وكان أحد خدام الملك طغتكين ، وكان محباً للعلماء وكان شيخاً في الحديث روى عنه جماعة الحديث ([5]).

كما ابتنى فاتن بن عبد الله المعزي المدرسة الفاتنية في مدينة ذي جبلة نسبة اليه وكان خادماً حبشياً ، متعلقاً بأذيال العلم وصحبة أهله ومحبتهم ، وهو من موالي الملك المعز اسماعيل بن طغتكين ، ووقف عليها وقفاً جيداً([6]).

كما قام فاتن بن عبد الله المعزي ببناء مدرسة المسانيف في قرية المسانيف في الغرب الشمالي من مدينة ذي جبلة ، وقد خربت القرية والمدرسة([7]).

كما قام الشيخ علي بن محمد غليس العريقي ببناء مدارس بني غليس في مخلاف بني شعيب من مخاليف وصاب ، وهي ثلاث مدارس : إحداها مدرسة

---

١) الجندي: السلوك: ج٢، ص ١١٠.

٢) الاكوع : المدارس الإسلامية في اليمن : ص ٨.

٣) بامخرمة : ثغر عدن : ص ٧٨،٧٧، الاكوع : المدارس الاسلامية في اليمن : ص٣٢،٣١،

٤) الاكوع : المدارس الاسلامية في اليمن : ص ٣٥.

٥) الجندي : السلوك : ج٢، ص ٩٩،٩٨، الاكوع : المدارس الاسلامية في اليمن : ص ٩،الرسولي : العطايا السنية : ص ٥٣٣،

٦) الاكوع : المدارس الاسلامية في اليمن : ص ١٥.

٧) الاكوع : المدارس الاسلامية في اليمن : ص ١٦.

المدير في ظفران ، والثانية مدرسة الأحجور ، والثالثة لم يذكر مكانها ، وكان علي بن محمد فقيهاً فاضلاً يتردد إلى مكة ، وارتحل الشام والعراق ، وللمدارس الثلاث أوقاف على إطعام الطعام ، وكان بناء تلك المساجد زمن الملك طغتكين سنة ٥٩٢هـ / ١١٩٦م(١).

كما كان للرجل إسهام في بناء المدارس فكذلك كان هناك دور للمرأة في بناء المدارس فقد قامت إحدى النساء ببناء المدرسة الشقيرية في مدينة الجند ، وهذه المرأة كانت ماشطة لابنة الأتابك سنقر وكانت متزوجة من مملوك اسمه شقير فسميت المدرسة باسمه ، وكانت هذه المرأة صالحة ومتصدقة ولما جاءتها الوفاة كان لا وارث لها فأوصت بدارها وأرضها لأولاد مولاتها فلما علمت سيدتها بنت الأتابك سنقر بذلك قالت : أولادي فى غنى عن ذلك وأمرتها أن تجعل دارها مدرسة وتوقف عليها الأرض ففعلت ذلك ، وهى الحرة ابنة الأتابك سنقر التى تزوجت بالملك المسعود بن الكامل(٢).

كما نجد أن الأتابك سنقر لما قاتل الأكراد في زبيد وهزمهم واستولى على زبيد أمر بإغلاق مدرسة المعز اسماعيل (المعزية) وإخراج فقهاء الشافعية منها وصرف وقفها إلى أصحاب أبي حنيفة (ولعل ذلك عائد إلى وقوف أصحاب المدرسة المعزية إلى جانب الأكراد الخارجين على الملك الناصر والأتابك سنقر، أو كونهم يعتبرون أن المعز اسماعيل خارج عن مذهب أهل السنة كما اشرنا إلى ذلك سابقاً)(٣).

وكذلك الأربطة ـ أماكن سكن الطلبة ـ لم تكن وليدة الدولة الأيوبية في اليمن بل هي قديمة إلا أنها أخذت في الانتشار والتوسع في إنشائها عندما ظهر الوجود الأيوبي في اليمن ، وهذا لا يعني أن الدويلات التي سبقت الوجود الأيوبي لم يكن لهم منشات مخصصة لإيواء الطلبة بل كان لهم من ذلك الكثير ، بيد أن النظام الذي فرضه الأيوبيون والممثل بالإشراف على التعليم ، وهو نظام لم يعهده أهل اليمن

١) الوصابي : تاريخ وصاب : ص ٢٦٢، الاكوع : تاريخ المدارس الاسلامية في اليمن : ص ١٧،١٨.

٢) الجندي: السلوك: ج٢، ص ٦٦، ٦٥.

٣) يحيى بن الحسين: غاية الاماني: ج١، ص ٣٨٠، ابن عبد المجيد: بهجة الزمن: ص ١٣٥،١٣٦.

قبل ذلك ، مما كان لذلك أثره على طمس منشآت الدويلات السابقة ، واهتمام المؤرخين بهذا الجانب لصالح الدولة الأيوبية.

ولا ننسى أن ذلك التمزق الذي حدث في اليمن مرده الصراع المذهبى الذى كان له تاثير بالغ على اليمن وأبنائه فضلاً عن تأثيره في الاستقرار السياسي الذى بدوره يوثر تاثيراً كبيراً في الجانب الاقتصادي والحياة الثقافية على حد سواء.

ولتلك الأسباب مجتمعة كان مجيء الأيوبيين الذين تميزوا بتوحيد اليمن فكرياً وإداريا تحت ظل الدولة الأيوبية فكان من أول مهمات الملوك الأيوبيين وولاة بني أيوب التركيز على إنشاء المساجد والمدارس إذ أن من سمات الحكم الأيوبي القضاء على المذهب (الاسماعيلي) المناهض لمذهب الدولة الأيوبية.

ومن العوامل التى ساعدت على إنشاء المدارس الاقتصاد الذي ياتي في مقدمة هذه العوامل لما له من دور بارز باعتباره الدعامة الأولى في ترسيخ الحكم واستقراره.

ويمكن حصر تلك العوامل بايجاز في عاملين.

- الدور البارز الذى أدته النواحي الجغرافية والاقتصادية والدينية والسياسية.
- وفرة العائدات المالية التى كثرت في معظم أودية اليمن الزراعية فضلاً عن السيطرة على المواني والبضائع الآتية من الهند وغيرها من البلدان.

ولعل الغرض من كثرة بناء المدارس يرمي إلى تحقيق عدة أهداف في أكثر من جانب (ديني ، ومذهبي ، وسياسي ، وإداري ، وتعليمي.)

طرق التدريس:

كانت الطريقة المتبعة هي أن يكلف الشيخ أحد طلابه بقراءة الدرس والبقية يستمعون والشيخ يشرح لهم الدرس موضحاً لهم ما خفي من معانيه.

العلوم التى كانت تدرس:

١ـ العلوم الدينية. وتشمل القرآن وعلومه، الحديث وعلومه، التفسير، السيرة، الفقه وأصوله، وأصول الدين، وعلم الفرائض.

٢ـ علوم اللغة والأدب . وتشمل علم اللغة، والنحو، والصرف، والتصريف، والعروض، والقوافي، وعلوم البلاغة (البيان، والمعاني، والبديع).

٣ـ العلوم الإنسانية والعلمية (التطبيقية). وتشمل العلوم التالية.علم التاريخ ، والأنساب ، علم الكلام ، والمنطق ، وعلم الفلك ، والطب والأدوية ، وعلوم الحساب(الجبر ، المقابلة ، الاقدار المتناسبة والمساحة).

وقد أوقف الملوك الأيوبيون والأمراء والفقهاء الذين قاموا ببناء المدارس من الأراضي والأوقاف ما يقوم بكفاية المدرسين بها وإصلاحها وانارتها وفرشها بحسب شروط الواقف.

أما من كان يدير تلك الأوقاف، هل هي جهة معينة ، أم أشخاص؟ فالذي نلمسه أن الواقفين قد جعلوا نظرها بيد العلماء الذين كانوا متولين للتدريس في المدارس ، ولا نستبعد أنهم قد حازوا بأيديهم مسودة الوقفية من الواقف المشمولة بشروطها.

وليس المقصود كل العلماء بل المقصود العلماء الذين كانت تربطهم بأولي الأمر قواسم مشتركة ، إما مصاهرة أو نسب أو صداقة حميمة.

كما كان هناك مدارس عامة يدرس فيها العديد من فنون العلم. ومنها مدارس خاصة لا يدرس فيها إلا نوعان كالحديث والفقه.

من المدارس المتخصصة بتدريس نوع معين كالفقه الشافعي أو الحنفي أو القراءات أو الحديث منها.المدرسة الدحمانية.

ومن المدارس التى تدرس الفقه الشافعي . مدرسة الميلين,المدرسة العاصمية.

ومن المدارس التى تدرس القراءات ، المدرسة المجيرية.

كما نجد أن بناء المدارس في العصر الأيوبي _ كما ورد في المصادرـ تركز في المناطق الجنوبية من اليمن ، وقد حظيت مدينتي تعز وزبيد بالنصيب

الأوفر منها ، ثم تركز في ذي السفال ، ومدينة ذي جبلة ، ومدينة الجند ، ووصاب، وان كانت شبه منعدمة في بقية المدن اليمنية.

ولم تورد المصادر السبب في تمركز المدارس في هذه المدن دون غيرها من المدن اليمنية مع أنها كانت تحت النفوذ الايوبي.

وفي الأخير نجد أن من النفقات التي كانت تقوم بها الدولة الأيوبية في اليمن تتمثل في بناء الأسوار حول المدن والقلاع ، وبناء الحصون في المواقع المهمة والحصينة ، فضلاً عن المدارس ، وكذلك المساجد، وما أكثرها في بلاد اليمن ، بالإضافة إلى بناء بعض المدن العسكرية([1]).

---

١) يحيى بن الحسين : غاية الاماني : ج١، ص ٣٣٧.

خاتمة

يمكن القول إن استيلاء الأيوبيين على اليمن يدخل ضمن الجهود التي بذلها صلاح الدين الأيوبي من اجل توحيد الجبهة العربية الإسلامية، وتأمين حدودها استعداداً لخوض المعركة الفاصلة مع الصليبيين. وإن كان استيلاء الأيوبيين على اليمن سهلاً ميسوراً فان عملية توحيد هذه البلاد وتخليصها من الانقسامات كانت أصعب من ذلك بكثير، وتطلب قدراً من الوقت والجهد . ولم يبال صلاح الدين بما بذل من جهود كبيرة في سبيل تحقيق هذه الغاية تمهيداً لإقامة دولة أيوبية قوية فيها لتكون بمثابة الحارس الأمين على حدود الجبهة الإسلامية والقوة المسيطرة على المدخل الجنوبي للبحر الأحمر.

وقد حرص صلاح الدين الأيوبي في حياته على الاستفادة من إمكانيات بلاد اليمن المادية في دعم الجبهة الإسلامية لمساعدتها على الصمود في وجه الصليبيين المعتدين ، وحاول الحصول على الأموال اللازمة لذلك من أمرائه.

وبعد وفاة صلاح الدين الأيوبي ، دب الخلاف والتنافس بين خلفائه في مصر والشام فأصاب الجمود الجبهة الإسلامية ، وأهمل الأيوبيون في شؤون اليمن أو بالأصح انشغلوا عنها بالانقسامات والمنازعات التى وقعت بينهم ، فلم يهتموا بها.

كما يمكن أن نستخلص مما تقدم أن الأيوبيين تمكنوا من توحيد اليمن تحت نفوذهم والقضاء على دويلاتها المتعددة بعد أن كانت توزعت مناطقها إلى دويلات صغيرة متعاصرة زمنياً ومختلفة مذهبياً ، ومتصارعة سياسياً ، حيث نشأت في كل منطقة دويلة مستقلة. مثل بنى مهدي في زبيد وهم خوارج كما يقال وأما الإسماعيلية فكان بنو زريع في عدن وبنو حاتم في صنعاء ، وكانت الزيدية في صعدة ، كما يمكن القول إن الأيوبيين تمكنوا من أن يجعلوا اليمن ولاية تابعة لهم وظل الارتباط مستمراً بهم حيث استمر الأيوبيين بمصر والشام يرسلون الحملات إلى اليمن للاحتفاظ بسلطانهم عليها . كما أنهم توارثوا السلطة بها . فقد جاء طغتكين

بعد أخيه توران شاه وورث السلطة بعد طغتكين ولداه المعز إسماعيل والناصر، ثم قدم المسعود ابن الملك الكامل ليحكم اليمن ، وكان آخر الملوك الأيوبيين في اليمن.

من جانب آخر نلحظ أن الأمور لم تلبث أن بدأت تضطرب بعد وفاة الملك طغتكين وتولية ابنه المعز الذي كان قد تشيع وادعى أنه أموي ، كما أدعى الخلافة وتلقب بالهادي. وكان سيء السيرة مما أدى إلى خروج أتباعه عليه وانضمامهم إلى الإمام الزيدي عبد الله بن حمزة الذي كان يسيطر على صعدة والجوف ويصل بعض الأحيان إلى حجة وصنعاء وأخذ نفوذه يقوى ، ووقعت الحرب بينه وبين الملك المعز وانتصر الملك المعز وضعف الإمام مؤقتاً ، ثم لم يلبث أن قام أتباع الملك المعز بالتخلص منه وقتلوه لسؤ أخلاقه وسوء سياسته.

وساءت الأحوال بعد مقتله في اليمن لأنه تولى الحكم أخوه الأصغر الملك الناصر الذى كان قاصراً فتولى اتابكيته ألأمير سيف الدين سنقر الذي حاول جاهداً القضاء على الاضطرابات في اليمن ، فحارب الإمام عبد الله بن حمزة وانتصر عليه. ولكنه لم يلبث أن توفى فخلفه في الأتابكية الأمير جبريل الذي كان سيء السيرة فساءت أحوال اليمن في عهده ، وتقلص نفوذ الأيوبيين بها ، وتمكن من الاستيلاء عل الحكم بعد موت الملك الناصر، ولكنه مات مقتولاً على يد جنوده وخلت اليمن من ملك من البيت الأيوبي يحكمها وتولت مقاليد الأمور أم الناصر التى أخذت تبحث عن رجل أيوبي تتزوجه وتوليه اليمن ، وعثرت أخيرا على سليمان شاه الذى تزوجها وتولى ملك اليمن ، وكان سيء السيرة والأخلاق أساء إلى زوجته وإلى أتباعه الأيوبيين ، مما أطمع الإمام عبد الله بن حمزة فيه ، وعمل على الاستيلاء على اليمن.

كما أن الصراع ضد الأيوبيين احتدم واشتد مع أهل اليمن المخالفين لهم مذهبياً مثل الإسماعيلية والزيدية. ألا أن الإسماعيلية انتهوا سريعاً ولم يتمكنوا من استمرار مقاومة الأيوبيين بسبب انتهاء دولتهم في مصر. أما الزيدية فقد ظل الصراع بينها وبين الأيوبيين مستمرا في مناطق شمال صنعاء حتى صعدة . بسبب استمرار ظهور الأئمة الزيدية . وبسبب الخلاف المذهبي فيما بينهما .حيث كان الأيوبيون

سنة والأئمة زيدية ، لذلك شكلت الزيدية عائقاً كبيراً أمام الأيوبيين في الاحتفاظ بسلطانهم على مناطق شمال صنعاء في عهدي المعز والناصر . كما نجد أن الأيوبيين شكلوا عائقا كبيراً أمام الإمام عبد الله بن حمزة نحو توسيع مناطق نفوذه في اليمن الأعلى. وقد عمق الصراع فيما بينهما العداء القبلي بين قبائل اليمن. والطبيعة الجغرافية لليمن. حيث تأرجحت موالاة القبائل بين الأئمة والأيوبيين. مما عمق الصراع كثيراً بين الطرفين. بينما الحال في مناطق اليمن الأسفل وحضرموت وتهامة. فقد أعلن أصحاب هذه المناطق موالاتهم للأيوبيين بسبب التقارب المذهبي بينهم. لانهمينتمون جميعاً إلى مذاب أهل السنة. فلم يعمل هؤلاء على مقاتلة الأيوبيين لذلك كان الحكم الأيوبي في هذه المناطق أكثر استقراراً وأمنا من غيرها.

وعلى الرغم من قصر المدة التي حكم فيها الأيوبيون اليمن والتي لم تتجاوز سبعة وخمسين عاماً (من سنة٥٦٩ـ٦٢٦هـ/ ١١٧٤ـ١٢٢٩م) وانشغالهم في هذه الفترة القصيرة بالصراع مع القوى المختلفة من أجل توحيد اليمن وتوطيد النفوذ الأيوبي فيها من ناحية ، وصراعهم مع الزيدية من ناحية أخرى ـ ذلك الصراع الذي استمر حتى قرب نهاية الحكم الأيوبي في اليمن ، على الرغم من ذلك فقد تمكن الأيوبيون في اليمن من إدخال عدد من النظم الجديدة في الحكم والإدارة ، مقتبسة من نظم الدولة الأيوبية في مصر والشام ـ وهى نظم متقدمة كثيراً عما عرفته اليمن في ظل الحكومات السابقة ـ وأحدث الأيوبيون تغيرات مهمة في جميع نواحي الحكم في اليمن . كما قاموا بعدة إصلاحات في مجال البناء والعمران وإنشاء المدارس لنشر العلم ، وكذلك تنشيط التجارة ، إلى غير ذلك من الأعمال الإصلاحية ، فوضعوا بذلك أساس النهضة التى قامت في اليمن في عهد الرسوليين الذين خلفوا الأيوبيين في حكم اليمن ، ذلك أن الرسوليين لم يغيروا شيئاً من النظم والتقاليد الأيوبية بل ساروا عليها واستفادوا من جهود الأيوبيين السابقة.

على أن أهم إنجاز أنجزه الأيوبيون في اليمن هو بناء وحدة هذه البلاد على أسس سليمة بعد القضاء على القوى المتنازعة فيها وتخليصها من الانقسامات بحيث

أصبحت هذه الوحدة أنموذجاً لما سارت عليه الدول التي تعاقبت على حكم اليمن بعد الأيوبيين.

المصادر والمراجع

مصادر مخطوطة

١. **الخزرجي** : شمس الدين أبو الحسن علي بن الحسن بن أبي بكر (ت ٨١٢هـ / ١٤٠٩م) **العسجد المسبوك فيمن ولي اليمن من الملوك** . مخطوط مصور، دار الفكر، دمشق، صورة ثانية ، ١٤٠١هـ/١٩٨١م نشر في ج.ع.ي. وزارة الأعلام مشروع الكتاب ١/٦.

ثانيا : المصادر المطبوعة

١. **ابن الأثير:** عز الدين أبو الحسن علي بن محمد الشيباني(ت. ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م) **الكامل في التاريخ،** تحقيق د/ عمر عبد السلام تدمري، الناشر دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، سنة ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

٢- **الأهدل** : بدر الدين أبو عبد الله الحسين بن عبد الله الحسين بن عبد الرحمن بن محمد الأهدل (ت. ٨٥٥هـ/ ١٤٥١م) **تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن** ، تحقيق عبد الله الحبشي ، منشورات المجمع الثقافي أبو ظبي ، الإمارات العربية المتحدة ، ط١ ، سنة١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م

٣- **الاصطخري** : أبو إسحاق ابراهيم بن محمد الفاسي (ت. فى النصف الأول من القرن الرابع الهجري) **مسالك الممالك** ، مطبعة بريل ، مدينة ليدن ، سنة ١٩٢٧م

٤ـ **بامخرمة** : أبو محمد الطيب بن عبد الله بن أحمد بن علي بن مخرمة (ت٩٤٧هـ /١٥٤٠م) **قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر** ،مج٢، تحقيق ،عبد الرحمن محمد جيلان الصغير، الناشر ، وزارة الثقافة والسياحة ، صنعاء، ط١، سنة ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م مج٣، تحقيق ، محمد يسلم عبد النور.

ـ **تاريخ ثغر عدن**، دار الجيل، بيروت، دار عمار عمان، ط٢، سنة ١٤٠٨هـ /١٩٨٧م

ـ **النسبة إلى المواضع والبلدان**: الناشر، مركز الوثائق والبحوث، ديوان رئيس الدولة، أبو ظبي، ط١، سنة ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م

٥ـ **ابن تغري بردي**: جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي (ت. ٨٧٤ هـ/ ١٤٦٩م): **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط٢، سنة ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

٦ـ **ابن جبير**: أبو الحسن محمد بن أحمد بن جبير الكناني (ت.٦١٤هـ / ١٢١٧م) **رحلة ابن جبير**، دار الشرق العربي ، بيروت ، حلب سورية ، د.ت.

٧ـــ **الجنــدي**: أبــو عبــد الله بهــا الــدين محمــد بــن يوســف بــن يعقــوب الجندي(ت٧٣٢هـ/١٣٢٢م) **السلوك في طبقات العلماء والملوك** ،١ج، ج٢، تحقيق محمد بن علي الأكوع ،ج٢، نشر وزارة الأعلام اليمنية ١/٢٠، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت ، ط١، سنة ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م ،ج١ الناشر مكتبة الإرشاد صنعاء ، ط١، سنة ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م ،

٨ـ **ابن حاتم** : بدر الدين محمد بن حاتم بن أحمد اليامي الهمداني(ت.بعد سنة ٧٠٢هـ / ١٣٠٢م) **السمط الغالي الثمن في أخبار الملوك من الغز باليمن** ، تحقيق د / ركس سمث ، طبع لندن ، سنة ١٩٧٤م.

٩- **ابن خرداذبة** : أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله بن خرداذبة (ت حوالي ٣٠٠هـ/ ٩١٢م) **المسالك والممالك** ، إعداد وتقديم خير الدين محمود قبلاوي ، منشورات وزارة الثقافة ، الجمهورية العربية السورية ، دمشق ،ط١، سنة ١٩٩٩م

١٠- **ابن خلكان** : أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت ٦٨١هـ / ١٢٨٢م) **وفيات الأعيان** : مج١، ٤، تحقيق د/ إحسان عباس ، نشر دار الفكر. ودار صادر بيروت، مج١، سنة ١٩٦٨م، مج٣، سنة١٩٧١م.

١١- **الخزرجي** : شمس الدين أبو الحسن علي بن الحسن بن أبي بكر(ت ٨١٢هـ / ١٤٠٩م) **العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية** : أخرجه محمد بسيوني عسل ، طبع ضمن مجموعة جب التذكارية بمطبعة الهلال ، سنة ١٣٤٢٩هـ / ١٩١١م

١٢–**ابن الديبع** : عبد الرحمن بن علي بن الديبع الشيباني (ت٩٤٤هـ /١٥٣٧م) **قرة العيون بأخبار اليمن الميمون** ، تحقيق محمد الأكوع ، ط٢، بيروت ، سنة ١٤٠٩هـ /١٩٨٨م) ص: ٣٩،٤٠.

- **الفضل المزيد على بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد** : تحقيق د/ يوسف شلحد ، مركز الدراسات والبحوث اليمني ، صنعاء ، دار العودة ، بيروت ، سنة ١٩٨٣م.

١٣ـ **ابن دعثم** : أبو فراس : **السيرة الشريفة المنصورية سيرة الإمام عبد الله بن حمزة** (٥٩٣ـ٦١٤هـ/١١٩٦ـ١٢١٧م ،ج١،ج٢، تحقيق د/ عبد الغني محمود عبد العاطي ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، ط١، سنة١٤١٤هـ/١٩٩٣م

١٤ـ **الرسولي** : الملك الأفضل العباس بن علي بن داؤد بن يوسف بن عمر بن علي (ت٧٧٨هـ / ١٣٧٧م) **العطايا السنية والمواهب الهنية في المناقب اليمنية** ، دراسة وتحقيق عبد الواحد عبد الله أحمد الخامري ، اصدارات وزارة الثقافة والسياحة صنعاء ، ط١، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م

١٥ـ **زبارة** : محمد بن محمد زبارة : **أئمة اليمن** ، مطبعة الناصر بتعز ، ربيع الأول ١٣٧٢هـ / ديسمبر ١٩٥٢م.

١٦ـ **الزبيدي**: محمد مرتضى الزبيدي : **ترويح القلوب بذكر ملوك بني أيوب** ، تحقيق مديحة الشرقاوى ، الناشر مكتبة الثقافة الدينية ، دار المصري للطباعة ، القاهرة ، د.ت.

١٧ـ **ابن سمرة** : عمر بن علي بن سمرة الجعدي (ت ٥٨٦هـ / ١١٩٠م) **طبقات فقهاء اليمن**: تحقيق فؤاد سيد ، دار القلم ، بيروت ، (بدون تاريخ)

١٨ـ **أبو شامة** : شهاب الدين أبو محمد عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي (ت ٦٦٥هـ /١٢٦٧م) الروضتين في أخبار الدولتين : تحقيق إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية، بيروت ،ط١، سنة ١٤٢٢هـ /٢٠٠٢م

١٩ـ ابن شداد : بهاء الدين أبو عبد الله محمد الأنصاري (ت. ٦٣٢هـ/١٢٣٥م) **النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية** (سيرة صلاح الدين) تحقيق د/ جمال الدين الشيال ، نشر وزارة الثقافة والإرشاد ، مصر ، ط١، سنة ١٩٦٤م

٢٠ـ ابن عبد المجيد: تاج الدين عبد الباقي بن عبد المجيد (ت. ٧٤٣هـ / ١٣٤٢م) **بهجة الزمن في تاريخ اليمن** ، تحقيق عبد الله الحبشي ، محمد السنباني ، نشر دار الحكمة اليمانية صنعاء ، طبع دار الفكر المعاصر ، بيروت ، ط١ ، سنة ١٤٠٨هـ /١٩٨٨م

٢١ـ عمارة اليمني: نجم الدين عمارة بن علي بن زيدان اليمني (ت ٥٦٩هـ / ١١٧٤م) **تاريخ اليمن** : تحقيق (كآي) ترجمة د/ حسن سليمان محمود، الناشر مكتبة الإرشاد صنعاء ، ط١ ، سنة ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م

٢٢ـ العيني : بدر الدين محمود العينى (ت. ٨٥٥هـ/ ١٤٥١م) **عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان،** تحقيق د/ محمود رزق محمود، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط١، سنة ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م

٢٣ـ العامري : يحي بن أبي بكر بن محمد بن يحي العامري (ت ٨٩٣هـ /١٤٨٨م) **غربال الزمان في وفيات الأعيان** ، صححه وعلق عليه محمد ناجي زعبي العمر ، دار الخير للنشر والتوزيع ، دمشق ، مطبعة زيد بن ثابت ، ط١، دمشق ، سنة ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م

٢٤ـ أبو الفداء : عماد الدين إسماعيل أبوالفداء (ت ٧٣٢هـ / ١٣٣١م) **المختصر في أخبار البشر** ، علق عليه ووضع حواشيه محمود ديوب ، الناشر دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١، سنة ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م

٢٥- **الفرح**: محمد حسين الفرح: **اليمن في تاريخ ابن خلدون**، الناشر الهيئة العامة للكتاب - الجمهورية اليمنية، صنعاء، ط١، سنة ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م

٢٦ـ **القلقشندى** : تقي الدين بن أحمد القلقشندى (ت.٨٢١هـ/١٤٨١م) : **صبح الأعشى في صناعة الإنشاء**: قدم لهذه الطبعة د/فوزى محمد أمين ، طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب الخديوية الناشر، الهيئة العامة لقصور الثقافة ،ط١، القاهرة ، سنة ٢٠٠٥م

٢٧- **ابن كثير**: أبو الفداء. عماد الدين إسماعيل بن عمران الدمشقي (ت.٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م) **البداية والنهاية** ، اعتنى بهذه الطبعة ووثقها عبد الرحمن اللادقي ومحمد غازي بيضون ، دار المعرفة ، بيروت ، ط٩، سنة ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

٢٨ـ **ابن المجاور** : محمد بن مسعود بن علي بن أحمد البغدادي النيسابوري المعروف بابن المجاور (ت. ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م) **صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز (المسمى تاريخ المستبصر)** راجعه ووضع حواشيه ممدوح حسن محمد ، الناشر مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، ط١، سنة ١٩٩٦م

٢٩- **المظفر الرسولي** : الملك المظفر يوسف بن عمر بن علي بن رسول (ت ٦٩٤هـ / ١٢٩٤م) **المعتمد في الأدوية المفردة** ، تحقيق ، محمد رضوان مهنا ، منشورات مكتبة جزيرة الورد ، المنصورة ، مصر، ط١، سنة١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م

٣٠- **ابن منظور** : جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن على (ت٧١١هـ / ١٣١١م) **لسان العرب** ، دار صادر ، بيروت ، ط٣، ٢٠٠٤م

٣١- **المقدسي**: شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر(ت. ٣٨٠هـ/ ٩٩٠م) ، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم** ، طبع ليدن ، مطبعة بريل ، ط٢، سنة ١٩٠٩م ،

٣٢- **المقريزي** : تقي الدين أحمد بن علي المقريزي(ت ٨٤٥هـ / ١٤٤١م) **السلوك لمعرفة دول الملوك** : تحقيق محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط١، سنة ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م.

- **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار** - المعروف بالخطط المقريزية : تحقيق د/ محمد زينهم ، مديحه الشرقاوي ، نشر مكتبة مدبولى ، ط١ ، سنة ١٩٩٨م ، القاهرة.

٣٣- **نشوان**: بن سعيد الحميري :(ت ٥٦٣هـ/١١٧٨م) **الحور العين** : تحقيق كمال مصطفى، ط٢، بيروت ، سنة ١٩٨٥م

٣٤- **الهمداني** :أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب (ت.٣٦٠هـ /٩١٠م) **صفة جزيرة العرب** ، تحقيق محمد الأكوع ، مكتبة الإرشاد ، صنعاء، ط١، سنة ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م

٣٥- **ابن واصل**: جمال الدين محمد بن سالم بن واصل (ت. ٦٩٧هـ/ ١٢٩٧م) **مفرج الكروب في أخبار بني أيوب**، ج١، ج٢، تحقيق د/ جمال الدين الشيال، وزارة المعارف المصرية، مطبوعات إدارة إحياء التراث القديم، وزارة المعرف المصرية، دار الثقافة العامة، مطبعة جامعة فؤاد الأول، القاهرة، سنة ١٩٥٣م، ج٢، المطبعة الأميرية القاهرة، سنة ١٩٥٧م.(الجزء الرابع) تحقيق د . حسنين

محمد ربيع وزارة الثقافة والإعلام، مصر، مطبعة دار الكتب، القاهرة، سنة ١٩٧٢م

٣٦ـ **الوصابي** : وجيه الدين عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن عمر الوصابي الحبشي (ت ٧٨٢هـ/١٣٧٠م) **تاريخ وصاب المسمى الاعتبار في التواريخ والآثار**، تحقيق عبد الله محمد الحبشي ، الناشر مكتبة الإرشاد ، صنعاء ، ط٢، سنة ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م

٣٧ـ **ياقوت الحموي** : شهاب الدين بن عبد الله بن ياقوت الحموي (٦٢٦هـ/١٢٢٩م)(**معجم البلدان**) قدم لها محمد عبد الرحمن المرعشلي ، دار إحياء التراث العربي بيروت ، سنة١٤١٦هـ/١٩٩٦م

٣٨ـ **اليافعي**: عبد الله بن أسعد بن علي (ت ٧٦٨هـ / ١٣٦٦م) **مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان**:وضع حواشيه خليل المنصور ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١، سنة ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م

٣٩ـ **يحيى بن الحسين** : يحي بن الحسين بن القاسم بن محمد بن علي (ت ١١٠٠هـ / ١٦٨٩م) **غاية الأماني في أخبار القطر اليماني** ، تحقيق د/ سعيد عبد الفتاح عاشور، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة ، ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م .

٤٠ـ **اليعقوبي**: أحمد بن علي بن أبي يعقوب بن واضح الكاتب المعروف باليعقوبي (ت ٢٨٤هـ /٨٩٧ م) **تاريخ اليعقوبي** ، تحقيق / عبد الأمير المهنأ منشورات ، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ، بيروت ، ط١، سنة ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

المراجع العربية

٤١- **الاكوع** : اسماعيل بن علي الاكوع : **المدارس الإسلامية في اليمن** ، الناشر مؤسسة الرسالة بيروت ومكتبة الجيل الجديد صنعاء ، ط٢، سنة ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م

٤٢- **الأكوع** : محمد بن علي الأكوع : **اليمن الخضراء مهد الحضارة** ، إصدارات وزارة الثقافة والسياحة ، صنعاء ، ط١، سنة ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م

٤٣- **أيمن** فؤاد سيد: **تاريخ المذاهب الدينية في بلاد اليمن حتى نهاية القرن السادس الهجري**، الدار المصرية اللبنانية، ط١، القاهرة، سنة ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م

٤٤ـ **باوزير**: سعيد عوض باوزير : **معالم تاريخ الجزيرة العربية** : منشورات الهيئة العامة للكتاب ، صنعاء (بدون تاريخ)

٤٥ـ **بدوي** (عبد اللطيف) **النظام المالي المقارن في الإسلام،** مطابع شركة الإعلانات الشرقية، بيروت، ط١، سنة ١٩٦٢م

٤٦ـ **الثور**: عبد الله أحمد الثور: **هذه هي اليمن،** منشورات دار العودة، بيروت، ط٣، سنة ١٩٨٥،

٤٧ـ **جارالله** :عبد الرحمن جار الله : **ذي السفال مدينة الآثار الاسلامية** ، الناشر ، وزارة الثقافة والسياحة ، الجمهورية اليمنية ، صنعاء ، ط١، سنة ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م

٤٨ـ **الجرافي:** عبد الله عبد الكريم الجرافي : **المقتطف من تاريخ اليمن** ، منشورات دار العصر الحديث ، بيروت ، ط٢، سنة ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م

٤٩ـ **جميل** حرب محمود حسين : **الحجاز واليمن في العصر الأيوبي** : نشر تهامة ، جدة ، مطبعة سحر، ط١، سنة ١٤٠٥هـ / ١٩٨٧م

٥٠ـ **الحجري** :محمد بن أحمد: **مجموع بلدان اليمن وقبائلها)**،تحقيق إسماعيل الأكوع، مكتبة الإرشاد صنعاء، ط٣، سنة١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م

٥٢ـ **الحداد** : د/ عبد الله عبد السلام صلاح الحداد : **الاستحكامات الحربية بمدينة زبيد** :اصدرات وزارة الثقافة والسياحة ، صنعاء ، ط١، سنة ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م :

٥٣- **الحداد** : محمد يحي الحداد : **التاريخ العام لليمن: (اليمن في موكب الإسلام)** إصدارات وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء،ط١، سنة ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م

٥٤- **حسن** وعلي ابراهيم حسن : **النظم الإسلامية** :مكتبة النهضة العربية ، القاهرة ، ط١، سنة ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م

٥٥- **حسين** بن فيض الله الهمداني: **الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن** ، اصدارات وزارة الثقافة والسياحة ، صنعاء، ط١، سنة ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤م

٥٦- **الحضرمي:** عبد الرحمن بن عبد الله أحمد صالح : **تهامة في التاريخ** : المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية ، صنعاء ، والمعهد الفرنسي للشرق الادني دمشق ، ط١ ، دمشق ، سنة ٢٠٠٥م ،

٥٧- **الحضرمي:** عبد الرحمن بن عبد الله أحمد صالح : **زبيد مساجدها ومدارسها العلمية في التاريخ** ، الناشر ،المعهد الفرنسي للدراسات اليمنية ، صنعاء ، دمشق ، ط١، سنة ٢٠٠٠م

٥٨- **ربيع** : حسنين محمد ربيع ، **النظم المالية فى مصر زمن الأيوبيين** ، ط١، مطبعة جامعة القاهرة ، سنة ١٩٦٤م

٥٩- **زامباور** : إدوارد فون : **معجم الأنساب والأسرات الحاكمة** ، ترجمة د/ زكي محمد حسن ، حسن أحمد محمود ، دار الرائد العربي ، بيروت ، سنة ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م

٦٠ـ **زكار** : د/ سهيل زكار : **حطين مسيرة التحرير من دمشق إلى القدس** ، دار حسان للطباعة والنشر ، دمشق ، ط١، سنة ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م

٦١ـ **سرجيس** : د/ سرجيس فرانشوزوف : **تاريخ حضرموت الاجتماعي والسياسي قبيل الإسلام وبعده** ، تقديم وتعريب : د/ عبد العزيز جعفر بن عقيل ، المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية ، صنعاء ، الأفاق للطباعة والنشر ، ط١، سنة ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م

٦٢ـ **السروري**: محمد عبده محمد ألسروري : **الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في اليمن (في عهد الدويلات المستقلة)** اصدارات وزارة الثقافة والسياحة ، صنعاء، ط١، سنة ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م

٦٣ـ **شوقي** ضيف : **تاريخ الأدب العربي** : عصر الإمارات . الجزيرة العربية . العراق. إيران. دار المعارف، القاهرة، ط١، سنة ١٩٨٠م،

٦٤ـ **عاشور** : د/ سعيد عبد الفتاح عاشور : **الحركة الصليبية حركة مشرقة في تاريخ الجهاد الاسلامى في العصور الوسطى** : الناشر : مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ،ج١، ط٧، سنة ١٩٩٧م، ج٢، سنة ٢٠٠٥م

٦٥ـ **عاشور** : د/ سعيد عبد الفتاح عاشور : **مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك** : الناشر ، دار النهضة العربية ، بيروت.

٦٦ـ **العبدلي**: أحمد فضل بن علي محسن العبدلي : **هدية الزمن في أخبار ملوك لحج وعدن** : الناشر مكتبة الثقافة الدينية ، بورسعيد ، ط١، سنة ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م

٦٧ـ **العرشي** : حسين بن أحمد العرشي : **بلوغ المرام في شرح مسك الختام في من تولى اليمن من ملك وإمام** ، عنى بنشره الأب انستاس مارى الكر ملى ، دار إحياء التراث العربي، بيروت (بدون تاريخ)

٦٨ـ **العريني** : السيد ألباز العرينى : **مصر في عصر الأيوبيين** ـ القاهرة ـ مطبعة الكيلاني ـ سلسلة الإلف كتاب (٢٦٩).

٦٩ـ **عصام** الدين الفقي: **اليمن في ظل الإسلام:** دار الفكر العربي ، القاهرة ، ط١، سنة ١٩٨٢م.

٧٠ـ **العقيلي:** محمد بن أحمد العقيلي : **تاريخ المخلاف السليماني** ، الناشر شركة العقيلي جازان ، مطابع الوليد ، ط٣، سنة ١٤١٠هـ/١٩٨٩م

٧١ـ **غنيم** : حامد غنيم أبو سعيد : **الجبهة الإسلامية في عصر الحروب الصليبية** ، ط١، القاهرة ، سنة ١٩٧٢م

٧٢ـ **القوصي** : د/ عطية القوصي : **تجارة مصر في البحر الأحمر منذ فجر الإسلام حتى سقوط الخلافة العباسية،** دار النهضة العربية ،القاهرة، سنة ١٩٧٦م

٧٣ـ **الكبسي** : محمد بن اسماعيل الكبسي : **اللطائف السنية في إخبار الممالك اليمنية** ، تحقيق ، (أبو حسان) خالد أبا يزيد ألأذرعي ، الناشر ، مكتبة الجيل الجديد ، صنعاء ، ط١،سنة ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م .

٧٤ـ **كريم:** محمد كريم ابراهيم الشمري : **عدن دراسة في أحوالها السياسية والاقتصادية ٤٧٦ ـ ٦٢٦هـ / ١٠٨٣ ـ ١٢٢٨م** ، الجمهورية اليمنية ، إصدارات جامعة عدن ، دار جامعة عدن للطباعة والنشر ، سنة ١٩٨٥م.

٧٥ـ **الكندي** : سالم بن محمد بن سالم بن حميد الكندي : **تاريخ حضرموت المسمى بالعدة المفيدة الجامعة لتواريخ قديمه وحديثه** ، تحقيق / عبد الله محمد الحبشي ، مكتبة الإرشاد ، صنعاء ، ط١، سنة ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.

٧٦ـ **مؤسسة** السعيد للعلوم والثقافة (**قسم المسكوكات**) . تعز ، الجمهورية اليمنية .

٧٧ـ **محمد بن علي** مسفر عسيري: **الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في اليمن في العصر الأيوبي:** دار المدني، جدة، ط١، سنة ١٤٠٤هـ / ١٩٨٥م

٧٨ـ **محمد** جمال الدين سرور: **النفوذ الفاطمي في جزيرة العرب**، دار الفكر العربي ، القاهرة

٧٩ـ **محمد** عبد العال : **الأيوبيون في اليمن**:الهيئة المصرية للكتاب ، الإسكندرية سنة ١٩٨٠م

٨٠ـ **المقحفي** : إبراهيم أحمد المقحفي : **معجم البلدان والقبائل اليمنية** ، الناشران ، دار الكلمة صنعاء ، المؤسسة الجامعية للدراسات بيروت ، ط ٤، سنة ١٤٢٢هـ /٢٠٠٢م

٨١- **هارون** : عبده علي عبد الله علي هارون : **الدر النضيد في تحديد معالم وأثار مدينة زبيد** : إصدارات وزارة الثقافة والسياحة ، صنعاء ، ط١، سنة ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م

٨٢- **هاملتون** جب: (السير هاملتون أ.ر.جب) **صلاح الدين الأيوبي** (دراسات في التاريخ الاسلامى) حررها: يوسف أبيش ، ط١، بيروت، سنة ١٩٧٣م.

٨٣- **الواسعي**: عبد الواسع بن يحي الواسعي: **تاريخ اليمن المسمى فرجة لهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن،** النشر، الدار اليمنية، ط٤، سنة ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م

الدوريات:

- **الحبشي**: عبد الله الحبشي: **جوانب من الحياة الاقتصادية في التاريخ اليمني**: مجلة الكلمة: عدد ٥١،٥٢.

- **محمد** عبد العال أحمد : **دراسة حول أقوال المؤرخين عن أسباب الفتح الايوبي لليمن** (مقال) مجلة معهد المخطوطات العربية : سنة ١٩٦٧م

الرسائل العلمية

- **عليان** : (محمد عبد الفتاح عليان) **الحياة السياسية ومظاهر الحضارة فى عهد دولة بني رسول فى اليمن)** رسالة دكتوراه مقدمة إلى كلية الآداب جامعة القاهرة سنة ١٩٧٣م ، ص ١٧٨. رسالة لم تنشر.

الفهرس